



مجموع ملاحظات و كلامه

لا اله الا الله محمد بن عبد الله

الحمد لله رب العالمين

مَجْمُوعُ مَوْظُوعَاتِ كَلَامِهِ
 الْأَمْرُ الْمَعْلُومُ بِالْحَقِيبِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

جَمْعُ تَأْمِينِهِ
 الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
 وَتَلِيهِ
 نَقِيرُ الشَّيْخِ فِي تَرْذِيهِ طَيْفَةُ الْجَامِعِ

إِعْنَى يَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
 مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ



دار الفقه والدراسات الإسلامية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٥/١٠/٢٤٠٥)

٢١٥،٩٢

سميط، أحمد عمر

مجموع كلام ومواظ الإمام أحمد بن عمر بن سميط/أحمد بن عمر

بن سميط، تحقيق: محمد أبو بكر باذيب

عمان : دار الفتح ٢٠٠٥

ر.إ.: (٢٠٠٥/٥/٢٤٠٥).

الواصفات : / الدعوة الإسلامية // الوعظ والإرشاد// الآداب

الإسلامي// الإسلام // المسلمون/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

(رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٤٠٧/١٠/٢٠٠٥)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

جميع الحقوق محفوظة ©

قياس القطع : ٢٤ × ١٧

الرقم المعياري الدولي : ISBN 9957-23-049-2



دار الحكمة للنشر

الجمهورية اليمنية، تريم (حضر موت)

تلفاكس ٤١٩٣٣٦ (٠٠٩٦٧٥)، ص.ب ٥٨٠٧٦



دار الفرقان للنشر

ص.ب ١٨٣٤٧٩ ، عمان ١١١١٨ ، الأردن

هاتف وفاكس : ٥١٥٦٢٠١ (٠٠٩٦٢ ٦)

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing .

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق .

بين يدي «المجموع»

لستُ أدري بماذا أبدأ في الكتابة عن هذا العلم الكبير، هذا الجبل الشامخ الأشم؟ إنه كبير الدعاة في عصره، ورأس المصلحين في (حضر موت) في القرن الثالث عشر الهجري.

ذلك الإمام، الذي منذ صغري وأنا أسمع ذكره يتردد على مسمعي، منذ أن كنت طفلاً صغيراً، لأنني ولدت ورُبيت في (شِباء)، بلد ذلك الإمام، وكم كنت أتردد إلى (مَحْضرة أم الستة) التي هي منطلق دعوة ذلك الإمام، إذ يقع منزل أسرتي إلى جوارها. . تلك (المحضرة) التي كم شهدت من أكابر القوم، وزعماء (حضر موت) علماء وسياسة.

(أم الستة). . . مجتمع أهل (شِباء) في أعيادهم واحتفالاتهم الدينية، لا سيما في أيام قراءة قصة المولد النبوي في ربيع الأول، وفي ذكرى الإسراء والمعراج في رجب، وقراءة دعاء ليلة النصف من شعبان.

(أم الستة). . . تلك الغرفة الواسعة، التي تتركز على ستة أعمدة خشبية (سواري)، وهي المسمّاة بـ (الأسهم) في الدارجة الشبامية من هنا جاء اسمها وشهرتها، تقع في أسفل دار الإمام المترجم له، ولها مدخل خاص بها، ويقع تحتها مُصَلَّى الإمام ووالده رضي الله عنهما، وهي خلوات مباركة، وبأسفل الدار بئرٌ عميقة يُستخرج منها الماء إلى جاية خُصّصت لذلك، تفي بأغراض

المعتكف فيها من وضوء وغُسل . ترتيبٌ وتهيئة رائعة، لم يُسبق إلى مثلها
— فيما أعلم — السادة آل سُميط في تهية أماكن العبادة والاعتكاف .

وفي هذه «المحضرة» كان أهل شبام يتسابقون إذا رُزق أحدهم بمولود،
فيأتي به إلى القائم في المقام، ليبارك عليه، ويدعو له، ويُقرع عنده بالاسم،
ثم تقرأ الفاتحة بعد اختيار الاسم، وسط بهجة أهل المولود، وفرحة الوالد . .
مشاعرٌ لا توصف . . وحسبُ المولود فخراً أن يسمى في يوم سابعه في «أم
الستة» .

وكثيراً ما أسمع سيدي الوالد يردد على مسمعي قول الحبيب الجليل
أحمد بن محمد المحضار، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ، في مدح شبام، والإشادة
بهذا الإمام :

وشبام ذي قد شُيِّدَتْ أركانها بالبحر، واحمد بن عمر سلطانها
ويعني بالبحر: الإمام الكبير الحبيب الحسن بن صالح البحر، أجلّ
تلامذة الإمام أحمد بن عمر بن سُميط، توفي بذي أصبح سنة ١٢٧٣هـ .

كان الحبيب أحمد إماماً بحق . . وسلطاناً من سلاطين الدعاة إلى الله
تعالى، بحاله ومقاله . وإنّ ما سيجده القارئ الكريم في أعطاف هذا
الكتاب . . من حُكم، ونصائح، وإرشادات . . ليؤكِّد، بصريح العبارة، صحة
هذه المقولة، وصحة ما يقال في حق أحمد بن عمر بن سُميط .

وكم سمعنا — ولا نزال نسمع — تلك المقولة التي تروى عن الحبيب
الإمام أحمد بن حسن العطاس، المتوفى بحريضة سنة ١٣٣٤هـ رحمه الله،
عندما مرّ تحت أحد البيوت في شبام، فسمع امرأة من داخل الدار وهي تطحن

البُرّ على راحها، رافعة صوتها تردد ما تحفظه من كتاب «فتح الرحمن»، وتُردد حديث جبريل الشهير الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتقول: جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام... إلى آخره.

فوقف ذلك الإمام رضي الله عنه يستمع وقد خنقته العبرة، وقال: لله دَرُكُ يا أحمدُ بنَ عمر! جئتُ بجبريل من السموات العلى إلى عند هذه المرأة الجالسة على الرَّحَى.

فلله أبوه من إمامٍ اقتعد منصةَ الشرف العلي:

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجْرِجُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

إن الحبيب أحمد بن عمر كان ذا عقلية فذة، وحصافة في التفكير، وبعُد في الرؤية، عاش مجاهداً لله وفي سبيله... داعياً ومرشداً ومذكراً وواعظاً. استخدم – في دعوته ونهضته الإصلاحية – أنواعاً مختلفة من الأساليب النافعة المفيدة، وسنأتي على ذكرها في فصل خاص، نتكلم عن دعوته، وعن تأثيره في المجتمع الحضرمي.



الأسرة السُّمَيْطِيَّة في شِباب وإشارة إلى تاريخها العلمي والدَّعَوِيَّ المجيد

قَدِمَ القرن الثالث عشرَ الهجري على أهل (حضرَموت) وهي تعيش
فوضى سياسية واضطراباً في جبل الأمن . . فقد غزت القوات اليافعية الأراضي
الحضرمية للمرة الثانية، وكان قدومهم بطلب مُلحٍّ من منصب عِينات آنذاك:
الحبيب علي بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، أو أخيه الحبيب شيخ . .
فكان قدوم الشيخ عمر بن صالح ابن الشيخ علي هرهرة اليافعي في عام
١١١٧هـ، نجدةً للسلطان المغلوب على أمره: بدر بن محمد المردوف
الكثيري .

أما قدومهم في المرة الأولى فكان في القرن العاشر الهجري، أيامَ
السلطان بدر بوطويرق الكثيري . وجرت بينهم وبين بعض الأمراء من آل كثير
حروب ووقائع لا نطيل بذكرها . . ولكن هذا يهمنا في معرفة الحالة التي كانت
تعيشها (حضرَموت) آنذاك . . واستمرت هذه الفوضى إلى ما بعد وفاة مترجمنا
الجليل في النصف الثاني من القرن الذي يليه . وكان الحكام الكثيرون ضعفاء
جداً، لم يستطيعوا أن يسيطروا على الأوضاع في البلاد .

فنعرف — من هنا — أن تأوّهات صاحب الترجمة، من عدم وجود وإل
عادل، أو خليفة صالح يضبط الأمور . . كان في محلّه، فد (أمّ المناكير أرض ما

لها سُلطانُ). . حتى كان يَأْمُرُ مؤذن المسجد الجامع في (شَبَامَ) أن يردّدَ هذا البيت في المسجد بصوت عالٍ بعد أن يؤذن لصلاة الصبح، وما ذاك إلا لتجشُّمه القيام بالدعوة إلى إصلاح (حضرَموت)، والمبادرة إلى انتخاب وإلٍ عادل يقوم بحفظ الأمن وسياسة الناس.

— الإمامُ الحدّاد :

نعود إلى القرن الثاني عشر، الذي بزغ فجره والراية الحدادية ترفرف على (تريم)، وجماعة من طلاب العلم يَفِدُون على تلك الحضرة البهية . . أفراداً معدودين؛ لأن ذلك الإمامَ الجليل كان في حَيِّزٍ من الخفاء، بحيث لا يأتيه إلا جماعة عُرِفوا بصحبته، وتآخوا في الله على طلب العلم، ودعوة الناس إلى الله، وتذكيرهم بأيام الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

الإمام شيخ الإسلام: عبدالله بن علوي الحداد، المولود سنة ١٠٤٤، والمتوفى سنة ١١٣٢، كان علماً بارزاً في عصره، لكن دعوته إنما انتشرت بعد موته، شاهد ذلك ما حكاه تلميذه المخلص النجيب: السيد محمد بن زين بن سُمَيْط، عندما سأل شيخه العلامة أحمد بن زين الحبشي مستغرباً من عدم إقبال الناس على مجالس الإمام الحداد، فقال له شيخه الحبشي: لو علم الناس بقدر الإمام الحداد لما وجدتُ أنا وأنت موضعاً في مجلسه، ولما أمكننا القراءة عليه إلا بصعوبة.

ولا يخفى فضل الإمام الحداد ومكانته في نشر العلم والنهوض به في (حضرَموت). . كان — رضي الله عنه — مدرسة جامعة، تفرغت عنها مدارس عديدة، والمدرسة السُّمَيْطِيَّة الشبامية ما هي إلا واحدة من تلك المدارس التي تفرغت عن المدرسة الحدادية الأم. . قوامها العلم، وعمادها التقوى، ومظهرها الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

— السيد زين بن سميطة وأولاده :

وكان السيد الفاضل زين بن علوي بن سميطة من خيار أهل (تريم)، وكان من محيي العلم، وكان له تردد على مجالس الإمام الحداد. . ولد سنة ١٠٧٦هـ، ونشأ نشأة تقوى وصلاح، ولما رزقه الله تعالى بابنه الأكبر السيد محمد، الذي وُلد على رأس ذلك القرن (سنة ١١٠٠هـ)، اعتنى بتربيته ونشأته، فشب محافظاً على العبادة، محباً لمجالس العلم.

فاستصحبه معه إلى مجالس شيخه الإمام منذ سن تمييزه، فامتلاً ذلك الشاب بمحبة الشيخ الجليل، وأكبره جداً. . وعكف على مجالسه ودروسه ينهل منها ويعلم، ويكرع من معين نبوي صافٍ ويغترف، حتى تفتح ذهنه وصفت قريحته، وتفتقت مواهبه العلمية. . ولم يتوف شيخه إلا وقد اطمأن عليه وعلى سيره وسلوكه، وكان متعلقاً به جداً، لا يكاد يفارقه إلا لحاجاته الضرورية.

وكان يشاركه في الأخذ أيضاً أخوه: عمر بن زين، ثاني أبناء السيد زين، الذي ولد سنة ١١٢٠، وأدرك من حياة الإمام الحداد اثني عشر عاماً، كانت كفيلة بأن تقدح في ذهنه كثيراً من الذكريات، وتلقحه بفيض من الفيوضات والنفحات الربانيات، «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». ومن كان مُجالساً لعبدالله الحداد أصاب — بلا شك ولا ريب — نصيباً من السعادة، لا سيما إذا اقترن ذلك بالمحبة الصادقة، والرغبة في نيل العلا.

توفي الإمام الحداد سنة ١١٣٢ وقد بلغ الحبيب محمد بن زين ٣٢ عاماً، وأخوه عمر ١٢ عاماً. . وكان أبوهما لا يفارق (تريم) إلا مدة يسيرة يسير فيها إلى نواحي المهرة وصنعاء لإقامة بعض أسباب المعاش، ثم يسارع بالرجوع حرصاً على تربية أولاده، وخوفاً عليهم من الاختلاط بغيرهم من أبناء وقتهم.

— الإمام الحبشي :

كان الحبيب أحمد بن زين الحبشي أحد كبار خريجي مدرسة الإمام الحداد، وحامل لواء الدعوة والتبليغ من بعده، قد حل في بلدة معروفة بأعلى (حضر موت) تسمى (خلع راشد) — وتنسب إلى السلطان العالم: عبد الله بن راشد المتوفى سنة ٦٩١هـ — وكان بها نخل من خلعه، أي: غرسه، فنُسبت إليه، وحل في غربي تلك البلدة في موضع يقال له: (البهاء)، وسكنه مع مجموعة من مريديه وطلابه، فسميت (حُوطة البهاء) — ولعلماء (حضر موت) تعريف لمسمى الحوطة، أطال النفس فيه الإمام محمد بن عمر باجمال في كتابه النافع المفيد «مقال الناصحين» — ثم بعد ذلك اتسعت الحوطة لتشمل كل منطقة خلع راشد، فصار اسم الحوطة علماً لها.

وكان الإمام أحمد بن زين الحبشي من أقرب الناس إلى قلب السيد محمد بن سُميط، وكان هو شيخه الثاني بعد شيخه الأكبر: الإمام الحداد.. فكان يركنُ إليه، ويطمئن بمحادثته ومجالسته، وعليه كان تخرجه وانتفاعه.

بعد وفاة الإمام الحداد.. ضاقت على السيد محمد بن سُميط الأرض بما رحبت، وضاقت عليه (تريم)، وتكدر صفاء عيشه فيها، إلى درجة جعلته يبادر بالخروج منها بعد مدة وجيزة من وفاة شيخه، فسار إلى حوطة شيخه الحبشي، ونزل عنده أياماً معدودات، أخبره فيها بنيته المسير إلى (دوعن) لزيارة أخيه في الله ورفيقه في الطلب عند الإمام الحداد، وهو السيد الجليل الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار.. عله يجد عند البار في دوعن متنفساً له ليرتاح من العناء والمشقة التي لاقاها بعد وفاة شيخه.

فأذن له الإمام الحبشي بالمسير، ودله على الطريق.. وهو: أن يذهب إلى بلدة (شِبام) لكونها في وسط الوادي، وعندها تجتمع القوافل، ومنها يسير

المسافرون إلى حيث يريدون.

فذهب إلى (شَبَام)، وكان يقف كل صباح عند سُدَّتِها، (بوابتها)، في انتظار ركب أو قافلة تسير إلى دوعن، ولكن لم يجد... وهكذا، مرّ يوم فيومان، فأُسبوع فأُسبوعان... حتى أكمل شهراً وهو على جمر الانتظار.

وبعد أن مر عليه الشهر - وهو في أشد حالات الضيق - عاد إلى الحوطة، فاستقبله شيخه، وأعلمه بما جرى له... فهدأ من رَوْعِه، وقال له بصوت الرجل العارف الواصل ما معناه: قد علمتُ أنه لا يتيسر لك المسير إلى دوعن، ولكنني أردت أن ترى بلدة (شَبَام) وتعرفَ عليها وعلى أهلها... فإن شيخنا الإمام الحداد كان يشير علي بالنزول فيها، ولأن أهل (شَبَام) إذا عَرَفُوا الولي تمسكوا به ولم يتركوه.

— ولماذا شَبَام؟

وكان كلام الإمام الحبشي صحيحاً وفي محله... إذ بَعْدَ عهد أهل (شَبَام) بوجود الزعماء الدينيين الروحانيين، والمرشدين الواعظين... فبعد أن أُخْرِجَ الشيخ معروف باجمال رضي الله عنه في القرن العاشر من (شَبَام)، سنة ٩٤٤هـ تحديداً، لم يظهر فيها بعده من يخلفه أو يحمل لواء دعوته، لأسباب سياسية في غالب الأحيان، ولموقع (شَبَام) التجاري.

نعم... كان هناك الفقهاء والمفتون من أهل البلد، ولكن الفقيه لا يكون مرشداً وواعظاً في الأغلب، بمعنى: أن تحرير الفتاوى ومراجعة الأحكام الشرعية، لا تمكّن الفقيه من أن يكون واعظاً أو مرشداً روحياً، لانشغاله بفصل القضايا والأحكام، ولأن الدعوة إلى الله تحتاج إلى تفرغ، إضافة إلى الربانية، وهي العنصر الأهم الذي عليه المدار في جذب القلوب إلى الله، وضرب المثل الأعلى في الطاعة والعبادة والزهد.

هذا ما فُقد من (شِباء) بعد أن كانت مزدهرة بأكابر أهل عصرهم . . وما ظهورُ الشيخ محمد بن أبي بكر بآبِاد، والشيخ أحمد بن جبير شراحيل، والشيخ معروف باجمال، والشيخين: إبراهيم بن محمد وحفيده إبراهيم بن عبد الله آل باهرمز، وهؤلاء عاشوا في القرن التاسع والعاشر الهجري . . إلا نماذجٌ عظيمة وجليّة جداً، تبرهن لنا أن (شِباء) — حرسها الله — كانت مهذاً للصالحين، ومنبتاً لأكابر الرجال العارفين.

بل من أهلها من طبّقت شهرته الآفاق، وسارت بذكره الرُّكبان، كالشيخ أحمد بن عبد القادر بن عُقبة، الذي توفي في (مصر) سنة ٨٩٥، شيخ الشاذلية في وقته، ومن عليه تدور سلاسل الأسانيد الشاذلية في مختلف أصقاع العالم. فترةٌ من الزمان مرّت على (شِباء) . . حتّى أدركها الله تعالى برجال مُخلّصين صادقين، يعيدون لها شيئاً من سالف مجدها العلمي. وقد كان للإمام الحداد في (شِباء) محبوبون ومريدون، من آل باذيب وآل باشراحيل، وبعض الأسر المباركة الأخرى.

وكان الإمام الحداد يحب أهل (شِباء)؛ لأن أكثر من ناصره في دعوته، وقام إلى جواره في مَحَنِهِ التي لاقاها من أهل (تَريم) . . هم أهل (شِباء)، وفي ذلك وقائعٌ نذكر منها على سبيل المثال قصةً رواها الحبيب أحمد بن عمر في هذا «المجموع»، وحاصلها أنه قدّم رجل من أهل (شِباء) من آل باذيب إلى (تَريم) . . لقضاء بعض المصالح والأغراض الخاصة، وكان معه جملة من الكتب يريد تجليدها عند مُجلّد معروف (بَتَريم)، فناول الشبامي المُجلّد ما لديه من كتب، وجلس عنده ينتظر فراغه من عمله ليحمل كتبه معه.

فلما حان وقت صلاة الظهر . . نهض الشبامي من مكانه، وقال للتَريمي: أمّا أنا فسأذهب إلى الحبيب عبد الله الحداد لأُصلي الظهر بمعيته

ثم أعود إليك .

فنظر التَّريمي إلى الشَّامي وسأله مستغرباً ومستنكراً: ومن هو الحداد هذا الذي تريد الذهاب إليه؟ فنزلت كلمته على مسمع الشَّامي نزول الصاعقة، فصاح به: وأنت! ألا تعرفُ الحبيب عبدَ الله حدَّاد؟ وآلى على نفسه أن لا يتعامل معه بعد ذلك اليوم .

وفي هذه الواقعة، التي رواها لنا الثقات، ما يغني عن التعليق عليها، وفيها ما يدل على حسن ظنهم في الإمام الحداد، وقوة رابطتهم به، وتعلقهم بمجالسه وحرصهم على الاستفادة منه في كل حين، مهما كان الوقت ضيقاً، كوقت أداء الفريضة .

وكان الإمام الحداد — عليه الرحمات السابغات — كثيراً ما يقول: «شِبامُ عِمامة على رأسي»، لشدة محبته لأهلها كما ذكرنا، لمناصرتهم له رضي الله عنه .

— الهجرة السُّمِيطِيَّةُ إلى شِبام :

نعود إلى ذكر الإمام الحبشي وتلميذه ابن سُمِيط، فبعد أن عاد من انتظاره ذلك، وسمع ما سمعه من شيخه الحبشي . .

وقع ذلك الكلام موقعاً من نفسه؛ لأنه ليس له مطمَع في الحياة إلا النفع والانتفاع، فقد جرد نفسه لخدمة الشريعة ونصرة الدين، ولا يغيب عنه حديث: «لأن يهدي الله بك . .»، كما أنه يريد أن يكون في مكان قريب من شيخه الحبشي، ليتسنى له إتمام أخذه عنه ومواصلة القراءة عنده في كتب العلم، والأنس بصحبته، فذلك أقصى ما يتمناه المريد .

فعاد إلى (تريم) . . وتشاور مع والده السيد زين بن علوي، وأخبره بما

قاله الإمام الحبشي، فما كان من الوالد إلا الموافقة التامة، والقبول المطلق لذلك الأمر، ولكن لم يتم الانتقال تماماً إلا بعد ما يزيد على السنة، فكان من السيد محمد بن سميّط أن تردّد مراتٍ عديدةً إلى (شباب)، حتى كان النزوح التام إليها في سنة ١١٣٥.

وكان أن اشتروا «دار آل جرهموم» الواقعة في الجهة البحرية (الجنوبية) من (شباب). . وكان بيت الجميع في بادئ الأمر، ثم لما توسعوا وكثرت ذريتهم، انتقلوا إلى غيره.

أما منطلق الدعوة. . فكان من مسجد (بن أحمد) الواقع في غربي (شباب)، وهو مسجد قديم يعود بناؤه إلى القرن العاشر الهجري، يقال: إن الذي بناه هو الشيخ أحمد بن جبير شراحيل، ثم جده ورّمه الحبيب أحمد بن زين الحبشي، وذلك قبل قدوم السادة آل سميّط إلى (شباب)، حتى أنه قال للسيد محمد بن سميّط: هذا مسجد بن أحمد، قد بنيناه وجعلنا فيه زاوية لكم، وهي زاوية آل أبي علوي.

وزاوية (بن أحمد) معروفة، وهي زاوية مباركة، كانت تعقد فيها مجالس العلم، وكان الحبيب محمد بن زين ووالده وإخوته يعتكفون بها.

حتى أن والدهم السيد زيناً توفي بها وهو في اعتكافه سنة ١١٤٠ حسبما نقله الثقات، وتوفي معه في نفس العام ابنه علي، وهو ثالث أبنائه، وليس له عقب. وقد كان عالماً فقيهاً مشهوداً له بالخير والصلاح، توفيا إثر إصابتهما بحمى.

ولست هنا بصدد التفصيل في تاريخهم وتراجمهم، ولكنني أحببت أن أُلَمّعَ الإمامة سريعة إلى ذلك، فتراجمهم تقتضي سرد كثير من الأحداث، وذكر ما كانوا عليه من عبادة ومجاهدات وأعمال صالحات.

الحبيب أحمد بن عمر بن سميّط (١١٧٧ - ١٢٥٧ هـ)

في أجواء عام ١١٧٧^(١) . . برزت إلى الوجود غرة هذا العلم الجليل، من أبوين كريمين . أمّا والده فهو نبراس التقوى، والتمسك بركنها الأقوى، الحبيب العارف بالله تعالى، الإمام الصالح، وليّ الله: عمر بن زين بن علوي ابن سميّط، المتوفى (بشّام) سنة ١٢٠٧ . وأمّا والدته فهي الحرة بنت السيد الصالح عبد الرحمن بن محمد بارقة باعلوي المتوفى سنة ١١٥٣، الذي كان الإمام الحداد يجله، وله أقوال كثيرة في الثناء عليه، منها قوله: «الإحياء في زاوية من صدر عبد الرحمن بارقة!» وهذا ثناء بالغ .

— نسبه الشريف :

هو: أحمد بن عمر بن زين بن علوي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمّد (الملقب سميّطاً) ابن عليّ (الشنهزي) بن عبد الرحمن (صاحب بابطينة) ابن أحمد بن علوي بن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن علوي (عمّ الفقيه) ابن

(١) كذا وجدته مكتوباً في بعض الكناشات القديمة، ووجدت تاريخاً آخر وهو ١١٧٨، ونقلته من ورقة قديمة أيضاً سأورد نصّها في الصفحات القادمة . وبهذا، فإنني أشكك في صحة ما ورد في «تاريخ الشعراء» من أن مولده كان سنة ١١٨٣، وقد تابع السيد ضياء شهاب صاحب «الشعراء» على هذا الخطأ . . والله أعلم .

محمّد (صاحبِ مِرْبَاط) ابنِ عليّ (خالعِ قَسَم) ابنِ علويّ بنِ محمّد بنِ علويّ بنِ عبّيد الله بنِ المُهاجرِ إلى الله: أحمد بن عيسى بن محمّد بن عليّ (العريضيّ) ابنِ جعفر (الصادق) ابنِ محمّد (الباقِر) ابنِ عليّ زين العابدين بن الحسين السَّبِطِ الشهيد بكَربلاءَ، ابنِ فاطمة الزهراء بنتِ سيّد المرسلين محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وابنِ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه .

— نشأته :

تربى — نفع الله به — في حجر والده، وكان ترتيبه بين إخوته الخامس، إذ وُجد قبله لوالده أربعة من البنين في (تَريم) قبل هجرتهم إلى (شَبام)، وهم السادة: علي وأبو بكر وعبد الرحمن وحسين، وولد صاحب الترجمة وأخوه محمد في (شَبام) كما ذكرنا. والأربعة الأوّلون أشقاء، وأمهم أخت الأولى، دخل عليها والدهم بعد وفاة أختها.

وليس للحبيب عمر بن زين عقبٌ إلا من ابنه محمد، وهو الأصغر في بنيه، توفي في مكة المكرمة قبل موسم حج ١٢١٨، أما البقية فلم يعقبوا كما ذكر المؤرّخون. نعم، أعقب عبد الرحمن ولدًا بالمدينة المنورة ثم قُرض نسله، وكانت وفاة علي وعبد الرحمن في حياة والدهما، وأما أبو بكر فتوفي سنة ١٢١٠، والحسين سنة ١٢١٧.

وكان الحبيب عمر بن زين — رحمه الله ونفع به — سائرًا على نهج أهل (تَريم) وطريقتهم في تعليم أولادهم، إذ إنهم يبدؤون بتعليم الطفل القرآن الكريم في (عُلَمة باغريب)، ثم إذا كبر أدخلوه قبة أبي مُريّم، ثم يترقى بعد ذلك في المعارف وطلب العلم.

فدرس رضي الله عنه في (علمة باغريب) لدى الشيخ العالم الصالح عمر

ابن عبد الله باغريب، الذي توفي سنة ١٢٠٥ هـ، وكان سنه قريباً من سن والد المترجم، أي: إنه أدرك سنوات من حياة الإمام الحداد ورآه. ونقل المترجم عن شيخه الحبيب حامد بن عمر قوله في حق الشيخ عمر باغريب: إنه (سعدٌ وقته)، أي: إن حاله قريب من حال الشيخ سعد بن علي السويني، وهو أحد كبار رجال القرن التاسع، توفي سنة ٨٥٩ هـ.

— حليته :

قال في حقه تلميذه الإمام الجليل، الذي لازمه مدة عشر سنوات، مَنْ تدور عليه سلاسل الإجازات والأسانيد في (حضر موت)، الحبيب: عيدروس ابن عمر الحبشي، في «عقد اليواقيت»: «الثالث من أشياخي: سيدي الإمام، الهزير الضرغام، دوحة الولاية التي طالت إلى عرش القطبية، وكانت سدره منتهاها نيل تلك الرتبة العلية، خلاصة أعيان الزمان، ومجدد العصر والأوان... إلخ».

وقال العلامة ابن عبيد الله السقاف في «إدام القوت»: «ومن آل سُميط: القطب المجدد الداعي إلى الله، الإمام أحمد بن عمر بن زين بن سُميط. لقد كان علم هدي، ونبراس دجى، ونور إسلام، وفرد أعلام، أردت أن أتمثل له بما يناسب، لكن رأيت مقاماً عظيم الشأن، فحيرني، فلم يحضرني إلا قول الشريف الرضي:

إرثُ آبَاءٍ عَلَوْا فَاقْتَعَدُوا	عَجَزَ الْمَجْدِ وَأَعْطَوْكَ السَّنَامَا
شُغِلُوا قَدَمًا عَنِ النَّاسِ الْعُلَا	وَرَمَوْا عَنْ ثُغْرِ الْمَجْدِ الْأَنَامَا
لَمْ يَعِشْ مِنْ عَاشٍ مَذْمُومًا، وَلَا	مَاتَ أَقْوَامٌ، إِذَا مَاتُوا، كِرَامَا
يَعْظُمُ النَّاسُ، فَإِنْ جِئْنَا بِكُمْ	كُنْتُمْ الرَّاعِينَ، وَالنَّاسُ سَوَامِي

— شيوخه :

كان تخرُّجه وفتوحه على يد والده الإمام، وكان كثيرَ القراءة عليه ليلاً ونهاراً، لا يكفُّ عن ذلك، حتى صار ذلك له عادةً وديناً لا ينفك عنه.

ومن حُبِّ الحبيب عمر للقراءة أنه جعلها بمثابة التذكير والدعوة للغير، وكانت له فيها نيةٌ عظيمة، فمما يحكي عنه : أن دعاه بعض أهل (شبام) لوليمة، فلبى الدعوة، وجاء متأخراً قليلاً كما هي عادته، إذ هو لا يحب صدر المجالس، فجلس في آخر المجلس، وأمر ابنه الحبيب أحمد، المترجم له، أن يقرأ في كتابه، فاستدار الناسُ كلهم إلى جهته، ولم يزل الحبيب أحمد يقرأ حتى أتى بالطعام.

ومن مقروءاته عليه : «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، ومصنفات الإمام الحداد، و«ديوانه»، و«مناقبه» لعمه محمد بن زين، ومصنفات الإمام أحمد بن زين الحبشي، و«ديوان السودي»، و«مناقب آل باقشير»، وجملة من الكتب لا تعد كثرة.

وللحبيب أحمد مدائح في والده في حياته وبعد مماته، منها قوله :

ليس إلا بكم أنالُ مُرادي	يا أحيابَ مهجتي وفؤادي
من له مقصدٌ سواكم فإني	أنتم قصدي وغاية مرادي
دائماً أرتجي لنيل عطاكم	فامنحوني المُرَادَ أهل وِداي
لا أبالي إذا رَضِيتُم بمن لم	يرضَ عني ولم يُردِّ إسعادي
مذهبي حُبُّكم على كلِّ حالٍ	فارتضوني عُبيدكم أسيادي
خصمكم ربكم بفضلٍ ومنَّ	بعدَ توقيفِهِ للاستعدادِ

ومنها:

هُوَ شَخْصٌ تَجَمَّعَ الْفَضْلُ فِيهِ وَهُوَ شَمْسُ الضُّحَى بَوَقْتِ الرَّدَادِ
 اسْتَقَامَ عَلَى الصِّرَاطِ وَحَازَ قَصَبَ السَّبْقِ، يَا لَهُ مِنْ مُرَادِ
 وَرَقِيَ بِالتَّوَاضُعِ أَسْنَى مَقَامِ قَامَ بِالْحَقِّ لَجْمِيعِ الْعِبَادِ
 وَنَسِيَ حَقَّهُ لَدَيْهِمْ جَمِيعاً وَدَعَاهُمْ وَدَلَّاهُمْ لِلرَّشَادِ
 لَا عُلوّاً وَلَا فساداً يُرِيدُ قَدْ تَحَامَى عَنِ الْعُلُوِّ وَالْفَسَادِ
 شَاكِراً ذَاكِراً، تَحَلَّى بِصَبْرِ عِنْدَ حَمْلِ الْبَلَاءِ وَالْإِجْهَادِ
 زَادَهُ الزُّهْدُ وَالْيَقِينُ وَهَدَى هُوَ - وَاللَّهُ - بُغْيَةَ الْعِبَادِ
 وَقَوْلُهُ مَتَوَسَّلاً بِهِ:

بَجَرَبٍ هِيصِمَ لَنَا أَحِبَّةُ هُمْ عُدَّةٌ عِنْدَ كُلِّ كَرْبَةٍ
 لِمَنْ إِلَيْهِمْ بِصَدَقِ قَضْدِ يَخْرُجُ، يَنَالُ الَّذِي أَحِبَّةُ
 مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ عَلَوِي خَيْرُ نِسْبَةٍ
 كَنَجْلِ زَيْنِ الشُّجَاعِ شَيْخِي عُمَرُ، فَرِيدِ الزَّمَانِ، قُطْبَةُ

وقال السيد العلامة علوي بن أحمد بن حسن الحداد في «المواهب والمنن»: «ولما جاء الخبر بوفاة سيدي عمر، أخذتُ المصحف لأنظر فيه، فوقع نظري فيه على قول الله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وأجزاء «الإحياء» عندي كما أمر سيدي العيدروس الأكبر، فأخذت جزءاً، وكان من ربيع المهلكات، فوقع نظري على البيتين:

رَضِيتُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لِي وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى خَالِقِي
 كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ فِيمَا مَضَى كَذَلِكَ يُحَسِّنُ فِيمَا بَقِيَ

فعرفت أن سره في ابنه . . وقد قال لي ابنه الحسين: إن والدي قطع لنا ثياباً جُددًا، وقال: أمّا أحمد ابني فله قميصي الذي لبسته؛ لأنه كماي

جعثوث . والكلمة الأخيرة ليرضي بها إخوته ، لئلا يحنقوا .

فقراً أحمد على والده كتباً كثيرة من كل فن ، واجتهد في خدمة والده ، وحظي به آخر العمر ، مع شقيقه محمد .

ثم قال : « وأما أحمد هذا . . فهو الذي قام بعد والده في الدعوة إلى الله تعالى وتدريس العلوم ، والزهد والتواضع ، والفرار من الدنيا وأهلها وجاهها ومالها ، وإليه يشار بالصلاح واستمداد الدعاء .

حج بيت الله الحرام ، وزار جده — عليه وعلى آله الصلاة والسلام — سنة ١٢١٢ . انتهى كلام السيد علوي الحداد .

كما طلب العلم (بتريم) أيضاً عند عدد من أعلامها .

وبعد وفاة والده انقطع إلى الحبيب حامد بن عمر حامد ، آخر تلامذة الحبيب عبد الله الحداد وفاة ، إذ عُمر طويلاً وتوفي سنة ١٢٠٩ ، وكان هو ووالده من خواص الإمام الحداد ، فلازمه الحبيب أحمد بن عمر إلى وفاته ، وقرأ عليه ، وهو شيخ فتوحه بعد والده ، ومما له في مدحه ، قوله من قصيدة مطلعها :

يا نفس صبراً على اللذاتِ واغتَنمي ساعاتِ عمرٍ بفعلِ الخيرِ منصرمٍ

حتى تخلصَ إلى المديح ، بقوله :

هُمُ الأمانُ لنا من صَوْلَةِ النَّقَمِ
الحامدِ الأسدِ المِحْضارِ في الأرمِ
طولُ التهجدِ للرحمنِ في الظُّلمِ
يدعو إلى الله بالتعريفِ والهَمَمِ
من الضَّلالةِ حيراناً وكم وكم

اطلُ — إلهي — بقاءَ العارفينَ لنا
مثلِ الإمامِ وحيدِ الدهرِ بهجتهِ
العالمِ القانتِ الأوابِ ، ديدنُهُ
وفي الصُّباحِ إذا ما جئتَ تشهدُهُ
فكم هدى اللهُ ربُّ العالمينَ بهِ

نشأ على قدم الأسلاف من صغر
بذا بذا شهد القمقام خير كمي
أعني الشجاع الذي شاعت فضائله
وذكره ما أحياه بوسط فمي

ثم بعدهما، أي: والده وابن حامد، ألقى عصاه عند الحبيب العلامة
الجليل عمر بن سقاف بن محمد السقاف، المتوفى بـ (سِوَن) سنة ١٢١٦،
ولازمه أتم الملازمة، وقرأ عليه شيئاً كثيراً، ومن مقروءاته عليه: «الرسالة
القشيرية». وكان يسير إليه إلى بلدته (السوم) مرة كل أسبوع.
ومن شيوخه أيضاً:

٤ - السيد الجليل الحبيب أحمد بن حسن بن الإمام عبد الله الحداد،
المتوفى (بتريم) سنة ١٢٠٤، أخذ عنه أخذاً تاماً.

٥ - ومنهم: الحبيب العلامة الجليل عمر بن عبد الرحمن بن عمر البار،
المعروف بالجلجلي، المتوفى سنة ١٢١٢.

٦ - ومنهم: ابن عمه السيد الجليل، الحبيب عبد الرحمن بن محمد بن
زين بن سُميط، المتوفى (بشام) سنة ١٢٢٣، أخذ عنه الفقه، وقرأ عليه «فتح
المعين» للمليباري.

٧ - ومنهم: السيد العلامة المتفنن ذو التصانيف الكثيرة علوي بن أحمد
ابن حسن الحداد، ابن المتقدم، المتوفى سنة ١٢٣٢.

٨ - ومنهم: العلامة الفقيه الشيخ علي بن عمر بن قاضي باكثير،
المتوفى سنة ١٢١٠. كان الحبيب أحمد يسير إليه إلى (تريس) مرة كل أسبوع.
— إجازة مفتي زبيد له :

وممن أجازه مكاتبه معاصره السيد العلامة الإمام، مفتي (زبيد)
عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، المولود سنة ١١٧٣، والمتوفى سنة ١٢٥٠.

قال في «عقد اليواقيت»^(١): «وكتب إليه مكتوباً عظيماً يشتمل على أبهى من الدر النظيم، قال فيه:

«ولقد عظمُ عليّ ما ذكرتم من الإجازة، فإني لست أهلاً لذلك، ولا من سلاك هذه المسالك، ومنكم الإجازة مستمدة، وقد تفضل الله عليّ بإجازة والدكم سيدي القطب العظيم نفعنا الله به، وأرجو أن تتموا ذلك، بإعادة الإجازة منكم، فإن أخاكم ليس في العير ولا في النفير، فافضلوا بذلك، وقد حققت لمولاي - حماه الله - موجب امتثال أمره الشريف، بكتب هذا السند للطريقة الأهدلية، والأمل أن يحقق الله كل أمنية، ويحسن العمل والنية، آمين آمين.

وشريفُ السلام عليكم ورحمةُ الله»

يروى سند الطريقة الأهدلية سيدي الوالد السيد العلامة نفيس الإسلام سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل رحمه الله تعالى، عن شيخه العلامة صفى الدين أحمد بن محمد مقبول الأهدل رحمه الله، عن شيخه السيد العلامة عماد الإسلام يحيى بن عمر مقبول الأهدل، عن شيخه العلامة حسن بن علي ابن عمر العجيمي رحمه الله، عن شيخه العلامة أحمد بن محمد القشاشي رحمه الله، عن شيخه العلامة أحمد الشناوي رحمه الله، عن والده الشيخ الواصل علي بن عبد القدوس رحمه الله، عن الشيخ العلامة أحمد بن حجر الهيثمي رحمه الله، عن السيد عبد الله بن شيخ رحمه الله، عن عمّه القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس، عن شيخه محمد بن أحمد بافضل رحمه الله، عن الشيخ جمال الدين محمد بن مسعود باشكيل الأنصاري رحمه الله، عن العلامة

محمد بن سعيد بن كبن الطبري، عن الشيخ العلامة أبي العباس أحمد بن الرّداد، عن الشيخ القطب أبي الذبيح إسماعيل الجبّرتي، عن السيد الكبير والشيخ العظيم فخر الإسلام أبي بكر بن أبي القاسم بن عمر بن علي الأهدل الحسيني، عن والده الشيخ أبي القاسم بن عمر الأهدل، عن عمه الشيخ أبي بكر بن علي الأهدل، وهو والشيخ أبو الغيث بن جميل والفقير سالم صاحب مِرْبَاط عن الشيخ الكبير نور الدين علي بن عمر الأهدل الحسيني، عن الشيخ علي الأحوري، عن الشيخ الكبير سيد عبد القادر الجيلاني بسنده المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذه الطريقة ذكرها العلامة حسن بن علي العجيمي في «رسالته» في طرائق السادة الصوفية نفعا الله بهم، وثم طريقة مسلسلة بالأهدليين، وهي مشهورة، والله أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم». انتهت الإجازة.

— فائدة:

وجدت — بخط بعض تلامذة المترجم رضي الله عنه أو بعض أسباطه — هذه الفائدة، وهي عبارة عن ترجمة موجزة مختصرة له، فأحببت أن أفيد بها القارئ الكريم:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

وُلد رضي الله عنه سيدي وحببي وقرّة عيني، الحبيب أحمد بن سيدي قطب السالكين، وإمام المحققين الحبيب عمر بن زين بن سُمَيْط، لعله في تاريخ ١١٧٨، ونشأ في حجر والده، وابتدأ في تعلم القرآن عند واحد من عامة أهل البلد.

وبعدما تعلم عند الذي من عامة أهل البلد، سمع قراءته والدّه، وكأن لم

يستحسن تلك القراءة، فأرسله والده إلى (تريم) لأجل تعلم القرآن العظيم، فتعلم القرآن على المعلم عمر بن عبد الله باغريب، وبقي مدة لأجل تعلم القرآن (بتريم). ثم بعد تلك المدة وتعلم القرآن رجع إلى بلده (شبام) عند والده، وكان ملازماً لوالده إلى أن توفي والده إلى رحمة الله.

وكانت جُلّ قراءته عليه وانتفاعه به، وكان لا يفتر والده بسماع قراءة الكتب ليلاً ونهاراً.

وبعد وفاة والده لازم ابن عمه الإمام عبد الرحمن بن القطب محمد بن زين بن سُميط، والقراءة عليه.

وكذلك يسير إلى (تريم) هو وصنوه محمد للقراءة عند سيدنا الإمام حامد بن عمر حامد.

وكذلك يسير في الأسبوع إلى السوم وتريس للقراءة عند الحبيب عمر بن سقاف، وعند الشيخ علي بن قاضي، هو وصنوه محمد، وقرأ رضي الله عنه «رسالة القشيري» على سيدنا عمر بن سقاف رضي الله عنهما.

فلما بلغ المقام الأكبر، ومنتهى العلم. . ابتدأ بالعمل مما حصله من مشايخه الكبراء العارفين. انتهى ما وجدته، ولم أعرف كاتب ذلك.

— ذريته :

تزوج الحبيب أحمد بإحدى بنات السيد الفاضل سقاف بن شيخ بن محمد باهاشم، من أهالي وادي عمد — وآل باهاشم من بني عمومة آل سُميط — وأعقب منها عدداً من البنات، ولم يخلف ذكراً من الأولاد. وزوجته هذه خالة السيد العلامة الحبيب صالح بن عبد الله العطاس صاحب «وادي عمد»، وكان المذكور يزورها أحياناً كما جاء في «تاج الأعراس».

ولما توفي أخوه السيد محمد بن عمر في مكة مع طلوعه للحج عام ١٢١٨ ، وكان قد أعقب ولداً هو السيد عمر بن محمد ، فقام بتربيته ، ولما كبر وبلغ مبلغ الزواج زوجه بإحدى بناته .
— تلامذته :

لا شك أن شخصية إمام كالحيب أحمد بن عمر بن سُميط ، الذي كان يزدهم على مجالسه أهل العلم والفضل ، ويتنافس في القراءة عليه طلاب العلم الذين يأتون إليه من كل حدب وصوب . . يصعب أن يحصى تلامذته أو يحصروا ، ولكن يذكر الباحث أسماء بعض من اشتهروا منهم ، كنماذج تكون موضحة ومكملة للترجمة .

فممن أخذ عنه ولازمه من ذويه وبني عمومته : ابن أخيه الحبيب عمر بن محمد بن عمر بن سُميط ، المتوفى سنة ١٢٨٥ ، وأبنائوه الكبار : حسين ، ومحمد ، وطاهر ، وعلي ، والسيد أحمد بن زين بن محمد بن سُميط ، المتوفى سنة ١٢٨٠ ، والحيب عبد الله بن عبد الرحمن بن سُميط ، المتوفى سنة ١٢٧٧ ، وإخوته : مصطفى وعلي وجعفر ، والسيد أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سُميط ، المتوفى بزنجبار سنة ١٢٩٠ .

ومن أجل الآخذين عنه : الحبيب الإمام عيدروس بن عمر الحبشي ، الذي لازمه وتردد عليه مدة عشر سنوات ، قرأ عليه فيها عدداً من الكتب ، وأخذ عنه الأخذ التام .

ومنهم : مولانا الحبيب الحسن بن صالح البحر ، فقد أخذ عنه بعد أخذه عن أبيه الحبيب عمر ، وكان من كبار المؤازرين له في الدعوة إلى الله .

ومنهم : العبدالة السبعة ، أعيان علماء وفقهاء (حضر موت) : الشيخ عبد الله باسودان ، والسيد عبد الله بن علي بن شهاب الدين ، والسيد المفتي

عبد الله بن حسين بلفقيه، والسيد الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر، والسيد المفتي عبد الله بن عمر بن يحيى، والشيخ المعلم الفقيه عبد الله بن سعد بن سمير، والسيد الأديب عبد الله بن أبي بكر عديد.

وممن تخرج به من أهالي (شبام): سيدي الشيخ الفقيه الصالح أبو بكر ابن محمد بن عبود باذيب، المتوفى سنة ١٣١٢، وأخوه سالم المتوفى سنة ١٣٢٠، والفقيه الصالح محمد بن أحمد بن عوض باذيب، المتوفى سنة ١٢٨٨. ومن كبار تلامذته: سَمِيَّةُ الشيخ العلامة الأديب، باذل الروح في سبيل الله: أحمد بن عمر بن سالم باذيب، المتوفى بسنقافورا سنة ١٢٨٦ تقريباً، وسنأتي على ذكر بعض مدائحه في المترجم، والشيخ الصالح دحمان بن عبد الله لعجم باذيب جامعُ هذا «المجموع»، وستأتي ترجمته مستقلة.

ومن أهل (شبام): الشيخ محمد بن أحمد عبدون شراحيل، والشيخ العلامة الفقيه عمر بن إبراهيم مشغان، والشيخ النحوي محمد بن أبي بكر (بكار) معاشر، والمعلم عبد الله بن علي بلفقيه، والشيخ عوض بن محمد عقبه سديس، والشيخ معروف بن محمد باجمال، وابنه الشيخ عبد الله.

ومنهم: السادة آل السقاف أهل سيون، كمولانا الحبيب مُحسن بن علوي السقاف، والحبيب عبد الرحمن بن علي بن عمر بن سقاف.

ومن (تريم): العلامة المتفنن الحبيب أحمد بن علي الجنيد، وخاله عديد المتقدم الذكر، والحبيب محمد بن حسين الحبشي، والحبيب عمر بن حسن الحداد، والحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه.

ومن دوعن: الشيخ باسودان، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، والحبيب طاهر بن عمر الحداد، والحبيب صالح بن عبد الله العطاس، والحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس، والحبيب هادون بن هود العطاس.

وغيرهم جماعات كثيرة متكاثرة، ومن ذكرتهم هنا . . هم من العلماء العاملين، والفقهاء المحققين، والأدباء والدعاة إلى الله، وكلهم لهم مآثر ومناقب فاخرة، ولبعضهم مؤلفات مفيدة نافعة .

وفي ظني أنه لم يتوفر لعلم من أعلام (حضر موت) أن أخذ عنه مثل هؤلاء الأكابر، ولم يجتمع لأحد من سادات وزعماء (حضر موت) أن أذعن له كافة علماء وفقهاء (حضر موت): من شرقه إلى غربه . . مثل ما اجتمع للإمام أحمد بن عمر بن سُميط .

— آثاره :

لئن كان مولانا الحبيب أحمد بن عمر رضي الله عنه مُقلّاً من التصنيف، فإن أعظم آثاره الرجال الذين خلفهم، والأئمة الذين خرجهم من مدرسة الدعوة إلى الله، الرجال الذين كان بهم نفع البلاد والعباد . . هذا هو أعظم تأليف له .

ومما ينسب له : «تتمته» لمتن «فتح الرحمن» للعلامة الجليل الشيخ محمد بن زياد الوضّاحي الزبيدي، المتوفى سنة ١١٣٥، هذا المتن يظن الكثيرون من أهل (شِبام) أنه من تأليف الحبيب أحمد بن عمر، والحق أنه لابن زياد كما ذكرنا . ولكن، للحبيب أحمد بن عمر مِنَّةٌ لذلك المؤلف بنشره وإذاعته بين الناس، واعتناؤه به اعتناءً كبيراً، حتى جعله من أوراد أهل (شِبام) ووظائفهم اليومية، فكان يتلى عقب الصَّلوات في الجامع، لا سيما الصبح والعصر مع اجتماع الناس، ويُقرأ خلف الجنائز، وفي المجامع الكبيرة كالموالد والحضرات، يردده الحاضرون بصوت واحد .

وجاء في كلامه رضي الله عنه حثٌّ على الإكثار من مجالس العلم،

وضرب المثل لطالب العلم بمن يحرص على قراءة كتاب «فتح الرحمن»، قال — نفع الله به — لمُجالسيه: لو دخل عليك النبي ﷺ، ورآك في مولدك أنت ومن معك، ورأى شخصاً آخر يجتمع مع إخوانه على قراءة «فتح الرحمن»، مع من تُراه يجلس؟

فأجابه بعض الحاضرين بأنه سيجلس مع من يقرأ «فتح الرحمن». فقال له: إذن عليك أن تبدأ بالأهم قبل المهم، واحرص على اغتنام عمرك في طلب العلم النافع. . أو كما قال. وقد زاد على هذا الكتاب فصولاً مهمة ومقدمة، وطبع «فتح الرحمن» مع هذه الزيادات في (مصر) و(عدن) طبعات كثيرة.

وشرّحه — مع زياداته — الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي الشبامي المتوفى (بشّام) سنة ١٣٣٦ هـ، رحمه الله تعالى. أما شُراحه من غير الزيادات فهم كثيرون، منهم: الشيخ سعيد باعشن في كتابه «مواهب الديان»، وفي مقدمة «المواهب» ذكرُ لجماعة آخرين من الشراح.

وللحبيب أحمد بن عمر في مدح «فتح الرحمن»:

لقد فتحَ الرحمنُ فضلاً بفتحِهِ الـ	مُضافٍ إلى الرحمنِ لابنِ زيادٍ
جزاه إلهُ العرشِ أفضلَ ما جَزَى	به ناصحاً لله يومَ مَعَادٍ
وأتَحَفَ من يحفظُهُ بالعلمِ والتَّقَى	وبلَّغَهُ الرحمنُ كلَّ مُرادٍ

ومن أثار الحبيب أحمد: «ديوانه»، وقد طبع في (المطبعة السلفية) (بمصر) القاهرة في ذي القعدة من عام ١٣٤٦، على نفقة المرحوم الشيخ علي ابن أحمد بن سالم باذيب، ساكن الشحر، رحمه الله.

وعدد صفحات هذا «الديوان» (٢١٠) صفحات، كما توجد منه نسخ

خطية عديدة في (شبام)، ويكاد يكون موجوداً في كل بيت من بيوت أهل (شبام).

وفي هذا «الديوان» عدد من القصائد المطولات، كالجيمية، والرائية، والنونية. ويكاد «الديوان» لولاها يأتي في صفحات معدودات. . لأن النونية طويلة جداً، وهي عبارة عن فصول في: أحكام الدين والشرائع والآداب، بعضها من نظم الحبيب أحمد، وشاركه في النظم الحبيب طاهر بن حسين، وأخوه الحبيب عبد الله بن حسين آل طاهر، والشيخ عبد الله باسودان، والشيخ عبد الله بن سمير، والمفتي السيد عبد الله بن يحيى، فجاءت نظماً محكماً متيناً نافعاً مفيداً.

— بعض ما قيل فيه من مدائح وقصائد شعر :

امتدحه — رحمه الله — عدد من تلامذته، منهم من مدحه بشعره، ومنهم من مدحه بنثره، ولن نطيل هنا بسر د كل ما قيل، ولكننا نورد نماذج من ذلك، ومقتطفات مما هنالك.

فمن مديحة مطولة للسيد الأديب الفاضل أحمد بن عمر بن عبد الله الجفري، بلغت أبياتها (١٨٣) بيتاً، قال في مطلعها:

ألا حبُّكم في مُقلتي ونَواظري	وأُبدية في نُطقي، وأُخفي بخاظري
أُقاسي هواكم كلَّ حينٍ وساعةٍ	ولا لَدَّ لي عيشٌ هنيئٌ ولا مَرِي
فيا حادي الأضغانِ وادي ابنِ راشدٍ	أمامك يَمُمُّهُ تَفُزُّ بالبشائرِ

ومنها:

وإنَّ شهابَ الدِّينِ شِنْخِي وعُمْدَتِي	وعروتي الوُثْقَى ونورُ البصائرِ
صَفِيٍّ لِدِينِ اللهِ أَحْمَدُ قَدَوْتِي	وإِنَّ الجَمالِ الفَخْرِ كَنْزُ الذَّخائرِ

وَأَسْرَارُهُمْ وَأَعْلَامُهُمْ وَعُلُومُهُمْ حَوَاهَا شَهَابُ الدِّينِ مِنْ كُلِّ فَاخِرٍ
أَرَى الصَّيْدَ فِي جَوْفِ الْفِرَا مَحْتَوًى بِهِ وَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ كُلِّ نَاهٍ وَأَمِيرٍ
وقال الشيخ العلامة عبد الله بن أحمد باسودان مادحاً لأهله ومن تابعهم
على نشر الهدى والدين :

بَالِ سُمَيْطٍ فِي الدُّعَا نَتَوَسَّلُ وَفِي نَشْرِ حُسْنِي فَضْلِهِمْ نَتَرَسَّلُ
فَهُمْ أَهْلٌ وَدَّ اللَّهُ خَصُّوا بِحُبِّهِ مَوَالِيَهُمْ، بِالْمَكْرَمَاتِ مُسْرَبَّلُ
فَخَيْرُهُمُ الْفَيَاضُ فِي أُمَّةِ الْهُدَى تَوَالِي عَلَى الْأَزْمَانِ وَهُوَ مُكْمَلُ
وَطَوْبَى لِمَنْ وَالَاهُمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى هَدْيِهِمْ، فِي عَزْمِهِ مَتَحَمَّلُ

وقال تلميذه العلامة السيد أبو بكر بن عبد الله بن سُمَيْط، المولود
(بشام) والمتوفى في زنجبار بإفريقيا سنة ١٢٩٠، فيما وجدته بخطه :

إِمَامٌ أَشَاعَ اللَّهُ فِي النَّاسِ ذِكْرَهُ وَأَوْقَفَهُ فِينَا مَقَامَ النُّبُوَّةِ
دَعَانَا إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ بِهَمَّةٍ فَأَنْقَذَنَا مِنْ فَرَطٍ جَهْلٍ وَغَفْلَةٍ
وَدَعَوْتُهُ فِي النَّاسِ كَالشَّمْسِ أَشْرَقَتْ وَعَمَّتْ جَمِيعَ الْخَلْقِ حَتَّى الْبَدَاوَةِ

ولتلميذه النابغة العلامة الداعية الأديب الشيخ : أحمد بن عمر بن سالم
بازيب، وليد (شباب) ودفين (سنغافورا) رحمه الله . . عدة قصائد في مدح
شيخه المترجم، ماثورة في «ديوانه»، ونكتفي من شعره بمرثيته الحزينة الدامعة
في شيخه المترجم، وستأتي في موضعها.

— وفاته والمرائي التي قيلت فيه :

قال الشيخ عبد الله بن معروف باجمال تلميذه، فيما أملاه على بعض
خاصته من أفاضل أهل (شباب)، وهو الشيخ علي بن عمر جرهوم الشبامي
المتوفى سنة ١٢٧٠، ما نصه، ومن خطه نقلت :

«الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، وصلى الله على سيدنا محمد أكمل من قام بحقه، وعلى آله وصحبه، الحاملين لواء الحمد في ميدان الفضل وسبقه . وبعد . .

فلما كان في ليلة الأربعاء سابعَ عشرَ شهرِ ذي القعدة سنة ١٢٥٧، كانت وفاة سيدنا وشيخنا وقدوتنا، ووسيلتنا إلى عالم سريرتنا، زخار العلوم والعرفان، وعارضِ الفضل الهتان، والحامل لواء الإرث من سيد ولد عدنان، منة الله السابغة، وحجته على المعاندين البالغة، الإمام العارف بالله ورسوله، الحبيب المحبوب، والعلامة الموهوب، الحرِّيُّ به قولُ الشاعر:

سقى الله أرضاً نورُ وجهك شمسها وحيًا بلاداً أنتَ في أفقها بدرُ

أعني بذلك: أحمد بن الحبيب العلامة العَلَمَ المفرد عمر بن زين بن علوي بن عبد الرحمن بن سُميط علوي، تغمده الله برحمته والرضوان، وبوأه الفسيح من غرفات الجنان.

وصلى عليه سيدنا الإمام شيخ الطريقة، وبحر الشريعة والحقيقة، الوالؤه في محبة الله، والمستغرق في شهوده صباحه ومساءه: الحسن بن صالح ابن عیدروس البحر الجفري باعلوي، في جمع عظيم بمسجد (الجامع) في مدينة (شباب) (حضر موت)، بعد صلاة العصر، ودفن قبيل الغروب من تاريخه بمقبرة (هيصم) بجانب والده عمر إلى ناحية الشرق. أعاد الله علينا من بركاته في الدارين، آمين.

وجاء تاريخه بالجمّل: «شيخ الأكابر وداعياً» . . والسلام». انتهى.

ولئن لم تصلنا جملة المراثي التي قيلت فيه رحمه الله، فإنه يكفينا أن

وصلتنا مريئة تلميذه النابغة الشيخ باذيب، كيف لا.. وهو سميته، وهو من هو في تعلقه بشيخه وشدة محبته له.. فلم يكن يفضل عليه أحداً، ولا حتى والده.. قال رحمه الله من مطولة بلغت (٩١) بيتاً:

يا أحمدُ، بوركتَ قطباً جامعاً غوثاً مكيناً عارفاً متحققاً
ما مثلُ موتِكَ في الزمانِ مصيبةٌ كلاً ومنَ فلقِ الصُّباحِ وأشرقاً
أيتمتَ دهرَكَ بانتقالِكَ فهوَ في تُكلِّ عليك بهِ أحاطَ وأحدقاً
لَمْ لا؟ ومنكَ فخارُهُ وعليكَ ثَمَّ مدارُهُ يا بدره المتألقاً
يا أمتَه، يا حصنَه، يا حرزَه يا عزَه، بل يا أباه الأشفقاً
أبكي عليك وقد سئمتُ لفقدِكَ الدنيا، فواسِعُها غدا بي ضيقاً
لا خيرَ لي في العيشِ بعدَكَ، إنما حكَمَ الإلهُ عليَّ بعدَكَ بالبقا
لَمَّا أتاني عِلْمُ موتِكَ خِلتُني بك أولُ الثَّقَلينِ في أنْ ألحقاً
فبقيتُ بعدَكَ في عناءٍ من أسيَّ متأسِّفاً متلهِّفاً متحرِّقاً
البستِ قلبي درعَ صبرٍ فاصطلي حرَّ الشجونِ نياطه فتشققاً
ومنها:

أُجددَ الدِّينَ الحنيفيَّ الذي أبلاه فرطُ الجهلِ حتى اخلولقاً
أُقيمَ سنةَ جدِّه لما عَفَتْ وبها أحاطَ الاغترابُ وحَلَقاً
أمتوجَّ القرآنِ تاجاً مُعلماً من حُسنِه يكسو البها والرونقاً
أُمعيدُ هذي الصالحينَ إلى قوَى سنَّ الشَّيبةِ حينَ شاخَ وأملقاً
لو أنْ بعدَ المصطفى من مرسلٍ كنتَ الأحقُّ بهِ وكنتُ الأليقاً
ومنها:

لكنْ (شِبامُ) تجرَّعتْ لفراقه كأساً أَمراً من الضريعِ تذوقاً
تبكي بكاءَ الثَّكلِ لا يُرقأ لها دمعٌ، وأحشاها تذوبُ تحرقاً

فلها أَسَى كادت تُهَدُّ قصورها
 ما راعها رُزءٌ كُرْزٌ وفاتِه
 صبراً وتفويضاً (شِبامُ) لخالقِ
 وتذكُّري عِظَةً مصيبةً طيبةً
 علِمَ الهدى خَيْرَ الأنامِ محمدِ
 إلى آخرها.

ومما رثي به قولُ الشيخ عبدِ الله بأسودانَ من قصيدة طويلة وصلنا منها
 قوله :

أرى الأحبابَ مالوا للتداني إلى قُربِ الإلهِ بلا تَوَاني
 وحُثُوا للمطايا واستعدوا بأعمالِ التَّصافي والتداني
 ومطلبُهم رضا الرحمنِ عنهم وذلك عندهم أَقصى الأمانِي

وقال العلامة الحبيب محسن بن علوي السقاف من مطولة يرثيه بها :

خَلَّ اذْكَارَكَ ذاتَ الجِیدِ والكفَلِ ومِلْ بنا من ذواتِ الحُلِي والحُلَلِ
 ودَعْ تذكُّرَ رَبَّاتِ الحِجَالِ، ودَعْ دَوارسَ الرِّبعِ والتشبيبِ بالغَزَلِ
 وما مضى وانقضى يا صاحٍ من قَدَمِ من الصِّفا والوفا في الأعْصِرِ الأوَّلِ
 وارجعْ بنا نندُبُ الأعلامَ إذ رَحَلُوا عَنَّا، وكنا بهم في غايَةِ الجَدَلِ
 مِن آلِ طه وأبناءِ البَتُولِ، كِرا مِ الاصلِ والمَحْتَدِ السامي، ذوي العَمَلِ

إلى آخرها. وهناك غيرها من المراثي لا شك، لكن لم تصل إلينا وإلا
 لأثبتنا منها ما تيسر.

— دعوته :

قال العلامة الجليل، سيدي الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب الدين، المتوفى (بتريم) سنة ١٣٨٦ : «قال بعض العارفين: دعوة الحبيب أحمد بن عمر طرقت المسامع أكثر من دعوة الإمام الحداد». انتهى.

ومن هذه الكلمة نعرف ما لصاحب الترجمة من عظيم القدر، لاضطلاعهم بأعباء الدعوة إلى الله تعالى. وقد ورد في هذا «المجموع» ما يمكن للباحث أن يورده كشواهد للتدليل على عظم اهتمامه بأمور الدعوة، وأيضاً في «ديوانه» المبارك ما يضاف إليه.

ومن ذلك قوله — رحمه الله ونفع به — داعياً لمن يهتم بكتب الإمام

الحداد:

إله الوري سَهِّلْ على كلِّ من قرأ	تصانيفَ حدادِ العُلا ما تَعَسَّرَا
وأصلحْ له كلَّ الشُّؤُونِ، وجُدْ لَهُ	بعافيةٍ كبرى، وأحسِّنْ له القِرَى
وجدِّدْ لَهُ في كلِّ حينٍ كرامةً	وفضلاً، وأنعِشْهُ إذا ما تَعَثَّرَا

ويحسُنُ بي هنا أن أنقل ما كتبه السيد المؤرخ النسابة محمد ضياء شهاب، المتوفى بمكة سنة ١٤٠٥ رحمه الله، عن دعوة الإمام المترجم. قال رحمه الله:

«نشر هذا السيد الدعوة مبنية على رأي ثاقب وعلم واسع، كما قام بمعالجة أمراض الهجرة، فشدد — مثل من سبقه — في شجب المهاجرة، كما يشدد على كل عالم ومتعلم، ويلومه في ترك الدعوة، ولا يتركه حتى يأخذ عليه العهد بالدعوة، فإذا جاءه ثانياً سأله عما فعل.

أخذ يرسل الدعاة ويطلب لهم المعونة المالية، فاستقصى قرية بعد

قرية، فكان الدعاة يجوبون طرقها، وينادون بها على المنابر، وبعد الصلوات، ويمشون في الطرق أول الليل، وقد يصعد منهم جماعة على المئذنة بجامع قرية، فيدعون الناس إلى الله، فيجتمع الناس في سطوح بيوتهم، يستمعون إليهم ويتعلمون منهم، وقد ينادي أحدهم من المئذنة: «الصلاة جامعة»، فيجتمع أهل القرية في المسجد، فيخطبُ فيهم ويعظهم.

ثم أخذ السيد في تعميم الكتابيب للتعليم، ووضع لها نظاماً، وخص البواديّ بمزيد من العناية، وجعل البواديّ التي لا قرى لها، أو كانت بعيدة القرى، لا يتبلغها أقدام الدعاة، جعل لهم ليلًا للتعليم والدعوة إذا جاءوا إلى (شباب) بقوافلهم.

وكان الدعاة يأتونهم ليلاً، فيسمرون في محطاتهم على الرمل، وكان الأعرابي يأتي وأنفه في خِزامة الشيطان. . فينقلب مبصراً بنور الإيمان.

كان السيد يرى وجوب تثقيف البنت، فالفتاة التي لا علم لها ولم يتمكن الإيمان من قلبها لا تستطيع أن تهذب أطفالها، ولا أن تربيهم على الآداب وحب الخير، فاجتهد في تعليم البنات، فلم تمض مدة وجيزة حتى كانت البيوت تحنُّ بالتعليم والقراءة، وصرن مهاميزَ للرجال إلى أعمال الخير. وطالما غيرتهم على المظالم، وقبحتهم على ما يرتكبون منها.

ثم أخذ يدعو إلى إقامة وإلٍ عادل، ويحث على إصلاح الوادي كله بوجود الوالي العادل، فكان ينشر رأيه في كل مكان، وفي مجالسه وخطبه وأشعاره، ويناقش أهل الفضل وذوي الرئاسة، ويبين عظم المهمة الملقة على عواتقهم، وثقل العبء الذي وكله الله إليهم، ولكن لا بد للوالي من مال تقام به الدعوة والدولة، في حينَ ينفق الناس أموالهم في كماليات، فحث على الاقتصاد وعدم الإسراف في الكماليات.

ثم أخذ في تحسين الشؤون المالية في أهل بلده (شباب)، فجاء إلى أصحاب رؤوس الأموال، فقرن لكل منهم فقيراً يُقارضه: على المُتموّل رأس المال، وعلى الآخر العمل، ويقسم الربح بينهما، وتركهم على ذلك سنة، ثم استدعاهم وقد توفرت أرباحهم، وكلهم دعا وشكر، مغتبطاً بما صار إليه من تاجر وعامل.

سأل رجل لسد نقص في العمل، فقال: لو كان في البلد مُرابٍ لكانت التجارة على أحسن ما يرام. فالعميل في الشحر يرسل إلى الشخص بضاعة، ثم يحوّل عليه بثمانها بعد عشر، فتأتي الحوالة قبل تصريف البضاعة ووجود النقد، فلو كان في البلد مُرابٍ لأمكننا أن نأخذ منه دراهم، فنسلم مقابل الحوالة وننتظر البضاعة إلى سوقها، ولكننا الآن قد نضطر إلى بيعها في غير سوقها، أو بربح قليل، أو بخسارة، لندفع مقابل الحوالة.

فأقترح السيد أحمد أن تُجمع الدراهم بقدر معين، فيوضع عند السائل هذا، ويكون مُرصداً لاقتراض من يحتاج إلى دراهم يدفعها إلى غريم مُلح، أو حوالة معجلة، وعليه أن يرد ما اقترضه في مدة معينة، ويرد معه شيئاً من الدراهم من عنده، بصفة وقف دائم، برسم قرض، حتى إذا توفر من ذلك مبلغ كافٍ يرُدُّ رأس المال لأهله، وتبقى الدراهم موقوفة لقرض المحتاجين كما هي. فاجتمعت دراهم وافرة، وأخذ أهل المال رؤوس أموالهم، وانتفع الناس بذلك^(١). على أنه مكث أربعين سنة على ذلك، يدعو بالحسنى، فكانت النتيجة مشمرة.

(١) مصدر هذه الحكاية: ما رواه السيد علوي بن عبد الله القاضي السقاف عن شيخه العلامة ابن عبيد الله السقاف، عن شيخه الحبيب حسن بن أحمد بن سميط، عن الحبيب أحمد المترجم له.

وبقي من آثار هذا السيد (شبام) أمور حسنة، منها: أن المؤذن بعد أذانه للصلاة يتلو سورة الفاتحة والتشهد بصوت عال، فتسمع ذلك ربات البيوت، فيحفظن ما سمعنه بالتكرار، وقد يتلو المؤذن غير ذلك مما يفيدهن، ولذلك فإن النساء والعامة لا يغربُ عنهن شيء من ذلك.

ومن آثاره: أن المرأة يجب أن ترتدي سروالاً طويلاً إلى القدم تحت الثوب، ولم تعد المرأة هناك تغني الأغنية الخلاعية حين تزاول أعمالها، ولكنها تتلو ما يقربها إلى الله من الأناشيد الدينية.

كتب السيد أحمد بن عمر بن سُميط إلى السيد محمد بن إبراهيم بلفقيه بهذه الأبيات:

وقد أوجب الديان فرضاً محتمماً علينا: نقيماً والياً ليس نُعذَرُ
لنهي وأمرٍ واتباع شريعةٍ يعينُ لذي التقوى، وللضدِّ يقهرُ
وقطرٌ خلا منه فاعدده فارغاً إقامته ضيماً وعيشٌ مُكَدَّرُ

ولمّا عظم الخطب.. أخذ السيد يستنكر المظالم، ويقاوم الظالمين علناً، ولكن الخوف قد استحوذ على النفوس لدى الأكثرية، فدعا إلى الهجرة عن (شبام)، حتى يرتدع الظالم». انتهى كلام السيد ضياء رحمه الله.

وقال العلامة ابن عبيد الله: «وقد اهتم بإقامة دولة (لحضر موت)، واشتد أسفه لذلك، ولئن مات بحسرة على ذلك فقد كلل الله أعماله بالنجاح في نشر الدعوة إلى الله تعالى، حتى انقشعت الجهالة، واندفعت الضلالة، وانتبه الجماء من النوم، وتقبل آثاره أراكين القوم». انتهى.

— مقتطفات من قصائده الدَّعَوِيَّة :

حفَل «ديوان» صاحب الترجمة بالعديد من القصائد التي فيها حث على العمل الدَّعوي، والتحريض لجمهور العلماء والفقهاء وطلاب العلم على القيام بذلك .

كما حفَل بالعديد من القصائد التحذيرية والإرشادية لجمهور الناس، من ارتكاب المخالفات الشرعية، وإتيان المحظورات والمنهيات .

وأسلوبُ الحبيب أحمد في النصيح والتقريع شديد، ليس فيه مبالاة ولا مجاملة، بل هو صريح في أقواله، ناصح لا يوارب ولا يخادع . . رضي الله عنه، وكثر في المسلمين من أمثاله .

فمن ذلك قوله :

ألا يا صاح لا يصحبك عاتٍ	من الأشرارِ قطّاعُ الصلاةِ
ولا تُدخِلْهُ داراً أنت فيها	ولا تلقاه إلا بالعِظاتِ
وبالتوبيخِ والتقريعِ حتى	يؤوبَ لفرضه أوبَ الثقةِ

وفي معرض تشجيعه على طلب العلم، وتحذيره من المفاخرة بالأنساب، قال رحمه الله :

من كان ذا طبع أبي	لم يكفه «كان أبي»
ليس الفتى من يكتفي	ويغترز بالنسبِ

ومنها :

في ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا ﴾	فينا ﴿ فحسبك ارغبِ
في طلب العلم ولا	تترك ملسح الأدبِ
فالعلمُ أَسُّ العملِ	بل هو أَسْنَى القربِ

وقال:

من حاز العلمَ وذاكره	صلحت دُنياه وآخرته
فأدِمَّ للعلمِ مُذاكرةً	فحياة العلمِ مُذاكرته
وحياة القلبِ مَجالسُهُ	وخرابُ القلبِ مهاجرته
ويموتُ القلبُ إذا اندرستْ	وعفت في الناسِ مُدارسته
فالعلمُ مَزِيَّتُهُ ارتفعتْ	ودليلُ الخيرِ ممارسته
ومياهُ العلمِ بها طُفئتْ	نيرانُ الجهلِ وغائلته
ومِدادُ كتابَتِهِ ورَدَتْ	بدمِ الشهداءِ موازنته

وقال:

لا شيءَ كالعلمِ قَطُّ	سيروا إليه وحُطُّوا
في مجلسِ العلمِ سرٌّ	به الذنوبُ تُحَطُّ
من يطلبُ العلمَ يحظى	برُتبةٍ لا تُحَطُّ

ومنها:

إن شئتَ تظفَرُ بحظٍّ	منه ويأتيكَ قِطٌّ
كن في البكورِ غُراباً	وفي التملقِ قِطٌّ
ثم احتمِلْ مثلَ كلبٍ	وذا لُئجِكَ شرطٌ

إلى غير ذلك مما ورد في «الديوان».. مما لا نطيل بذكره في هذه الترجمة الموجزة، ولنا إسهاب وتطويل في ترجمته المطولة بإذن الله تعالى.

— تشجيعه على التأليف:

لقد كان الإمام أحمد بن عمر بن سُمَيْط — كما ذكرنا سابقاً — من أكبر المشجعين على الدعوة إلى الله تعالى، وعلى التعلم وطلب العلم، وفوق ذلك

أيضاً. . كان من كبار المشجعين على التأليف، وقامت في عهده الميمون الزاهر حركة تأليفية كبيرة، في (شبام) وخارجها، وكُتبت كثير من الكتب والمؤلفات النافعة بإيعاز وإشارة منه رضي الله عنه.

من ذلك: تحفيزه لمن حوله من العلماء على وضع المختصرات الفقهية والتجويدية، ونظم المنظومات المفيدة الجامعة، ووضع الشروح على بعض الكتب والقصائد والمنظومات النافعة. . والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها على سبيل الإجمال لا الحصر:

— طلبه من الشيخ عبد الله باسودان شرح منظومة العلامة الرملي «رياضة الصبيان»، فشرحها بشرح سماه «سُط العِقيان» تشرفت بخدمته وتحقيقه وطُبع.

— وطلبه من الشيخ عبد الله بن سمير أن يختصر كتاب الإمام ابن حجر الهيثمي «أسنى المطالب في صلة الأقارب»، فاختصره بكتاب سماه «كافي الطالب» كما ورد في ثنايا هذا «المجموع».

— اهتمامه بعلم التجويد، وعنايته بمنظومة الشيخ عبد الله باشعيب المسماة «باكورة الوليد في علم التجويد»، فوضع تلميذه العلامة أحمد بن علي الجنيد شرحاً عليها سماه «سلم المريد»، كما وضع منظومة أخرى في هذا العلم تلميذه الشيخ محمد بن أحمد عبدون شراحيل، ووضع تلميذه الشيخ عمر مشغان كتاباً مختصراً مفيداً في التجويد سماه «فتح الكريم المجيد»، طبع الأخير بتحقيقي.

— عنايته بعلم النحو، فوضع تلميذه الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر (الملقب بكاراً) معاشراً مختصراً في النحو، سماه «مذاكرة الطلاب في قواعد الإعراب» (مخطوط).

— حثه المتواصل على العناية بالخطبة الطاهرية، فقد ورد في هذا الكتاب حث كثير عليها، ومذح وثناء لصاحبها، وكان من نتاج ذلك الحث والاهتمام.. أن اهتم تلامذته وشيوخ عصره بهذه «الخطبة» اهتماماً كبيراً فنظموها وشرحوها، فنظمها الشيخ أحمد بن عمر باذيب في «منظومة» بلغت أبياتها ألف بيت إلا خمسين بيتاً. كما شرحها الشيخ عبد الله باسودان وغيره بشروح وافية.

— وكذلك طلبه أن تُنظم مقدمة كتاب «الدعوة التامة» للإمام الحداد، لاحتوائها على خلاصة موضوع الكتاب وكبير الفائدة الحاصلة منها، فنظم تلك المقدمة المذكورة عدد من الأكابر، منهم: الشيخ أحمد بن عمر باذيب، والشيخ عبد الله بن سمير، والحييب عبد الله بن أبي بكر عديد، وغير ذلك.

— ومن أبرك الكتب التي وضعت بإشارته: المتن الشهير المسمى «سفينة النجا» أو «النجاة»، لتلميذه الشيخ الفقيه الصالح سالم بن عبد الله بن سمير المتوفى بسورابايا بإندونيسيا سنة ١٢٧٠هـ. وهذا الكتيب الصغير الحجم نال شهرة واسعة، وانتشر في الآفاق، وشرحه كثير من أهل العلم في كثير من الأقطار.

وما هذه إلا أمثلة كما ذكرت، وهناك بلا شك الكثير الكثير، مما يدلنا دلالة واضحة وأكيدة على سعة وشمولية وانتشار الحركة العلمية التي عاشتها مدينة (شباب)، خاصة في عهد ذلك الإمام، بل (حضر موت) كافة، لتفرق طلابه ومريديه فيها، رضي الله عنه وعنهم.

وبعد،

فإلى هنا.. نصل إلى نهاية المطاف، من ترجمة الإمام أحمد بن عمر ابن سُميط، أحد أئمة هذا الدين، من هو معدود بحق من الأئمة المجددين،

وهو حقيق بذلك .

وأرجو أن أكون قد وُفقت في عرض سيرة حياته ، وتصويرها واضحة جليلة ، وإلا فالتقصير حليف الكاتب ، وأنى يعبر البنان عما تضمنه الجنان؟ . . وما هذا إلا جهد المقل ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسبل على قبره وضريحه شآبيب الرحمة والرضوان ، وأن يبلغه مني التحية والسلام .

وعسى أن يكون في هذه السطور أداء لبعض الدّين الذي لا يزال منوطاً بأعناق الشّباميين ، ولما يقوموا بسداده والقيام بحقه ، وهيهات أنى يبلغ الضالّع من الضليّع .

وحسبي أني نقلت هاهنا نصوصاً نادرة ، لم يسبق لأحد أن وقف عليها أو نقلها قبلي ، وأنى اجتهدت في ذلك أقصى اجتهد إلى ما سبق ذلك من حصول بعض المبشرات المنامية رآها لي بعض الإخوة الصادقين ، بشرتني بحصول المأمول من خدمة هذا الجبل الأشم ، والحمد لله رب العالمين .



هذا «المجموع»

يؤثر عن الحبيب الولي الصالح أبي بكر بن عبد الله العطاس، المتوفى بحريضة سنة ١٢٨٢، وهو من تلامذة الحبيب أحمد بن عمر: أنه كان لا يفارق هذا «المجموع» لا حضراً ولا سَفْراً، حتى أنهم وجدوه إلى جواره عند وفاته رحمه الله.

ويعود هذا الاهتمام من قبل هؤلاء الأكابر، الذين لهم حرص على الدعوة إلى الله تعالى، بهذا «المجموع»، لما حواه من صدق اللهجة، ونصاعة الأسلوب، ووضوح الكلام، والخوض في شؤون الناس وأحوالهم، وتبيين أحوال المدعّوين وما هم عليه من الخطأ، ثم معالجة ذلك الخطأ بأسلوب راق، وبيان شاف.

هذا، وقد حفل هذا «المجموع» النفيس بأمور كثيرة، وخصائص ومميزات، لم أشأ أن أدعها تمر عليّ دون أن أقيدها وأفردّها بالذكر هنا، تنبيهاً بها، وتنبيهاً على أهميتها، فمنها:

— كثرة استشهاده بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية، وهذا دليل على حفظه رضي الله عنه، واهتمامه بالسنة، كما هي طريقة الإمام الحداد، أقول هذا رداً على من قال: إن أهل (حضر موت) ليس لهم عناية بالحديث الشريف

والسنة المطهرة عموماً.

وقد ذكر — رحمه الله تعالى — ورضي عنه في هذا الكتاب — أن الإمام الحداد أعطى للشيخ محمد بن عوض لعجم باذيب نسخته من «صحيح الإمام البخاري»، ليجلدها في بعض البلدان البعيدة مع سفره إليها، فلما عاد بها مجلدة كما طلب منه، فرح الإمام واغتبط بها، وقال له: يا محمد! لو جئت لي بمركب شاحن من كل غالي، ما فرحت به كمثل فرحي «بالبخاري». قال الحبيب أحمد: فانظر تعظيمه لحديث رسول الله، ولا بعد كلام الله إلا كلام رسوله ﷺ، فأكثروا من كتب الحديث.

— ومنها: إirاده لجملة من الأخبار من واقع حياة والده العارف الجليل، وعمه الإمام النبيل، وبعض ما رَوَّه عن الإمام الحداد من وقائع وأحوال، وجميل خلال. وذكره لبعض شمائل شيوخه، ونقله جملة من كلامهم ومواعظهم، ووقائع وأحوال جرت لهم، في ذكرها فائدة كبيرة، ولكون سندها قوياً متصلاً، لقرب قائلها وراويها من أزمانهم.

— ومنها: اهتمامه البالغ بتعليم الصغار، ولا سيما أبناء البادية وأهل الحرف، وأبناء القبائل: المحاربة والمسلحة؛ لأن في تعليمهم تغييراً لأفكار عششت في رؤوس أهاليهم وآبائهم من معاداة أهل العلم وعدم الجلوس معهم، ولأن تعليمهم يقتضي أن ينشأ جيل صالح يحب الإصلاح الديني، ويقدم الدين والعلم والشرف على شرع القبولة والثأر المعهود عند القبائل، ويقضي على العادات السيئة المنتشرة بين تلك الأقوام.

— ومنها: حثه على الاقتصاد في المعيشة، وتحذيره المتكرر من البخل ومن الإسراف، وأمره بالتقلل من الأمور الكمالية، وضربه المثل بما كان سائداً في عصره من شرب القهوة وإضاعة الأوقات في شربها والجلوس عليها، إلى

غير ذلك، رحمه الله تعالى.. فكيف لو رأى ما بُليَ به الناس اليوم في عصرنا من المُلْهيات الكثيرة الجمّة، التي لا تعد ولا تحصى!!

— ومنها: ذكره لمناقب وسير أهل (شَبَام) — وهي بلدته ومسقط رأسه رضي الله عنه — في عصره أو العصور التي سبقتة، مع تسميته لهؤلاء الأعلام، وتذكيره لمن عاصرهم من ذرياتهم بالاستمرار على نهج الآباء المحمود، وطريقهم المعهود، وتحذيره إياهم أشد التحذير من تنكّب ذلك الصراط والتخلف عن سِمَاطهم الممدود.

وفي إيراد ما ذكرنا من أخبارهم فائدة كبرى وأي فائدة، فلولا هذا التدوين المبارك لما علمنا عنهم ولا عن أخبارهم شيئاً، وأيضاً فهي حافز لأبناء المذكورين وأسرهم إلى الاقتداء بهم، وتتبع سيرهم ومناقبهم، ومدعاة للتشبه بهم.

— ومنها: إشادته بجماعة من تلامذته، وحثه إياهم على بذل الجهد في الدعوة إلى الله، كتلميذه النابغة الشيخ أحمد بن عمر باذيب، فقد استشهد الحبيب أحمد ببعض شعره، كقوله من القصيدة الياثية:

ومن رام إصلاحاً لعاقبِ أمرِهِ فلا بدّ من أن يُصلِحَنَّ المَبَادِيا

وذكره أيضاً لنظم تلميذه الشيخ باذيب المذكور لمتن «خُطبة الحبيب طاهر»، إذ إن الشيخ باذيب نظم «الخُطبة المذكورة» في منظومة طويلة، تقرّب أبياتها من الألف بيت، وهي لدينا بحمد الله تعالى.

ومنهم بعض معاصريه من علماء وأعيان (حضر موت)، وبذله الدعاء لهم بالعافية وطول العمر، كما جرى ذلك للشيخ عبد الله بن سمير.

— إشادته ببعض الكتب النافعة لعلماء حضارمة وغيرهم، كالحال في

«مقال الناصحين» للشيخ محمد بن عمر باجمال، و«الحديقة الأنيفة» للشيخ محمد بحرق، و«الخطبة» للحبيب طاهر بن حسين، وكتب الإمام الحداد.. وغير ذلك.

— هذا عدا كلامه الجرم في الحث على الاقتصاد، والتأكيد على إقامة وإل عادل يحكم (حضر موت)، وذكره لبعض السلاطين الذين عاصر قيامهم وسقوطهم، وقد علقنا على كل ذلك في موضعه.

— قوة استحضاره لشعر الإمام الحداد، واستشهاده به في مواطن كثيرة من كلامه هذا، مما يدلنا على تعلقه الكبير بآثار ذلك الإمام، ويؤكد القول بأنه أظهر دعوته بعد أن كانت مستترة زماناً طويلاً. وكلامه في هذا الموضوع مبثوث هنا.

— تحذيره من الاغترار بأحوال الأولياء والصالحين، والنظر إلى حالهم في أواخر أعمارهم، دون النظر إلى حالهم في أول حياتهم، وصرّف النظر عما كانوا عليه أيام نشاطهم من طلب للعلم، فقال: القمره الكبيرة أن يُقتدى بالولي في حال كماله، ولا ينظر إلى بدايته!

— ذُكر في هذا «المجموع» جملة من الكتب التي كانت تُقرأ عليه في مجالسه، فلم تكن مجالسه كلها وعظية، بل للعلم فيها مجال واسع، وهذا أمر معروف بطبيعة الحال، وإنما ذكرت ذلك لأنني عن ذهن المطالع ما قد يتوهمه من انشغال أولئك القوم بالرقائق والصوفيات البحتة، أو انهماكهم بقراءة كتب الكرامات، وغير ذلك مما ينشأ عن التوهم الفاسد.

— ذُكر في «المجموع» جملة من قصائده — رحمه الله — وتعليقه عليها، مما يدلنا على أن «ديوانه» قد قرئ عليه، وأنه قام بتصحيحه والتعليق على مواطن منه، وهذه فائدة.

— وخاتمة هذه الملاحظات أن هذا «المجموع» كتب بلغة سهلة مفهومة ، ومعظمه بالدارجة الحضرية ، لكي يكون مفهوماً عند العامة والخاصة ، ويتم المقصود منه وحصول الفائدة المرجوة . وهو في هذا كغيره من كتب أمالي الشيوخ المعروفة عند أهل (حضر موت) .

هذه أبرز النقاط التي أحببت أن أسجلها في معرض الحديث عن هذا «المجموع» ، رجاء إفادة القارئ الكريم ، وإيقافه على جواهر هذا الدر النظيم .

ويكفيني هنا أن أورد تقرّظ الشيخ أحمد بن عمر باذيب على هذا «المجموع» ، فقد كتبه بقلم الأديب البليغ ، والكاتب المترسل البديع .



تقريظُ الشيخ أحمدَ بنِ عمرَ باذيب على هذا «المجموع»

وهذا نص تقريظ الشيخ الجليل الأديب : أحمد بن عمر بن سالم باذيب ،
وليدِ (شَبام) ودفينِ (سنغافورا) سنة ١٢٨٦ تقريباً قال رحمه الله :

«هذا ما يسّر الله جمعه من الكلام والأنفاس الزكية ، بل الرياحين الذكية ،
والنفحات العطرية الشذية المسكية ، بل الرشقات العذبة السَّكرية ، المغترفة من
أعذب المناهل والمعارف الخلقية والأمرية . مجمع بحري الأحوال والمقامات
الذوقية والشهودية ، ومنبع مَعِين فيض الإمدادات الكرمية الجودية ، جامع
أسرار أهل العرفان والتمكين ، وبدر هالة سماء أهل الكشف واليقين ، وإكليل
تاج الصوفية المتقين ، ومفرد قلادة العلماء الراسخين .

رحمة الله المخبوءة لأهل القرن الثالث عشر ، وعناية الله المحبوبة بها
الناحيةُ انيمانية ، لا سيما النواحي الحضرمية ، خصوصاً دارة البلد المحمية
(شَبام) التي من خلایا ديارها تألق ضياء هذا البدر المنير وانتشر .

مجدد القرن وكهف الأمن ، سيد الدعاة إلى الله في عصره ، وأكمل
المرشدين إلى الله في سره وجهره ، وقطب رحي الوجود ، والبركة الشاملة لكل
موجود ، سيدنا ومولانا وملاذنا وكهفنا وعاذنا وشيخنا وأستاذنا ، وارث

الأسرار النبوية، ومطلع الأنوار المصطفوية، سيدنا الشهاب المنير أحمد ابن القطب الجامع الشجاع عمر بن زين بن سُميط نفعنا الله به وأعاد علينا من بركاته في الدارين، آمين، آمين، آمين، يا رب العالمين».



ترجمةُ كاتبِ هذا «المجموع» الشيخِ دحمانَ بنِ عبدِ الله لعجمِ باذيب

هو: الشيخ الصالح المعلم عبد الرحمن (المعروف بلقب دحمان) بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عوض لعجم باذيب، الشبامي الحَضْرَمِيّ .
— مولده :

وُلِدَ (بشام)، وعلى التخمين كان في حدود سنة ١٢٣٠، ونشأ في حجر والده الشيخ الصالح عبد الله بن عمر لعجم الذي توفي (بشام) في ١٦ ربيع الأول سنة ١٢٥٠ .

وكان والده المذكور من الأخيار، قال في حقه الحبيب أحمد بن عمر بن سميط: «إنه من الأخيار، ومن الذين يدفع الله بهم البلاء، ومن الذين يحييهم الله في عافية، ويميتهم في عافية» كما نقله عنه ابنه في هذا «المجموع» .
— نشأته :

نشأ الشيخ دحمان نشأة أبناء الصالحين، فعكف على طلب العلم، وتفقه في الدين، ثم كانت له الحظوة والمزية الكبرى بملازمته مجالس شيخه سيدنا الحبيب أحمد بن عمر، في تلك المجالس البهية كان الشيخ دحمان يعلق ويتنقى من تلك الحداثق والبساتين المثمرة المغدقة أشهى الثمار وأطيبها مذاقاً

وألذها مطعماً، وجمعها بين دفتي هذا «المجموع» الذي فاق بحسنه وحلاه ما عداه.

فكان له عظيم المنة على تلامذة الإمام، وعلى كل من يُمّت بصلة أو قرابة إليه، بل على كل الحضارم. . وبالأخص سكان مدينة (شبام).

قال الشيخ علي بالريعة الشبامي المتوفى (شبام) سنة ١٣٨٢ رحمه الله في حق الشيخ دحمان المترجم: «نشأ وعاش في دوحة العلم والصلاح، وأخذ القرآن ومبادئ العلوم الدينية عن علماء زمانه، وصحب شيخه المبرز السيد العلامة أحمد بن عمر بن سُميط، وكان ألصق تلامذته به، حتى جاز له أن يجمع كلامه المنثور».

وكان الشيخ دحمان يتنقل بين (شبام) والشحر، وكان يقيم بها بعض الأسباب المعاشية، ولم يفتأ مع ذلك يدعو ويعلم ويعظ ويذكر. . مشياً على طريقة شيخه، التي لازمها طيلة حياته، ولم يفتر عنها وعن القيام بأعبائها.

— دعوته وشعره:

عثرت — أثناء بحثي عن التراث الشبامي وتقييدي لمآثر آبائنا — على عدة منظومات من شعر الشيخ دحمان رحمه الله، كلها دعوة ونصح وتذكير، نظمها بأسلوب سهل بسيط يفهمه الخاص والعام، ولعلها كانت تُقرأ في المجامع، لاحتوائها على مواعظ ووصايا هامة.

فمن ذلك قوله من قصيدة بلغت (٧١) بيتاً، ينصح أهل (شبام) بالعموم، ويرشدهم ويذكرهم على فترة من وفاة شيخه:

عَظُّمُوا الدِّينَ هُدًى لِلرَّشَدِ	أَيُّهَا الْإِخْوَانُ فِي هَذَا الْبَلَدِ
وَأَقِمُوا مَا عَرَاهُ مِنْ أَوْدٍ	وَأَشِيدُوا مِنْ بِنَاهُ مَا وَهَى

عَظَّمُوا مَا عَظَّمَ الرَّحْمَنُ مِنْ
فَجْمِيعِ الْخَيْرِ فِي تَعْظِيمِ مَا
لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لَحْمٌ وَدَمٌ
صُورُ الْأَعْمَالِ لَا تَنفَعُ مِنْ
وَاجِبَاتِ الشَّرْعِ مِنْ فَرْضٍ وَحَدٍّ
عَظَّمَ اللَّهُ لَهُ عِزَّ الْأَحَدِ
وَيَنَالُ اللَّهَ تَقْوَى مَنْ قَصَدَ
غَيْرَ تَعْظِيمِ مَنْ الْقَلْبِ مُمَدِّ

— نصيحة للنساء :

وهذه القصيدة العجيبة المبنى، العظيمة المقصد والمعنى، في نصح النساء في عصره — وكيف يقول لو رأى نساء عصرنا؟! — يعظهن فيها عن الخروج من ديارهن بلا حاجة مع الزينة والتعطر، وغير ذلك مما يدل على قلة الاحتشام، مما يؤذن بخطر جسيم؛ لأنه منكر عظيم، والأمر لله فيما عرى أهل الإسلام في كافة الأقطار.

وهذه هي القصيدة، وهي تقع في (٧١) بيتاً، مطلعها قوله :

يَا نِسَاءَ الْحَيِّ خَفْنَ ذَا الْجَلَالِ وَاتَّقِينَ لِلْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ
لَا تَبْرَجْنَ وَلَا تَخْرُجْنَ بِالطَّيِّبِ وَالزَّيْنَةِ وَالزَّمَنِ الْحِجَالِ
ثُمَّ لَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيْطِ مَعَ مَنْ فِي قَلْبِهِ سُوءُ الْفِعَالِ
فَالْتِي تَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهَا فِي لِبَاسٍ مَعَ طَيِّبٍ وَاكْتِحَالِ
تَقْصِدُ الْمَسْجِدَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهَا قَطُّ مَا صَلَّتهُ مِنْ قَبْلِ اغْتِسَالِ
بِئْسَتِ الْمَرْأَةُ مَنْ تَرْضَى بِمَا يُوْرِثُ التَّهْمَةَ فِي قُبْحِ الْخِصَالِ
كَيْفَ لَا تُصْغِي إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ فِي الَّتِي مِنْ طَيْبِهَا شَمُّ الرِّجَالِ
أَنهَا زَانِيَةٌ، أَخْسَسَ بِمَنْ خَالَفَ الشَّرْعَ وَمَنْ هُوَ عَنْهُ مَالِ

إلى آخرها.

القصيدة الوُعظية

وله — رحمه الله — هذه القصيدة التي خَمَسَ أَسْطَارَهَا بقوله: «له التصرفُ مولانا ونحن العبيدُ»، وهي طويلة، وفيها كلامٌ يكاد يَسِيلُ من عذوبته، ونصائحُ قِيَمَةٍ جدًّا، كل الناس في غفلة عنها.

ويبين فيها كيف كانت طريقة سيدنا الإمام أحمد بن عمر بن سُمَيْط في الدعوة إلى الله، وإرساله الدعاة إلى البوادي للدعوة والإرشاد، كما عليه العملُ اليومَ في (تَرْيَم) الغُنا، حفظ الله أهلها من كل سوء وعنا.

وتقع هذه القصيدة التخميسية في (٤٤) مقطعاً، قال — رحمه الله ونفع به — في مطلعِها:

يا غافلاً أصغ للذكرى بقلبٍ شهيدٍ وأقبل على الله والزم بابه لا تحيد
يكفيك من همّ دنياك يومُ الوعيدِ جلّ المهيمَنُ ذو الفضلِ الغنيّ الحميدُ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدُ

واعلم بأنك لم تُخلَقْ أُخَيّ سوى لخصلتين لها نصُّ القرآنِ حوى
العلم ثم العبادَةِ، فاتَّبِعْ ما روى واحذَرْ تخالفُ ذا البطشِ المَهُولِ الشديدُ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدُ

واصرِفْ زمانَكَ في علمٍ وفي عملٍ واخْلِصْ لربِّكَ، كن منه على وجلٍ
لِنَهْيِهِ، فاجتَنِبْ والأمرَ فامثِلِ واسأله يهديكَ للنهجِ القويمِ السديدُ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدُ

وذاك نهج شفيح الخلق هادي الأنام لطاعة الله يدعوهم، لدار السلام
فاقتد به وتمسك واتخذهُ إمام تنل محبة ذي العرش العظيم المجيد
له التصرف مولانا ونحن العبيد

وقال في آخرها:

وخصّ أهلَكَ بالتعليم والأدب فالاعتناء بهم من أفضل القرب
ولا تُضعفهم تضع في البعد والغرب في طلب الرزق بالسعي البليغ الشديد
له التصرف مولانا ونحن العبيد

فقّه بناتِكَ والأولادَ في الصغر من بعد سبع، فذاك النقش في الحجر
فمن أضاع صبيّاً ضاع في الكبر فاغرس به موجبات الخير تدع مجيد
له التصرف مولانا ونحن العبيد

وقم عليهم وعلمهم لما جهلوا من المهم وإن هم عنه ما سألوا
فذاك فرض فلا تهمله يا رجل تأثم ويأثم منهم بالغ ورشيد
له التصرف مولانا ونحن العبيد

ويكف ذا اللب والإنصاف ما ذكرنا حداثنا القطب، من اللذين قد نصرا
بالقول والفعل أحيا منه ما دثرا فهو المجدد حقاً في الزمان فريد
له التصرف مولانا ونحن العبيد

فكم نصائح أهدانا وكم غررا وكم تصانيف: مبسوطاً ومختصراً
بها غدا الحق بين الناس منتشرا كالشمس في الظُّهر بل في النفع تلك تزيد
له التصرف مولانا ونحن العبيد

جزاه ربّي وبوّاه وأسكنه جناتِ عدنٍ وفي الفردوس مكّنه
وبالرضا عنه فيها قرأ عينه فهو الجواد الكريم ولديه مزيد
له التصرف مولانا ونحن العبيد

— تلامذته :

لم أقف على ذكر المترجم — رحمه الله — في الأثبات الشبامية، ولعله
كان مقيماً أكثر وقته في الشحر، ولم أعر — حتى زمن كتابة هذه المقدمة —
على من أخذ عنه سوى العلامة الفاضل، خطيب مدينة الشحر، السيد أحمد بن
عمر بن إسماعيل السقاف، المتوفى سنة ١٣١٩، فقد ذكر الشيخ دحمان في
مقدمة شيوخه، وذكر أنه تعلم عنده القرآن الكريم، في بندر الشحر.

والسيد أحمد المذكور من أعلام الشحر، وكان من العلماء الأتقياء،
أخذ عنه جملة من أهل العلم، منهم السيد عبد الله باحسن جمل الليل، صاحب
«نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية» المتوفى سنة ١٣٤٧.

— وفاة الشيخ دحمان :

كانت وفاته على الأغلب في آخر القرن الثالث عشر أو مفتتح الرابع
عشر، أي: قبل سنة ١٣١٢.

رحم الله الشيخ دحمان رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها
الأنهار، ومن أراد المزيد فعليه بكتابنا «بغية الأريب».

عملي في هذا «المجموع»

— اعتمدت في إخراج نص الكتاب على نسختين :

الأولى : نسخة (تَريم) التي كتبها الحبيب محمد بن علوي بن شهاب الدين المتوفى سنة ١٤٠٠ .

والثانية : نسخة (شَبام) ، وهي النسخة المحفوظة بمنزل السادة آل سُميّط (بشَبام) (في محضرة أم الستة) ، والتي نسخها الشيخ سالم بن محمد شَمّاخ سنة ١٣١٢ .

ولم أذكر في الهوامش الفروق بين النسختين ، لقلتها ، ما لم يكن الفرق كبيراً ، أو في ذكره فائدة ، وإلا فإني أصحح النصّ حسبما يتفق مع السياق .

— قمت بتخريج الأحاديث الشريفة .

— ترجمت للأعلام الذين ذكروا في صلب «المجموع» ، لا سيما أهل (حضرَموت) .

— عزوت الأبيات إلى قائلها غالباً .

— قمت بشرح الكلمات العامية ، التي قد لا يفهمها غير الحضارمة ، لكونها بالدارجة ؛ لأن المقصود حصول الانتفاع من هذا الكتاب لكل الناس ، ومن الواجب توضيح هذه الغامضات .

— شرح بعض المسائل الفقهية بالرجوع إلى المصادر المعتبرة عند الشافعية .

هذا ما قمت به من خدمة ، وهي حقاً جهد المقل ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد أبو بكر باذيب

جدة في : ٢١ / ١ / ١٤٢٤ هـ

صُورٌ مِنْ صَفَحَاتِ الْأُصُولِ الْمُعْتَمَدَةِ
فِي التَّحْقِيقِ

* بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

الحمد لله ذي الفضل العظيم والجود السابغ العميم
 هذا ما جرى به القلم على حسب المذاكرة في مجالس
 سيدي الحبيب أحمد بن سيدنا القطب الغوث
 عمر بن زين بن سميط علوي نفع الله به وصي
 عنه ونفعني والمسلمين به آمين مما تكلم به
 وسمعتة وسماعه تكن العبارة بعينها فكتبت
 أو كما قال أو ما هذا معناه وقد سمعتة رضي الله عنه
 يقول: إذا كتب الإنسان حديثاً أو كلاماً وحصل
 معه شك في لفظه فليكتب في آخره أو كما قال
 فإنه يكون تبرياً من الكذب منه على التأويل
 وأستغفر الله من الكذب على أولياء الله والتجرب
 عليهم والمقصود حفظ المذاكرة لينتفع بها من وقف
 عليها ببركة المتكلم وهمته نفع الله به آمين
 كان كثيراً ما يقول الحمد لله على كل حال مر
 وحال ماض وحال آتٍ الحمد لله على قبيح ما ستر وجليل
 ما نشر وقال رضي الله عنه: قال بعضهم من كانت
 غريزته اليقين لم تضربه الذنوب يعني أنه ينذكر
 ويرجع كما قال تعالى إذا مسهم طيف من الشيطان

تدريج

صورة الصفحة الأولى من نسخة تريم

هذا فشكوت اليه عدم شوف عيوني فقال عليه الصلاة
 والسلام: بالكليه، بالكليه، فقلت بالكليه بالكليه
 وأخذ سيدنا يحيى الله عنده يجالس ليالي للروح في ذلك
 المكان وقد انتهى ما يسر الله جمعه من كلام سيدنا
 والدة علم واحكم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
 وصحبه وسلم والمحمد لله رب

العالمين
 وكان الفراغ من كتابة ليلة الربوع في شهر القعدة
 بقى الفقيه الحريه المثنى محمد بن علي
 بن عبد الله بن عبد الواس
 بن شهاب الدين
 بن محمد

هَذَا الْجَوْعُ مِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا الْحَبْرِ الْقَطْرِ الْعَوْنِ
 شَهَابِ الْمَدِينِ سَيِّدِنَا الْحَكَمِ بْنِ الْحَبْرِ الْقَطْرِ
 لَشَجَاعِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِرَأْيِهِمْ وَطُوعِيهِمْ
 سَهْطًا بِالْعُلَى فِي ضِلَالِهِمْ وَنَفْعًا
 بِذَوْبِ الْعَوَمِ وَالْغَادِ عَلِيَّتِ
 فِي أَسْرَارِهِ وَبِرْكَاتِهِ فِي
 الدَّرَكِ فِيهَا
 عَاقِبَةُ
 دَائِمَةٍ
 جَمْعُهُ الْهَلَاكُ الْأَمْلُ الْبَرُّ الْبَرُّ
 دُخَانُ عِبَادَتِهِ عَمْرٍو الْعَجْمِ
 بِأَذْيَابِ رَحْمَتِهِ
 الْبَرُّ وَنَجْعُ
 بَرَاهِ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ سِرَاجِ أَفْقِ سَيِّدِنَا الْحَمَامِ وَالْأَوْجَعِ وَنَسَلِهِمَا

مَجْمُوعُ مَوْحِظَاتِ وَكَلَامِ

الْإِمَامِ الْعَلِيِّ الْأَمِينِ الْحَبِيبِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

جَمْعُ تَلْسِيذِهِ

الْشَيْخِ كَبِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

وَتَلْسِيذِهِ

بِقَرْنِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ فِي تَرْجُومَةِ طَيْفَةِ الْجَمْعِ

إِعْنَى إِلَيْهِ وَقَدَّمَ لَهُ

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ



عَلَى الْفَتْوَى وَالْمَدَارِ وَالْمَنْشُورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، ذي الفضلِ العظيم، والجودِ السابغِ العميم.

هذا ما جرى به القلمُ على حَسَبِ المذاكرة في مجالس سيدي الحبيب: أحمدَ ابن سيدنا القطب عمرَ بن زينِ ابن سُميّط علوي نفع الله به ورَضِي عنه ونَفَعَنِي والمسلمينَ به، آمين، مما تكلّم به وسمِعْتُهُ عنه، وربّما لم تكنِ العبارةُ بعينها، فكتبتُ: «أو كما قال»، أو: «ما هذا معناه».

وقد سمعته رضي الله عنه يقول: إذا كتَبَ الإنسانُ حديثاً أو كلاماً ما، وحصلَ معه شكٌّ في لفظه، فليكتُبْ في آخره: «أو كما قال»، فإنه يكونُ تبرّياً منَ الكذبِ منه على القائل. وأستغفرُ الله من الكذبِ على أولياء الله والتجرّي عليهم، والمقصودُ حفظُ المذاكرة لينتفعَ بها مَنْ وقَفَ عليها ببركةِ المتكلّمِ وهَمَّتْه، نفعَ الله به، آمين^(١).

* * *

(١) هذه المقدمة من نسخة (تريم)، وأما نسخة شبام فقد بدأت هكذا:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الحمد لله على كل حال، مرّ وحال... هذا ما جرى به القلم على حَسَبِ المذاكرة... إلخ.

كان كثيراً ما يقول: «الحمدُ لله على كل حال، مُرٌّ وحال، ماضٍ وحال». الحمدُ لله على قبيحٍ ما سترَ، وجميلٍ ما نشرَ.



وقال رضي الله عنه: قال بعضهم: من كانت غريزته اليقين لم تضره الذنوب. يعني: أنه يتذكر ويرجع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَا لَهُمْ مَلَأَتْ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكُّرًا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، حتى أن الشيطان الذي أغراهم بالذنب يندم على فعله؛ لأنهم يجدون في السير بعد وقوع الذنب أعظم مما قبله، فيحزن الشيطان من ذلك، ولهذا ما جرى بين الصحابة، الأولى السكوت عنه؛ لأن يقينهم يحملهم على التذكر، وقد فاقوا جميع الخلق بقوة اليقين.

ولقد أنصف سيدنا عمر بن عبد العزيز حين سئل: من أفضل: أنت أم معاوية؟ فقال: التراب، الذي دخل في منخر فرس معاوية وقت الجهاد مع رسول الله أفضل من عمر وآل عمر، أو كما قال سيدنا رضي الله عنه، أو ما هذا معناه.



وقال رضي الله عنه ونفع به: ويقال: من ضيق على نفسه في العالم الدنياوي، نفس الله عليه في العالم الآخروي، والعكس بالعكس.



وقال رضي الله عنه: رأى سيدنا أحمدُ ابنُ حنبلٍ رضي الله عنه الحقَّ سبحانه وتعالى في المنام، فسأله: ما أفضل ما يتقرَّبُ به المتقرَّبون إليك يا رب؟ قال: فسمع الحقَّ يقول: بكلامي يا أحمد. فقال: بفهمٍ أو بغير فهم؟ قال: بفهمٍ أو بغير فهم^(١).

قال والدي عمر: لكنه مع الأدب. أو كما قال سيدنا.

* * *

وقال رضي الله عنه: قيل: إن الإنسان يكتبُ أحسنَ ما يسمع، ويذاكرُ بأحسن ما يكتب.

* * *

رأى سيدنا رضي الله عنه في يوم الجمعة في شهر صفر سنة (١٢٤٦هـ): ستَّ وأربعين ومائتين وألف، كأنه في تريم في علِّمة المعلم عمر باغريب^(٢)، وكأن المعلم المذكور جالس في العلِّمة يُعلِّم الصِّبيان، وهو في حالة جميلة، أحسن مما يعهدها سيدنا وكأنه يعلِّم الصغار الأبيات التي للحبيب طاهر بن حسين بن طاهر^(٣) التي في أثناء «النونية» نظم سيدنا، وهي:

(١) «مناقب الإمام أحمد ابن حنبل» لابن الجوزي (٤٣٤).

(٢) توفي بتريم سنة (١٢٠٥هـ) تقريباً. وعلِّمة باغريب هي زاوية صغيرة بتريم تأسست في القرن التاسع الهجري زمن العيدروس الأكبر المتوفى سنة (٨٦٥هـ)، وغلبت عليها النسبة لآل باغريب لكونهم المدرسين بها.

(٣) المتوفى بالمسيلة سنة (١٢٤١هـ).

أيا صاح، ذي الدار دارُ عَنَّا وما كان فيها جميعاً ففان
إلى آخرها، وكانت تُعجبه ويستعيذها إذا قرئت مراراً.

ثم انتبه سيدنا رضي الله عنه، وقصَّ الرؤيا كما ذكرت. فقال: علّموا
القصيدة المذكورة الصغارَ لأجل ترسخ في قلوبهم محبة الآخرة قبل محبة
الدنيا، الحذر تخلُّونه يسبق ماء عُقران^(١) إلى الجروب (يعني محبة الدنيا)،
فيجي ماء سرّ (يعني محبة الآخرة)، فلا عاذ يحصل محلّ.

ثم قال رضي الله عنه: وكان المعلمُ عمرُ باغريب المذكورُ سيَّه قريب
من سنّ الحبيب عمرَ والدي، والفقيرُ تعلّم عند المعلم المذكور.

وقال الحبيب حامد بن عمر^(٢): إنّ المعلمَ باغريب «سعدُ وقته»،
يعني: مثل سعد السويني^(٣) في وقته، أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: قال بعضُ السلفِ رضي الله عنهم: إن استطعت
أن تجعل آنية بيتك خزفاً فافعل، يشير إلى القناعة.

(١) وادٍ معروف بحضرموت، قريب من بلدة (هين).

سرّ: وادٍ معروف قُرب شبام.

(٢) الإمام الجليل، ممن أدرك الإمام الحداد وأخذ عنه، توفي سنة (١٢٠٧هـ) بتريم.

(٣) الشيخ سعد السويني من كبار العارفين، توفي بتريم سنة (٨٥٩هـ) أفردته بالترجمة
تلميذه الإمام علي بن أبي بكر السكران.

وقال رضي الله عنه: هُمُوا بِالْخَيْرِ يَرْفَعُكُمْ اللَّهُ فِي الدَّارَيْنِ: الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وقال: اُنُتُوا الْخَيْرَ يُظَفِّرْكُمْ اللَّهُ بِهِ فِي عَافِيَةٍ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ مَا زَادَ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ إِلَّا بِالنِّيَّاتِ الصَّالِحَةِ، أَمَّا أَعْمَالُ الظَّاهِرِ فَقَدْ تَنَاتَتْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوعُ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]، يعني النِّيَّاتِ الصَّالِحَةِ.

قال سيدنا عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه: هُمُوا بِالْأُمُورِ الْعَالِيَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَأَسَافِلِ الْأُمُورِ، فَإِنِّي مَا هَمَمْتُ بِأَمْرٍ إِلَّا نَلَيْتُهُ^(١). أو كما قال، حتَّى أَنَّهُ هَمَّ بِأَمْلِكٍ فَبَلَغَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ عَزَفَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْمُلْكِ الْأَبَدِيِّ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَيْلَافِهِ إِيَّاهُ، أَوْ كَمَا قَالَ.



وقال رضي الله عنه: عَاوَنُوا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي نَدْعُو إِلَيْهِ^(٢)، وَلَا يَخْذُلْكُمْ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّهُ مَا لَهُ وَلِهَذَا الشَّأْنُ. عَاوَنُوا يَا إِخْوَانِي، تَنْصُرُوا الرَّسُولَ، أَوْ بَغَيْتُوا التَّوْبِيخَ فِي الْقُبُورِ. عَسَى اللَّهُ يَنْوِّرَ الْبَصِيرَةَ وَيُشْرِحَ الصُّدُورَ. وَيَسْهِّلُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَتْ الْمَعَاوَنَةُ فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ أَوْ سَقَايَةِ، وَلَوْ كَانَ فِي هَذَا الشَّأْنِ عَسَرٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يُخْذَلُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، أَوْ كَمَا قَالَ، أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(١) «مناقب عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي (٨١).

(٢) أي: الدعوة إلى الله تعالى.

وسمعتُ سيدي رضي الله عنه يقول: ينبغي لمن رأى أحداً يُخلُ بشيءٍ من المأمورات، أن يُنبّهه برفق، ويعتقدَ في قلبه أنه أفضلُ منه^(١).

ويذكرُ قصةَ الشيخ أحمدَ ابن حجر^(٢) فيما يُنقلُ عنه، حين عبَرَ ومعه تلامذته على الشيخ المجذوب الفرغاني وهو جالسٌ على مَربَلَةٍ، فخطرَ بخاطرِ الشيخ ابن حجرٍ قولٌ بعضهم: ما اتخذَ الله من وليٍّ جاهلٍ، فكاشفه الفرغاني وقال له: اتخذني على رغم أنفك. فحصلَ بعدَ ذلك على الشيخ ابن حجر، فيما أظن، بعضُ نسيانٍ لِمَا يعلم. فشكا ذلك إلى العلماء، فلم يَدُلّه أحدٌ منهم على شيءٍ، حتى أتى إلى بعضهم، فأخبره بالقصة، فقال له: اعتذرْ إلى الشيخ الفرغاني ويحصلُ لك الشفاء. فاعتذرَ إليه، فرضيَ عنه وأمره بذبح ديكٍ معروف^(٣) وقال له: عاد علمك^(٤) إلا في حوصلة ديك، أو كما قال، وأستغفرُ الله إن كنتُ سهوْتُ في شيءٍ، حيث قصدي حفظُ المذاكرة، والله غفورٌ رحيم.

وكذلك يذكرُ قصةَ الشيخ عمرَ ابن الفارض وفتوحه على يدِ شيخٍ رآه يتوضأ مُنكساً، فنّبّه على ذلك، فكاشفه الشيخُ بفتوحه. والقصةُ مشهورة، سمعته من سيدي رضي الله عنه.

(١) أي: إنه يجري على قلبه أن ذلك الرجل أفضلُ منه عند الله من باب حُسن الظن وهضم النفس؛ لأنه قد يدخل في نفسه شيءٌ من الزهو عند قيامه بالنصيحة، والله أعلم.

(٢) هو الهيثمي، المتوفى بمكة سنة (٩٧٤هـ).

(٣) أي: فيه عَرَفٌ على رأسه.

(٤) أي: لا يزال علمك.

وقال سيدنا رضي الله عنه: قال بعضهم: العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل. فيا بخت من تغافل في زماننا ويا سعدة^(١).

وقرىء هذا الأثر عند سيدنا الحبيب أحمد بن زين الحبشي^(٢) رضي الله عنه، وهو: «يأتي على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من تحامق»^(٣) فقال سيدنا أحمد بن زين الحبشي: يعني تغافل وتبيللة، ليس هو الحُمق المعروف. وعادة الإنسان إذا سلم من المخالطة يستفيد حسن الظن حتى بالأشرار؛ لأن الزمان زمان تغافل وتغافر ومُحالة.

وقال رضي الله عنه: حد من الناس ينور وقته وحد يور وقته، نعوذ بالله من البوار، عسى الله يبارك لنا في الصغار حتى ينوروا أوقاتهم.

وجدوا واجتهدوا في هذا الباب^(٤)، أعني المعاونة على الدعوة، فإن كل مشير في هذا الباب مقصر؛ لأنه بايكافي^(٥) النبي عليه الصلاة

(١) وفي هذا المعنى يقول تلميذه، العلامة أحمد بن عمر باذيب:

وارض التغافل خلاً ما حيث تجذ فيه السلامة إجمالاً وتفصيلاً

(٢) المتوفى بخلع راشد سنة (١١٤٤هـ).

(٣) لم أجده.

(٤) أي: باب الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العلم بين العامة، وتعليمهم أمور الدين.

(٥) المراد بالمكافأة هنا: أن الداعي إلى الله تعالى يقوم بين أهل زمانه في مقام الأنبياء، من حيث الوراثة النبوية، ولأن وظيفة الأنبياء هي الدعوة والتبليغ والتعليم. ومن قام في هذا المقام كان مكافئاً لهم في القيام بذلك الأمر، وشتان ما بين المقامين، والله أعلم.

والسَّلامُ الذي هو سببُ هدايته، ولا يبلُغُ مكافأته إلا مَنْ شَمَرَ جهده، وعَرَفَ أَنَّهُ ما قام حتى بِعُشُورِ عَشْرِ حَقِّهِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلام، أو كما قال.

* * *

وقال عند قولِ سيِّدنا الحبيبِ طاهر بن حسين:

أيا صاحِ ذي الدارِ دارِ عَنَّا وما كان فيها جميعاً ففان^(١)

إلى آخره. قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾ [الكهف: ٤٥]، وبعدُ اضمحلَّت، وصارت هباءً، عسى اللهُ يمحي مِنَ القلوبِ مشهدها من اليوم، وأما عندَ الموتِ فلا عاذُ يبقى منها شيءٌ معك. قال بعضهم: إذا أردتَ أن تعرفَ قَدْرَ الدنيا فاسألَ عنها المحتَضِر، فإنها لا تسوى ثَقَلَةً عنده.

وقال رضي الله عنه: قال بعضهم: بعضُ الناسِ سَرَّاقَةُ العقولِ وسَرَّاقَةُ الوقت، فلا يليقُ بالإنسانِ إلا الانقباضُ والاعتزال. قال في «الحكم العطائية»: عُدَّ إقبالهم، أي: الخلق عليك ليلاً، وإدبارهم نهاراً. أو كما قال.

* * *

(١) ديوان الحبيب أحمد بن عمر (١٩٠)، وهذا البيت بداية فصل من فصول القصيدة النونية.

وقال رضي الله عنه: خرَجَ درويشٌ في أَيَّامِ سيدنا أحمدَ بن زينٍ متشَمِّماً للطاعةِ وهو رافعُ الهَمَّةِ عن التَّشَوُّفِ إلى الناس، فَحَصَلَتْ له محبةٌ في قلوبِ الناسِ وانجذابٌ بالعطاء، حتى أن بعضَ البانين^(١) أعطاه شيئاً، فحُكِيَ ذلك لسيدنا أحمدَ بن زين، فقال بعضُ المُحِبِّينَ لسيدنا أحمدَ بن زين: كيفَ ذلكَ مَعَ أنه لم يسألْ ولم يُظْهِرِ الفاقة؟ فقال له سيدنا أحمدُ بن زين: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ القناعةَ مغناطيسُ الرزق؟ قال سيدنا: ومفهومُ ذلك أن الحرصَ يُبْعِدُ الرزق. أو كما قال، أو ما هذا معناه.



وقال أيضاً: إذا حَصَلَتِ النيةُ الصالحةُ في السَّبَبِ^(٢)، ظَهَرَتِ البركة، كما قال سيدنا عبدُ الله الحدَّاد:

واجعلْ إلهيَ هذا عَوْناً على كُلِّ خيرٍ

إلى آخره^(٣)، فينبغي أن تكونَ هذه النياتُ في كل سبب.

وقال: إذا أَرَادَ اللهُ بعبده خيراً رَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، كلما قَدَّرَ شيئاً مِنَ الأسبابِ أَنَّ فيه رَزَقَهُ، خَالَفَ على قِيَّاسِهِ، «أَبَى اللهُ أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ

(١) البانين: غير المسلمين من الهنود، وهم يسكنون عدن ولا أحد منهم في حضرموت.

(٢) السَّبَب: يعني قيام الشخص ببعض الأعمال التجارية التي تكون سبباً في كفايته واستغناؤه عما في أيدي الناس... وهو شائع الاستعمال عند المتقدمين، يقولون: فلان ينعاظي الأسباب، أي: يزاوِل العمل التجاري.

(٣) وهي القصيدة التي مطلعها: يا رحمة الله زُوري. «الديوان» ص: ٢٨٨.

المؤمن — أي: الكامل — إلا من حيث لا يحتسب»^(١). وإذا أراد الله بعبدِهِ شراً، كلما دَبَّرَ أمراً وَقَعَ على ما يريدُهُ، فيركُنُهُ إلى فكرِهِ ودهاه، ويفتِنُهُ بذلك استدراجاً.

* * *

وقال نفعَ الله به: قال سيِّدُنَا حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي الله عنه: «يأتي على الناسَ زمان، لا ينجو فيه إلّا مَنْ دعا بدعاءٍ كدعاءِ الغريق»، وهو زمانُنَا هذا. وغريق البحر لا يركُنُ إلى شيءٍ من الأسبابِ إلّا إلى الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] وفي الحقيقة: إنّ الغريقَ مَنْ غرِقَ في بحر الدنيا، ولا درى كيفَ با تكون المُخارجة وعلى أيِّ حال. أمّا غريقُ البحر، فهو شأنٌ آخر. ولكنّ الإنسانَ يلجأ إلى ربِّه بالدعاء؛ لأنه كريم ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ...﴾ [النمل: ٦٢] الآية.

حتى الكافر إذا اضطرَّ إليه يُنجاه، كيف! وهو ربُّه الذي خلقه، فلا عاذَ مع الإنسانِ إلّا الدعاء، «بارك الله لعبدٍ في حاجةٍ قُضِيَتْ أَكْثَرَ لها من الدعاء»، أو كما قال، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.

(١) أخرجه الديلمي عن أبي هريرة، والعسكري وابن ماجه عن عليّ رفعه، قال النجم الغيطي: «ولا يصحُّ شيءٌ منها». اهـ.

وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» ورواه القضاعي في «مسنده»، قال العلامة العجلوني: وأقول: الحديث بطرقه معناه صحيح وإن كان ضعيفاً، ففي التنزيل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الآية.. «كشف الخفا» (١: ٣٤-٣٥).

وقال رضي الله عنه: أنا أرجو من الله أنه خبأ هذه العُلْمة — لعل مُرادَه العُلْمة: العِلْمُ الواجب^(١) — لأهل الزمان، إن وَفَّقَهُم الله لها، ليلْحَقُوا بها مَنْ قَبْلَهُمْ، أو يَسْبِقُونَ، وما يدريك يَسْبِقُونَ؟ وهذا جهادٌ أكبر، و: «رُبَّ بَيْنَ الصَّافِينَ، اللهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ»^(٢)، ولكنها ثَقِيلَةٌ على النفوس، لِثِقَلِهَا في المِيزان، عسى الله يوفِّق للمُعَاوَنَةِ، والنية بذلك؛ لأن من كَمُلَتْ نَيْتُهُ تَمَّتْ مَعُونَتُهُ، أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: كان سَبَبُ كَفِّ بَصْرِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ الْحَدَّادِ رضي الله عنه من القطيب^(٣)، وكانت أُمُّهُ^(٤) شَفِيقَةً به، ومُحَادِيَةً عليه، خصوصاً مِنْ خَالٍ له — سَيِّدٍ من آلِ الْغُصْنِ^(٥) — كان مِنْ أَهْلِ الْجَذْبِ، وكانت تَقْلِدُ^(٦) على سَيِّدِنَا الْحَبِيبِ في مَنْزِلٍ، وتشلُّ الأَقْلِيدَ.

ففتح المنزلَ وفيه مِنْ كُلِّ جَنَسٍ من الطَّيْبِ، فضَمَّخَ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللهِ به

(١) هذه زيادةٌ من الناسخ! وإلا فالعُلْمة معروفة عند أهل حضرموت؛ وهي: المكتب أو الكُتَّاب كما يُعرف في بلدان الإسلام.

(٢) حديث نبوي، أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١: ٣٩٧).

(٣) القطيب: مرضٌ كالْجُدْرِي، يصيب الجلد.

(٤) هي الحرة الشريفة سلمى بنت عيْدروس بن أحمد صاحب الشعب الحبشي.

(٥) السادة آل الغصن من آل جمل الليل، ولعلهم أخوال والد الإمام الحداد أو والدته.

(٦) أي: تفلق.

فَكُفَّ بَصَرُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَلَمَّا جَاءَتْ وَالِدَةُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ وَرَأَتْ ذَلِكَ.. .
 قَالَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ، قَالَ لَهَا: بَايَعُمِي، وَجَمِيعَ أَهْلِ زَمَانِهِ بَايَسِيرُونَ فِي ظِلِّهِ.
 ثُمَّ خَرَجْتُ بِسَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ أُمُّهُ إِلَى قَبَةِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَيْدَرُوسِ،
 وَقَالَتْ: إِمَّا يَمُوتُ، أَوْ يَفْتَحُ. فَيَرَوُونَ: أَنَّ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللَّهِ حَصَلَ لَهُ مَا
 حَصَلَ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.

حتى قال هو^(١) رضي الله عنه: عُرِضَ عَلَيَّ حَالُ سَيِّدِنَا عَبْدِ الْقَادِرِ
 الْجِيلَانِيِّ، فَوَجَدَنِي قَدْ مُلِئْتُ مِنْ بَعْضِ السَّادَةِ بَنِي عَلَوِيٍّ — يَعْنِيهِ^(٢) —
 فَسُقْتُ ذَلِكَ الْحَالَ لِلْسَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبْشِيِّ، قَالَ سَيِّدُنَا عَمْرُ بْنُ زَيْنِ
 ابْنِ سُمَيْطٍ: يَعْنِي أَنَّهُ مُحْيِي الدِّينِ، كَمَا أَنَّ سَيِّدَنَا عَبْدَ الْقَادِرِ كَذَلِكَ.

□ وَفِي قِصَّةِ الدَّرَوَيْشِ الْمَغْرِبِيِّ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ: أَنَّهُ رَأَى
 كَأَنَّ حَيَّةً طَوَّقَتْ عُنُقَهُ، وَأَرْكَزَتْ رَأْسَهَا وَقَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

فَقَالَ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ.

فَقَالَتْ: مَا جَاءَ بِكَ؟

فَقَالَ: خَرَجْتُ زَائِرًا لِمَشَايِخِ حَضْرَمَوْتِ، وَقَصْدِي زِيَارَةُ الشَّيْخِ
 عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ.

فَقَالَتْ: الَّذِي تَطْلُبُ مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ عِنْدَ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ.

ثُمَّ قَالَ لَهَا: وَمَنْ أَنْتَ؟

(١) أَي: الْإِمَامُ الْحَدَّادُ.

(٢) أَي: الْإِمَامُ الْعَيْدَرُوسُ.

قالت: أنا رُوحانيُّ من روحاني السِّدِّ أحمدَ بنِ زين، وله روحانيون كثير.

فلما انتبه الدرويشُ من النوم، جاء ليُخبرَ سيدنا الحبيبَ أحمدَ بنَ زين، وكان سيدنا الحبيبُ أحمدُ بنَ زين يخرجُ لصلاةِ الصبحِ وقتَ الإسفار، فحينَ لقيَ سيدنا أحمدَ قال له سيدنا: قد عَلِمْنَا بما جرى لك، فلما خرجَ سيدنا الحبيبُ محمدُ ابنُ سُمَيْطٍ إلى عندِ سيدنا أحمد، أخبره الدرويشُ بذلك، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: قال سيدنا الحبيبُ عمرُ ابنُ سُمَيْطٍ: بعضُ الأولياءِ سرُّه في أولاده، وبعضُهم في أوراده، وبعضُهم في تصانيفه، وسيدنا الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدَّادُ حصلَ له ذلك كُلُّه. والناسُ إلى اليومِ يسيرونَ في بركته، أو كما قال. وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضي الله عنه: قال سيدنا عمرُ البار في مدحِ سيدنا عبدِ الله: بانقول: نبوة؟ لا سبيلَ إلى حالِ النبوة، وإنما نقول: وراثَةُ النبوة^(١)، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: مناقبُ سيدنا الحبيبِ عبدِ اللهِ الحدَّادِ في

(١) أخذاً من حديث: «العلماء ورثة الأنبياء».

كلامه، وهو قد ترجَمَ لنفسه، انظرُ إلى اتّصافه بالفقر، والعجز، والانكسار،
في قصائده، الذي هو من شأنِ كُملِ العارفين، مثلَ قوله:

قد تحقّقتُ بعجزِي وخضوعي وانكساري^(١)

إلى آخرها... لمن تدبّر ذلك، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: قال بعضهم: ما أتمنى الحياةَ إلا لمجالسةِ قومٍ
ينتقون أطايبَ الكلامِ كما يُنتقى أطايبُ الثمر.

وقال رضي الله عنه: قال بعضهم: طريقُ الجنةِ حَزَنَةٌ برَبْوَةٌ، وطريقُ
النارِ سَهْلَةٌ بشهوة. أعني طريقَ النارِ المعاصي والشهوات، فمن بغى الغالي
يبدُلُ الغالي، «ألا إنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^(٢).

لا تحسبَ المجدَ تمرّاً أنتَ آكلُهُ لن تبلغَ المجدَ حتى تعلقَ الصبرا
ولا تُنالُ الجنةُ إلا بالصّبر.

* * *

(١) من قصيدته التي مطلعها:

قد كفاني علمُ ربِّي من سؤالي واختياري

«الديوان» ص: ٢٥٦.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤: ٣٤٣) (٧٨٥١)، والترمذي (٢٤٥٠)، وقال:
حديث حسن غريب.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ بَعْدَ التَّشْهِيدِ الْآخِيرِ، وَبَعْدَ الصَّلَاةِ وَالِدُعَاءِ: ﴿رَبِّ
أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وَإِذَا رَكِبَ عَلَى الدَّابَّةِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْحَامِلُ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَنْتَ
الْمُسْتَعَانُ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ
مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ».



وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا مِنَ الْمُبَاحَاتِ
فَلْيَقَابِلْ بَيْنَ فَوَائِدِهِ وَأَفَاتِهِ، وَيَفْعَلْ مَا تَزِيدُ فَوَائِدُهُ عَلَى آفَاتِهِ، كَمَا ذَكَرُوا^(١)
فِي النِّكَاحِ لِمَنْ أَرَادَهُ، وَمِثَالُ مَنْ يَتْرُكُ شَيْئًا رَأَى فِي تَرْكِهِ مَصْلَحَةً، مَعَ أَنَّهُ
مَبَاحٌ، وَرَبَّمَا فَعَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى نِيَّةٍ حَسَنَةٍ.

كَمَثَلِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ دَقَّ أَحَدُهُمَا رَفَقَةً^(٢) فِي جِدَارٍ، فَسُئِلَ: لِمَاذَا؟

فَقَالَ: لِابْنِ السَّبِيلِ... يُعَلِّقُ بِهَا مَتَاعَهُ.

فَجَاءَ الْآخَرُ فَأَخْرَجَهَا، فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا؟

قَالَ: يَأْتِي أَعْمَى أَوْ غَيْرُهُ، فَتَدُقُّ عَيْنَهُ.

قَالَ سَيِّدُنَا: فَكُلُّهُمْ أَثِيْبُوا، وَلَكِنَّ الْآخِرَ نَفَذَتْ بَصِيرَتُهُ؛ لِأَن دَرَاءَ
الْمَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جُلْبِ الْمَصَالِحِ. وَذَلِكَ الْمَثَلُ: كَمَنْ يَتْرُكُ الْقَهْوَةَ،

(١) أي: الفقهاء.

(٢) أي: وتدأ، وتكون من خشب.

أو يرى في ترك الجوابي في المساجد مصلحة^(١). أو كما قال، أو ما هذا معناه.

وقال رضي الله عنه: ينبغي للإنسان — إذا قال له أخوه: كيف أصبحت؟ أو: كيف أمسيت؟ — أن يقول كما يقول بعضهم: أصبحت وبي من النعم ما لا أحصي، مع كثرة ما أعصي. تعصي الله وتدعي أنك تحبه. قال بعضهم:

تعصي إلهك ثم تزعم حبه هذا لعمرى في القياس بديع
وقال سيدنا عبد الله الحذاد: يظن الإنسان أنه في مقام الصبر، ولو أمعن النظر لرأى أنه في مقام الشكر^(٢).

فينبغي للإنسان أن يمضي كل أوقاته في الشكر على نعمة الإسلام، التي هي أعظم النعم، لأن ابن آدم أكثر ما يؤتى إلا من ترك الشكر.

وتحفظوا على نعمة الإسلام بالشكر عليها، وبحفظ اللسان، ومن الإنسان التحفظ وعلى الله الحفظ، ويطلب الإنسان الحفظ بقوله: «واحرُسنا وإياهم...» إلخ، عند الاحتضار في الموت، وهو الكرم الكبير، أعني: حسن الخاتمة.

(١) هذه الأمثلة ضربها رحمه الله تعالى جرت على حال الزمان، ومن باب ضرب المثل لمعقول المحسوس، وأهل ذلك الزمان تناسبهم مثل هذه الأمثلة، وأما في زماننا هذا فيمكن ضرب المثل بلعب الكرة ومشاهدة التلفاز والقنوات الفضائية ونحوها... فتَنَزَّل القاعدة المذكورة عليها.

(٢) وبين المقامين بؤن شاسع.

وكلُّ مَنْ يعوِّلُ على حسنِ الخاتمة، يبذُلُ نفسه في التعلمِ والتعليمِ،
ولو بأنْ يقصِدَ الجاهِلَ بنفسِه؛ لأنَّه يسعَى في فكَاكِ رقبَتِه ونجاتِها منَ
النارِ، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: يقال: إذا أرادَ الله بعبده الخيرَ، ألهمه هذا
الدعاء: «اللهم إني ضعيفٌ فقوِّ - في رضاك - ضعفي، وخذْ إلى الخيرِ
بناصيتي، واجعلِ الإسلامَ مُنتهى رضاي»، آمين.

* * *

وقال رضي الله عنه: ينبغي للإنسانِ أن يطلبَ الهدايةَ في كلِّ وقتٍ؛ لأنَّ
الهوى غالبٌ عليه، ويسألُ منَ الله الثباتَ على الهدى، كيف ورأسُ المُهتدينَ
عليه السَّلامُ يطلبُ الهدايةَ بقوله: «اللهم اهدنا فيمن هديت» . . إلخ؟

* * *

ويُروى عن سيدنا عمرَ بن عبد الرحمنِ العطَّاس أنه كرَّرَ دعاءَ القنوتِ
المذكورَ من بعدِ صلاةِ العشاءِ إلى أن صدَعَ الفجرُ، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: أكثرُ ما تؤثرُ في الأشياءِ: الهمةُ، لا مجردُ القولِ
والفعلِ، انظرْ همةَ سيدنا أحمدَ بن عيسى، أزالَ الله به البدعَ من

حَضَرَمَوْت، وقد كانوا أناسٌ في البلاد^(١) أهلَ بدعة، يُنسبون إلى أهلِ (مَسَكْت)^(٢)، حاليّنَ بساحةِ الخوقة^(٣).

ومما يدلُّ على ذلك: ما يُروى عن بعضِ الملوك كَتَبَ لبعضِ ملوكِ الفرنج بما معناه: ما سبَّبُ أعمارنا معاشرَ وُلاةِ المسلمينَ تقصُّرُ وأعمارُكم تطوُّلُ؟ فلمَّا وصَلَ الرسولُ إلى الملكِ الكافر، أشارَ عليه بالجلوسِ تحتَ شجرةٍ عظيمةٍ ثابتةٍ في الأرض، فإذا زالتِ يأتي إليه الجواب، فتعلَّقتِ همةُ الرسولِ بالشجرة حتى زالت، فلمَّا زالت أتى الملكُ للجواب.

فقال: الجوابُ، قُصَّ عليه ما رأيْتُ!

فلمَّا وصَلَ الرسولُ إلى الملكِ المسلم وأخبره الخبرَ قال: قاتَلَه الله! أخبرني فعله أن ولاةَ المسلمينَ تتعلَّقُ همُّهمُ بظلمِ الرعية، فيتعلَّقونَ الرعيةَ بزوالهم، وليس كذلك هم، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: معاد معنا حيلة إلا دعوة الصَّغار من عيالِ القبائل وغيرهم؛ لأنه إذا انتفع الصغيرُ سرى ذلك إلى الكبيرِ بميلِ الطبع، لأنَّ الوازعَ الطَّبْعِيَّ يُغني عن الوازعِ الشرعيِّ.

(١) أي: في شبام.

(٢) يعني: أن مذهبهم إباضي كذهب أهلِ عمان، ومسكت هي مسقط، كانوا يكتبونها ويلفظونها هكذا قديماً.

(٣) (الخوقة): مسجد معروف بشبام، وكان زوال الخوارج الإباضية منه في آخر القرن السابع، سنة ٦٩١هـ.

وقال رضي الله عنه: سُئِلَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ الْحَجِّجِ، حَتَّى أَنْ الطَّوِيلَ بِاصْهِي^(١) قَالَ لَهُ: وَبِأَيْحَمْلِهِ وَمَنْ مَعَهُ؟ فَقَالَ: عَلِمْتُ أَنْ لَيْسَ لِي حَجٌّ، مَا مُرَادِي إِلَّا بِمَلَاءِ طُسْتٍ مَاءَ زَمْزَمَ أُغْتَسِلُ بِهِ.

قَالَ سَيِّدُنَا: كُلَّ يَوْمٍ لَهُ حُجُوجٌ كَثِيرَةٌ كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ جَعْفَرُ لَسَيِّدِنَا الْحَبِيبِ عَمْرَ سُمَيْطَ، حِينَ أَعْلَمَهُ بِسَفَرِهِ إِلَى الْحَجِّ^(٢): إِنْ كَانَ لِي شُور... مَا مُرَادِي لَكُمْ تَسِيرُونَ؛ لِأَنَّ لَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ حَجًّا. أَوْ كَمَا قَالَ.

وكَذَلِكَ سَيِّدُنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّقَافُ، عَزَمَ إِلَى السَّفَرِ لِلْحَجِّ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَكَانَ الْمَسْمُومَ بِالْجُوفِ، رَجَعَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ عَارِضُونِي وَقَالُوا: حُجَّكَ بِحَضْرَمَوْتَ^(٣). أَوْ كَمَا قَالَ.



وقال رضي الله عنه لبانافع^(٤): اُنْوَ النَّفْعِ، حَتَّى يَصِحَّ عَلَيْكُمْ اسْمُ

(١) هُوَ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِاصْهِي، الْمَلَقَبُ بِـ (الطَّوِيلِ)، عَاشَ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ، كَانَ تَاجِرًا مَعْرُوفًا فِي شَبَامَ، لَهُ أَخْذٌ وَتَعَلُّقٌ بِالْإِمَامِ الْحَدَّادِ، وَتَلْمِيزُهُ أَحْمَدَ ابْنَ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ تَرَوَى لَهُ مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ وَمَنَاقِبُ مَحْمُودَةٍ.

(٢) كَانَ سَفَرُ الْحَبِيبِ عَمْرَ بْنِ سُمَيْطَ لِلْحَجِّ سَنَةَ ١١٧٨ هـ، فِي السَّنَةِ الَّتِي وَلَدَ فِيهَا ابْنُهُ صَاحِبُ «الْمَجْمُوعِ».

(٣) الْحَجُّ عَلَى مَعْتَمَدِ مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَاجِبٌ عَلَى التَّرَاخِي، وَلَيْسَ عَلَى الْفُورِ، فَمَنْ اسْتَعْلَا الْحَجَّ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَيْهِ فُورًا... وَلَعَلَّ الشَّيْخَ السَّقَافَ رَحِمَهُ اللَّهُ، رَأَى مَصْلَحَةَ كِبَرِي تَعُودَ عَلَيْهِ وَعَلَى النَّاسِ فِي جُلُوسِهِ فِي بَلَدِهِ.

(٤) مِنْ أَهْلِ ثَبُوءَ، فَقَدْ كَانَ فِي شَبَامَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ طَلَبُوا الْعِلْمَ عِنْدَ الْحَبِيبِ مُحَمَّدِ ابْنِ=

النفع! وأرجو لو أحد مَرَضَ ونوى: إن شفاني الله بأَنْفَعِ الناس... أن يشفيه الله.

حتى رأى بعضُ السادة - وهو الحبيبُ عمرُ بن حسينٍ مَرْزُق^(١) -
الخلفاءَ الأربعةَ يعودونه وهو مريض، حتى وَصَلَ إلى سيدنا عثمان، قال
له: ادْعُ لي بالشفاء، قال له: بشرطِ النفع، أو كما قال، فشفاه الله. وفي
قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَمَا كُنَّا فِي الْأَرْضِ﴾ ما يدلُّ على ذلك، حتى أنه
تحصَّلُ له المتعةُ في العمر.

* * *

قال سيدنا رضي الله عنه لبعضِ مَنْ شكا عليه مرضاً في بعضِ
إخوانه: قُلْ له: ينوي إذا حصلَ الشفاءُ المعاونةَ على البرِّ والتقوى.
ثم قال: اشْفِ عَبْدَكَ.. يفك لك عدواً، يمشي لك إلى فريضة.
وبعدَ أيامٍ حصلَ الشفاءُ لذلك المريض.

وكان رضي الله عنه إذا أُتِيَ له بماءٍ لِيُفَلَ فيه، أو فَتْلَةً.. يقرأُ على
ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ
شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُ﴾ ثم ينفثُ في ذلك ثلاثاً.

= زين بن سميّط، منهم الشيخ محمد بن أبي بكر بانافع، وتوجد المكاتبات العلمية
والدعوية المتبادلة بينه وبين شيخه المذكور ضمن كتاب «مجمع البحرين».

(١) توفي بشبام سنة ١٢٥٠ هـ، تنظر ترجمته في كتابي: «المحاسن المجتمعة».

وقال رضي الله عنه: قال سيدنا عبد الله الحدّاد لأحمدَ باسَراحيل^(١)
— وكان يعلمُ القرآنَ —: لأنَّ يهديَ اللهُ بك واحداً، خيرٌ من شبام وأهلها.

* * *

وقال أيضاً: إذا دعوتَ أحداً تريده يأتيك بشخصٍ مثلاً، فإن قال: ما
باحصله، فلا عادَ ترسله، فإنه لا يحصله.

* * *

وقال نفعَ الله به: قال سيدنا عمرُ العطاس: أهلُ الزمانِ كالشَّنِّ
اليابس، إن ما بقيتَ ترشُّشه ييس.

* * *

وقال رضي الله عنه: الهمةُ تقنصُ التوفيقَ، كالسَّحْوَةِ^(٢) تقنصُ الطيرَ،
ومن حُرِمَ الهمةَ حُرِمَ التوفيقَ.

﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾. حتى أن سيدنا عمرَ بن الخطابِ
رضيَ الله عنه إذا بعثَ اثنينَ للإصلاحِ فلم يقعِ الصلحُ يضربُهما ويقول: إن

(١) هو الشيخ الفاضل أحمد بن عبد الله باسَراحيل المعلم للقرآن الكريم في شبام،
عاصر الإمام الحداد.

ولعله ابن الشيخ عبد الله بن أحمد، الذي كان الحبيب أحمد بن زين الحبشي
يأتي إلى شبام للقراءة عليه وطلب العلم عنده.

(٢) آلة تقنص الطيور، مضيكة.

نَيْتَكُمَا مَا صَلَحْتَ، أَوْ كَمَا قَالَ. وَأَنَا رَاجٍ، إِنْ عَوَّلُوا أَهْلُ حَضْرَمَوْتَ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ، أَنْ يَحْصُلَ لَهُمْ مَدَدٌ كَبِيرٌ وَفَرْجٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّ الدِّينَ كَالشَّارِخِ (١)، لَا يَسْتَقِيمُ ظَلُّهُ إِلَّا بِاسْتِقَامَتِهِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ الدُّنْيَا..» الْحَدِيثُ (٢) ... إلخ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ [الشورى: ٢٠] الْآيَةُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الشَّاكِرُ هُوَ الَّذِي يَبْخُلُ بِأَوْقَاتِهِ لَا يَضِيعُهَا فِي غَيْرِ طَاعَةٍ، أَعْظَمَ مِنْ بُخْلِهِ عَلَى الْمَالِ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الشُّكْرِ: صَرْفُ النِّعْمَةِ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ، كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ شِعْرًا:

إِنَّمَا رَأْسُ مَالِكَ الْعُمُرُ فَاعْمُرْ هُ بِفَعْلِ الْجَمِيلِ وَ الْمَكْرُمَاتِ (٣)
غَيْرُهُ:

وَاعْمُرْ بِأَوْرَادِ الْعِبَادَةِ عُمْرَكَ الـ فَنَانِي وَسَاعَاتِ الزَّمَانِ الْمُزْمَعِ (٤)
فَلْيَكُنِ الْعَاقِلُ ضَنِينًا بِأَوْقَاتِهِ.

(١) الشارخ: العمود الطويل المركوز في الأرض.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤: ٣١٧)، (٣٢٠)، وتعقبه الذهبي، ورواه الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٩: ٣٧٣)، والطبراني في «الكبير» (٥: ١٥٤) و«الأوسط» (٥٠٢٥)، وابن عدي في «الكامل» (٧: ٢٥٣٠).

(٣) من الأبيات التي مطلعها:

الْبِدَارَ الْبِدَارَ قَبْلَ الْقَوَاتِ إِنَّمَا أَنْتَ عُرْضَةُ الْآفَاتِ
«الديوان» (٩٥).

(٤) البيت من العينية الكبرى: الديوان: ٣٦٥، و «شرح العينية» ٣٣١ - ٣٣٢.

وقال رضي الله عنه: نحن بقراءتنا هذه نتعرض لنفحات الباري تعالى نرجو يحصل لنا لطف كبير وما ذلك على الله بعزيز ولكن عسى الهمم تتعاضد حتى تنزل الألطاف، فإنَّ الخير كله في الهممة. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: الخلود في الجنة إلا بالأعمال — وفي نسخة: أو بالنية الصالحة —، لقول الله تعالى في الحديث القدسي: «ادخلوا الجنة برحمتي وافتسموها بأعمالكم»، واخلدوا فيها بنياتكم^(١). فأنووا الخير، من كان مسافراً ينوي بسفره التفقه في الدين وامتنال هذه الآية: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، حتى ييسر الله له أمور دنياه وآخرته.

* * *

وقال رضي الله عنه: أشيعوا هذه الدعوة على المنابر والمناظر وإلا عمّتكم النقم، وربما تتأخر العقوبة عن أهل الجهل و من هو في بادية بعيدة لجهله، أما إن كانها^(٢) في الدنيا سها ما نخشى إلا أن تكون في القلوب فتفسد، ولا تنفع الذكرى إلا من بايتذكر، والهداية بيد الله، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

(١) لم أقف عليه بنصه هكذا، لكن أصله في «صحيح البخاري» (٥٦٧٣) من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لن يدخل أحداً عمله الجنة».

(٢) أي: العقوبة.

وقال رضي الله عنه: كرّر هذه الكلمة^(١)، ولكن الغفلة وطول الأمل أعمى البصائر عن الحق، وهذا فرقٌ بيننا وبين السلف الصالح؛ لأنهم قصّرت آمالهم وحسّنت أعمالهم، ونحن طالّت آمالنا وساءت أعمالنا.

لا تُعْرِضَنَّ بِذِكْرِنَا عَنْ ذِكْرِهِمْ لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالْأَعْرَجِ
لأن مَنْ طَالَ أَمَلُهُ قَسَا قَلْبُهُ وَضَيَّعَ وَقْتَهُ، كما أن مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ عَكُسَ ذلك.

قال سيّدنا الحبيب عبد الله الحدّاد:

وفي قِصَرِ الأملِ الخيرُ كلُّهُ

لعل مفهومه أنّ في طولِ الأملِ الشرَّ كلّه، ﴿سُئِلَ اللَّهُ فَتَسَبَّحَهُ﴾. وقد قال عليه الصّلاة والسلام: «نجا أولُ هذه الأُمّةِ بالزُّهدِ واليقينِ، ويهلكُ آخرُها بالحرصِ وطولِ الأملِ»^(٢).

وقال رضي الله عنه في قصيدة سيّدنا الحبيب عبد الله الحدّاد، التي أولّها:

الحال يا أحبّائنا ببشّار^(٣)

(١) أي أن الحق تعالى كرر كلمة (الهداية) في الآية: لا تهدي، يهدي، بالمهتدين.. ولكن الغفلة جعلت الناس لا يتدبرون في معاني وأسرار كلام الله تعالى.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا و أبو نعيم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ذكره الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»، ورواه الطبراني من حديث ابن عمر وأوله: «صلاح أول هذه الأمة..»، «المعجم الأوسط» (٣٣٢: ٧) (٧٦٥٠).

(٣) «ديوان الإمام الحداد» ٢١٢-٢١٣.

جَمَعَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَيْنَ الدَّعَاءِ لِلْأَمْوَاتِ فِي قَوْلِهِ: «لَا دَاخِلَتَكُمْ حَسْرَةُ النَّدَامَةِ» والدَّعَاءِ لِلْأَحْيَاءِ بِالدَّعْوَةِ بِنَحْوِ قَوْلِهِ: «فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ لَا تَكُنْ بِهَيْمَةً»؛ لِأَنَّ وَظِيفَةَ الْإِنْسَانِ الْحَيِّ هَذَا الْمَذْكُورَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا أَقُولُ: إِنَّ أَهْلَ زَمَانِنَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مُرَادُّ اللَّهِ بِهِمْ خَيْرٌ؛ لِأَنَّ التَّذْكَيرَ يَتَسَرُّ لَهُمْ جَمْعُ جَمْعٍ، فَعَسَى اللَّهُ يَقْسِمُ لَنَا فِي ذَلِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمَذْكُورِينَ، آمِينَ آمِينَ. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَرْجُو أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْعُلَمَةُ^(١) هُنَا شَبَكًا يَقْتَنِصُ كُلَّ خَيْرٍ، وَ مَنْ قَصَرَ فِي الْمَعَاوَنَةِ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ يَبْتَلِيهِ اللَّهُ بِمَوْتِ الْغُرْبَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي سَعَةِ مِنَ الدُّنْيَا تَضِيقُ عَلَيْهِ بِلَادُهُ بِسَبَبِ تَقْصِيرِهِ فِي نَصْرِ شَرِيعَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحْسِنَ ظَنَّهُ فِي اللَّهِ فِي أَنْ يَهْدِيَ خَلْقَهُ، وَ فِي خَلْقِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يَهْتَدُونَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ بِالشَّقَاوَةِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى حَالَةٍ شَتِيمَةٍ — أَيْ سَيِّئَةٍ —، وَأَمَّا إِذَا عَادَ الْإِنْسَانُ فِي الْحَيَاةِ تَرْجُو الْخَيْرَ لَكَ وَلَهُ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَكْثَرُ مَا يُؤْتُونَ النَّاسَ سَلْبَ النِّعَمِ بِسَبَبِ التَّقْصِيرِ

(١) لعل المراد بالعلمة هنا: مدرسة الفتح والإمداد التي أسست في عهده رحمه الله، وهي في الركن النجدي القبلي بشبام (شمال غرب)، والعلمة هنا بمعناها الشامل: الكتاب أو المكتب، كما قدمنا.

على الشكر على نعمة الإسلام، فاشكر الله على نعمة الإسلام . كما قال عبد الله الحداد: نحمد الله على الخير الكثير . إلخ^(١).

وقد رُوِيَ أَنَّ بعضَهم قال في الموقف^(٢): «الحمد لله على نعمة الإسلام، و كفى بها من نعمة». ثم أراد في السنة الأخرى أن يقولها، فقال له ملكُ الحَسَنَات: قف! نحن من العام الأول إلى الآن ما فرغنا من كتابة ثوابِ المرة الأولى. أو كما قال، أو ما هذا معناه.



وقال رضي الله عنه: كلامُ الصالحين مثل سيدنا الحبيب عبد الله الحداد، يُلطِّفُ كثافةَ النفس، فتتأثرُ بالموعظة، وإلا صار الإنسانُ مثلَ الجَمَاد، ما شي ينفع فيه، وينبغي للإنسان، خصوصاً أنتم يا الصغار المُقبِلين التعويل على قراءة قصيدة سيدنا الحبيب عبد الله الحداد: «فيمَ الرُّكون». إلخ^(٣). حتى يجعلها كالورد يقرأها مع المَثَارِ من النوم^(٤) لحتى تقتل حِدَّةَ الحرصِ

(١) تمام البيت:

نحمد الله على الخير الكثير نعمة التوحيد والدين اليسير
وهو مطلع قصيدة للإمام الحداد، «الديوان»: ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) أي: في عرفات.

(٣) تمام البيت:

فيمَ الركونُ إلى دُنيا حقيقتها كالطيفِ في سِنَةٍ والظُلِّ من مُزْنٍ
«الديوان»: (٥٠٥-٥٠٧).

(٤) أي: عند الاستيقاظ من النوم.

من قلوبكم؛ لأن ما كَدَّ حَضْرَمُوتَ إِلَّا الحَرَصُ عَلَى الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ:

* هُمْ كَدَّرُوا عَيْشَ وَاِدِينَا*^(١)

إِلَخ. وَهَذِهِ الْخَصْلَةُ^(٢) قَدْ كَانَتْ إِلَّا فِي الْأَنْذَالِ حَتَّى صَارَتْ فِي الزَّيَّانِ وَطَارَ شَرُّهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ حِدَّةِ الْحَرَصِ وَشِدَّةِ الطَّمَعِ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَوُّوا الْمُوزْعَ^(٣). لِهَذَا الْخَيْرِ، حَتَّى تَضُمُّوَنَهُ، وَأَصْلِحُوا النِّيَّةَ فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ لِحَتَّى تَطُولَ أَعْمَارُكُمْ وَتَطْيِبَ أَوْقَاتُكُمْ، كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْحَدَّادِ^(٤):

لَقَدْ زَيَّنُّوا بِالْمَكْرُمَاتِ وَحَسَّنُوا زَمَانَهُمْ وَالَّذِينَ شَادُوا وَبَيَّنُّوا

(١) تمام البيت:

هَمْ كَدَّرُوا عَيْشَ وَاِدِينَا بِالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

«الديوان»: (٢٥٠).

(٢) أي: الحرص والطمع.

(٣) الْمُوزْعُ: سِدٌّ قَرِيبٌ مِنْ شَبَامَ، عَمِلَهُ الْأَهَالِي لِحِفْظِ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ وَالسِّيُولِ الْمَتَدَفِّقَةِ عَلَى شَبَامَ، لِنَتْنِظِيمِ تَصْرِيفِهَا إِلَى الْأَرْضِ الزَّرَاعِيَةِ. وَمَرَادُ الْحَبِيبِ هُنَا: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَقْوِي هِمَّتَهُ لِحِفْظِ مَا حَصَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَالنُّورِ، وَشَبَّهَ قَلْبَ الْإِنْسَانِ بِالْمُوزْعِ لِلتَّقْرِيبِ إِلَى الْأَفْهَامِ.

(٤) حَفِيدُ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ، تُوُفِيَ بِتَرْيَمَ سَنَةِ ١٢٠٤ هـ، وَهُوَ مِنْ شَيْوخِ الْحَبِيبِ =

إلخ؛ لأن الزمان ما يَزِينُ إِلَّا بِأَهْلِهِ، ولا يَعِفُّ إِلَّا بِأَهْلِهِ. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: أنا حَسْرَانُ لبعضِ الناسِ في عدمِ انتباهِهِم في القيامِ بالدعوةِ وَقِلِّ معاوَنَتِهِم فيها.

* * *

وقال رضي الله عنه: قال سيدنا العَيْدُرُوسُ^(١) رضي الله عنه: الكنوزُ كُلُّ الكنوزِ في عمارَةٍ ما بين المغربِ والعشاءِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: من النعمِ العظيمةِ، تصنيفُ العلماءِ الكبارِ مثلِ سيدنا الحبيبِ عبدِ اللهِ الحدّادِ، فإنهم مع استغراقِهِم باللهِ تعالى ودوامِ شهودِهِم، تفرَّغوا للتصنيفِ، وما ذلك إن شاء الله إِلَّا لِبَحْتِ مَنْ بعدهم^(٢) وحُسْنِ ظَنِّهِم في الوقتِ، ومُبَشِّرُ بأن الوقتِ عاد فيه خير، وقد قال مصنفُ «العوارفِ» السَّهْرَوَرْدِيُّ^(٣): لولا سَهْمٌ من الغفلةِ ما تفرَّغنا للتصنيفِ. أو كما قال.

= أحمد بن عمر (المتكلم)، أفرده ابنه العلامة علوي بترجمة ألحقها بترجمة جده الحسن المسماة «المواهب والمنن».

(١) هو الأكبر الملقب بسلطان المأ.

(٢) أي: لحظهم الحسن.

(٣) هو الإمام عمر بن محمد السهروردي، المتوفى سنة ٦٣٢هـ، وكتابه شهيرٌ جداً، وهو: «عوارف المعارف».

وقال رضي الله عنه: كثيراً ما يقول والدي: مَنْ عَجَزَ عن زيارة هُوْدٍ فليُزِرْ تَريمَ، وَمَنْ عَجَزَ عنها فليُزِرْ سَيِّدَنَا الحبيبَ أحمدَ بنَ زينِ الحَبشي؛ لأنه خليفةُ الخلائفِ السابقين، وفيه ما في أهلِ تَريمَ جميعهم.

وكانِ والدي يقول: إِنِّي نهارَ الحَضرة^(١) أَستَحْضِرُ كَوْنَهُ في الجَمْعِ من آخرِ الليل.



وقال رضي الله عنه: ينبغي للإنسان إن يستكثر من قول الله عز وجل:

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ [طه: ٢٥-٢٦]، ولو تسعين مرة.

وقال: مما يناسبُ قولَه تعالى: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [الأعلى: ١٧]، وعندَ قولِه: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ﴾ [الشورى: ٣٦]، وعندَ قولِه: ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ ﴾ [الجمعة: ١١]، ونحوها هذا الدعاء:

اللهم لا تحرِّمنا خيرَ ما عندَكَ لِشَرِّ ما عندَنَا.



وقال رضي الله عنه — في هذه الآية: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥] —: الدعوةُ عَمَّتْ والهدايةُ خَصَّتْ، إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿ [القصص: ٥٦]، كالأذانِ للصلاة، يدعو الجميع ولا يأتي للصلاة إلا مَنْ وَفَّقَهُ الله. والنبِيُّ ﷺ سببُ الهداية، والشيطانُ

(١) يعني حضرة الحبيب أحمد بن زين، وتُسَبِّب لجده الأعلى الحبيب أحمد بن محمد صاحب الشعب المتوفى سنة ١٠٣٨هـ، تقام في الأحد الأخير من كل شهر.

لَعَنَهُ اللَّهُ سَبَبُ الْغَوَايَةِ، وَالْهَادِي وَالْمُضِلُّ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ، هَؤُلَاءِ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْأَزَلِ فَرَضُوا عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَهَؤُلَاءِ^(٢) كَرَهُ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَتَبَّطَهُمْ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا رَاجِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّ تَمَّ هَذَا الشَّأْنُ^(٣) وَالْمُعَاوَنَةُ عَلَيْهِ، أَنْ يُكْرِمَهُمُ اللَّهُ بِوَالٍ عَدْلٍ بِبَرَكَةِ إِقْبَالِهِمْ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يَمْنَعُهُ بَخْلٌ، بَلْ هُوَ الْوَاجِدُ الْجَوَادُ الْمَاجِدُ، وَفَضْلُهُ كَبِيرٌ، وَإِنَّمَا الْمَانِعُ مِنْ جَهَنَّتِنَا كَمَا يَقَالُ: إِنَّمَا يُصَاغُ الْوَالِي مِنْ أَعْمَالِ الرَّعِيَةِ^(٤)، وَقَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ»^(٥)... إلخ. أَوْ كَمَا قَالَ سَيِّدِي.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَرَّرُوا شَمَائِلَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْمَجَالِسِ حَتَّى تَقْتَصِدُوا فِي مَعَاشِكُمْ وَتَجْلِسُوا فِي بِلَادِكُمْ. قَالَ سَيِّدُنَا

(١) أي: أهل الهداية.

(٢) أي: أهل الغواية.

(٣) أي: شأن الدعوة إلى الله.

(٤) ومنه حديث: «أعمالكم عمّالكم»، رواه الطبراني عن الحسن البصري، «كشف الخفاء» (١: ١٦٤)، وقال بعضهم: لا يصح رفعه.

(٥) من حديث أبي ذرٍّ الشهير، رواه مسلم (٢٥٧٧) في «البر والصلة»، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٠).

العِيدَرُوسُ أَبُو بَكْرٍ الْعَدْنِيُّ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَضَى الْعَمْرُ فِي غُرْبَةٍ لَا طَاعَةَ وَلَا قُرْبَةَ

عَسَى اللَّهُ يَكْثُرَ الْمَذْكُرِينَ وَيَكْبُرَهُمْ^(٢)؛ لَأَنَّهُمْ مُصَادِمُونَ ظُلْمَةَ الْجَهْلِ،
إِنْ مَا كَبُرَ حَالُهُمْ مَا صَادَمُوهَا؛ لَأَنَّهُ شَدِيدَةٌ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اعْتَنُوا بِأَهْلِكُمْ وَعَلِّمُوهُمْ ، يُمْتَعِكُمُ اللَّهُ وَتُرْزَقُوا
فِي بِلَادِكُمْ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ
نَرْزُقُكَ ﴾ [طه: ١٣٢] ، فَمَا سَبَبُ الْغُرْبَةِ إِلَّا قُلُّ الْمُبَالَاةِ بِأَوَامِرِ اللَّهِ مِنْ تَعْلِيمِ
الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ ، عَاقِبَهُمُ اللَّهُ بِالْغُرْبَةِ .

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ سَيِّدُنَا عَمْرُ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ شَبَامَ
وَالْغُرْفَةَ أَيَّامَ سَيِّدِنَا الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ [كَانَتَا] فِي زَهْوٍ عَظِيمٍ وَانْتِعَاشٍ ،
حَتَّى كَانَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ بْنُ زَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَطْلُعُ^(٤) إِلَى شَبَامَ مَرَّتَيْنِ فِي

(١) هو الإمام أبو بكر بن عبد الله العیدروس، ولد بتریم سنة ٨٥١هـ، وتوفي بعدن سنة ٩١٤هـ. أفرده بالترجمة العلامة محمد بن عمر بحرق.

(٢) أي: يكبر أحوالهم ويعظمهم في أعين غيرهم من المدعوين.

(٣) هو الحبيب عمر بن زين والد المتكلم.

(٤) أي: يقدم من الحوطة إلى شبام.

الأسبوع، ويتفق مجلس من الشرق إلى صفور الشمس^(١). قال سيدنا عمر: ولا ندري إن نحن بلا غداء حتى نبذل^(٢) سيدنا إلى قريته، والمجلس كله مُذاكرة، حتى المُباخِرة^(٣) ماشي، من جاء يجلس، لأن الغالب على سيدنا أحمد التوحش^(٤)، ولولا العلم لما انبسط للناس.

قال شيخه الحبيب عبد الله الحداد في وصفه في بعض مكاتباته لتلاميذه مثل: سيدنا عمر البار^(٥) ومحمد بن ياسين^(٦)، يستحثهم في القيام والدعوة: انظروا إلى السيد أحمد بن زين، نبش الناس من قبورهم^(٧).



وقال سيدنا رضي الله عنه: كان^(٨) إذا استقلت^(٩) الشمس ركب

(١) أي: يُعقد مجلس علم من شروق الشمس إلى غروبها.

(٢) أي: نركبه على المركوب حال توديعنا له.

(٣) المُباخِرة: كالمباسة وزناً ومعنى تطلق على سؤال الرجل لأخيه عن حاله وما إلى ذلك!

(٤) أي: حب الانعزال عن الناس والانقباض عنهم، لأنسه بربه في خلوته.

(٥) هو عمر الكبير، المتوفى سنة ١١٥٨هـ.

(٦) هو باقيس، المتوفى سنة ١١٨٣هـ.

(٧) شبهه بذلك، لأن الله أحيأ به بشراً كثيراً وهدى به خلقاً جماً.

(٨) أي: الحبيب أحمد بن زين.

(٩) أي: صارت في كبد السماء.

حماره؛ لأن الشمس حينئذ في قبة السماء يبعد حرّها، ويرحل إلى جوجه أو جعيمه أو خمور أو حذيه^(١)، يدعوهم إلى الله بالقول والفعل، وبنى لهم بها مساجد نحو سبعة عشر^(٢)، عسى بهمته وهمّة الزيان تحصل نفحة؛ لأن لهم عناية بالجهة؛ أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: اشكروا الله على كونكم من أمة محمد نبيّاً صلى الله عليه وسلم، فهو النعمة العظيمة، وليس الشكر قول: الحمد لله فقط، بل علامة الشكر المعاونة على البرّ والتقوى وعلى نشر شريعته وعلى الدعوة، هذه علامته؛ لأن لكلّ دعوى بيّنة، وهذه بيّنة الشكر. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: من دعوات سيدنا الحبيب عبد الله الحداد هذه الدعوة:

اللهمّ إنّنا نسألك حسن المعاد، وحسن المُنْقَلَب. فأكثروا من هذه الدعوة.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان الوالد كثيراً ما يقول: الله يكثر المذكرين.

(١) هذه أسماء قرى ومواضع بأعلى حضرموت، قرية من شبام، ينظر لمعرفة كتاب: «إدام القوت» للسقاف.

(٢) ينظر للمزيد: «قرة العين» للحبيب محمد بن زين.

ويقول: قَلُّوا المذكورون، وإن حَدَّ ذَكَرَ مَا جَاءَوه — يشير إلى نفسه — لأنَّ ما سبَّب الغفلة إِلَّا قَلَّةُ المذكورين.

* * *

وقال رضي الله عنه: مِنْ دَعَوَاتِ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ^(١) [السكران]:

اللَّهُمَّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ، وَارْحَمْ قَلْبِي الْمُنْكَسِرَ. قولوها إذا رأيْتُم منكرًا لَا تَقْدِرُونَ عَلَى إِزَالَتِهِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: احْفَظُوا مِنْ كَلَامِ الزَّيَّانِ يَنْفَعُكُمْ، فَقَدْ رُويَ عَنْ بَعْضِ الْمُتَنَسِّبِينَ إِلَى سَيِّدِنَا الْعَيْدَرُوسِ^(٢) أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ، وَكَانَ يَحْفَظُ الْقَصِيدَةَ الَّتِي أَوْلَهَا: (بِسْمِ اللَّهِ مَوْلَانَا ابْتَدِينَا)... إلخ، رَأَاهُ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ تَنَازَعَ فِيهِ مَلَكَا الْقَبْرِ، أَحَدُهُمَا يَرِيدُ تَعْذِيْبَهُ فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ: خَلِّهِ! إِنَّهُ يَحْفَظُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ، أَعْنِي الْمَذْكُورَةَ. فَقَالَ لَهُ: لَكِنَّهُ يَغَيِّرُهَا. فَقَالَ لَهُ: لَكِنَّهُ يَقِيْمُ هَذَا الْبَيْتَ بِلَا تَغْيِيرٍ، وَهُوَ:

وَذَكَرُ الْعَيْدَرُوسِ الْقُطْبِ أَجْلَى عَنِ الْقَلْبِ الصِّدَا لِلصَّادِقِينَا

وَلَمَّا ذَاكَرَ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللَّهِ الْحَدَّادَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ نَكُونَ كَذَلِكَ لِأَصْحَابِنَا. أَوْ كَمَا قَالَ.

(١) ولد الشيخ علي بتريم سنة ٨١٩ هـ، وتوفي بها سنة ٨٩١ هـ.

(٢) هو العدني؛ لأن القصيدة المشار إليها هي له لا لوالده.

وقال رضي الله عنه: التثْقِيلُ فِي الْمَعَاشِ يُخَرِّبُ ثُمَّ يَغْرِبُ.

* * *

وقال رضي الله عنه: الْكُمْلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَقْصُرُ أَعْمَارُهُمْ وَيَمُوتُونَ قَتْلَى فِي مَحَبَةِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْحَرَصِ الشَّدِيدِ فِي الدُّنْيَا: تَقْصُرُ أَعْمَارُهُمْ وَيَمُوتُونَ قَتْلَى الدُّنْيَا، وَمَنْ كُمَلَ عَقْلُهُ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، كَحَاتِمِ طَيٍّ^(١) وَنَحْوِهِ، وَلَكِنْ قَصُرَ عَلَيْهِمُ النُّورُ بِسَبَبِ عَدَمِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الدَّعْوَةَ مَا بَلَغَتْهُ، وَأَصْلُ الزُّهْدِ: تَهْوِينُ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: وَصُولُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ بِشَيْئَيْنِ: الْفَكْرُ، وَالذِّكْرُ؛ فَإِذَا دَاوَمَ عَلَيْهِمَا حَصَلَ الْمَقْصُودُ.

* * *

وقال رضي الله عنه: تَكْثُرُ الْغَفْلَةُ بِمَجَالَسَةِ الْغَافِلِينَ:

وَمَا يَنْفَعُ الْجَرْبَاءَ قُرْبُ سَلِيمَةٍ إِلَيْهَا وَلَكِنَّ السَّلِيمَةَ تَجْرُبُ
كَيْفَ تَفِرُّ مِنَ الْمَجْذُومِ وَلَا تَفِرُّ مِنْ مَجَالِسِ الْغَفْلَةِ، وَلَكِنْ أَيْنَ

(١) هُوَ مَنْعَالُ الْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ، حَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي الْقُحْطَانِي، شَاعِرٌ جَوَادٌ فَارَسٌ جَاهِلِيٌّ، تُوْفِيَ سَنَةٌ ٣٤ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، أَيْ: سَنَةٌ ٨ مِنْ مَوْلَدِ النَّبِيِّ ﷺ.

البصائر؟! ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، أما الدنيا فقهاء فيها، ونعلم مضارها من مصالحها.

وقال رضي الله عنه: أشرف الأوراد: الفكرة^(١).

* * *

وقال رضي الله عنه: مُذاكرة في الحديث، عن النبي ﷺ: «يَبْعَثُ اللَّهُ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا»^(٢)... (إلخ)، قال رضي الله عنه فيمن خَلَّفَ مَالاً لأَوْلَادِهِ فَتَزَلَّتْ بِهِمُ الْفَاقَةُ: هذا من باب قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْكُمُ﴾ [فصلت: ٢٣]، أساء ظنّه في ربّه فعاقبه في أولاده، وفي الذي وثق لأولاده بطول الله.

(١) الفكرة؛ أي: التفكير والفكر في آلاء الله.

(٢) لعل المراد حديث: «يَبْعَثُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِهِ كَانَا عَلَى سِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، أَحَدُهُمَا مَقْتُورٌ عَلَيْهِ، وَالْآخَرُ مَوْسَعٌ عَلَيْهِ، فَيُقْبَلُ الْمَقْتُورُ إِلَى الْجَنَّةِ لَا يَنْتَنِي عَنْهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى أَبْوَابِهَا، فَيَقُولُ لَهُ حَاجَتُهَا: إِلَيْكَ! فَيَقُولُ: إِذَا لَا أَرْجِعُ؛ وَسِيفُهُ فِي عُنُقِهِ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُعْطِيتُ هَذَا السِّيفَ فِي الدُّنْيَا أُجَاهِدُ بِهِ، فَلَمْ أَزَلْ مُجَاهِدًا بِهِ حَتَّى قُبِضْتُ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ، فَيُرْمَى بِسِيفِهِ إِلَى الْخَزَنَةِ وَيَنْطَلِقُ، لَا يَشْتُونَهُ وَلَا يَحْبُسُونَهُ عَنِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا، فَيَمْكُثُ فِيهَا دَهْرًا.

قال: ثم يمرّ به ليتحقق الموسّع عليه، فيقول له: يا فلان! ما حبسك؟ فيقول: ما خلّني سبيلي إلى الآن، ولقد حُبِسْتُ ما لو أنّ ثلاثمائة بعير لا يردن الماء إلا خمسا ورددن على عرقِي لصدرن منه رِيًّا. أخرج ابن المبارك في «الزهد» برقم (٥٥٦).

كما يُروى عن سيدنا عمر بن عبد العزيز، قيل له: ما خلّفت شيئاً لأولادك؟ فقال: أولادي أحدُ رجُلَيْنِ إمّا صالحون فالله يتولى الصالحين، وإمّا عاصون فلا أُخلفُ لهم مالا يعصون الله به.

ويُروى أنه لم يُخلفُ لهم شيئاً، فما مضت سنة بعد موته إلا وحملَ بعضُ أولاده على ألفِ فرسٍ في سبيلِ الله، وتوفيَ غيره من الملوكِ وخلفَ مالا كثيراً اقتسمه أولاده، فما مضت سنة إلا وبعضُ أولاده يسألُ على الأبواب!

* * *

وقال رضي الله عنه: أهلُ الاستقامة تحصلُ لهم بشارَةٌ عند الموت، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، أي: مما أمامكم من أهوالِ الآخرة، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: على ما خلّفتُموه من أولاد. حصلَ لهم الأمانُ مما يُقدِّمون عليه ومما خلّفوه. ﴿تَحَنُّنْ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١]، اللهم ارزُقنا الاستقامة، آمين.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان سيّدنا عبدُ الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كثيرَ المتابعةِ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، حتى أنه يُبرِّكُ راحلته في مَبْرَكِ راحلته عليه السلام. وكان يتصدَّقُ بكلِّ ما يُعجبه، يتأوَّلُ هذه الآية ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، حتى أن عبده يتنسَّكون لأجلِ العتق، فمَن رآه منهم على هيئةِ النُّسكِ اعتقه. فقليل له:

إنهم يخذعونك بالنسك لأجل العتق. قال: مَنْ خَدَعَنَا فِي اللَّهِ انْخَدَعْنَا لَهُ. حتى أَنَّ عَبْدَهُ سَيِّدُنَا نَافِعًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَلَغَتْ قِيَمَتُهُ مِئْلَةً كَثِيرًا نَحْوَ عَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ، فَقَالَ: كَيْفَ؟ قَدْ هَذِهِ قِيَمَةُ نَافِعٍ! هُوَ حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ. فَكَانَ سَيِّدُنَا نَافِعٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَيْخَ الْإِمَامِ مَالِكٍ، وَمَالِكُ شَيْخِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، حَتَّى أَنْ إِسْنَادَ «الْمَوْطَأَ» عَنْ مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَلَامُ الصَّالِحِينَ يُضْعِفُ الْوَهْمَ^(١). كَانَ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ عَمْرٌ يَقُولُ: كَلَامُ الصَّالِحِينَ مِثْلُ الْحَيْثَةِ^(٢)، حَيْثُ نَفْسُكَ بِكَلَامِهِمْ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ: إِنَّ الْمَسَافِرَ لَعَلَى قَلْتٍ^(٣) إِلَّا مَا وَقَى اللَّهُ. فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَحَفَّظَ لِدِينِهِ؛ لِأَنَّهُ مَا يَدْرِي مَاذَا يَعْرِضُ لَهُ.

(١) أي: الوهم الناشئ من النفس والخيالات الفاسدة نتيجة قلة العلم أو الارتباط بالصالحين.

(٢) الحَيْثَةُ: الحفرة التي تُحْفَرُ حِوَالِي جذع الشجرة (النخلة)، وتجهَّز لحفظ ماء السيل عند مروره عليها فتتففع به.

(٣) جاء في هامش النسخة الشبامية: «قوله: قَلْتٍ، بفتح القاف واللام، أي: على هلاك». اهـ.

والقلت: أماكن جبليةً يتجمع فيها ماء المطر ويسيل منها إلى الأرض، ويسمى الواحد منها قَلْتٌ، هذا هو التعريف الصحيح للقلْتِ، والله أعلم.

وقال رضي الله عنه: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَلْيَتْرِكِ الْفَضُولَ^(١).
والفضُول هو ليس في الكلام فقط، بل في الملبس والمأكَلِ والفراشِ وغير ذلك. وقد يكون فَضُولٌ في حَقِّك وفي حقِّ غيرك، لا مثل الصالحينَ والأكابرِ يصلحُ لهم وأنت لا، كما قال الإمام الغزالي: لا تُشَبِّهِ الحدَّادينَ، أي: الذين على أبوابِ الملوك، بالملائكة، وهم الذين على أبوابِ السماء، ولا يصحُّ لك الاقتداءُ بالكبارِ إلَّا في الذي أَدِنُوا لك فيه.

وَمِنَ الْفَضُولِ: هذه القهوة، فينبغي تركُها. قال بعضُ السلف: قَدِّمُوا هذا الْفَضُولَ أَمَامَكُمْ^(٢) وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الشَّيْخَ عَلِيَّ بْنَ عَمْرِو الشَّاذَلِيِّ^(٣) شَرِبَهَا وهو قدوة! نقول له: وسيدنا الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ^(٤) ما شَرِبَهَا وكفى به قدوةً.

وكان حالُ سيدنا عليٍّ المذكورِ التغافل، حتَّى أَنْ مِنْ تَغَاْفُلِهِ عَدَمَ شُرْبِهِ الْقَهْوَةَ، كَأَنَّهُ كُشِفَ لَهُ الْحَالُ الَّذِي نُقَاسِيهِ مِنَ الْأَثْقَالِ فِي الْقَهْوَةِ، وكانت سبباً لتضييعِ الأعمار.

وَالنَّفُوسُ تَعْلُقُهَا بِالْتَّرَكِ أَكْثَرُ مِنَ الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّ التَّرِكَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى

(١) الْفَضُولُ: التَّدْخُلُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي لَا يَعْنِي، وَهُوَ بَضْمُ الْفَاءِ فِي الْفَصْحَى، وَفِي الدَّارِجَةِ الْحَضْرَمِيَّةِ بَفَتْحِهَا.

(٢) كَأَنَّهُا عِبَارَةٌ تَوْبِيخُ!

(٣) الْمَتَوَفَّى بَيْنْدَر (الْمَخَا) سَنَةَ ٨٢١ هـ، كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ بَنْتِ الْمِيلَقِ، صَحْبِهِ بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ، وَأَخَذَ عَنْهُ طَرِيقَ الشَّاذَلِيَّةِ.

(٤) هُوَ السَّكْرَانُ، تَقْدِمُ.

نية، والأفعال تحتاج إلى نية، «إنما الأعمال بالنيات»^(١)، وقال الله تعالى: ﴿فَأَنفِقُوا لِمَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، يعني في الأوامر، وقال: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَئِمَّةِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، يعني في التَّرك، أو كما قال.



ولم يشرب القهوة سيدنا الحبيب عليُّ بن أبي بكر، فقليل له: لَمْ ؟ فقال: قال عليه الصلاة والسلام: «نِعَمَ الإِدَامُ الْخَلَّ»^(٢)، وقيل: إنه غَمَسَ السَّوَاكَ فِي الْفُنُجَانِ وَمَصَّهُ، لأن طريقتَه الحَزْمَ، ولأنه قدوة. وقد قال سيدنا عليُّ ابن أبي طالب: إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ عَلَى أَيْمَةِ الْهَدَى أَنْ يَسِيرُوا بِسِيرِ الْأَدْنَى. يعني في المعاش، أن يكونوا في حال أدنى الناس. أو كما قال. وقال رضي الله عنه: تَزَوَّدُوا لِيَوْمِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، فَإِنَّكُمْ مُقْبِلُونَ عَلَيْهِ.

وقال رضي الله عنه: ينوي الإنسان بقوله رضي الله عنه وعفا عنا وعنكم وعن جميع المسلمين^(٣): العفو عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ والدعاء له مَا عَاشَ وَلَوْ أَلْفَ عَامٍ، حَتَّى يُثْبِتَهُ اللَّهُ عَلَى نِيَّتِهِ الصَّالِحَةِ كَمَا أَثَابَ صَاحِبَ كُثْبَانَ الرَّمْلِ حِينَ نَوَى: لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الرَّمْلُ مِنْ طَعَامٍ لَتَصَدَّقْتُ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ

(١) من الحديث الصحيح المتفق عليه.

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٠٥١).

(٣) لعله يقصد القارئ الذي يقرأ عند الشيوخ، لأنه جرت العادة عند علماء حضرموت أنهم إذا أرادوا القراءة في شيء من كتب العلم أن يقدموا هذه العبارة عند افتتاح القراءة، ويقولون بعد البسملة والحمد والصلاة: قال الشيخ المصنف رحمه الله تعالى ورضي الله عنكم، أو كما قال الحبيب هنا، والله أعلم.

في وقتِ مجاعة، وكان الرجلُ من بني إسرائيل، فلَمَّا عَلِمَ اللهُ صِدْقَ نَبِيِّهِ أوحى إلى نبيِّ ذلك الزمان: أَنْ قُلْ لِفُلَانٍ: قد قَبِلَ اللهُ صِدْقَكَ، القِصَّةُ، وهي مشهورة، لأن أعمارَ الأُمّةِ المحمّدية قصيرة، وكم بايفعلون في مُدَّتِها، وإنما تتضاعفُ الأعمالُ بالنياتِ الصالحة، ولذلك وقَعَتِ النيةُ الصالحة ثمرتها الخلود في الجنة، الذي لا يعبرُ عنه بمقال.

* * *

وقال رضي الله عنه ونَفَعَ به: ينبغي مع ترتيبِ كلِّ فاتحةٍ أن يقال: إِنَّ اللهَ يَسْخَرُ واليًّا عَدْلًا لحضرموت، لأنه ما يتمُّ الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ وجميعِ الخِصالِ إلّا بالوالي على ما فيه^(١).

كما قال سيدنا عمرو بنُ العاص: والي غشوم، خيرٌ من فتنةٍ تدوم. وإلّا ترجع عُرى الإسلام تنحلُّ عُروَةُ عروة، والأملُ في الله كبير وفضله واسع، ولا بايجي لنا مثل عمر بن عبد العزيز، لكن يقع مناسب الحال.

ونوصيكم، كلُّ من جالسَ جُندياً يجعل مذكراته في هذا الشأن، ويُعَلِّمُهُ بأنهم ما هم على شيءٍ ولا معهم حياة، والحالة هذه، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وينوي الإنسان ذلك ويقوِّي همته، فإنَّ مَنْ الله عليه بذلك المراد، وإلّا يكون تبرّياً من فعلِ المنكرات، حتى الصغارُ علّقوا هَمَمَهُم بذلك وعَلِّمُوهم هذين البيتين،

(١) سيتكرر في هذا المجموع مثل هذه العبارة وذلك أن حضرموت في ذلك الوقت كانت تعيش اضطراباً سياسياً كبيراً كما قدّمنا في المقدمة.

وهما لسيدنا عبد الله بن المبارك ذكّرهما الإمام بَحْرُق^(١) في كتاب «الشاهية»^(٢) وهما:

الله يدفعُ بالسلطانِ معضلةً عن ديننا، وبه إصلاحُ دنيانا
لولا السلاطينُ لم تأمنَ لنا سُبُلٌ وصارَ أضعفُنا نهباً لأقوانا

وكذلك هذا البيت، ذكّره في «شرح دعاء أبي حربة»^(٣):

لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سراةَ لهم ولا سراةٌ إذا جهّالهم سادوا
وقد أبدلَ قافيتَه سيّدنا^(٤) بقوله: «إذا الجهالُ سادونا»، فيه معنى الآية:
﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] أو كما قال.

* * *

(١) هو الإمام الشهير محمد بن عمر بحرق، ولد بالشحر، وتوفي بالهند سنة ٩٣٠هـ، سيأتي له ذكر كثير في هذا الكتاب.

(٢) هو كتابه في السيرة النبوية، واسمه الكامل «تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية»، ويعرف أيضاً باسم: «حدايق الأنوار في سيرة النبي المختار»، وقد طبع.

(٣) شرح دعاء أبي حربة هو للعلامة المحدث السيد حسين بن عبد الرحمن الأهدل، المتوفى سنة ٨٥٥هـ، مؤلف كتاب «تحفة الزمن في تاريخ اليمن»، معروف ومشهور. واسم شرحه: «رفع الكربة عن دعاء أبي حربة»، وهذا الدعاء يقرأ عند ختم القرآن الكريم وهو ذائع ومتداول.

(٤) هذا كلام جامع الكتاب.

وقال رضي الله عنه: إذا دعوت فخصّ المسلمين بالدعاء، وأتو أنك لا تدخل في الدعاء إلا مع غيرك، فهذا تلحق بالأبدال، وعمّم في الدعاء بنحو: «وجميع المسلمين وأولادهم». كما في قوله: «إلهي، بحقّ الحسّن وأخيه، وأُمّه وأبيه، وجَدّه، وبنِيهم». فإنه عمّم بذلك كما نحفظه، حتّى يدخل جميع أولاد آدم إلا المشركين^(١). أو كما قال.

ومن يريدُ المعاونة على البرّ والتقوى يُقدّر أن الذي يعاون فيه آخرُ حسنةٍ يعملها قبل الموت، حتّى يسهلَ عليه، فربما تموت وأنت من معاونين على البرّ والتقوى.

وإذا أردت أن تحضّر مجلساً فاعرضه على قول الله عزّ وجل: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ لِصَلَحٍ بِتَرَبُّسٍ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وعلى قوله عليه الصّلاة والسّلام: «كلُّ كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمراً بمعروفٍ أو نهياً عن منكر، أو ذكر الله تعالى»^(٢) فإن رأيت نفسك اتعظت بهذه الآية وهذا الحديث، وعرفت أن المجلس لا يحتوي على شيء مما ذكر فلا تحضره، وعذرُك بيّن.

(١) لأنه ينري بقوله: «وأمه»: أمهات المؤمنين على العموم، «وأبيه» الإمام علي بن أبي طالب، وهو ولي المؤمنين وسيد المسلمين، وجده سيد المرسلين محمداً ﷺ، وهو أب لجميع المسلمين، يؤيده ما جاء في قراءة شاذة تنسب إلى ابن مسعود: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبّ لهم».

(٢) الترمذى (٢٤١٤)، ابن ماجه (٣٩٧٤) والأذكار (٨٨٩).

يكفي اللبيب كتابُ اللهِ مَوْعِظَةً كما أتى في حديثِ السيدِ الحَسَنِ^(١)
والكاملُ يَقْبَلُ التَّكْمِيلَ، والناقصُ لا يَقْبَلُ التَّكْمِيلَ، لأنَّه مِثْلُ الوَعَاءِ
المَخْرُوقِ، لا يُمَسِّكُ شَيْئاً.

ولا تَكُنْ مِثْلَ أَهْلِ الزَّمانِ، فإنَّهم مُغْرِبُونَ عَنِ الْحَقِّ، فيهِمْ قَوْلُ النَّبِيِّ
ﷺ: «بَدَأَ الدِّينُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ»^(٢).



وقال رضي الله عنه: ينبغي التخلُّقُ والمعاملةُ مع الخلقِ بما تحبُّ أن
يعاملكَ اللهُ به من العفوِ عنهم، وإنفاقِ الفضلِ عليهم، لحتى يكونَ لك
الجزاءُ من جنسِ العملِ، وهذا أَفْضَلُ المعاملةِ، والنيةُ الصالحةُ إكسِيرُ
المعاملةِ، كما أن الإكسِيرَ المعروف يَقلِبُ الأعيانَ، وإنما يُحَفَظُ المرءُ
بقدْرِ نيتهِ، ولا تَظْهَرُ البركةُ في الذريةِ وغيرها إلَّا بالنيةِ الصالحةِ من آبائهم،
فانوؤوا في أولادِكُم تفرِّغْهُم لطلبِ العلمِ، فقد كان الحبيبُ حسينُ بن طاهرٍ
ابنِ هاشمٍ^(٣) رضي الله عنه يسافرُ بنفسِه إلى جَاوَةٍ نحوَ ثلاثِ مرَّاتٍ، وخلقى
أولادَه متفرِّغين لطلبِ العلمِ حتى صاروا الآنَ أعيانَ أوقاتِهِم^(٤) أو كما قال.

(١) من قصيدة الإمام الحداد: «فيم الركون»... إلخ، قدمنا ذكرها.

(٢) رواه مسلمٌ في «صحيحه» (١٤٥)، وهو عنده بلفظ «بدأ الإسلام» من حديث أبي هريرة.

(٣) كان سيداً فاضلاً، توفي بالمسيلة في ١٢ رجب ١٢٢٠هـ، ودفن بتريم، مات وعمره نحو (٧٠) عاماً.

(٤) ومن أولاده: الإمامان طاهر بن حسين، وعبد الله بن حسين، كلاهما أشهر من =

وقال رضي الله عنه ونفع به: النفوس تنقسم قسمين: إلى كريمة، ولئيمة، فالكريمة تقاد بالترغيب، واللئيمة بالترهيب، الكريمة بالعطا واللين، واللئيمة بالعصا والضرب. أو كما قال.

وينبغي للإنسان أن يقول كل يوم: الحمد لله الذي وهب لنا هذا اليوم، لأنه ما يدري ربما يعرض له الموت فجأةً وإلا المرض، وإذا مَرَضَ لم يقدر على فعل الخير، فينبغي المغانمة للخير لحتى تكون الخاتمة بخير. فقد روي^(١) أن الملك عند النوم يقول: اختتم بخير، والشيطان يقول: اختتم بشرّ وكذلك خاتمة العمر.

وقال رضي الله عنه: كان سيدنا الحبيب عمر رضي الله عنه يقول: مات مَنْ يُسْتَحْيَا منه، يعني الحبيب علوي بن أحمد بن زين الحبشي^(٢)، فقد كانوا أهل شبام يهابونه جمّ، وأموره ألا من حيث الباطن بسبب الولاية^(٣) ومن بعد ما مات قُصِرَتْ جم أشياء في الدين، حتى أن سيدنا الحسن

= نار على علم. ومنهم والدّة الإمام مفتي حضرموت عبد الله بن عمر بن يحيى، كانت من أهل العلم والصلاح.

(١) في الحديث الذي أخرجه ابن السني (٧١٩)، وأورده النووي في «الأذكار» (٢٤٢)، وينظر: «مجمع الزوائد» (١٠: ١٢٣).

(٢) توفي رحمه الله بشبام سنة ١١٨٣ هـ تقريباً، تنظر ترجمته في «المواهب والمنن» للعلامة علوي بن أحمد بن حسن الحداد (مخطوط).

(٣) أي: أن أموره وأحواله كانت بالنية لغلبة الولاية والصلاح عليه، فألقى الله في قلوب الناس هيئته.

الحدّاد^(١) في أيام حَضَرِ السُّلْطَانِ رَأَى سَيِّدَنَا الْحَبِيبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيٍّ
الحدّادَ يَقُولُ: قُلْ لِلْسَيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ سُمَيْطٍ^(٢) يُذَكِّرُ بِخَصْلَتَيْنِ: الْحَيَاءِ،
وَصَلَةِ الرَّحْمِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَعْتِنَاءِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بِالْبِلَادِ^(٣) وَقَدْ قِيلَ:

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا كَرِيمًا وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ
وَمَا فِي أَنْ يَعِيشَ الْمَرْءُ خَيْرٌ إِذَا مَا الْمَرْءُ فَارَقَهُ الْحَيَاءُ

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْاِقْتِصَادُ مَعَ الْغِنَى أَفْضَلُ مِنْهُ مَعَ الْفَقْرِ^(٤)، لِأَنَّ
الْأَوَّلَ اخْتِيَارَ، وَالثَّانِي اضْطِرَارَ، وَإِذَا مَا عَرَفْتَ الْاِقْتِصَادَ آيَشُ هُوَ! فَاسْأَلْ
عَنْ سِيرَةِ السَّلَفِ فَهُوَ فِيهَا ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، لِأَنَّهُمْ تَخَلَّقُوا بِالْقُرْآنِ.
«وَاقْتَدُ هَذَاكَ اللَّهُ بِالْأَسْلَافِ»^(٥).

(١) ابن الإمام عبد الله الحداد، توفي بتريم سنة ١١٨٨ هـ، أفردته بالترجمة حفيده
السيد العلامة علوي بكتاب سماه «المواهب والمنن».

(٢) هو الحبيب عبد الرحمن بن محمد بن زين ابن سميط، توفي بشبام سنة ٢٢٣ هـ.

(٣) يعني بها شبام حرسها الله، وهو من أسمائها المعروفة عند أهل جهتها، وكان
الإمام الحداد يقول: شبام عمامة على رأسي.

(٤) هذا الأمر يتبع الكلام حول مسألة تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر أو
العكس، وللعلماء في ذلك خلاف وتفصيل ليس هذا محله.

(٥) جزء من بيت للإمام الحداد تمامه:

وَاتَّبَعْتُ كِتَابَ اللَّهِ وَالزَّمَّ سُنَّةَ وَاقْتَدُ هَذَاكَ اللَّهُ بِالْأَسْلَافِ

«الديوان» (٣٧٥).

وقال رضي الله عنه: علموا أهلكم وأولادكم، ومروهم بالشرائع وهم صغار، لحتى تنطرح الطمأنينة بالرزق في قلوبهم، ويشقوا بالله في ضمانه في قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وإلا — والعياذُ بالله — تضيقُ عليكم بلادكم، وتتهيا لكم الأسفارُ إلى البُعد، الذي معكم، وهي إلا عقوبة واتباع للشيطان، كما قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].



وقال رضي الله عنه ونفع به: الإشارةُ الكبيرةُ عندنا تصنيفُ سيدنا الحبيب عبد الله الحدّاد، فإنه ما صنّف كتبه واشتغلَ بذلك في عمره، الذي هو أعزُّ عليه من الدرر واليوافيت، إلا وهو رأى شيئاً في الوقت، إن شاء الله، عسى الله يوفق لنشر كتبه ودعوته، لأنها معاد تحتاج إلى شيخ بغت إلا قراءة وعمل.

ونقول: إن في وقتنا هذا قد استفتوت فيه العقيدة^(١) وعظم شأنه، لأنها قد بعدت شمسُه ومال الذي يُغزّر^(٢)، وإلا فقد كان في وقته ناس ما يعرفونه وهم في تريم.

(١) أي: صار اعتقاد الناس في صحة دعوته وسلامتها عن الشوائب لأنها نقية خالصة لوجه الله تعالى، لا فيها مراء ولا جدال ولا مظاهر.

(٢) بعدت شمسُه: أي طار صيته وانتشر، وعظم وقعه واشتهر، والذي يغزّر: إشارة إلى أهل التعويق ممن كانوا يعارضون دعوة الإمام رحمه الله في حياته.

كما حُكي أن محمد لَعَجَمَ يَقْصِدُ عِنْدَ رَجُلٍ حَظَّاي^(١) إذا جاءَ إلى تريم، ففي بعضِ الأوقاتِ جاءَ إلى عندهِ وقال: أَسْرِعُوا بالقهوةِ باندرك صلاةَ الظهرِ معَ الحبيبِ عبدِ الله. قال له الرجل: أنتم يا آلَ عَلَوَيْ^(٢) لكم عقيدة في الحبيب! ويقولون: إنه أعمى، هو صدق؟ فقال له محمدُ المذكور: كيف وأنت ما تعرفه؟ لا عاذُ يجمَعُني مجلس وإياك. أو كما قال.

وقال رضيَ الله عنه: من طَلَبَ الراحةَ في الدنيا فهو مغرور، لأنه طلب شيئاً ما يكون، كما قال بعضهم:

تَطْلُبُ الراحةَ في دارِ الفَناءِ خابَ مَنْ يَطْلُبُ شيئاً لا يكونُ

وكما قال بعضهم: مَنْ طلبَ ما لا يُخلَقُ أتعبَ نفسه ولم يُرزَقْ، يعني طالبَ الراحةِ في الدنيا.



وقال رضيَ الله عنه: إن سيدنا الحبيبَ عبدَ الله الحدادَ جاءَ إلى عيناتٍ لزيارةِ الحبيبِ مُحسنِ بنِ حسينِ بنِ الشيخِ أبي بكرِ بنِ سالم^(٣)، فلما اتفق

(١) الحَظَّاي: الذي يحظي الكتب، أي: مجلِّد الكُتُب.

(٢) عَلَوَيْ: أعالي وادي حضرموت، من شبام إلى نواحي القطن وما بعدها، يقابلها: حَدَزَى، أسفل وادي حضرموت، ما نزل عن شبام إلى جهة الشرق، فسيئون فتريم إلى قبر نبي الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

(٣) توفي ب (عينات) سنة ١٠٧٨هـ. وإليه ينسب سحيل محسن الذي بتاربة، ينظر «إدام القوت» بتحقيقنا.

وهو جد السادة آل الهدّار قاطبة، وللشيخ العلامة عبد الله بن أبي بكر قدرى باشعبيّ مرثاةٌ فيه. ينظر: مقدمة «البلابل الصادحة».

به قال له السيدُ مُحسن: يقولون: إنك فعلتَ تصانيفَ وقصائد، كأنك بغيت مثل الشيخ أبي بكر! فقال له سيدنا عبدُ الله: وَمَنْ الذي أعطى الشيخَ أبا بكر؟ قال: الله. قال له: وما خزائنه مَلَانةَ وفضله واسع ودائِم؟! قال له السيدُ محسن: صدقت، يُعطيك مثله وزايد. ومعه قَرْنُ زَبَادٍ^(١) بقي يُلَطِّخُ به سيدنا عبدُ الله مُدَّةَ المَجْلِسِ^(٢) وهو يكرّر: يعطيك وزايد.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الدنيا سبيلُ مسلوك ومتاعُ متروك، والحريصُ كسبه لغيره، فإن كان الغيرُ موفّقاً سَعِدَ به، وإلا شقيَ به والعياذُ بالله تعالى.

* * *

وقال رضيَ الله عنه ونفعَ به: في هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] تَطْمِينٌ للنفوس، لأنه أكّده بأنّ، وفي: ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ مبالغة، لأنه لم يقل: (الرازق)، زيادةً في طمأنينة النفس عند اضطرابها: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ فَمَنْ كان رازقه قوياً يُبَشِّرُ بكلّ خير، عليه ألا يبقى منتظراً لنواله ومدّده.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مَنْ حُسِنَ ظَنُّهُ كَبُرَتْ هِمَّتُهُ، وَمَنْ سَاءَ ظَنُّهُ ضَعُفَتْ هِمَّتُهُ ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣].

(١) أي: ونعاء فيه زباد، والزباد: طيب معروف.

(٢) لما حصل معه من الذهول.

وقال رضي الله عنه: الاهتمامُ بأمورِ الآخرةِ فضيلةٌ، والهمُّ بأمورِ الدنيا رذيلةٌ.

وفي سنة ١٢١٩هـ توفي السلطانُ جعفر^(١) ضَحوةَ النَّهارِ، رَأَيْتُ الحبيبَ عمرَ بنَ سقافٍ^(٢) كَأَنِّي وَهُوَ فِي مَنزِلِ غِلَسٍ مِثْلَ أَيَّامِ الشَّتَاءِ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِي: سَلَوْتُكَ وَالْأَنْسَ، فَلَمَّا انْتَبَهْتُ قِيلَ: إِنَّ السُّلْطَانَ تُوْفِي، فَكَانَ السُّرُورُ وَالسُّلُوعُ مَعْدُومِينَ، لِأَنَّ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ مُؤَمِّلِينَ فِي السُّلْطَانِ الصَّلَاحِ، وَلَكِنْ يَوْمَ النَّيَّةِ أَلَّا نَيَّةً^(٣)، لِأَنَّ الْقَصْدَ إِلَّا عِمَارَةَ الدُّنْيَا، مَا صَلَحَتِ الْأُمُورُ، فَكَانَتْ سَبَبَ إِنْشَاءِ الْقَصِيدَةِ:

يَا مُرِيدَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فُزْتُ بِالْمَطْلُوبِ وَالْأَمَلِ
سَلَوْتُكَ وَالْأَنْسَ تَلَقَّيْهُمَا فِيهِمَا مِنْ غَيْرِ مَا جَدَلِ

* * *

وعند قوله رضي الله عنه: «قف على باب الكريم»... إلى آخره، قال: وَلَوْ كُنْتُ أَعْصَى الْخَلْقِ قَفْتُ عَلَى بَابِهِ، وَلَا يَمْنَعُكَ تَخْلِيْطُكَ وَمَعَاصِيكَ عَنِ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِهِ. قال بعضهم: لَأَنْ أَدْخَلَ النَّارَ وَأَنَا طَائِعٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَدْخَلَهَا وَأَنَا عَاصٍ. كما قال سيدنا العيْدَرُوسُ:

(١) هو السلطان جعفر بن علي بن عمر الكثيري، توفي سنة ١٢٢٣هـ، كما في «تاريخ الدولة الكثرية» (١: ١٢٠-١٢١) وانظر آخر الكتاب، ففيه مزيد إيضاح.

(٢) من شيوخ الحبيب أحمد، توفي بسيون سنة ١٢١٦هـ.

(٣) أي: بسبب فساد النية، شبه النية بلحم نبيء غير ناضج، لفسادها وعدم خلوصها.

مَا مَعَهُ حَدٌّ سِوَى رَبِّهِ وَإِنْ هُوَ قَدْ أَذْنَبَ

وَالطَّاعَةُ عَلَى الرَّجَاءِ أَفْضَلُ مِنْهَا عَلَى الْخَوْفِ، وَهُوَ^(١) لَا يَدَّ مِنْهُ،
لَأَنَّ الرَّجَاءَ يَحْصُلُ مَعَهُ فَرَحٌ.

* * *

وَعِنْدَ قَوْلِهِ: «وَإِذَا مَا سِرْتَ فِي طَمَعٍ»... إلخ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:
(إِذَا مَا سِرْتَ فِي طَمَعٍ فِسرٌ رَوِيداً)، لَأَنَّ التَّوَعَّلَ فِي الْأَسْبَابِ مَنَافٍ
لِلتَّوَكُّلِ. وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ: الْأَسْبَابُ، لَأَنَّ فِيهَا تَسْكِيناً لِلنَّفُوسِ لِأَهْلِ
النَّفُوسِ، وَأَمَّا أَهْلُ الْيَقِينِ فَرَكُونَهُمْ إِلَى الثِّقَةِ بِاللَّهِ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْقُلُوبِ
تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ. وَأَمَّا مَنْ تَوَعَّلَ فِي الْأَسْبَابِ أَذَاهُ ذَلِكَ إِلَى
الدَّخُولِ فِي الْحَيْلِ، كَالْكَيْلِ وَاللُّجْمَةِ^(٢) وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَجَاعِلِ^(٣) أَنَّهُ بَايَزْرَقُ
نَفْسَهُ بِذَلِكَ، حَتَّى أَنْ تَوْبَةَ الْمُحْتَالِ بَعِيدَةٌ جَمًّا، لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّهُ مُحِقٌّ بِخِلَافِ
صَاحِبِ الرِّبَا، وَلَا عَادَ تَنْفَعُ فِيهِ مَوْعِظَةُ الْوَاعِظِينَ وَلَا تَذَكِيرُ الْمَذْكُورِينَ، مَا
يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا تَرْكُ مَجَالَسَتِهِ وَمَوَاكِلَتِهِ وَمَعَامَلَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى.

وَمِثْلُ الْحَيْلَةِ فِي السَّبَبِ كَمِثْلِ الْبُنْدُقِ فِي السَّلَبِ^(٤) فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَقْتُلَ
الْمَرْأَةَ بِالْبُنْدُقِ أَشْجَعَ النَّاسِ، لِأَنَّهُ حَيْلَةُ أَهْلِ الْجُبْنِ، وَصَارَتِ اللَّجْمَةُ

(١) أي: الخوف.

(٢) من المعاملات المشبوهة في البيع والشراء، انظر آخر الكتاب.

(٣) أي: يظن فاعل ذلك أنه سيرزق نفسه بتلك الحيل.

(٤) البندق: آلة سلاح، السِّلَب: السلاح.

المذكورة سبباً في ضرورة شام. فينبغي للإنسان أن يهوّن في الأسباب، ويُجمل في الطلب.

ومثل المتوغل في الأسباب والمُهوّن فيها، كمثّل من خرج يخب في المطر^(١)، فإنه يقع له مرطس، ومن يهوّن كمثّل من يخرج ويبرز للمطر بلا خبب فإنه يصل إليه البلل أو كما قال. ومجالسة الحريص سم قاتل، ومثله المحتال.



وعند قوله: «وبكتب القوم»... (إلخ)، وتسمى الرقائق، لأنها ترقق القلوب. قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد: في أول الأمر، حصل معي اجتهاد كبير جم بكتب الشاذلية، ولو دمت على ذلك لما انتفعت ولا انتفع بي الناس، ولكن تداركني الله تعالى بكتب الإمام الغزالي وأسرار علومه. أو كما قال سيدنا رضي الله عنه. لأن كتب الشاذلية في أعلى المقامات، وكتب سيدنا الغزالي على الترقّي، تُدخلك من المفقّر^(٢).



وعند قوله: «حذراً من النفس وكلّ ولي»^(٣)، أي: صديق، بل من ربك خذ حذرَكَ. كما قال تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٨].

(١) يخب: يجري.

(٢) المفقّر — بكسر الميم وسكون الفاء وكسر القاف —: عضادتا الباب اللتان يرتكز عليهما، ولولا وجودهما لما وجد الباب. والمفقّر: الباب.

(٣) كل المقاطع التي تقدمت هي من قصيدة للحبيب أحمد بن عمر.

قال نفع الله به: نظرُ الأكابرِ إكسيرٌ يقلبُ الأعيانَ، يا بخت من هو عندهم ترَبَّى.

* * *

وقال رضي الله عنه: الرضا أعلى المقامات، والقناعةُ حال من الرضا، والبركةُ مقرونة بالرضا، بدليل الدعاء: «اللهم رَضِّنِي بقضائك، وبارِكْ لي في قدرِك». وكذلك القناعةُ مقرونةُ بها البركةُ، بدليل الدعاء النبوي: اللهم قَنِّعْنِي بما رزقْتَنِي وبارِكْ لي فيه.

* * *

وقال رضي الله عنه: يرثي لمن لم يحضر التذكيرَ من الذين قد ماتوا. ونذكرُ قولَ النبي عليه الصلاة والسلام: «لكنَّ البائسَ سعدُ بنُ خولة»^(١) يرثي له النبي ﷺ إذ ماتَ بمكة، يعني أنه لم يهاجر، لأنَّ من شرطِ الإسلامِ الهجرةُ من المكانِ الذي قبلَ الإسلام. وكذلك مَنْ ماتَ وهو يقولُ بشيءٍ من القَحِيفِ، أو حِجامةِ الرَّجُلِ^(٢)، بانستغفر له بالخصوص. واستغفَرَ معَ من حضرَ بقول: أَسْتَغْفِرُ اللهَ للمؤمنينَ والمؤمناتِ، والمسلمينَ والمسلماتِ، الأحياءِ منهم والأمواتِ، إنك مجيبُ الدعواتِ. اللهم افْعَلْ بنا وبهم، عاجلاً وآجلاً في الدنيا والآخرة،

(١) الحديث، أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٢٤)، (١٥٤٦)، وسعيد بن منصور كذلك (٣٣٠).

(٢) لأنها في موارد الهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفورٌ حلیم،
جوادٌ كريم، رؤوفٌ رحيم.

* * *

وقال رضي الله عنه: من النعم الكبيرة أن يفتح الله للعبد باب
التأويل، خصوصاً فيما عملَه الأسلاف الذين قد ماتوا من القحيف^(١) وغيره
بالنسبة إليهم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «اذكروا محاسن موتاكم،
وكفُّوا عن مساويهم»^(٢). . الحديث.

وكما روي عن الشيخ زكريا الأنصاري^(٣) رضي الله عنه وقد سُئل عن
وضع الصُّوفية الرِّداء على الشَّقِّ الأيسر: فماذا دليلهم؟ والسائل كالمُنكر
في ذلك، فقال له الشيخ: هل أَحَطْتَ علماً بالسُّنة؟ قال: لا. قال: فبنصفها؟
قال: نعم. قال: فلعلَّ دليلهم في النصف الذي لا تعلّمه! وقال له أيضاً:
إن التتار لما دخلوا بغدادَ جمَعوا الكُتُبَ كلّها وطرحوها في الدَّجَلَة، فلعلَّ
دليلهم في تلك الكُتُبِ الضائعة.

وكذلك روي عن سيدنا الإمام مالك رضي الله عنه وقد سأله
هارونُ الرشيدُ أن يرُدَّ الناسَ جميعاً إلى ما في «الموطأ» دونَ سائرِ
المذاهب، فقال: لا يمكن ذلك ولا سبيل إليه، لأن النبي ﷺ توفي عن

(١) لم يتبين لي معنى هذه الكلمة.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠٠)، والترمذي (١٠١٩) الحديث.

(٣) شيخ الإسلام، المتوفى سنة ٩٢٦هـ بالقاهرة.

كثير من الصحابة لا يُحصون، وعندهم من العلم ما لا يُحصى وقد نشره في الناس.

قال سيدنا: وأما بالنسبة إلى الإنسان في حق نفسه فيأخذ بالأحوط في جميع الأشياء، ولا يسبق إلى التَّوِيل^(١) قبل التأويل. أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: العاقل اللبيب الذي يميّز بين خير الخيرين، فيعمل أفضلهما، ويميّز بين شرّ الشرّين، فيرتكب أهونهما إذا ضاق عليه الأمر. كما في المقالة عن سيدنا عمرو بن العاص: والي غشوم خير من فتنة تدوم، لأن ذلك أهون الشرّين. وأما من يميّز بين الخير والشرّ فكثير.



وقال رضي الله عنه: كان حبيبي عبد الرحمن بارقبة^(٢) ممن يسمع الهواتف: بينما هو خارج إلى عند سيدنا الحبيب أحمد بن زين الحبشي، فلما قد هز في أثناء الطريق إذا بطائر طويل المنقار مرّ عند أذنه وهو يقول: يا حدّاد القلوب.

(١) شبامية دارجة، ومعناها التلويم.

(٢) هو جد الحبيب أحمد بن عمر — المتكلم — لأمه، كان ممن صحب الإمام الحدّاد؛ واسمه كاملاً: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بارقبة، من آل عبد الله باعلوي، كان إماماً فاضلاً عابداً، توفي بتريم سنة ١١٥٣هـ.

وقال سيدنا رضي الله عنه: أوصى عَوْضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَعَجَمَ عِنْدَ مَوْتِهِ بِأَنْ يُحَجَّ لَهُ زَاهِدٌ وَرِعٌ، فَلَمَّا مَاتَ جَاءَ وَلَدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَوْضٍ إِلَى عِنْدِ سَيِّدِنَا أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبْشِيِّ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ وَمَنْ يَكُونُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: وَالذُّكُّ مَتَشَكِّكَ جَمٌ، وَلَكِنْ مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدًا شَبِيهَاً بِهَذَا الْوُضْفِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ السَّيِّدَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بَارِقَبَةَ، فَأَجَرَهُ مُحَمَّدُ الْمَذْكُورُ عَلَى حَاجَّةٍ وَالِدِهِ فَحَجَّ عَنْهُ.

* * *

وقال رضي الله عنه: شَبَّهُوا الْبَاطِلَ بِالْجِبَالِ، فَمَنْ رَأَاهَا مِنْ مِلْحٍ إِذَا صُبَّتْ عَلَيْهَا أَمْطَارُ الدَّعْوَةِ انْدَابَتْ. لَمْ يَبْخُلْ بِالدَّعْوَةِ وَلَا سَمَحَتْ نَفْسُهُ بِالسَّكُوتِ. وَإِيشَ يَكُونُ الْبَاطِلُ مَعَ الْحَقِّ؟ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، ثُمَّ لَمْ يَسْتَكْفِ الْحَقُّ بِذَلِكَ حَتَّى قَالَ: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، وَالْحَقُّ وَإِنْ كَانَ مَعَ وَاحِدٍ فَهُوَ أُمَّةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، وَأَهْلُ الْبَاطِلِ وَإِنْ كَانُوا كَثِيرِينَ فَهُمْ فِي مَعْنَى الْوَاحِدِ، لِأَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ يَعْلُو.

* * *

وقال رضي الله عنه: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، يَفْسِّرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، قَالَ بَعْضُهُمْ: أَيُّ: شَوْوُنٌ يُبْدِيهَا وَلَا يَبْتَدِيهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، أَيُّ: نُظْهِرُهَا، لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ قَدْ سَبَقَتْ فِي عِلْمِهِ الْقَدِيمِ، وَإِنَّمَا إِظْهَارُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا عَلَى حَسَبِ أَوْقَاتِهَا. أَوْ كَمَا قَالَ.

وقال أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، يفسره قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

* * *

وقال رضي الله عنه: مَنْ ذَكَرَ ذِكْرًا، وَمَنْ نَسِيَ نُسِيًّا، وَالذُّكْرُ مِنَ الذُّكْرِ. وَمَنْ اعْتَنَى بِأَمَوَاتِهِ بِالذِّكْرِ وَإِهْدَاءِ الصَّدَقَةِ وَالْقِرَاءَةِ، يَقِيضُ اللَّهُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ مَنْ يَعْتَنِي بِهِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: مَنْ غَبَطَ ابْنَ عَثْمَانَ^(١) عَلَىٰ جِهَادِهِ فَلْيُعَاوِنْ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ.

وهذه العُلُمة التي هي مِنَ الواجبِ مِنَ النعمِ العظيمة، اشكروا الله عليها، حتّى ترسّخ، وعاونوا عليها، بل مَنْ عاونَ على هذا الشأنِ ربما يسبقُ الجهد، لأنه شيءٌ متروكٌ وإن كان الجهادُ أكثرَ ذكراً كما ذُكِرَ عن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه حينَ قال: شهدتُ بيعةَ الرضوانِ وما أُحِبُّ أنْ ليَ بها مشهدَ بدر، وإن كانت بدرٌ أذكّرُ في الناس.

* * *

(١) أي: الخليفة العثماني، وكان الخليفة آنذاك هو السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحديد الأول، توفي سنة ١٢٥٥هـ.

وقال رضي الله عنه: قال بعض العارفين: أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري؟ وأنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي؟ وهذا حال العارفين، لا يزالون مفتقرين في علمهم وجهلهم وسائر أحوالهم، فمن ركن إلى علمه وغناه وحسبه ونسبه، انتزعت منه البركة، انظر إلى حال بلعم بن باعورا^(١) كيف سلّبه النعمة وهجاه في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ بُأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]، لأنه ركن إلى علمه وحوله وقوته. وكذلك إلى حال إبليس، فقد عبد الله في الأرض والسماء نحو ثمانين ألف سنة، فلما استكبر سلّبه الله وطرده، حتى رجّع يمكراً بالناس ويحتال عليهم بترك الشكر، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، وهو الصراط كما في الآية الأخرى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُمْ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبا: ٢٠]، وهو مسلط على جميع الخلق لا مُسلطن. و﴿إِنَّمَا سُلِّطْنَاهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ [النحل: ١٠٠]، ولا معه فكرة إلا في الإنسان.

وسئل بعض العارفين: هل ينام الشيطان أم لا؟ فقال: لا ينام، ولو نام لكان استرخنا، بل ما ينام ونحن ننام، ويرى ولا يرى. كما في دعاء سيدنا محمد بن واسع^(٢): اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعبوبنا،

(١) رجل من أحبار اليهود.

(٢) هو الإمام العابد محمد بن واسع الأزدي، من كبار التابعين، توفي سنة ١٢٣ هـ.

مطلّعاً على عوراتنا، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، اللهم فأيسه منا
كما أيسته من رحمته، وقنطه منا كما قنطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه
كما باعدت بينه وبين جنتك، إنك على كل شيء قدير.

وقد تمثّل له الشيطان فقال له: لك الأمان مني، ولا تعلّم أحداً هذا
الدعاء. فقال له: أمّا أنا فأجتهد فيّ، ومن طلب مني الدعاء علّمته.

فلا مع الإنسان إلاّ الالتجاء إلى ربّه والافتقار، لحتى يحفظه من شرّ
الشيطان والنفس والهوى والدنيا، لأن هذه الأربعة مُتقابلاته^(١)، ولا يخلص
من ذلك إلاّ بالالتجاء إلى الله والافتقار يخلصه الله سبحانه وتعالى.

ولا أحد من خلق الله فرّ على الشيطان إلاّ الملائكة والأنبياء عليهم
السّلام، لأنهم معصومون في الأزل.

وقد ذكر أهل الحقيقة أن بعض قصص الأنبياء في التفاسير ينبغي أن
لا تُقرأ عند العامة، لأنه مأخوذ عن أهل الكتاب^(٢)، وربما دُسّ فيه دسيّة،
لأنه لا محفوظ إلاّ القرآن. حتى قال الشيخ ابن حجر وإن جُلّ ناقلوه
كالبعويّ والواحديّ لا يؤخذ به. وذكر الشيخ السيوطيّ في «الإتقان»:

(١) وقد جمعها الحبيب علي بن محمد الحبشيّ في بيت واحد في قصيدته التي
مطلعها:

ربّ، إني يا ذا الصّفات العليّة قائمٌ بالفنا أريد عطيةً
فقال:

واحتفظ القلب أن يلمّ به الشّيء طانٌ والنفس والهوى والدينّة
(٢) يعني بذلك الروايات الإسرائيلية.

ينبغي الوقف على قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ﴾ ثم يقول: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤]، لأن النزاهة والعصمة للأنبياء، وغاية الولي أن يكون محفوظاً.

وسئل سيد الطائفة: الجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ رضي الله عنه: أئزني العارف بالله تعالى؟ فقال: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ولو قيل له: أيغفل العارف؟ لقال: لا. فانظر جوابه بالآية، ولم يقل: لا، ولا نعم، لأن العصمة للأنبياء، فينبغي الافتقار إلى الله تعالى لحتى يحفظك.

وما دام الإنسان مفتقراً إلى أن يعبر الصراط، وسبيله: الافتقار المحض، ويكون كما من معه بضاعة غالية لا يأمن حتى يصل الأمان، والأمان الحقيقي إلا بعد جواز الصراط، فإذا جاوزَه إن بايتخطر يتخطر^(١). أو كما قال سيدي رضي الله عنه ونفعنا به.

* * *

وقال رضي الله عنه: الإمام السهروردي شيخ عظيم، وكان في أول أمره مشتغلاً بعلم الظاهر وعلم العقائد، فسار به عمه إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني^(٢)، أراد أن يلحظه، فلما وصل به وهو حامل كتاباً في علم

(١) أي: في مشيته.

(٢) هو الإمام الجليل الشيخ عبد القادر بن موسى الجيلاني، مولده بجيلان وراء طبرستان سنة ٤٧١هـ، انتقل في شبابه إلى بغداد سنة ٤٨٨هـ، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للإفتاء والتدريس سنة ٥٢٨هـ، وتوفي سنة ٥٦١هـ ببغداد.

الكلام، فقال له الشيخ عبد القادر: ما هذا الكتاب؟ فأخبره به، فقال له: ناوَلني إياه فناوَله ذلك فتصَفَّحه الشيخ ثم رَدَّه إلى الشَّهْرَوَرْدِيِّ، فإذا به كتابٌ في «فضائل القرآن» لابن الضَّرِيس^(١) فمن حينئذٍ لحَظَه، فاشتَهر الشيخ في مكة.

فبينما هو في جمعٍ عظيمٍ عنده فخطرَ له: أنا مذكورٌ بهذا الجمعِ في المِلَّةِ الأعلى أو هُوَ إِلَّا كَذَا؟ وفي آخرِ الجمعِ الشيخ عمر بن الفارض، وهو إذ ذاك خَامِلُ الذَّكْرِ، فكاشَفَ الشيخ بخاطِرِه، وقال هذا البيت:

لَكَ الْبِشَارَةُ فَاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ، فَقَدْ ذُكِرْتَ ثُمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِوَجٍ
وَالشَّيْخُ الشَّهْرَوَرْدِيُّ [فيه] اعوجاجٌ في رِجْلِهِ، فَقَامَ فَخْلَعَ عَلَى ابْنِ
الْفَارِضِ، فَخْلَعَ عَلَيْهِ غَالِبُ أَهْلِ الْجَمْعِ.

وسُئِلَ الشَّهْرَوَرْدِيُّ عَنْ حَالِ رَجُلٍ مِنَ الْعَارِفِينَ فِي مَجْلِسٍ عَامٍّ: مَا هُوَ؟ فَقَالَ: زَنْدِيقٌ، ثُمَّ سُئِلَ عَنْهُ فِي مَجْلِسٍ خَاصٍّ، فَقَالَ: هُوَ صَدِّيقٌ. فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ قُلْتَ آنِفًا؟ قَالَ: مَا الْمَجَالِسُ سِوَاءِ.

قَالَ سَيِّدُنَا: فِي جَوَابِهِ الْأَوَّلِ تَنْفِيرٌ وَرَدُّعٌ لِمَنْ يَدَّعِي مَقَامَ الْعَارِفِينَ وَلَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ فِيمَا لَمْ يَعْلَمْهُ، أَوْ كَمَا قَالَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(١) هو الإمام محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي، من الحُفَظَاءِ، ولد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي بالري سنة ٢٩٤هـ، له كتاب «فضائل القرآن» (مطبوع).

وقال رضي الله عنه: قال سيدنا الحبيب حامد بن عمر: قال والدي^(١):
 إِنَّ الشَّيْخَ السُّهْرَوْرَدِيَّ «ابْنَ حَجَرٍ» الصُّوفِيَّةَ، وَلَهُ عَقِيدَةٌ مَسْمُوءَةٌ بِ«أَعْلَامِ
 الْهَدْيِ» أَشَادَ بِهَا سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ فِي بَعْضِ مُكَاتِبَاتِهِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: العقيدة الجامعة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لا مثل له في ذاته ولا في صفاته ولا في
 أفعاله، ولهذا كان ساداتنا آل أبي علوي ينهون عن التوغل في علم العقائد.

وسأل السيد زين العابدين بن حسين العيّدروس سيدنا أحمد بن زين
 الحبشي عن نهْي ساداتنا آل أبي علوي عن التوغل في علم العقائد! فقال:
 ما تقول لو ترجّم أحد في جدك العيّدروس؟ فقال: فصل في الدليل على
 أنه ليس بحجّام، وفي الدليل على أنه ليس بحائك. يعني: أن التصنيف
 في علم العقيدة إلّا للضرورة، وردّ على أهل الزيغ والبدعة، وما فوق ذلك
 منهّي عنه، وفيه خطر ومضرة.

* * *

وقال سيدنا رضي الله عنه: كان السيد جمل الليل^(٢) رضي الله عنه،

(١) هو الحبيب عمر بن حامد حامد، توفي بتريم سنة ١١٥٨هـ، كان من كبار
 أصحاب الإمام الحداد. وأما ابنه حامد فقد تقدم ذكره.

(٢) هو الحبيب الإمام محمد بن حسين المعلم، الملقب جمل الليل لكثرة مجاهداته،
 توفي بتريم سنة ٨٤٥هـ، عن (٩٥) عاماً.

إذا استغرق في تلاوة القرآن يقول: أين الناس؟ أين الناس؟ فيسمع هاتفاً يقول: راحوا في الكاس، والكاس: محبة الدنيا.

وقال سيدنا: ولقد تجلى الله للخلق في كلامه ولكنهم لا يعلمون.

* * *

وقال رضي الله عنه: ليس من شرط الولي ظهور الكرامة، بل قيل: قد يكون الولي في بعض الأودية فيعطش، فينبع الماء من بين أصابعه، وغيره يموت عطشاً وهو أفضل منه.

كما ذكر عن سيدنا أبي مدين أنه تتعسر عليه بعض الأشياء وهي سيره، وتلامذته تيسر لهم أمورهم مع شهودهم بفضلهم، وقد تخرج على يديه اثنا عشر ألف مريد من جملتهم سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي^(١) والشيخ سعيد بن عيسى^(٢).

* * *

وقال رضي الله عنه: نرجو من الله السعادة لأهل الزمان إن ما عرض لهم أبو مرة، يعني الشيطان، لأنه لا فكرة له ولا عمل إلا في ابن آدم، عسى الله يحفظنا منه.

(١) الفقيه المقدم، إمام شهير، غني عن التعريف، مولده في تريم وبها وفاته سنة ٦٥٣ هـ.

(٢) هو العمودي، توفي بقيدون سنة ٦٧٠ هـ، وأخذ الفقيه والعمودي عن أبي مدين كان بواسطة رسوله الشيخ عبد الرحمن الخضرمي المقعد أو الشيخ عبد الله الصالح المقبور بكينة. ينظر: «المشروع الروي».

وقال رضي الله عنه: قومٌ أمواتٌ تحيا القلوبُ بذكرِهِم، وهم: السلفُ الماضونَ على هَدْيِ أهلِ القلوبِ والعقولِ الزكية، وقومٌ أحياءٌ تموتُ القلوبُ بذكرِهِم، وهم: أهلُ الزمان. مَنْ أرادَ أن يموتَ قلبُه فليخضُ في أخبارِهِم، وَمَنْ أرادَ أن يحيا قلبُه فليطالعُ في سيرِ السلف.

* * *

وقال رضي الله عنه: أهلُ التمكينِ يقَعُ لَهُمُ امتحانٌ في أولِ الأمر، ثم يُمكنون، كما كان الأنبياءُ عليهمُ السلام أولَ أمرِهِم. انظرُ إلى قولِ الله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٢١] بعدَ ذِكْرِ الامتحان.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان آخرُ عمرِ سيدنا الحبيبِ عبدِ الله الحدادِ متعلِّقاً بالأطفال، ويُقرَّبُهُم منه، لأنه عالمٌ آخر، ولأن الزَّيَّانَ يتكثَّفونَ من مُجالسةِ أهلِ الحاسَةِ والحدق، ويحبَّونَ مجالسةَ الذين عقولُهُم سليمةٌ كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: القمرُ^(١) الكبيرة أن يُقتدَى بالوليِّ في حالِ كماله، ولأَ ينظرُ إلى بدايته. وإلى ذلك يشيرُ إلى ما قاله بعضهم: مَنْ رآني في البداية صارَ صديقاً، وَمَنْ رآني في النهاية صارَ زنديقاً.

(١) أي: الخديعة والغبن الفاحش.

ويقال: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنحو للسان.

* * *

وقال رضي الله عنه لرجل: عادك تروح العُلْمة؟ قال: ساعات^(١)،
قال سيدنا: من سَبَرَ سَبَرَ له الخير. حَافِظٌ على العُلْمة ولو تموت جوعاً.

* * *

وقال رضي الله عنه لبعضهم: هل طلبَ سيدنا الحبيبُ عبدُ الله
الحدَّادُ من أهل زمانه المُعَاوَنَةَ لدعوته؟ فقال: الله أعلم، فقال: كيفَ وقد
صنَّفَ «رسالة المعاونة» وقال في قصيدته^(٢):

إِنَّ قَلْبِي الْآنَ	يا صاحبي، في غُرْبَةٍ وَكُرْبَةٍ
من زمانٍ قد خَانَ	ومعشَرَ لا يحفظونَ صُحْبَةَ
ما تَراهُمُ أعوانُ	إِلَّا على باطلٍ وتَركَ قُرْبَةَ
ما أولئكَ أخيارُ	كلا، ولا بالمتقينَ الابرازُ

هذا في زمانٍ ولدِ علوي، فكيفَ في زماني وزمانِكَ؟

* * *

وقال رضي الله عنه: مَنْ عاونَ على ما ينفعُ المسلمينَ ودَعَوْتِهِمْ
يطيبُ زمانُهُ ويطولُ عُمُرُهُ، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

(١) أي: أحياناً.

(٢) «الديوان» (٣٠٦).

وقال رضي الله عنه: تظهَرُ مَرائي عندَ موتِ الصالحين، رأى السيدُ زينُ الحبشي^(١) ليلةَ وفاةِ والدي عُمَرُ سالمُ صايل، و[كان] قد مات، ورآه كأنه يُخَبُّ، فقال له السيدُ زين: سالم! ما أنت إلا قد مِتَّ؟ قال: أنا في شدةٍ من حين مُتُّ، وفرَّجَ اللهُ عليَّ بالحبيبِ عمرَ بنِ سُميط.

قال سيدُنا: كان سالمُ صايل المذكور يَجي عند الوالد، فلمَّا أصبح السيد إذا بالمكتَّب^(٢) من شَباَم بوفاةِ سيدنا عمر، أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: كان سيدُنا الحسينُ بنُ الشيخ أبي بكر بن سالم^(٣) يقرأُ عندَ نبيِّ الله هودٍ عليه السلامُ قولَه تعالى: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: ٥٣]، فسمعَ النبيَّ من القبرِ نادى يقول: بلى يا حسين، جئتُهم بها فكذبوني. وكان بجَنِبِهِ الشيخُ علي باراس^(٤) فقال له: هل سَمِعْتَ شيئاً؟ قال: نعم. قال سيدُنا: وبقيةُ الحاضرين لم يَعْلَمُوا بذلك. وكانوا يأتونَ عندَ الزيارةِ بأجزاءٍ من سورةِ هودٍ يقرؤونها.



(١) هو السيد الفاضل زين عبد الله الحبشي، كان من الصالحين الأخيار، توفي بتريم حوالي سنة ١٢٢٠هـ.

(٢) المكتَّب: بتشديد التاء المكسورة: ساعي البريد.

(٣) توفي الحبيب الحسين بعينات سنة ١٠٤٤هـ.

(٤) من كبار العارفين، توفي بالخريبة سنة ١٠٩٩هـ، له شرح عظيم على «الحكم العطائية» وغير ذلك.

وقال رضي الله عنه: تعلمون أن التقصير في الدعوة وقِلِّ المعاونة عليها من سوء الظن بالله وبخلق الله؟ لأنَّ الْمُقْصِرَ ظَنُّ أن الله لا يهدي خلقه، وأنَّ خلقه لا يهتدون، ايش الحامل له على التقصير سوى هذا!! والله يقول جَلَّ وَعَلا: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، وإنما قُلْ: عليَّ التذكير، والهداية بيد الله. ومن لا له داعية محبة في الله ورسوله ما تحصل منه مُناصرة ولا معاونة، وما عادكم تنتظرون؟ عاد حدَّ نبيِّ بعد محمد بن عبد الله ﷺ؟ أو عاد شي قرآن باينزل؟ أو بغيتو أحد يطلع من القبور يُخبركم؟ همُّوا واعزموا، لأن العمر ما هو عُمرين.

* * *

وقال رضي الله عنه: الحَلْفُ بالمخلوق يكسبُ ذلاً وهوناً والعياذُ بالله تعالى. واغرسوا في قلوب أولادكم الدعوة إلى الله تعالى لحتى ينشأون جريئين على الدعوة إلى الله تعالى. ولهذا نخليهم يقرؤون، ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالماً بالشرع، وإنما التبليغ على أهل العلم، وأطلب من الله أنهم يتكاتبون بها في الخطوط^(١).

* * *

ما أدري ماذا يقول العلماء في شأن الصحابي الذي أمَّ قومه وهو ابنُ سبع سنين؟ بايقولون: واقعةٌ حال، كما في نظير ذلك من الوقائع! وأظنُّه الصحابي سالم مولى حذيفة ابن اليمان^(٢) رضي الله عنهم.

(١) أي: بي الرسائل والمكاتبات

(٢) صوابه: سالم مولى أبي حذيفة، ولعل الوهم دخل على الكاتب أو الناسخ.

تَحَفَّظُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَاعْتَنُوا بِهِمْ، وَاغْرَسُوا فِي قُلُوبِهِمْ مَحَبَّةَ الْخَيْرِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ، وَثَقُوا بِضَمَانِهِ لِحَتَّى تَرْجِعَ جَاوَةُ وَالْهِنْدُ وَالْمَكَلَّا وَالشَّخَرُ، تَجِي إِلَيْكُمْ مَا تَبْتُؤُنَ^(١) لَهَا، وَتَتَيَسَّرُ لَكُمْ الْأُمُورُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾، أَي: نَوْتِيهِ نَصِيْبِهِ مِنْهَا بِهِنَاءٍ ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾، أَي: نَوْتِيهِ نَصِيْبِهِ بِتَنْغِيصٍ، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيْبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، تَتَنَغَّصُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَتَفُوتُهُ الْآخِرَةُ. كَمَا فِي الْحَدِيثِ «مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ الْآخِرَةُ»^(٢)... إلخ.

وَاقْنَعُوا وَسَيَرُوا بِسَيْرِ السَّلَفِ، بَلْ خَلُّوا أُمُورَكُمْ بِقَاصِرٍ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَلَطُّفِ الْمَعَاشِ، إِذَا كَانَ حَالُهُمْ اقْتِصَادٌ يَكُونُ حَالُكُمْ اقْتِصَارٌ، لِحَتَّى تَسَلَّمُوا مِنْ الْغُرْبِ وَالْغُيْبِ^(٣) مَا تَرُوحُونَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ مِنْ نُخْشٍ إِلَى نُخْشٍ^(٤)، وَاجْتَهِدُوا فِي الْبَحْثِ عَنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ حَتَّى تَحِلُّوْنَ فِي الْأَوْطَانِ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْمَعَاوَنَةُ؟!



وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عِنْدَ قِرَاءَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسُبْحَنَّ اللَّهَ حِينَ

(١) أَي: تَذَهَبُونَ.

(٢) مِنْ حَدِيثِ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»: (٥: ١٥٤): «... وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَنَزَعَ فَقْرَهُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ، وَكَفَّ عَلَيْهِ ضِيعَتَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ».

(٣) الْغُرْبُ: جَمْعُ غُرْبَةٍ، وَالْغُيْبُ: جَمْعُ غَيْبَةٍ، وَهِيَ الْأَمَاكِنُ الْعَمِيقَةُ فِي الْبَحَارِ.

(٤) أَي: مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ.

تُسَبِّحُونَ وَحِينَ تَضَعُونَ. وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿[الروم: ١٧-١٨]: فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ التَّسْبِيحَ هُنَا بِالصَّلَاةِ، فَجَمَعَتِ الْفُرُوضُ الْخَمْسَةَ. فَقَوْلُهُ: ﴿حِينَ تُسَبِّحُونَ﴾: صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ﴾: الصُّبْحُ، ﴿وَعَشِيًّا﴾ صَلَاةُ الْعَصْرِ، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ صَلَاةُ الظُّهْرِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ مُعْتَرِضٌ، وَهَذَا الْمَقْرَأُ عَظِيمٌ، اقْرَءُوا كُلُّكُمْ جَهْرًا. فَقَرَأَ الْحَاضِرُونَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اخْشَوْا قُلُوبَكُمْ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى تَحْصُلَ لَكُمْ الشَّفَاعَةُ.

* * *

وَقَالَ: هَلِ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِمْ: تُكْرَهُ الصَّلَاةُ خَلْفَ مَنْ يَلْحَنُ لِحْنًا لَا يَغَيِّرُ الْمَعْنَى، هُوَ بَتِّيْنِ الْحَرَكَاتِ وَقَلْقَلَةِ الْحُرُوفِ حَتَّى لَا تَلْتَبَسَ بغيرها؟! يُسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ، ابْعَثُوا سَوَالَ عَنْ أَحْكَامِ الْقِرَاءَةِ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَاءَ آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]: قَالَ وَالِدِي: كَانَ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ أَحْمَدُ ابْنُ زَيْنِ الْحَبِشِيِّ يَقُولُ: الرَّبَا إِلَّا نِيَّةٌ، دَلِيلُهُ: هَذَا التَّعْلِيلُ بِاللَّامِ فِي ﴿لَّيْرَبُوا﴾ لِأَنَّ نِيَّتَهُ الزِّيَادَةَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ»^(١). . الْحَدِيثُ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٦٤).

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]، يعني النيات، حتى كان سادتنا آل أبي علوي يحنقون على من يعمل الكيل.

وكان في زمن سيدنا أحمد باجحدب^(١) رجل يعمل بهذه الزيادة فعمل ضيافة وطلب جميع آل أبي علوي وطلب الحبيب أحمد باجحدب، فامتنع من المجيء، فاعتذر إليه بأنه لم يفعل هذا إلا لطلب القرض، لأن الوفاء عز على الناس وأنه لم يأخذ ذلك.

فقال له: غيرك ما تحصل له هذه النية ولا يدري بها، فصار الأمر كما شاهد، والسبب قل القناعة تازي^(٢) على الدخول في الشيء من بابهِ ومن غير بابهِ ما الحيلة الصّدقّة الشريفة إلا القناعة، عزوا أنفسكم وبلاذكم وأولادكم، يُعزّكم الله، وما العز إلا بالطاعة، كما قال سيدنا عبد الله الحداد:

وطاعته غني الدارين فالزّم وفيها العز للعبد الذليل^(٣)

ومن عناية الله بالعبد الذي يعامل بهذه الحيل: أن يمتحنه الله في الدنيا، معاد يخرج من الدنيا إلا وقده قازها^(٤) كما هو مشاهد، معاد بانفصل، كان والذي يقول: شفو فلان يومه خير امتحنه الله. وكان

(١) الإمام الجليل، أحمد بن علوي بن محمد باجحدب، توفي بتريم سنة ٩٧٣هـ، كان حضوراً لم يتزوج، يقال: إن الدعاء عند قبره يستجاب.

(٢) أي: تلجى صاحبها.

(٣) «الديوان» ص: ٤٠٩.

(٤) أي: مُستقذرها.

ذلك يعاملُ بشيءٍ من الحيل، خصوصاً مَنْ هو صورة^(١) عند الناس. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: كَتَبَ سَيِّدُنَا عَمْرُ الْبَارِ إِلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ ابْنِ سُمَيْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مَكَاتِبَةً، فَصَدَّرَهَا بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، فَقَدْ كَانَ الْأَوْلِيَاءُ يَتَوَاصَوْنَ بِالصَّبْرِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤].

* * *

وقال رضي الله عنه: احرصوا على التعلم والتعليم حتى تموتوا على ملة محمد بن عبد الله ﷺ.

* * *

وقال رضي الله عنه: ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ لَتَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ خَمْسَةَ عَشَرَ شَرْطاً، وَهِيَ كَلِمَتَانِ «اللَّهُ أَكْبَرُ» وَكَذَلِكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ، فَيَسْأَلُ الْإِنْسَانُ: كَمْ لِكُلِّ آيَةٍ^(٢) مِنَ الْقُرْآنِ لِحَتَّى يَعْلَمَ ذَلِكَ، لَا أَحَدٌ يَغِشُّ نَفْسَهُ، لِأَنَّ اللَّحْنَ مُحَرَّمٌ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ تَبْطُلُ بِذَلِكَ إِذَا كَانَ مُغَيَّرًا لِّلْمَعْنَى.

* * *

(١) أي: ذو وجهة وسمعة.

(٢) أي: كم شرطاً لها... من باب صنعة التجويد.

وقال رضي الله عنه: قال سيدنا الحبيب محمد بن زين ابن سُميط: جلستُ في قُبَّةِ مسجدِ (أَبْنِ أَحْمَدَ) أَتَفَكَّرُ في خلودِ الأبدِ، فخشيتُ على عقلي أن يتغيَّرَ، لأنهم ما عرفوه إلَّا الكبار، ونحن يوم ما فينا عقل ما درينا به. يا أهلَ الجنة، خُلودٌ ولا موت، ويا أهلَ النار، خُلودٌ ولا موت، حدُّ يضيِّعُ الأبدى بشيء قليل زایل؟ يرجع يتمنى ليته كلب أو حمار يصير إلى التراب، يومَ يقولُ الإنسان: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠] يعني: الشقي.

عاونوا وساعدوا لحتى تحصل السلامة والنجاة للكل، واخلُّوا الوظائفِ عَيْنُهُ^(١) واحدة سَوَاء، مثلَ قلوبِ أهلِ الجنة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾ [الحجر: ٤٧]، لأن الدين واحد، مثلُ الجوابي: الأبوابُ مختلفةٌ والماءُ واحد، ما يصلحُ اختلافٌ في هذا الشأن، شُوا نحن مؤمِّلون فيكم وفي ربِّكم، لا تخلُّونه يخيب الظن، والقبول حَاصِل، إن شاء الله تعالى، بايظهر الخير، عسى الله يكثر المذكرين، تناصَّحوا وتواصَّوا بالحق والصبر، لأن الدنيا الآ سجن، ما خُلِقْنَا فيها إلَّا للابتلاء، والعالمُ غنيمَةٌ الجاهلِ إذا تعلَّم منه.

وقيل: والجاهلُ غنيمَةُ العالمِ إذا ذكَّره وعَلَّمه، وإلا كلُّهم في الويل: «ويلٌ للعالمِ منَ الجاهلِ، وويلٌ للجاهلِ منَ العالمِ»^(٢)، ما خُلِقْنَا إلَّا لَشَأْنٍ عظيم.

* * *

(١) عينة: متماثلة.

(٢) أخرجه الديلمي عن أنس، «كشف الخفا» (٢: ٤٨١).

وقال رضي الله عنه: عَوَّلُوا عَلَى الْإِحْسَانِ، لَأَنَّ الْقَبُولَ مُتَوَقِّفٌ عَلَيْهِ،
عَوَّلُوا عَلَى الْإِحْسَانِ وَلَا تَجْعَلُوا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا.

* * *

وقال رضي الله عنه ونفع به: التعاونُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى مِنْ أَعْظَمِ
أَرْكَانِ الدِّينِ، وَنَرَجُو، إِنْ اجْتَمَعَتِ الْقُلُوبُ وَتَمَّتِ الْمَعَاوَنَةُ، أَنْ يُقَيِّضَ اللَّهُ
وَالْيَا عَدْلًا لِلْجَهَةِ.

* * *

وقال رضي الله عنه لبعضِ الحاضرينَ لصلاةِ العصر: يَا فُلَانُ، قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنَقَبَةُ
لِلنَّفَوَى﴾ [طه: ١٣٢]، يَحْتَ كُلُّ أَحَدٍ أَهْلَهُ الَّذِينَ فِي بَيْتِهِ، وَاجِبٌ عَلَيْهِ
يَعْلَمُهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ، وَأَنْتَ جَمِيعُ الرِّعْيَةِ أَهْلُكَ، وَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَحْمِلَهُمْ
عَلَى التَّعَلُّمِ لِمَهْمَّاتِ الدِّينِ.

وَهَاتَانِ عُلُمَتَانِ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهِمَا: عُلْمَةٌ لِلْأَوْلَادِ وَعُلْمَةٌ لِلْبَنَاتِ^(١).
عَوَّلْ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ يُدْخِلُ صِغَارَهُ إِلَى الْعُلْمَةِ، لِحَتَّى يَتِمَّ لَكُمْ النُّصْرُ
وَالْحِفْظُ إِذَا قُمْتُمْ فِي هَذَا الشَّأْنِ.

كَذَلِكَ السُّؤَالُ، عَوَّلُوا عَلَى صَلَاتِهِمْ، وَأْمُرُوهُمْ بِالتَّعَلُّمِ، وَقَوْمُوا فِي
هَذَا الشَّأْنِ وَبَاقِي الْمُؤْمِنِينَ يِعَاوَنُونَكَ.

(١) أي: مدرستان للصغار، وهما معروفتان بشبام، ويقال: إِنْ الَّذِي أَسَّسَهُمَا هُوَ الشَّيْخُ
عَمْرُ مَشْغَانٍ، كَمَا فَصَّلْنَا ذَلِكَ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ «إِفَادَةُ النَّفْسِ وَالْإِخْوَانِ».

وعَوَّلَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ وَهُمَا رُكْنَانِ عَظِيمَانِ: اللِّقْمَةُ الطَّيْبَةُ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ، إِذَا حَصَلَ لِلْإِنْسَانِ تَمَّتْ لَهُ جَمِيعُ الْمَقَاصِدِ بِسَهُولَةٍ، لِحَتَّى يَسْأَلَ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ: مَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيَّ وَمَا الَّذِي يَعْثُرُنِي؟ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»^(١) الْحَدِيثُ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ آخِرَ عُمرِهِ يَدْعُو بِدَعَوَاتِ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، يَعْنِي: الَّذِينَ قَدْ مَاتُوا مِنْ آدَمَ إِلَى الْيَوْمِ، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، يَعْنِي الْأَحْيَاءُ. فَلْيَحْذَرِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُقَالُ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، أَرْجَى آيَةٍ لِأَهْلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ^(٢)، فَحَافِظُوا عَلَى شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَاحْكُمُوهَا، لِحَتَّى تَحْصَلَ حُسْنُ الْخَاتَمَةِ، وَإِذَا حَصَلَتْ حَصَلَ كُلُّ خَيْرٍ، وَكُلُّ مَا نَدْعُو إِلَيْهِ شَوْ مُقْصُودُنَا بِذَلِكَ حُسْنُ الْخَاتَمَةِ.

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٩٣٢).

(٢) وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ سَيِّدُنَا حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَرَأْنَا فِي الضُّحَى (وَلَسَوْفَ يُعْطِي) فَسَرَّ قُلُوبَنَا ذَاكَ الْعَطَاءِ
وَحَاشَا يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرْضَى وَفِينَا مَنْ يُعَذِّبُ أَوْ يُسَاءُ

وقال رضي الله عنه: في تفسير سيدنا علي رضي الله عنه: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]، أي: جوّده تجويداً، حتى أن بعضهم فهم من ذلك فرضية التجويد^(١)؛ لأن الأمر عندهم للوجوب. فحافظوا على أحكام كتاب الله، وإذا ما أحكم الإنسان كتاب الله عاده بإحكام أي شيء؟ بل هو مستهين بحق الله، وذلك يكسبه الذل: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

وما تقولون: إذا الإنسان يعلم من نفسه أنه يغلط في المقرأ^(٢) خمس ست غلطات، هل يجوز له أن يقرأ إذا لم يكن عنده أحد يرُدُّ عليه في التجويد؟ راقبوا الله، واسألوا أهل العلم عن أحكام القراءة، وما الذي يُبطل من اللحن ويفوت فضل الجماعة؟ وحتى يتبين لكم مقصود التجويد.

ولا يكون الإنسان غاشراً، يصلي بالناس ويفوتهم فضل الجماعة، بل كل صاحب وظيفة^(٣) إن كانه باقبل النصيحة يتميل منها حتى يحكم القراءة عند من يعلمه بها، ثم يرجع إليها، إن كان شيء إنصاف، ولكن الإنصاف إلّا من شأن أهل العقول الراجحة، وأنا خرجت من العذر.

(١) ومنه قول الإمام ابن الجزري في «المقدمة» في بعض رواياته:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

وفي رواية أخرى: من لم يصحح.

(٢) المقرأ عند أهل حضرموت: حصة من الجزء من القرآن، معلومة عندهم.

(٣) كالإمامة في المساجد ونحوها.

والكلامُ هذا لكلِّ إنسان، ما بانروح نَقْرِقَعُ على الديار^(١)، وقد كان الحبيبُ محمدُ ابنُ سُمَيْط ما يقرأ الحزب في وقته حتى يجتمع أربعة أنفار، لأجل الردِّ على القارئ.



وقال رضي الله عنه: عاونوا بأقلامكم واكتبوا لكلِّ إنسانٍ تَذَكُّرَةً مِنْ مَهْمَّاتِ دينه، وقولوا له: هذا حِرْزٌ مِنَ النَّارِ، لَحْتِي تُحْشَرُونَ فِي زُمْرَةِ الدَّاعِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَسْلَمُونَ مِنْ مُخَاصِمَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَأَنَّ الْإِنْسَانَ مَسْئُولٌ عَنْ صُحْبَتِهِ، هَلْ أَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا أَمْ لَا؟ وَلَا عَادَ يَتَعَلَّقُونَ بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

والدعاء والدعوة متلازمان، لَا يُقْبَلُ هذا إِلَّا بهذا. قَدَّمُوا الدَّعْوَةَ ثُمَّ ادْعُوا، لَحْتِي تَحْصُلُ الْإِجَابَةُ. وَإِلَّا كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ»^(٢).

وَلَا عَادَ مَعْنَى إِلَّا الدَّعْوَةَ، لَحْتِي يَتَنَوَّرُ الْوَادِي قَبْلَ لَا يَمْتَلِي زُورٌ، وَلَا شَيْءٌ مَكَانَ يَعِيشُ فِي حَضَرَمَوْتَ حَتَّى نَقُولَ لَكُمْ: سِيرُوا إِلَيْهِ^(٣).
وَأَقْصِدُوا الْجُهَّالَ إِلَى مَكَانِهِمْ، كَمَا كَانَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ بْنُ زَيْنٍ يَعْمَلُ

(١) أي: نطرق الأبواب.

(٢) الحديث رواه الترمذي (٢١٦٩).

(٣) أي: ليس في حضر موت مكان نستعِضُّ عن غيره.

بذلك، تراهم ساروا إلى جَاوَة والهند لأجل الدنيا وهي شيء فاني، كيف يضيِّعونَ الرِّيحَ الكبير^(١) وهو عندهم، وشي باقي وثوابه عظيم؟

وتأهَّبوا لمجيء المهدي، لأنه أَوْقَت، كان والذي إذا ذَكَرَه يقول: صَوْتُهُ يُسْتَمَع^(٢). عاونوا على الدعوة إلى الله، إذا جاء حَصَلَكُم على خيرٍ حتى تكونوا من مُعَاوِنِهِ وتَسْلُونَ سيوفَكُم معه. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: ينبغي لكلِّ مدرِّسٍ إذا جاءه الطالبُ أن يبتدي له بأذكارِ الصَّلَاةِ حتى يُحَكِّمَهَا كما ينبغي وليتفَعَّ السامعون.

* * *

وقال رضي الله عنه: خَلُّوا القهوة مثل القيد المنفَك، إن جاءت أو راحت، وما أحسنها في محلِّها.

* * *

وقال رضي الله عنه: في مكة أَيَّامَ الْحَجِّ يقرؤون المناسك^(٣) وهذه أشهرُ الحجِّ، اصرفوا أوقاتكم وقراءتكم في الدعوة إلى الله تعالى، تشبَّهوا بهم، لأنهم يقرؤون في مناسكِ الحجِّ، وأنتم في مسالكِ الحجِّ وغيره حتى

(١) أي: دعوة الناس.

(٢) إشارة إلى قرب ظهوره.

(٣) أي: كتب أحكام المناسك.

يظهر الخير، واحتسبوا أنكم مجاهدون؛ لأنكم لو كنتم في زمن النبي ﷺ لم يعذركم من حمل السيف، ودعوته عليه السلام باقية، فانصروها بالمعونة على نشرها وإذاعتها بأقلامكم وأقدامكم.

* * *

وقال رضي الله عنه: السيف والقلم لهما وجهان: إلى الجنة، وإلى النار. فمن كتب بقلمه طاعة أسعده الله به، ومن كتب بقلمه مخالفة شقي به. والسيف كذلك، تقتل به مسلماً بغير حق فتدخل النار، وتقتل به كافراً حربياً فتدخل الجنة. فإذا تعوذت من شر لسانك مرة، فاستعد من شر قلمك مئة مرة.

والقلم والسيف لا يُحمدان إلا لتقي، ولهذا كسر السيف سيّدنا الفقيه المقدم، أي: كسر الحيف^(١) في الحقيقة، وإلا تراهم سلّوه وسلّوه في الدعوة إلى الله تعالى. أو كما قال رضي الله عنه.

* * *

وقال رضي الله عنه يوم الجمعة لأربع شهر الحجة الحرام سنة ١٢٤٧، في مدرّس مذاكرة، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]:

أتدرون من هم أصحاب الفردوس؟ هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، من الأنبياء والصديقين والشهداء والأولياء وغيرهم. والإنسان

(١) الحيف: الظلم والجور.

لا يتمنى طولَ العمرِ إلَّا لهذا الشأن. كما قال بعضهم: لا أتمنى الحياةَ إلَّا لأحييَ سنةً أو أُميتَ بدعةً.

عاونوا على إحياءِ سنةِ نبيِّكم حتى تنالوا طوبى «بدأ الدِّينُ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباءِ الذين يُحيونَ ما أَمَاتَ الناسُ من سنَّي»^(١) حتى تنالوا شفاعته ﷺ. أو ما هو شفيعُكم؟ لا تزهدوا في شفاعته، واصبروا على ذلك^(٢) حتى تنالوا حُسْنَ الخاتمة.

وخلُّوا النساءَ والصغارَ يدعونَ اللهَ في السجودِ بظهورِ وإِلِ عَدْلٍ، حتى تحصِّلَ جميعُ الأمورِ بسَهالةٍ، لأنَّ النساءَ والصغارَ أرقُّ أفئدةً، ونرجو ذلك من كَرَمِ اللهِ وفضله وجوده، ولو ما نستأهلُ شيء. وانووا بحصولِ الوالي العَدْلِ عمارةِ الدِّينِ، أمَّا الدنيا، فقد قال عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «بُعِثْتُ بخرابِ الدنيا»^(٣) وإنما إذا صلَحَ الدِّينُ صلَحَت، لأنها تابعةٌ له. أو كما قال رضيَ الله عنه، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.



وقال رضيَ الله عنه مُذَاكِرَةً في القهوةِ^(٤): نُدْفِدُ عليها ونشربُها. ويكفي في مدحِها وأبلغُ من مدحِ المادحينَ عندي، أن سيدنا عبدَ الله الحدَّادَ يعملُها بيده في أولِ أمرِهِ عندَ انتباهِهِ من الليل، مع أنه مكفوفٌ

(١) الحديث: تقدم تخريجه.

(٢) أي: القيام بالدعوة وإحياء السنن.

(٣) لم أجاءه حديثاً.

(٤) أي: القهوة البنية المعروفة.

البصر، ولكن له ولأمثاله^(١)، كما قال بعضهم لمّا سمعَ قائلًا يقول: عندَ الصباحِ تحمّدُ القومُ الشّريّ، قال له: لك لا للجَمّالين. وذا مثله، بل قال بعضهم: ملءُ [كأسٍ] قهوةٍ عندي خيرٌ من ملئه ذهباً. دليل على زهده في الدنيا.

عرفنا أنّ مَنْ كانت عنده بهذه المنزلة يشربها، وأمّا غيره يُفصلُ فيه كما قال سيدنا الحبيب عبدُ الله الحدّادُ حينَ دَخَلَ عليه الرَّحْمَلِيّ^(٢): يا سيّدَ عبدِ الرحمن، تشربُ القهوة؟ قال: لا. قال: إذا أنت حرّ. مفهومه: أنّ مَنْ يشربها عبدُ الشهوة.



وقال رضي الله عنه: الله تفضّلَ عليكم برخاءِ الأسعارِ في هذه الأيام، اشكروا النعمةَ وقيدوها وليس الشكرُ شُكْرَ اللسانِ قولَ: الحمدُ لله فقط؛ بل شُكْرُ الفعل، ﴿اعْمَلُوا أَلَدَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

ومع الخيرِ تقعُ عُروُسات ونوائب^(٣)، خصوصاً عندَ المحترفين^(٤)؛

(١) أي: يصلح شرب القهوة المذكورة لأنه يستعين بها على النشاط في العبادة والقيام آخر الليل.

(٢) هو السيد عبد الرحمن.

(٣) أي: مع وجود الخير والسعة في أيدي الناس تكثر عندهم الولايم في الأعراس أو غيرها مما ينوب الناس.

(٤) أي: أصحاب الحِرَف.

لأنهم يَتَّقُونَ مع الخير^(١)، الحذر من المظاهرة^(٢)، باختلاط الرجال بالنساء، ورفع أصوات النساء، الحذر من كُفْرَانِ النَّعَمِ؛ لأنها تُبَدِّلُ نِقَمًا إذا كُفِّرَتْ؛ وَلَطَّفُوا الْأَشْيَاءَ فِي النِّوَائِبِ^(٣) كما كان سلفُكم في أيامِ الحبيبِ يا سيدُ أحمد بن زين الحبشي، خصوصاً أهلُ شِبابِ أمورهم على اللطف، ﴿وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا إن التشبُّه بالرجالِ فلاحُ والناسُ ثلاثة: بعضهم سابق، أي: يسبقُ سلفه، وبعضهم لاحق، أي: يلحقُ بهم، وبعضهم ماحقٌ سيرة سلفه. كرَّره مراراً. الحذرُ تَمَحُّقُونَ سيرة سلفكم، الله لا يمحقنا.

* * *

وقال رضي الله عنه: ينبغي للإنسان إذا طلب من الله شيئاً، أن يُفَوِّضَ الأمرَ إليه، فكم من مريضٍ يسألُ الله العافية، وعافيته على الحقيقة ذلك المرض.

* * *

(١) أي: يسرفون في أمورهم وأفراحهم جداً، فوق الحد.

(٢) أي: بأن يظهر الرجال على النساء غير المحارم ويجالسوهم ويكلموهم من غير احتشام.

(٣) أي: خففوا على أنفسكم الكلفة في نوائبكم وأفراحكم، ولطفوا، أي: قللوا الصرف، والنفقة، واجعلوها خفيفةً لطيفةً.

وقال رضي الله عنه: قالوا: إِنَّ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللَّهِ الْحَدَّادَ أُعْطِيَ حَظًّا
وأفراً من اتَّهَمَ النفسَ، انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ: يَا وَيْحَ نَفْسِي الْغَوِيَّةَ^(١).. إلخ.
وأمثاله من قوله:

بَخْتُ مَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ إِنَّهُ الرِّزْقُ الْكَبِيرُ

* * *

وقال رضي الله عنه: أَسْمِعْ أَنْ مَنْ بِهِ حُمَّى الثُّلُثِ^(٢) إِذَا أَكَلَ ثَلَاثَ
أَكْلَاتٍ زَيْنَةَ مِنْ فَتَّةِ الْبُرِّ وَلَحْمَ مَتَابَعَةٍ: غَدَاءً وَعِشَاءً وَغَدَاءً، تَزُولُ مِنْهُ.

قال بعضُ الحاضرين: إِنَّهُ حَضَرَ رَجُلًا يَصِفُ مَرَضًا عَلَى سَيِّدِنَا
أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ^(٣)، وَالْمَرَضُ حُمَّى الثُّلُثِ، فَكَلَّمَا وَصَفَهُ^(٤) بِدَوَاءٍ، قَالَ
الرَّجُلُ: قَدْ فَعَلْتُهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَعْنِي لِلْمَرِيضِ:
اخْرُجْ إِلَى السَّبِيَةِ^(٥) الَّتِي خَلَعَهَا الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ زَيْنٍ بِيَدِهِ، وَوَصَفَهَا لَهُ،

(١) تمامه:

يَا وَيْحَ نَفْسِي الْغَوِيَّةَ عَنِ السَّبِيلِ السَّوِيَّةِ
أَضَحَّتْ تَرَوُّجَ عَلِيَّةٍ وَقَصْدُهَا الْجَاهُ وَالْمَالُ

(٢) حُمَّى الثُّلُثِ: الْحُمَّى الَّتِي تَأْتِي يَوْمًا وَتَغِيْبُ يَوْمَيْنِ وَتَعُودُ فِي الثَّلَاثِ.

(٣) هُوَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ الْحَبْشِيِّ، كَانَ مَنْصِبَ

الْحَوِطَةِ فِي وَقْتِهِ، تَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ١٢٤٢ هـ.

(٤) أَي: كَلَّمَا وَصَفَ الْحَبِيبُ أَحْمَدَ الْمَذْكُورَ لِلرَّجُلِ.

(٥) نَخْلَةٌ مَثْمَرَةٌ.

خُذْ لَكَ مِنْهَا خُوصَتَيْنِ اجْعَلْهُنَّ فِي عَضْدِكَ يَحْصُلِ الشِّفَاءُ. فَفَعَلَ الرَّجُلُ،
فَوَلَّتِ الْحُمَى مِنْهُ وَلَمْ تَعُدْ.

قال سيدنا رضي الله عنه: انظروا إلى الهمة. وكان الحبيب عمر بن
سقاف رضي الله عنه أصابه بثرٌ في يديه، فوصفه على سيدنا الحبيب
جعفر، فقال له: خُذْ لَكَ بَقْرَةً. ثم قال عمر بن سقاف: وبقرة؟ أعني:
باتأذيه بعنوتها^(١)، خذ ضانه. ثم قال: تشوف خير، اخرج إلى الجابية حق
الحبيب أحمد بن زين فاغسل يديك فيها.

قال سيدنا أحمد: قال الحبيب عمر^(٢): من حين خرجت من عنده قد
ظهرت العافية من البثور فزالت.

ثم قال سيدنا: قال الحبيب محمد بن سميطة: إذا خرجنا عانياً^(٣)
إلى «الحوطة» يصف مرضاً. قد نحن نشاهد العافية في المريض قبل الوصف.

وقال — أعني سيدنا محمد بن سميطة لسيدنا أحمد بن زين رضي الله
عنه —: لو نَقَلْتُمُوهُ الْأَدْوِيَةَ الْمَجْرَبَةَ الَّتِي وَصَفْتُمُوهَا، وَحَصَلَ بِهَا الشِّفَاءُ!
فقال له: ليس هو من باب التجربة، إنما ذلك لِنَبِّهِمْ فِينَا وَنَبِّئْنَا فِيهِمْ.

ثم قال سيدنا أحمد بن عمر رضي الله عنه: ما الحبيب أحمد إلا

(١) أي: بالاعتناء بها.

(٢) أي: عمر بن سقاف.

(٣) أي: إذا أرسلنا رسولاً عانياً قاصداً (الحوطة)... شاهدنا آثار العافية في المريض
قبل وصول العاني إلى الشخص المرسل إليه ووصفه المرض عليه.

مقامٌ عظيم. كما قال جدُّه سيّدنا أحمدُ الحبشيُّ صاحبُ الشَّعب^(١)، وذلك لما شكّا إلى سيّدنا الشيخ أبي بكر بن سالمٍ من أذى وصلَّه من الذي هو في مكانه. قال له الشيخُ أبو بكر: رُحْ تزوِّجْ عندهم، وعاد بأيُّخرج الله من صُلبك من يُستشفى به من السُّمِّ الناقع.

قال سيّدنا: انظرْ إلى ناطقٍ أولياءِ الله! ولا نراه إلّا الحبيبَ أحمدَ بن زين، أعني المبشِّرَ به في الناطق. رضيَ الله عنهم ونفعنا بهم، آمين. أو كما قال سيّدنا، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.



قال رضيَ الله عنه: إذا صدَّقَ التوحيدُ تمَّ الشكر، وإذا ضعُفَ التوحيدُ عُدِمَ الشكر؛ لأنَّه حينئذٍ ما يشهد إلّا الوسائط وينسى مسبِّبَ الأسباب. والشاكرُ مُوحَّد.

اللهمَّ ما أصبح بي مِن نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمدُ ولك الشكرُ على ذلك.

ولا مقابلَ له إلّا الشُّركُ والعياذُ بالله. والصابرون كثير، وأمّا الشاكرون فقليل، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

إذا اتخذَ الناسُ الذهبَ والفضةَ والعُرُوضَ، فاتَّخَذُوا قُلُوبًا شاكراً ولساناً

ذاكراً. واللسانُ عنوانُ الجنان، إذا اعتَمَرَ القلبُ اعتَمَرَتْ، وإذا خَرِبَ خَرِبَتْ. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: ماذا يستحضرُ أحدُكم عندَ قوله: اللهم لك الحمدُ وإليك المُشْكى وأنت المستعان؟ فسكتَ الحاضرون، فقال رضي الله عنه: يستحضرُ قولَ سيدنا عبدِ الله الحداد:

أشكو إليك وأبكي من شومِ ظُلُمي وإفْكي

إلى قوله: وحبُّ دنيا ذميمة... إلخ^(١)، إذا كان الصالحون يعترفون بحبِّ الدنيا، فكيف إلا نحن «يا حَطَبُ يا قَرْطَبُ» غارقون في محبتها!

* * *

وقال رضي الله عنه: كلُّ ساكتٍ عن الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ فهو راضٍ بهدمِ الدينِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: مِيقَاتُ المعاونة على البرِّ والتقوى هو العمرُ، فإذا فَنِيَ ولا عاوَناً الإنسان، رَجَعَ يتَحَسَّفُ^(٢)، فكم من مُوَبِّخٍ في قَبْرِه على

(١) تمام الأبيات:

أشكو إليك وأبكي من شومِ ظُلُمي وإفْكي

وسوءِ فعلي وتركِي وشهوةِ القليلِ والقال

(٢) أي: إذا فني عمر الإنسان وهو لم يقم بما عليه من الواجبات رجع يتحسر =

عدم المعاونة والتشاقل عنها. عاونوا عليها، وكلُّ يبذل جهده فيه، ويجعل حظه الأوفر فيه، ويتمنى طول الحياة لأجله.

* * *

وقال رضي الله عنه في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٨٥]: كرّروا هذه الآية، فإنّ الشيطان يزعل منها جم جم.

* * *

وقال رضي الله عنه: وردَ عنه عليه الصلّاة والسّلام: «لا غنى مع زنا»^(١)، ووردَ: أنّ «زنا العينِ النظر، والأُذنِ الاستماع»^(٢). فما تراه من نقصِ الرزقِ وعدمِ الزيادة فيه إلا من الاستهانة بأُمورِ الشرع.

وغالبُ الناس يكلمُ الأجنبيةَ ويسمَعُ صوتها، مثلَ خادمةٍ وغيرها، خصوصاً في شبامٍ لضيقتها^(٣). فاللائقُ بالإنسان أن يجعلَ رجلاً يخدمه، وإذا أتى بنحوِ ماءٍ أو غيره يضعه في وسطِ بيته^(٤)، ثم النساءُ يطلعون به إلى حيث أرادوا، وذلك أسلمٌ وأحسنُ من خدمةِ الحرمة؛ لأنّ النساءَ ناقصاتُ عقلٍ ودين، أو كما قال.

= على ما فات من عمره.

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٧).

(٣) أي: ضيق بيوتها لصغر مساحتها.

(٤) أي: في الأدوار التي لا يوجد النساء فيها؛ لأنّ تواجدهن غالباً في الأدوار العليا كما هي عادة أهل حضرموت لا سيما أهل شبام لعلو ديارهم.

وقال رضي الله عنه: يَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْحَرَامِ وَأَهْلِ الْحَرَامِ خَصْلَتَانِ؛ الْقَنَاعَةُ، وَالْاِقْتِصَادُ فِي الْمَعِيشَةِ، فَإِذَا قَنَعَ الْإِنْسَانُ وَاقْتَصَدَ فِي مَعِيشَتِهِ، سَلِمَ مِنَ الْحَرَامِ وَأَهْلِ الْحَرَامِ، وَمَنْ تَوَسَّعَ فِي أَكْلِهِ وَلُبْسِهِ، احْتَاجَ لَا مُحَالَاةً إِلَى الْحَرَامِ وَأَهْلِ الْحَرَامِ وَالْاِحْتِيَالَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

* * *

وقال رضي الله عنه: أضعفُ سببٍ يقيمُ الإنسانَ معَ القناعة، ومعَ عَدَمِهَا لو جميعُ الأسبابِ ما تحمله^(١)، ويُمضي وقته مُهَذَّذًا^(٢)، ولا يسيرُ الإنسانُ بسيرِ أهلِ الزمانِ إنْ بَغَا المَحَلَّةَ فِي بَلَدِهِ، بَيْنَ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، بَلْ يُرَاعِي نَفْسَهُ بِمَا يَعْبُرُ بِهِ الْحَالِ، وَيُقْبِلُ عَلَى اللَّهِ، وَإِلَّا عَبَّرَ وَقْتَهُ وَلَا حَصَلَ ذَا وَلَا ذَا.

وقال رضي الله عنه: الْحَسْرَةُ عَلَى الْخَيْرِ قُرْبٌ مِنَ اللَّهِ، وَعَدَمُ الْحَسْرَةِ عَلَى الْخَيْرِ قُرْبٌ مِنَ الشَّرِّ.

* * *

(١) أي: إن الإنسان إذا قنع كفاه وقام بحاجته أبسط أو أدنى عملٍ يقوم به، لكنه إذا طمع ولم يقنع لم يكفه دخله ولو كان قائماً بجميع أسباب الرزق والتجارة وأنواعها.

وأحوال الناس تختلف، على حد قول الطبراني في «لاميته»:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني — ولم أطلب — قليلٌ من المالِ
ولكنَّما تسعَى لمجدٍ مؤثِّلٍ وقد يُدرِكُ المجدَ المؤثِّلَ أمثالي

(٢) أي: مضيِّع وقته وعُمُره في الأسفار والاعتراب، لا يقر له قرار.

وقال رضي الله عنه: مَنْ تَحَفَّظَ حُفِظَ، مِنْكَ التَّحَفُّظُ وَعَلَى اللَّهِ الْحِفْظُ. وَمَنْ حَفِظَ عَيْنَهُ حَفِظَ قَلْبَهُ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١].

وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً إلى كل شيء أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ عليه، ولا عن بعضه أنت صابرٌ

ومثال الإنسان في الدنيا كالمُقَطَّب^(١) يقال له: اذهِن من الرِّيح^(٢)، اذهِن من كذا أو كذا. ويقال للإنسان كذلك: لا تفعل كذا، اترك كذا، حتى يموت على حسن الخاتمة، كالمُقَطَّب إذا مسح أحرز السلامة. أو كما قال وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضي الله عنه: احذر من نفسك وزوجتك، فإنهما عدوٌّ محبوب^(٣). ولهذا قالوا: لا بُدَّ من شيخٍ مُرشد، لأنه يذكُّك على عيوبِ نفسك، لأنها تَعْمى عن عيوبها. اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شرِّ نفسي.

* * *

(١) أي: المصاب بداء القطيب، وهو داءٌ يصيب البدن كالجذام، يُمنع المصاب به مسُّ الماء ونحوه، نسأل الله العافية والسلامة.

(٢) أي: احذر وانتبه من شم العطر والروائح الطيبة.

(٣) لأن الغالب عليهما طلب المشهيات والمحجوبات من الملذات.

وقال رضي الله عنه: ما أدري كيف باتكون أحوال الأعيان^(١) في القبور، الساكيتين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ بأيوبخون بأيوبخون، كررها مراراً، وفي الدنيا تقصُر أعمارهم، ويتغربون عن اوطانهم، هذا أقل عقوبتهم في الدنيا.

* * *

وقال رضي الله عنه: يقولون: لولا المُرِّي ما عرفت ربي، ولولا المُرقي ما عرفت رقي. والمدار كله على الوالي، عسى الله يُمُنُّ به علينا، ما بايدخل الناس الجنة إلا الوالي.

* * *

وقال رضي الله عنه لبعضهم؛ وقد تغيرت إحدى عينيه: يا فلان، قل كما قال بعضهم: إن ابتليت فلطال ما عافيت، وإن أخذت فلك الحمد على ما أبقيت.

* * *

وقال رضي الله عنه: قيل: إنَّ العقول في آخر الزمان تعرج، يعني: إما تعرج أي: تصعد، أو تعرج أي: تكسح^(٢). والله سبحانه وتعالى لم يخاطب في كتابه إلا أولي الألباب في عدة مواضع، وهم أهل العقول.

* * *

(١) أي: أعيان الناس ورؤسائهم.

(٢) من العرج، وهو الكسح بالدارجة.

وقال رضي الله عنه: عَظَّمُوا حُرْمَاتِ اللَّهِ، لاَ حَدَّ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ إِلَّا بِرَائِحَةِ طَيِّبَةٍ، حَتَّى يَحْتَرِمَكُمُ اللَّهُ، وَيَصُونُ بِلَادَكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْبَغْشِ، أَعْنِي الْقَبَائِلُ^(١)، إِذَا عَظَّمْتُمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ وَأَمَرَهُ بِاِيْخْصُلَ لَكُمْ الْخَيْرَ. ﴿وَمَنْ يُهِنْ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

* * *

وقال رضي الله عنه عِنْدَ قِرَاءَةِ الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي سَمَاعِ الْعِلْمِ^(٢): «فَتَحُ الرِّحْمَنُ»^(٣) أُنْمُوذَجٌ مِنْ سَمَاعِ الْعِلْمِ^(٤). يَعْنِي أَنَّهُ يَسْلَمُ سَامِعُهُ مِنَ الْوَعِيدِ الْمَذْكُورِ فِي الْحَدِيثِ فِي عَدَمِ سَمَاعِ الْعِلْمِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: بِاقُولٍ قَوْلًا: سَبَبُ عَدَمِ إِقَامَةِ الْوَالِي لِأَهْلِ

(١) أي: المحاربة التي تعيث في الأرض فساداً.

(٢) وهو حديث: «أَغْدُ عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً أَوْ مُسْتَمْعِاً أَوْ مُحِبّاً، وَلَا تَكُنِ الْخَامِسَ فَتَهْلِكُ»، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَرَوَاهُ أَيْضاً أَبُو نُعَيْمٍ وَالتَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، «كَشَفُ الْخُفَا» (١: ١٦٧).

(٣) هو كتاب «فَتْحِ الرَّحْمَنِ» فِيْمَا يَحْصُلُ بِهِ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ، لِلْعَلَمَةِ الْفَقِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ الْوُضَائِيِّ الزَّيْدِيِّ، الْمُتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ١١٣٥ هـ.

(٤) لِأَنَّ أَهْلَ شِبَامَ كَانُوا يَعْتَنُونَ بِقِرَاءَةِ «فَتْحِ الرَّحْمَنِ» عَنَآيَةً كَبِيرَةً، يَقْرَؤُونَهُ فِي تَجْمُعَاتِهِمْ، وَخَلْفَ الْجَنَائِزِ، وَيَحْفَظُهُ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ وَالْأَطْفَالُ وَالْعُمَّالُ وَكَافَّةُ الْعَامَةِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ.

حُضِرَ مَوْتٌ، تَهْوِيْنُهُمْ فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، كُلَّمَا قَامَ سُلْطَانٌ انْقَمَعَ، كَمْ قَدْ شَاهَدْنَا فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَعَدَّ جَمَاعَةً مِنْهُمْ^(١)؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ وَصَفَ أُمَرَاءَ الشُّوءِ قَالُوا لَهُ: أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ»^(٢).

مَا بَاتَتْمُ الْأَشْيَاءُ جَمِيعُهَا وَالْمَقَاصِدُ إِلَّا إِنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِوَالِي عَدْلٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ، لَا تُخْصِرُ لَهُ مَنَنْ، الْحَذَرُ حَدٌّ يَخْصُرُ فَضْلَ اللَّهِ فِيمَنْ مَضَى، خَزَائِنُهُ مَكَانَهَا مَلَانَةٌ، وَإِنَّمَا التَّعَرُّضُ لِلنَّفَحَاتِ مَأْمُورٌ بِهِ، فِي الْحَدِيثِ «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا»^(٣)؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا عَالَمٌ أَسْبَابٌ، مُرْتَبِطٌ ذَا بَدَأٍ، وَالْآخِرَةُ عَالَمٌ قُدْرَةٌ، كُنْ فَكَانَ. أَوْ كَمَا قَالَ.



وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَحْنُ نُعَوِّلُ^(٤) عَلَى صَلَاةِ السُّوَالِ وَالْبَادِيَةِ، وَعَلَى إِنْكَارِ مُظَاهَرَةِ الْحَرَّافِينَ^(٥) وَمَنْ ضَاهَاهُمْ، لِأَجْلِ أَهْلِ بَيْوتِنَا يَتَسَمَّحُونَ

(١) مِمَّنْ شَاهَدَ الْحَبِيبَ أَحْمَدَ زَوَالَهُمْ وَانْقِمَاعَهُمْ مِنْ سَلَاطِينِ حُضِرَ مَوْتٍ: السُّلْطَانُ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ، الْآتِي ذِكْرُهُ، وَأَخُوهُ عَمْرٌ وَبَدْرٌ، وَعَلِيٌّ بْنُ بَدْرٍ، وَعَمْرٌ بْنُ جَعْفَرٍ، وَابْنُ مَقِيسٍ التِّمِيمِيُّ، وَالْإِمَانِيُّ... وَغَيْرُهُمْ.

(٢) الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (١٨٥٥).

(٣) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٧٢٠) (١: ٢٥٠)، وَ«الْأَوْسَطِ» (٢٨٥٦).

(٤) أَيُّ: نَهَنَمَ بِهَا وَنَبَهَ عَلَى مَا فِيهَا.

(٥) الْحَرَّافُونَ: أَصْحَابُ الْحِرَفِ. الْمُظَاهَرَةُ: اخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ غَيْرِ الْمُحَارِمِ دُونَ حَشْمَةٍ.

ولا يتنزّلون^(١)؛ لأنّ الناسَ مراتبٌ ومنازل، كما الدار^(٢): بعضهم في الطّيارم^(٣)، وبعضهم في المَراويح^(٤)، وبعضهم في المَحاضِر الطّوالع^(٥)، وبعضهم تحت^(٦)، وبعضهم في الضّيقة^(٧)، إنّ بقيتَ تحادي عليهم^(٨) بقي كلّ في مرتبته، ومتى نزلَ مَنْ في الضّيقةِ إلى خارج، نزلَ واحدٌ من فوقه إلى محلّه، ونزلَ مَنْ فوقه إلى منزلٍ الثّاني، وهكذا تتنازلُ الأمور^(٩).

فقد كان تسعةُ أعشارٍ من آلِ حضرموت ما يُصلّون، قال ذلك والذي رضيَ الله عنه^(١٠)، والعُشرُ الذي يصلّون، يصلّون صلاةً ما أدري كيف

(١) أي: يتصلّحون وتصلّح أحوالهم، ولا يتنزّلون: أي: يتركون ما هم عليه.

(٢) أي: مثل مراتب الناس ومنازلهم مثل طبقات البيوت وأدوارها.

(٣) جمع طَيْرَمَة: أعلى منزلٍ في البيت الشبامي.

(٤) جمع مرواح: وهو الطبقة أو الدور قبل الأخير، وهي والطيارم تعد للنوم.

(٥) وهي الغرف المعدّة للجلوس اليومي المعتاد.

(٦) أي: في المحاضر الهابطة (التحتانية)، وهي التي تعدّ غالباً للضيوف.

(٧) أي: في مدخل البيت.

(٨) أي: تتلطف بهم وتحافظ عليهم في أماكنهم.

(٩) أي: ينفرط عقدها وتضيع.

(١٠) المتوفى سنة ١٢٠٧هـ، وهذا الأمر كان فاشياً بسبب تخيير الجهل على الناس

في ذلك الزمان، والفوضى والاضطرابات شغلت الناس عن أمورهم اللازمة

وفروضهم.. يعلم هذا من نظر في تاريخ حضرموت في تلك الحقبة الزمنية،

ولأن الناس أيضاً كانوا أهل بداءة؛ وهذا الأمر قد يكثر في مكان دون آخر تبعاً

لوجود العلماء والمذكّرين وقتلهم، والله أعلم بحقيقة الحال.

هي؟! رَسَّخُوا الْخَيْرَ فِي أَهْلِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ. أو كما قال أو ما هذا معناه وأستغفرُ الله.

وقال رضي الله عنه: في المثل: «مَنْ قَنَعَ شَبَعَ عَنْ الْحَرَامِ»؛ لأن مَنْ تَوَسَّعَ احتَاجَ، وَمَنْ احتَاجَ احتَالَ. ترى أَهْلَ الزَّمَانِ لَمَّا تَوَسَّعُوا فِي الْمَعَاشِ احتَاجُوا لِلْحِيلِ، وتَغَرَّبُوا إِلَى جَاوَةِ الْهِنْدِ، ويموتُ غَرِيبٌ متَعَوِّبٌ! والسَّبَبُ قِلُّ الْقَنَاعَةِ، قال بعضُ السلف: اتَّقِ اللَّهَ، فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ تَقِيًّا محتَاجًا. وَمَنْ قَنَعَ فَقَدْ اتَّقَى الْحِرْصَ. والحريصُ في الدنيا مغمومٌ مهمومٌ مقهورٌ.

وفي بعض التفاسير: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، أي: القنَاعَةُ في الدنيا، ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤]، أي: في الحرصِ في الدنيا. وإن كان صاحبُ شيءٍ لکن قلبه ملهوف، ظمآنٌ مخيف، يتبعُ أوهاماً وخيالات، نَسِيَ الْمَرْجِعَ، واليوم الآخر.

شُو نحن بنا سَكَرَهُ وَخَيْرَهُ، أَيْنَ نحن مِنْ هَذِي الرُّسُولِ، وذا حَالُنَا؟ وَنَدَّعِي محبةَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ ولا نعاونُ على نُشْرِ سِيرَتِهِ وما جاء به؟ جَدُّوا جَدُّوا خصوصاً آلَ أَبِي عَلَوِي، حتى تحضَّلَ نَفْحَةُ لِلْجَهَةِ. يرجعونَ فقهاءَ من آلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وفقهاءَ من آلِ طَالِبٍ^(١)، أو ما يَصْلُحُ ذلك؟ لَكِنْ أَهْلُ الزَّمَانِ مُسْتَبْعِدُونَ، ولا شَيَّ حِيلَةَ إِلَّا ذلك، يجعلونَ فقيهاً في كُلِّ مَحَلَّةٍ يعلمُ نساءَهُم وأولادَهُم، خصوصاً الدولة، لأنَّ خَيْرَهُم ضَافِي وَضُرَّهُم

(١) أي: حتى يصير عندنا فقهاء من آل عبد العزيز وآل طالب، وهم من القبائل الكثيرة الشنقرية المعروفة في جهة شام.

ضافي، حتى يصيروا نفعاً لهم ولغيرهم، وإلا صاروا بلاءً عليهم وعلى غيرهم. أو كما قال، أو ما هذا معناه.

* * *

وقال رضي الله عنه يوم الجمعة قبل الصلاة، جماد آخر سنة (١٢٤٧هـ) سبع وأربعين ومئتين وألف: فضل الله وكرمه واسع أن يُقيَضَ الله لنا والياً عدلاً لولا الموانع، وهذان مانعان في جهتنا باتمنع نحن الوالي العدل: المعاملة الفاسدة بالحيل الربويات، مثل: الكيل وباقي اللِّفالف والحيل، والمانع الثاني: هذه المظاهرة^(١) في العوام، يختلط الرجال والنساء، ما فيهم حياة من الله تعالى، نبذوا سورة التور وأعطوها خوزهم^(٢). تعاونوا في زوالهنّ تحصّلون السعادة وكلّ خير؛ لأنّ الذنوب موانع، «إنّ العبد يُحرّم الرزق بالذنوب يُصيّبه»^(٣)، والأرزاق قُذها مقدّرة، معادها بالخَبَب والتعب.

وارجعوا إلى سيرة سلفكم في البناء والفراش واللباس. والسلف من زمان سيدنا أحمد بن زين وشيد^(٤). هي الطريقة المحمودة، وابتحثوا على سيرهم واقنعوا واقتصدوا في المعاش.

«ابن آدم، إن كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك فالقليل منها يكفيك،

(١) أي: التظاهر علناً.

(٢) أي: مؤخرة رؤوسهم، كناية عن الإدبار والتنكب.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٤٩١).

(٤) أي: وما تقدم على زمانه، من القرن الثاني عشر وما نزل عنه.

وإن كنتَ تطلبُ منها فوقَ ما يكفيك فجميعُ الدنيا بأسرها ما تكفيك. ابنُ آدم، لا بقليلٍ تقنعَ ولا من كثيرٍ تشبع، لو كان لابنِ آدمَ وادٍ من ذهبٍ لا يبتغيَ إليه ثانياً، ولو كان له ثانياً لا يبتغيَ إليه ثالثاً، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ — يعني: ترابَ القبر — ويتوبُ اللهُ على مَنْ تاب^(١) يعني: قنع.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، ما تمتلي عينُ ابنِ آدمَ من النظرِ إلى الدنيا وزهرتها إلا إذا امتلأتُ من ترابِ القبر. أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: امحوا العوايد قبل أن تمحوكم وتمحو رسومكم، ترجع حضرموت مكالف وحرافين، والأعيان يكونون قسَمَ الغرب^(٢)، ولا مَحُوها إلا بالرجوعِ إلى سيرةِ السلفِ التي فيها شرفُكم.

واقْتَدِ هَذَاكَ اللهُ بِالْأَسْلَافِ

وَهُمُّوا بِذَلِكَ، وَالْقَهْوَةُ هَذِهِ مِنْ أَكْبَرِ الْمَكْنُفَاتِ.

(١) الحديث بعضه في «الصحيحين» البخاري (٧٦٥٨)، (٨٠٨٢)، ومسلم (١٠٤٨)، وأوله عند البيهقي في «الشعب» (١٠٣٦٠) و(الحلية) (٩٨: ٦).

(٢) أي: بسبب العوائد والرسوم يسافر الأعيان والتجار خارج حضرموت ويكون نصيبهم الغربة، ولا يبقى في حضرموت إلا المكالف، وهن النساء العوانى المخدرات في البيوت وأمثالهن من العَجْزة. ولا حل لهذه المشكلة الاجتماعية إلا بالرجوع إلى سيرة السلف... إلخ.

إِنَّ مَنْ اللَّهَ عَلَيْنَا بِوَالِي عَذْلٍ أَوَّلَ مَا يَسْبِرُ^(١) بِإِزَالَةِ الْمَكْثَفَاتِ الْمُغْرَبَاتِ، الَّتِي الْقَهْوَةُ مِنْ أَعْظَمِهِنَّ، يَطْوُلُ الْمَجْلِسُ بِسَبَبِهَا وَإِذَا طَالَ جَرَتْ فِيهِ الْمَعْصِيَةُ، كَمَا قَالَ الشُّعْرَانِيُّ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَصَّروا فِي الْمَجَالِسِ؛ فَإِنِّي جَرَّيْتُ مَا طَالَ مَجْلِسٌ إِلَّا وَجَرْتُ فِيهِ الْغِيَّةَ». انْتَهَى. وَأَنْتَى بِالسَّلَامَةِ مِنْ ذَلِكَ!! وَغِيَّةُ الْقَلْبِ سُوءُ الظَّنِّ، الْحَذَرُ مِنْ ذَلِكَ. وَكُلُّ مَنْ يِعَاوُنُ وَيَحْبُ الْمَعَاوَنَةَ يَجْبِيهَا، (أَي: الْقَهْوَةَ)، صِغَارَهُ ذِكُوراً وَإِنَاثاً، وَاجْلِسُوا فِي بُيُوتِكُمْ، لَا حَذَّ يَخْرُجُ إِلَّا لِمُهُمْ، وَإِذَا رَاحَ عِنْدَ قَرِيْبِهِ يَخْفَفُ الْمَجْلِسُ، مِثْلَ الْعُودَادِ. قَالَ فِي الْحَدِيثِ: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ»^(٣).

وَاقْتَعُوا فِي مَعَاشِكُمْ، حَادُوا^(٤) عَلَى أَوْلَادِكُمْ مِنَ الْغُرْبِ وَالْغُيْبِ، لَا تُظْلَمُوهُمْ^(٥): يَا ظَالِمَ يَا ظَالِمَ، ظَلَمُوا أَوْلَادَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ، حَسْبُهُمُ اللَّهُ، حَسْبُهُمُ اللَّهُ.

وَالنَّصِيبُ الْمَقْسُومُ^(٦) قَدْهُ مَقْدَرٌ، مَا بَايَفُوتُ، وَلَا هُوَ بِالْخَبَبِ وَالْهَشِيشِ، وَإِنَّمَا الْحَرْصُ وَالطَّمَعُ وَالْوَهْمُ يَلْعَبُ بِنَا. وَصُورَةُ الْحَرْصِ هِيَ

(١) أَي: يَبْدَأُ.

(٢) هُوَ الْإِمَامُ الْعَارِفُ بِاللَّهِ أَبُو الْمَوَاهِبِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَحْمَدَ الشُّعْرَانِي الشَّافِعِي، صَاحِبُ التَّأْلِيفِ الْمُبَارَكَةِ فِي التَّصَوُّفِ وَغَيْرِهِ. وَفَاتَهُ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٩٧٣هـ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٣) الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَوَادٍ (٤٢٦٢)، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ (٤٠٨: ٤)، وَالْحَاكِمُ (٤٤٠: ٤).

(٤) أَي: حَافِظُوا.

(٥) أَي: لَا تَنَادُوهُمْ بِهَذَا النِّدَاءِ: يَا ظَالِمَ؛ لِأَنَّهُمْ بَعْدَمَا كَبُرُوا ظَلَمُوا أَوْلَادَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ.

(٦) أَي: الرِّزْقُ.

التي أَخْرَجَتْ آدَمَ من الجنة؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ معصومون، وفي الحديث: «ابن آدم، لا يَقليلُ تَقْنَعُ»... إلخ، «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا في سِرِّهِ، مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا»^(١)، قال رضي الله عنه: «وذلك لِأَنَّ مقصودَ الدنيا معه. أو كما قال رضي الله عنه ونفع به، وذلك في جمادِ الأولِ سنة (١٢٤٨) ثمانٍ وأربعين ومِئتين وألف».



وقال رضي الله عنه: قال العلماء رضي الله عنهم: مَنْ عِلِمَ بالسَّلْعَةِ عَيْبًا لَزِمَهُ أَنْ يُبَيِّنَ... إلخ. كذلك العارفون بالله تعالى، عِلِمُوا عَيْبَ الدُّنْيَا فَبَيَّنُوا عيوبَهَا.

انظُرْ إلى كلامِ سيدنا عبدِ اللهِ الحَدَّادِ، خصوصاً القصيدة : (فيمَ الركُونُ)... إلخ، فينبغي للإنسان أن يجعلَ هذه القصيدة، والقصيدةَ الثانيةَ: (تَفِيضُ عَيْوَنِي بالدموعِ السَّوَائِبِ)^(٢)... إلخ، مِنْ أَوْرَادِهِ، يَأْتِي بِهِنَّ كُلَّ يَوْمٍ مَعَ فَرَاغِ الْقَلْبِ، وَيَتَفَكَّرُ فِيهِمَا حَتَّى يَهْوُونَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرُوا إِلَى حَقِيقَتِهَا؛ لِأَنَّ ظَاهِرَ الدُّنْيَا حُلُوَّةٌ خَصِرَةٌ، وَبَاطِنُهَا جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، وَلَا

(١) الحديث رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١).

(٢) تمام البيت:

وما لي لا أبكي على خيرٍ ذاهبٍ	تَفِيضُ عَيْوَنِي بالدموعِ السَّوَائِبِ
بِأَمَالٍ مَغْرُورٍ وَأَعْمَالٍ نَاكِبٍ	على العُمُرِ إِذْ وَلَّى وَحَانَ انْقِضَاؤُهُ

«الديوان» (٦٠ - ٦٣).

عَرَفَ قَدْرَهَا إِلَّا الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ مِثْلُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ، حَتَّى تَمَثَّلَتْ لَهُ
الدُّنْيَا فَقَالَ لَهَا: (تَنَحَّيْ تَنَحَّيْ، لَا سَلَاماً وَلَا رَضًى). . . إلخ. أو كما قال.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ سَلَفُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُحَوَّلُونَ فِي كُتُبِهِمْ
عَلَى «الْإِحْيَاءِ»، وَكَانَ يَسْمِيهِ الْعِيدَرُوسُ^(١) (الْأَعْجُوبَةُ).

وَقَالُوا لَهُ^(٢): لَمْ لَا صَنَّفْتَ؟ قَالَ: كَلَامِي فِي الْغَزَالِيِّ تَصْنِيفٌ^(٣).
وَضَمِنَ لِمَنْ كَتَبَهُ بِالْجَنَّةِ.

وَقَرَأَهُ الْعَدْنِيُّ خَمْساً وَعِشْرِينَ مَرَّةً عَلَى الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ،
وَقَرَأَهُ وَلَدُهُ أَحْمَدُ^(٤) أَيْضاً خَمْساً وَعِشْرِينَ مَرَّةً عَلَى الشَّيْخِ عَلِيِّ أَيْضاً، صَحَّ
قُرِئَ عَلَى الشَّيْخِ عَلِيِّ خَمْسِينَ مَرَّةً.

وَكَانَ «الْإِحْيَاءُ» مِنْ أَوْرَادِ سَلَفِنَا، كَانَ الْحَبِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ سُمَيْطٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ بِجُزْءٍ. وَقَرَأَهُ سَيِّدُنَا الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْحَدَّادُ نَحْوَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مَرَّةً، عَسَى اللَّهُ بِحَقِّهِ يُصَلِّحُنَا وَيُصَلِّحُ بِلَادَنَا
وَأَهْلَهَا، يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ.

(١) هو الأكبر.

(٢) أي: للإمام عبد الله العيدروس.

(٣) وكلامه هذا يعرف بـ (البَحْبَحَةُ)، لِأَنَّ عِبَارَاتِهِ تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ: بَخٍ بَخٍ . . . إِلَى آخِرِهِ.
وهو مطبوعٌ على حدة، طبع قديماً بالهند.

(٤) هو السيد الشريف أحمد المساوي بن أبي بكر العدني، ولد بتريم سنة ٨٨٧ هـ
وتوفي بعدن شهر محرم ٩٢٦ هـ.

وقد قال سيدنا أبو الحسن الشاذلي^(١) رضي الله عنه: مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَسَّلْ بِالْغَزَالِيِّ. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ كَانَ عَادَ أَحَدُ نَبِيِّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَكَانَ الْغَزَالِيُّ، وَلَكَانَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي كُتُبِهِ. وَكَادَ «الْإِحْيَاءُ» أَنْ يَكُونَ قُرْآنًا. قِيلَ: لِأَنَّهُ أَعْجَزَ بِهِ السَّابِقِينَ، وَقِيلَ: لَكثَرَةِ الْآيَاتِ فِيهِ.

وقال رضي الله عنه: كُلُّ إِنْسَانٍ مَذْرِي بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ قُطْبَ زَمَانِهِ، وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنَ زَمَانِهِ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ سِرًّا مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ حَتَّى الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ: التَّرْقِي. احذَرُوا مِنَ النُّزُولِ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: ادْعُوا الْقِبَائِلَ إِلَى اللَّهِ وَعَوَّلُوا عَلَى هِدَايَتِكُمْ، فَالْقَلُوبُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ.

وَفِي الْقِصَّةِ الْمَشْهُورَةِ لِبَعْضِ الْمَشَايِخِ، وَقَدْ حَضَرُوا تَلَامِذَهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ وَالسَّعْرُ مِثْلًا فِي قَهَاوِل. فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَالسَّعْرُ نِصْفُهُ^(٢). قَالُوا لَهُ: كَيْفَ ذَلِكَ وَلَا مُوسِمَ وَلَا خَرِيفَ؟ وَالشَّيْخُ

(١) الإمام الجليل، توفي سنة ٦٥٦هـ، وإليه تنسب الطريقة الشاذلية.

(٢) أي: أنه قال لهم: سيرخص سعر الطعام (البر)، وسيكون سعره الشيء الفلاني يشتري به قهاول، وهو مقياس لكيل الطعام، وكان السعر آنذاك الذي حدده لهم لا يأتي لهم إلا بنصف قهاول، فاستغربوا لحصول البشارة بالرخص والرخاء في =

يُحْمَسُ طعاماً على النار، فَبَقِلَتْ حَبَّةٌ فِي الْمِحْمَاسِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَأَسْبَلَتْ وَوَقَعَ طَعَامٌ فَأَخْرَجَهَا وَفَحَقَهَا^(١) وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ خَلَقَ هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ. قَالَ: وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ^(٢)! فَوَقَعَ فِي خَاطِرِ الْحَاضِرِينَ أَنَّ الشَّيْخَ كَاشَفَ بِسَوَاعِي^(٣) وَاصِلَةَ بِطَعَامٍ. فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَأَخْرَجُوا مَا عَنْدهُمْ مِنْ طَعَامٍ ذَخِيرَةٍ^(٤) إِلَى السُّوقِ، فَتَكَاثَرَ الطَّعَامُ فَوَصَلَ إِلَى مَا قَالَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَنَحْنُ نَقُولُ فِي هِدَايَةِ الْقِبَائِلِ كَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ أَهْلُ الزَّمَانِ مُسْتَبْعِدِينَ ذَلِكَ^(٥). فَفَضَّلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِأَحَدٍ وَلَا بِوَقْتٍ وَلَا بِمَكَانٍ. عَسَى اللَّهُ يُطْلِقَ الْأَلْسُنَ بِالتَّذْكِيرِ، وَالْآ إِنَّ دَامَ السَّكُوتُ يَرْجِعُ حَالُنَا كَحَالِهِمْ، كُلُّنَا إِلَّا سَوَاءً:

* أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ *

= ثمانية أيام فقط حسبما أخبرهم.

(١) أي: أن الشيخ وهو يحمس الطعام، أي: يقلبه على النار، نبتت حبة في ذلك الصاج الساخن بقدرة الله، وكبرت حتى صارت سنبله وحملت طعاماً في نفس الوقت، فأخذها ذلك الشيخ، وفحق السنبله أي: استخرج ما فيها من الحبوب... إلخ.

(٢) أي: بما أخبرتكم بوقوعه.

(٣) أي: السفن الشراعية.

(٤) أي: ما كان مذكراً.

(٥) أي: أنه سيحصل بأولئك القبائل نفعٌ وسيستفعون بالدعوة والتذكير ويأتي منهم الخير.

وما تنظرون السادة آل الدَّوِيلَةِ^(١) شالّين بنادقهم ويتقاتلون بغير حق، وهم آل عَمَنّا^(٢)، مَا حَدَّ معصوم، وليت العقوبة إِلَّا فَقْرٌ وَالْأَمْرَضُ، ولكنْ نقص الدّين وتغيّر القلوب، ولكنْ يتصَيّقَعون^(٣) أهل الزمان، آذان صُقْع، وأعين عُمَي، والسُّنُّ بُكْم.

وقد كان هؤلاء القبائل آباؤهم متتفعين، وعلى سيرة حسنة في زمان سيدنا الحبيب عبد الله الحداد، تزوّج رضي الله عنه عند بعض آل كثير، فأُمُّ ولده الكبير محمد منهم، وصنّف رضي الله عنه رسالة المريد لسيف بن محمد الكثيري وقد طلب ذلك منه. وإن دام التذكيرُ ووقع في كلِّ محلٍّ فقيه يُفَقِّهُ أولادهم: ذكوراً وإناثاً، يصبحُ الوادي وادي الأنوار كما كان، أو كما قال.

وقال رضي الله عنه: احرصوا على تربية أولادكم، وفقّهُوهم وهم صغار، اتكّوا عليهم خصوصاً البنات كما قال سيدنا الحبيب عبد الله الحدّاد في «رسالة المعاونة»: وخصّ النساء بمزيد تعليم وتأديب، لأنهنّ ناقصات عقلٍ ودين، ويُصْبِحْنَ إن شاء الله معاوناتٍ للرجال في التربية.

(١) السادة آل مولى الدَّوِيلَةِ، من الأسر العلوية التي حملت السلاح وتزيت بزي القبائل، على خلاف ما هو معهودٌ عن العلويين من التحضر والميل نحو العلم والاستقرار. وهم ذرية السيد الولي محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي الغيور بن الإمام الفقيه المقدم.

(٢) لأن السادة آل سميط يُنسبون إلى السيد الشريف علوي عم الفقيه المقدم ابن محمد صاحب مرباط، فهم وآل الفقيه بنو عمومة.

(٣) أي: ينصاممُون عن سماع نصحنّا وتذكيرنا.

قال لي الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر: كانت لنا عمّة معتنية بنا في الصّغر، أنا وأخي — يعني: الحبيب طاهر بن حسين — لأنّ والدنا حسين كان كثير الأسفار^(١). قال سيدنا: فهما صاروا أعيان تريم.

وكذلك بلغنا أنّ الشيخ زروق الشاذلي^(٢) رضي الله عنه كان يتيمًا، وربّته جدّته، كانت إذا حضر وقت الغداء والعشاء تطرّحه له في منزل غُبي^(٣)، فإذا سألها عن ذلك قالت له: إني لا أقدر على ذلك، ادع ربّك، فيدخل المنزل، فيدعو ربّه، حتى تقف يده على غداه أو عشاءه، فيقول لأُمّه: قد أتى ربّي بالغداء، فرُبّي على هذا^(٤). لا يعلم أنّ أحداً يضع القوت، حتى صار مؤخّداً رضي الله عنه، وصارت منه في علوم التوحيد عجائب، حتى شرح «الحكم» لابن عطاء الله سبعة عشر أو ثمانية عشر شرحاً^(٥).

اعتنوا بأولادكم حتى يصبحوا لكم قرّة عين ما هم سُخنة عين^(٦)، وهذه العوايد! امحوها من قلوبهم، لا تخلّوهم يعرفونها أصلاً؛ لأنها هي

(١) تقدم مثل هذا أول الكتاب.

(٢) هو الشيخ الإمام العارف بالله أحمد بن أحمد زروق البرنسي الشاذلي المغربي المالكي، توفي سنة ٨٩٩ هـ، له ترجمة في «الضوء اللامع» للسخاوي وغيره.

(٣) أي: مظلم.

(٤) وهذه القصة يزويها الشيخ زروق نفسه في بعض كتبه.

(٥) وقيل: إنها بلغت ثلاثين شرحاً، يوجد في كل شرح ما لا يوجد في الآخر من الأذواق والمشاهدات.

(٦) قرّة العين: الدفعة الباردة التي تخرج من العين عند حصول الفرح بالشيء، وعكسها: سُخنة العين.

القاطعة، أحرمتنا كلَّ خير، حتى راحة الدنيا، ما معنا راحة بسبب زوائد العوايد، حسبهم الله الذي وضعوها، حسبهم الله، حسبهم الله. (كررها مراراً)، الله لا يؤاخذهم، معاذ بانقول إلا هكذا. طرحوها لنا وماتوا، كم من ميت في قبره يعذب حياً بهذه العوايد الحادثة.

وينبغي للإنسان أن يستحضر عند قوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢] أن الله يُحْيِي سِيرَ السلف وما هم عليه في زمان سيدنا أحمد بن زين الحبشي، ويُمِيتُ العوايدَ الحادثة المكثفة، التي خلَّت نحن غرباء إلى جاوة والهند ومسكت.



(وحكي) عن بعضهم قال: ذهب بي والدي إلى (المارستان)^(١)، فدخلته، فإذا فيه محابيس من الناس، فقال لي والدي: أتدري بم حَسَ هذا؟ لأنه سرق، وهذا: لأنه غصب، وهذا: لأنه كذا، وهذا: كذا؛ أتدري لم سرق؟ لأنه لم يَقْنَعْ بالكسرة والخِرقة، أو ما هذا معناه.

ونحن نقول: مَنْ لا قَنَعَ بسيرة السلف فهو جَانٍ عليها، فالمارستان: جاوة والهند ومسكت، وغير ذلك، يموت غريباً، وأولاده كالأيتام، وزوجته كالأرملة، على آه ذا الكلام؟ وأنت تكفيك الكسرة والخِرقة إذا باتت كفى؟ قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد لسيدنا الحبيب علي بن عبد الله

(١) المارستان في الأصل: هو المشفى الذي يأتيه الناس للتطبب والتداوي، وهي لفظة فارسية، يقابلها عندنا اليوم: المستشفى، ولعله كان يطلق على السجن في زمن الحبيب أحمد كما هو ظاهر الكلام.

السقاف^(١) وقد استشاره في السفر: إذا تيسرت لك اللقمة والخارقة بحضرموت فلا تحدث نفسك بالأسفار، فإنها فتن ومحن في الظاهر والباطن.

وإن كان الإنسان بايقن يكفيه كل شيء، وإن لم يقنع فلو أُعطي الدنيا بحذافيرها ما كفته: «لو كان لابن آدم واد من ذهب» إلى قوله: «ويتوب الله على من تاب»^(٢)؛ كانت هذه آية من القرآن تُتلى حول (براءة)، فنُسخت بـ ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾. ومعنى تاب، أي: قنع من الحرص.

والحريص لا تتم له صلاة؛ لأن الشيطان يلعب به، ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]، يرجع يتقسّم القلب، فلا تستوي صلوات وشهوات، قال الله تعالى: ﴿أَصَاغُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

ولا زهد الزاهدون في الدنيا إلا ليقيموا الصلاة كما أمر الله، لماذا زهد أويس القرني؟ إلا ليقيم الصلاة، لماذا زهد إبراهيم بن أدهم؟ إلا ليقيم الصلاة، وإلا رجع الإنسان يصلي وقلبه في سوق البطيخ وإلا الجفل^(٣) والسكر، ولكن بغت استغفار بعدها، كما قال المُقري^(٤) شعراً:

(١) مولى (يشمة): موضع بسيون، توفي الحبيب عليّ سنة ١١٨٣هـ. أفردته بالترجمة سبطه وتلميذه الحبيب عمر بن سقاف.

(٢) تقدم ذكر الحديث قريباً.

(٣) الجفل: هو البن الأخضر الحب، غير المطحون أو الذي لا زال في قشرته.

(٤) هو الإمام إسماعيل بن المقري اليميني صاحب «الإرشاد»، المتوفى سنة ٨١٤هـ. من قصيدة له مطلعها:

سبيلك أن تستغفر الله بعدها وأن تتلافى الذنب منها بتوبة
أو كما قال، أو ما هذا معناه وأستغفر الله .

* * *

وقال رضي الله عنه: الزموا سيرة السلف، فإنها شرف، وتركها
سرف. ارجعوا إليها، ارحموا أنفسكم وأولادكم ومكالفكم يرحمكم الله؛
لأن القانع بسيرة السلف رحم نفسه من الهذاهذ والغرب، وغير الراضي بها
معذب نفسه: من عقبه إلى غيبة، واصرفوا زوائد العوايد في الدعوة إلى الله .

وهذه القهوة اقتصدوا فيها جهدكم، قيل لسيدنا محمد بن سميطة رضي
الله عنه: إن السيد محمد بن سهل^(١) - وكان يسميه الحبيب عبد الرحمن
ابن عبد الله بلفقيه^(٢) «الخليفة» - بايتولى القضا بتريم. قال: ما يدخل
القضاء. فقليل له: إنه أكلف به، وكذا وكذا؟ قال: إنه ما يشرب القهوة في
بيته، ولا يتولى القضاء. فكان كما قال. لم يتول.

وكان رضي الله عنه^(٣) يسنني^(٤)، وكان ولده عمر بن محمد^(٥) يكتب

= يصلي بلا قلب صلاة بمثلها يكون الفتى مستوجباً للعقوبة

(١) هو السيد الشريف: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن سهل مولى (خيلة) من
آل الدبيلة، كان عالماً صالحاً، لم أقف على تاريخ وفاته.

(٢) علامة الدنيا، من تلامذة الإمام الحداد، توفي بتريم سنة ١١٦٣هـ.

(٣) أي: الحبيب محمد بن سهل.

(٤) يسنني، من السنادة: وهي استخراج الماء من الآبار لري الأرض وزرعها.

(٥) توفي الحبيب عمر بن محمد بن سهل بتريم سنة ١٢٣٥هـ.

له لَوْحَةٌ من «الإرشاد». في هذا حالٍ سَلَفِنَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، على قناعة وطاعة. وكونوا خِفَافَ الْمُؤُونَةِ تَسِيرُونَ وَأَنْتُمْ نِسْمِينَ. فالْمُؤْمِنُ خَفِيفُ الْمُؤُونَةِ كَثِيرُ الْمُعُونَةِ.

* * *

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِلْمُعَلِّمِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سُمَيْرٍ: أَرْجُو مِنَ اللهِ أَنْ يَنْتَظِمَ أَمْرُ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ أَنْ يَنْتَظِمَ أَمْرُ الْبِلَادِ، وَإِذَا انْتَضَمَ أَمْرُ الْبِلَادِ يَنْتَظِمُ أَمْرُ السَّوَادِ وَالْبَوَادِي.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُذَاكِرَةً عِنْدَ قَوْلِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ الْحَدَّادِ:

* وإياك أن تختارَ صحبةَ مَنْ ترى *

إِلَخ: فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَضَحَبَ أَحَدًا يَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِهِ، أَنْ يَخْتَبِرَهُ أَتَمَّ الْاِخْتِبَارِ، لَا يَأْخُذُ بِمَجَرَّدِ حُسْنِ الظَّنِّ مُطْلَقًا. أَلَا تَرَى فَيَمَنْ أَرَادَ التَزَوُّجَ نُدِبَ لَهُ السُّؤَالُ عَنِ الزَّوْجَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لِلدَّوَامِ مَا يُكْتَفَى فِيهِ بِظَاهِرِ الْحَالِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ صُحْبَةٌ مُطْلَقَةً فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ.

سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الصَّدِيقِ الصَّدُوقِ؟ فَقَالَ: هُوَ أَنْتَ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ شِعْرًا:

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ	فَلَمْ أَرَ غَيْرَ خِلَافٍ وَقَالَ
وَلَمْ أَرَ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ وَقَعًا	وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ
وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا	فَمَا شَيْءٌ أَمَرَ مِنَ السُّؤَالِ

كُلُّ بَيْتٍ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يَسُوَّى كَذَا وَكَذَا أَلْفَ، لِمَا حَوَتْ مِنْ الْحِكْمِ.

وَرُويَ أَنَّ بَعْضَ الْأَكَابِرِ سَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْأِسْمَ الْأَعْظَمَ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَقْبَلْ، فَاخْتَبَرَهُ بِإِرْسَالِ مُحَقِّبٍ وَطَرَحَ فِيهِ فَأَرَأَى، وَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ بِهِ إِلَى فَلَانٍ وَلَا تَفُكَّهُ، فَلَمَّا وَصَلَ أَثْنَاءَ الطَّرِيقِ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ مَا فِي الْمَحَقِّبِ، فَحِينَ فَكَّ الْغِطَاءَ خَرَجَ الْفَأْرُ، فَرَجَعَ إِلَى الشَّيْخِ وَأَخْبَرَهُ، وَقَالَ لَهُ: تُرْسِلُ مَعِيَ فَأَرَأَى؟ وَطَلَبَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْأِسْمَ الْأَعْظَمَ! فَقَالَ: كَيْفَ؟ لَمْ أَسْتَأْمِنْكَ عَلَى جُرْدٍ، فَكَيْفَ بَأَمْنِكَ عَلَى الْأِسْمِ الْأَعْظَمِ!! فَهَذَا هُوَ الْاِخْتِبَارُ. أَوْ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَغَانَمُوا الْمُعَاوَنَةَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَا تَرْجِعُونَ تَنْدَمُونَ. وَالْمُعَاوَنَةُ أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ. وَلَا يَرْوُحُ الْإِنْسَانُ يَفْعَلُ طَاعَةَ وَعَادَ أَفْرَضَ مِنْهَا وَأَوْلَى. رَبَّبُوا أَعْمَالَكُمْ وَقَدِّمُوا الْأَهَمَّ. لِهَذَا احْتَاجَ الْإِنْسَانُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لِأَجْلِ يَمَيِّزُونَ لَهُمُ الْعِبَادَاتِ وَمَرَاتِبَهَا، وَإِلَّا رَجَعَ الْإِنْسَانُ إِذَا عَمِلَ شَيْئًا وَعَادَ أَوْلَى مِنْهُ، كَمَنْ رَاحَ يَطْرُدُ قَفَا سَبُورَةٍ وَضَيَّعَ جَسِيرَ، عَسَى الثَّبَاتُ مَعَ أَهْلِ اللَّهِ.

وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١): «جُلُوسُكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ وَلِيِّ اللَّهِ

(١) فِي رُؤْيَا مَنْامِيَّةٍ، لِلشَّيْخِ الْوَلِيِّ الصَّالِحِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ الْبُجَلِيِّ الْيَمَنِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٦٢١ هـ بِقَرْيَةِ (عَوَاجَةِ)؛ فَيَنْبَغِي التَّنْبِيهُ لِهَذَا، وَيَنْظُرُ: «التَّذْكِيرُ الْمَصْطَفَى» ١١٧.

كَحَلْبِ شَاةٍ أَوْ كَشَجِّ بَيْضَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَقَطَّعَ فِي الْعِبَادَةِ إِرْبًا إِرْبًا» لَكِنْ لِمَنْ عَرَفَ قَدْرَهُمْ، وَلَا يَحْصُلُ الْاِسْتِمْدَادُ إِلَّا لِمَنْ عَرَفَ قَدْرَهُمْ.

ومعرفة الوليِّ أشدُّ من معرفة الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ الحقَّ سبحانه مُبَايِنٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَالْوَلِيُّ لَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مِثْلَكَ، فَشُهُودُهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ^(١)، إِعْرِفُوهُمْ وَانْظُرُوهُمْ، عَسَى اللَّهُ يَمْتَعَّ بِهِمْ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَاضِرِي وَنَاضِرٌ نَاضِرِي فِي الْجَنَّةِ. أَوْ كَمَا قَالَ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ، وَوَفَّقَنَا لِلْأَدَبِ مَعَهُ، آمِينَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْاِقْتِصَادُ وَالْقَنَاعَةُ فِي أَهْلِ شَبَابٍ تَتَأَكَّدُ وَتَتَعَيَّنُ عَلَيْهِمْ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّ بِلَادَهُمْ مَأْوَاهَا ثَقِيلٌ^(٢)، وَحَطْبُهَا وَكِرَاهَا، خِلَافَ بَاقِي الْبُلْدَانِ، لِأَنَّ الْمُكَبَّرَ لَا يُكَبَّرُ كَمَا هُوَ قَاعِدَةٌ فِي الْفَقْهِ.

وَلِضَعْفِ الْأَسْبَابِ؛ لِأَنَّ السَّلَفَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اقْتَصَدُوا مَعَ مَسَاعِدَةٍ

(١) وشاهد هذا الكلام النفيس في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] الآية، فإذا كان كذلك حال الناس مع الأنبياء والمرسلين، يشهدون فيهم البشرى فقط ولا يشهدون الخصوصيات، فبقي الكفار منهم كفاراً، وَمَنْ سَعِدَ مِنْهُمْ وَأَمِنَ كَانَ لَهُ الْحِظُّ الْعَظِيمُ وَالسَّعَادَةُ الْكُبْرَى بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ.

وَالْأَوْلِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَيَجْرِي لَهُمْ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ مَا جَرَى لِلْأَنْبِيَاءِ؛ يُتَلَوْنَ مِثْلَهُمْ، الْأُمَثَلُ فَلَا مِثْلَ.

(٢) لأنهم كانوا في مشقة شديدة في جلب الماء الحلو العذب إلى الديار.

الأسباب وكثرة الحلال في زمانهم، كما يُروى أن سيدنا الحسن البصريّ أتى إلى عند سيدنا عمر بن عبد العزيز، فأضافه بنصف كسرة من الخبز ونصف خيارة وقال له: هذا زمان الحلال فيه لا يحتمل السرف. فكيف بزماننا زمان الحرام!

ولأن التوسع في المعاش لا يتم إلا بارتكاب حرام، يستأزي^(١) الإنسان على الدخول في الحرام والشبه، بسبب التقيد بالعوايد المغربة المخربة، التي فرقت بالناس عن أوطانهم وأماتهم غرباء وشاع الجهل والغباوة بسبب سفر الأعيان، لأن من سافر خلف سقل وحريم كالأيتام والأرامل. لماذا؟ والإنسان تكفيه الكسرة والخرقه والشطفة في بيته، يستأزي على الغربة، لا طاعة ولا قربة!

والأسفار في هذه الأزمان فتن ومحن، خصوصاً هذا الزمان، فتنة بعضها على بعض في الظاهر والباطن.

افقّعوا يطيب لكم المعاش، وتهنّوا لذة المعاش، وارجعوا إلى سيرة السلف الفريية، أيام سيدنا الحبيب عبد الله الحداد، وأحمد بن زين، ومن نحا نحوهم، وسيرهم محفوظة في كتبهم.

وابتدؤوا بتزك القهوة للصغار أولاً، لا تخلّونهم يشربونها، إن كنتم تسمعون نصحي اقطعوها منهم، خلّوهم يُزبون^(٢) على ترك الشهوات، وإذا كبروا لهم من أنفسهم، من أراد أن يشربها منهم هو ونفسه؛ لأنها شهوة

(١) أي: يلزمه ويضطره.

(٢) أي: ينشأون.

سائقة إلى فَضُولٍ وَأَذَوَةٍ، خَلَّتْ نحن مَضِيَّعِينَ، الرجال والنساء، في
المجى والمراح، وَقْتُ عَزِيزٍ يَمْضِي فِي خُرَاطٍ^(١) وقال وقيل، وللوسائل
حُكْمُ المقاصد. أو كما قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* * *

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَعْمَالُ الْحَرِصِ — وَإِنْ كَانَتْ كَالْجِبَالِ — لَا تَزِنُ
عِنْدَ اللَّهِ، بل هي خفيفة، وأَعْمَالُ الْقَانِعِ تَزِنُ فِي الْمِيزَانِ، ثقيلة وإن كانت
قليلة. كما يُروى: «رَكَعَتَانِ مِنْ ذِي ثَقْيٍ وَزَهَادَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ
الْمُتَعَبِّدِينَ»^(٢)، والقانع قريبٌ من الزاهد.

* * *

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: علامةُ السعادة: الْحَسْرَةُ عَلَى الْخَيْرِ إِذَا فَاتَتْ.
كما رُوِيَ أَنَّ بَعْضَهُمْ حَجَّ سَبْعِينَ حَجَّةً، وَآخَرُ قَصُرَ عَنِ الْوُقُوفِ، فَحَسِرَ
عَلَيْهِ. فقال له: تَبِيعُنِي حَسْرَتُكَ بِحِجَّاتِي السَّبْعِينَ أَوِ السَّتِينَ؟ وَمَنْ لَا حَسِرَ
عَلَى الْآخِرَةِ حَسِرَ عَلَى الدُّنْيَا.

ونوصيكم بالانقباضِ مِنَ الْمَجَالِسِ وَالِاخْتِلَاطِ، وبالتغافلِ عَنْ أَحْوَالِ
النَّاسِ، وَعَدَمِ السُّؤَالِ: أَيُّشِ قَالُوا؟ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَا ابْعَدَ تَنَوَّرَ وَتَأَهَّلَ حَتَّى
يَسْأَلَ وَتَنْبَعِثَ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لَهُمْ، بل إِذَا سَأَلَ وَأُخْبِرَ بِنِعْمَةٍ حَسَدَهُمْ، وَإِنْ
أُخْبِرَ بِمُصِيبَةٍ شَمَتَهُمْ.

(١) أي: ثرثرة.

(٢) الحديث أخرج نحوه الحاكم في «تاريخ أصفهان» (١: ٢١٢).

وينوي باعتزاله عَزَلَ شره عنهم، كالذي فيه جُرْحٌ يعتزلُ صاحبَ
الريِّح الطيِّب لئلا يظهرَ ضرُّه، وأمَّا النَّاسُ.. أحسنَ الظَّنِّ بهم، وخلَّهم
هُم وربَّهم. وفي العُزلةِ تنويرُ القلب، والسعيدُ مَنْ وَجَدَ من نفسه خُلوةً،
كما قال بعضهم.



وقال رضي الله عنه: ما خَلِقَ الإنسانُ إلا لِيُكْمَلَ حقيقته؛ لأنه ناقص،
وعارفٌ أنه ناقص، كما قيل شعراً:

كَمُلْ حَقِيقَتَكَ الَّتِي لَمْ تَكْمُلِ والجِسْمَ دَعُهُ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
وكما قيل: «فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانٌ»^(١).

رحنا نَعْمَرُ الأجسامَ والروحَ تركناها الذي المَدَارُ عليه. حَادُوا عَلَى
القلوبِ مِنَ المَوْتِ^(٢)، وَلَا حَيَاتُهَا إِلَّا بِالْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَأَمَّا
الجِسْمُ فَهُوَ لِلْفَنَاءِ وَالذُّودِ.

وَعَزَّلُوا عَلَى حِفْظِ الصَّغَرِ؛ لِأَنَّ الْبِدَايَاتِ إِذَا احْتَكَمَتِ الْغَايَاتِ، وَإِنْ
أُهْمِلَتِ الْبِدَايَاتُ أَهْمِلَتِ الْغَايَاتِ.

ويقال: شَرٌّ لَا يَدُومُ خَيْرٌ مِنْ خَيْرٍ لَا يَدُومُ. يعني: أَنْ نَعِيمَ الدُّنْيَا

(١) تمام الأبيات:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِرَاحَتِهِ	أَتَعْبَتَ جِسْمَكَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبَلَ عَلَى الرُّوحِ وَاسْتَكْمَلَ فُضَائِلَهَا	فَأَنْتَ بِالرُّوحِ، لَا بِالْجِسْمِ، إِنْسَانُ

(٢) أي: حافظوا عليها أن تموت.

فاني، وشرُّها فاني، ولكنَّ عاقبةَ المَكْرُوهِ^(١) في الآخرة خيرٌ يُنسَى به ما مَرَّ به من البوس، كما في الحديث: «يُؤْتَى بِأَنعمِ أَهلِ الدنيا عيشاً»^(٢) الحديث ... إلخ.



وقال رضي الله عنه: اليومَ نتعاونُ على إحياءِ السنَّة، وغداً نَجتمعُ في الجنة. ولكنَّ ما نَدْعُوهم إليه غَيْب، ولا يُعرفُ إلَّا عندَ كشفِ الغطاء؛ ﴿فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ [ق: ٢٢]، والدنيا دارُ زُورٍ وغُرُور.

وآل حَضَرَموتَ اختاروا الجهلَ والبداوةَ، وما تبعوا كلامَ الناصحينَ مثلَ: عبدِ اللهِ الحدَّاد، وأحمدَ بنِ زين، وأضرابهما، لكنَّ تَراهُمَ يَتَنَكَّسُونَ في المَحَنِ من مخالفتِهِم، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، والدُّعَاءُ إلى اللهِ هم وَرَاثُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال الحبيبُ عمرُ حامد: تَمَيَّتَ «النصائح»^(٣) قراءةً على الحبيبِ عبدِ اللهِ الحدَّادِ في مسجدِ باعلوي، ثم قلت له: بانردّها. قال له الحبيبُ عبدُ اللهِ: أنتَ الآ في تَريم، لا تردّها. يعني: أَنهم ما عَرَفُوا قَدَرَهَا، ولا شَلَّوْا بها رأس.



(١) أي: المكروه الذي فيه خيرٌ للإنسان، من باب حديث: «حُفَّتِ الجنةُ بالمكاره».

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٨٠٧).

(٣) أي: تمت قراءة كتاب «النصائح الدينية» على مؤلفه الإمام الحداد.

وقال رضي الله عنه ونفع به: مَنْ أَرَادَ السَّلاَمَةَ مِنَ الدُّنْيَا فَلْيَتَغَافَلَ وَيَصْبِرْ، وَهَذَا الزَّمَانُ بَغَا إِلَّا تَسْلِيمَ فِي الْأُمُورِ؛ لِأَنَّهَا تَظْهَرُ حَوَادِثُ بَشْعَةٍ، وَقَدْ زَمَانٌ دِهْلِيزُ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي: مِثْلُ الضَّيْقَةِ مِنَ الدَّارِ^(١). أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ فِي سَكْرَةٍ وَحَيْرَةٍ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ تُشْبِهُ حَيْرَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٢)؟

وقال سيّدنا الحبيب عبد الله الحدّاد: إِنْ الظَّلَمَةُ وَأَعْوَانُهُمْ مِثْلُ الزَّبَانِيَةِ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَا نَعَصَ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهِ، بَلْ هُوَ يَدُورُ نَلْفَرَحَ وَالْبَطَرِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ فِي حَقِّهِ، جَاءُوا هَؤُلَاءِ يَنْكُدُونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَبِهَ وَيَعْقِلَ إِنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ.

وَمِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:

مَا يَنْقُصُ الْكَامِلَ مِنْ كَمَالِهِ مَا جَرَّ مِنْ نَفْعٍ إِلَى عِيَالِهِ

* * *

وقال رضي الله عنه: كِبَارُ الْعَارِفِينَ سَارُوا عَلَى هَذِي الرُّسُولِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ وَادِي حَضْرَمُوتَ مَشْحُونًا بِهِمْ كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ الْهَدَّادُ:

قَدْ كُنْتُ يَا وَادِي الْأَنْوَارِ مَشْحُونٌ بِالْخَيْرِ وَالْإِخْيَارِ

إِلَخ. مِثْلُ: الشَّيْخِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَبَّادٍ^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، كَانَ

(١) الضَّيْقُ: بَابُ الْبَيْتِ، مَدْخَلُهُ الرَّئِيسِيُّ.

(٢) وَهَذَا الْكَلَامُ قَبْلَ زَمَانِنَا هَذَا بِنَحْوِ مِثْنِي سَنَةٍ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ هَذَا الزَّمَانُ!!

(٣) الْإِمَامُ الْحَبْرُ الْجَلِيلُ، تُوْفِيَ بِشِبَامِ سَنَةِ ٨٠٢ هـ.

شَيْخَ سَيِّدِنَا السَّقَافِ^(١) وَسَيِّدِنَا جَمَلِ اللَّيْلِ^(٢)، يَأْتُونَ إِلَيْهِ إِلَى شَبَامَ لَطْلِبِ الْعِلْمَ مِنْهُ، فَكَانَ يُعَارِضُهُمْ إِذَا جَاءُوا إِلَى (مَسِيكُوهُ)^(٣) فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَا لَهُ بِذَلِكَ. فَقَالَ لَهُمَا: إِذَا جِئْتُمَا فَاجْلِسُوا فِي مَسْجِدِ الْخَوْقَةِ^(٤) عِنْدَ الْمِفْقَرِ الْبَحْرِيِّ، وَكَانَ دَارُهُ نَجْدِيَّ الْخَوْقَةِ (دَارِ طَيْبِ الْمَعْرُوفِ)، فَكَانَ إِذَا رَأَاهُمْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ. وَكَانَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُ الْبِلَادِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يَشُمُّ رِيحَهُ قَبْلَ لَا يَرَاهُ.

وَقُرِئَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى شُطْفَةِ سَلْقِهِ^(٥) فَقَالَ: مَيَّلُوا هَذِهِ مِنْ تَحْتِي، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعُلُوِّ عَلَى الْأَرْضِ.

وَوَقَعَ زَمَانٌ عَظِيمٌ وَقُحْطٌ فِي زَمْنِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَقَعُ أَزْمِنَةُ عَسْرَةٍ يُعْدَمُ الْقُوَّةُ فِيهَا، فَجَاءَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي، أَنْتَ فِي الْوُجُودِ وَالنَّاسُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ؟ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنَا وَمَنْ أَكُونُ؟ اعْتِرَافًا مِنَ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ (حُرَيْضَةِ) وَهُمْ فِي الْمَجْلِسِ فَقَالَ: هَذَا الْيَوْمَ أَكَلُوا أَدْمِي بـ(حِذْيَةِ)^(٦) مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ! فَقَالَ الشَّيْخُ: كَيْفَ قَدِ النَّاسُ فِي هَذِهِ

(١) توفي سيدنا عبد الرحمن السقاف بتريم سنة ٨١٩هـ.

(٢) تقدم ذكره قريباً.

(٣) موضع قرب شبام، يخرج الشيخ لاستقبال مريديه إليه.

(٤) مسجد معروف بـشبام.

(٥) أي: حصيرة بالية خفيفة.

(٦) حذية: قرية معروفة تقع قبلي شبام.

الحالة؟ واشتغل جمّ، وقال بانتوجه إلى الله ولكن معاد تطولُ بي هذه الحياة. قال سيدنا: فأخذَ ثمانية أيامٍ وتوفي. وفدّى الناسَ بنفسه، ورحمَ الله الأرض، رضيَ الله عنه.

وفي وقته خرجَ الشيخُ الإمامُ عبدُ الرحمنِ بن عبدِ الله بن أسعدِ اليافعي^(١)، فزارَ حضرموتَ جميعها، واتَّفَقَ بالشيخِ محمدٍ وابتهجَ به. وأنشدَ هذينِ البيتينِ عندَ زيارته:

مَرَرْتُ بِوَادِي حَضْرَمَوْتَ مُسَلِّمًا فَأَلْفَيْتُهُ بِالْبِشْرِ مُبْتَسِمًا رَحْبًا
وَأَلْفَيْتُ فِيهِ مِنْ جَهَابِذَةِ الْعُلَا أَكَابِرَ لَا يُلْقُونَ شَرْقًا وَلَا غَرْبًا

ف قيل له: لو حَلَيْتَ شِبَامًا. فأنشدَ هذا البيت:

لَوْ تَكُونُ الدَّارُ تُدْنِي مُغْرَمًا لَتَبَوَّأْنَا شِبَامًا مَنْزِلًا

قال سيدي: يعني لو أَنَّ الْقُرْبَ قُرْبُ الْأَشْبَاحِ لَسَكَنَّاها، ولكنَّ الْقُرْبَ قُرْبُ الْأَرْوَاحِ.

لهذا، سيدنا الحبيبُ عبدُ اللهِ الحَدَّادُ يتأوّه عليهم^(٢): آه، آه! في «العينية» وغيرها^(٣) لفقدِهم؛ لأن سيدنا عبدَ اللهِ الحَدَّادَ كَالنَّائِحَةِ الشَّكْلِي

(١) من أكابر علماء عصره، ولد بمكة وتوفي بها سنة ٨٣٣هـ.

(٢) أي: على فقد أولئك القوم الصالحين.

(٣) مثل قوله فيها:

آهٍ عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَأَهْلِهَا مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ الْمُمْضِ الْمَوْجِعِ
آهٍ عَلَى تِلْكَ الْخِيَامِ وَمَا حَوَتْ مِنْ كُلِّ غَانٍ بِالْجَمَالِ الْمُبْدِعِ

على الدّين. والشّكلى: هي التي يُذَبَّحُ ولدها على حُضْنِها، معاد ترقاً لها دمعة.

قال والدي^(١): كان سيّدنا الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ مُجَرَّحاً، تحتَ خدودهِ خَطَّانٍ من الدَّمْعِ على الدّين، كمثِلُ سيّدنا عمرَ بنِ الخطاب، كان كذلك مجرّحَ الخدّين.

* * *

قال سيّدنا رضي الله عنه: كان الشيخُ أبو إسحاقَ الشّيرازي^(٢) رضي الله عنه على غايةٍ من التقلُّلِ من الدنيا، كان رضي الله عنه إذا فرَغَ مِنْ مَدْرَسِهِ يُمِرُّ على الفوّالِ وَيَصْبُغُ خُبْزَهُ بماءِ الفول، فاتفقَ يوماً أنه لم يلحَقِ الفوّال^(٣)، فأَتى رضي الله عنه إلى ظلّ، وكسَرَ الخبزَ وصَبَّ فوقه ماءً وأكلَهُ وأنشدَ هذينِ البيتينِ:

خبزٌ وماءٌ وظلٌّ هذا النعيمُ الأجلُّ
جَحَدْتُ نعمةَ ربي إن قلتُ: إني مُقِلُّ

= «الديوان» (٣٥٦).

وقوله:

سأبكي عليهم ما حييتُ بعبرةٍ من الدَّمْعِ فوقَ الخدِّ تشهّدُ بالشُّكْلِ

(١) وكان قد أدرك من حياة الإمام الحداد (١٢) عاماً، لأن مولده سنة ١١٢٠هـ، ووفاة الإمام سنة ١١٣٢هـ.

(٢) الإمام الجليل، صاحب «المهذب»، و«التنبيه» وغيرهما، توفي سنة ٤٧٣هـ.

(٣) أي: صادف عدم وجوده.

وكذلك كان سيّدنا القفال الشّاشي^(١)، من كبار أئمة الشافعية،
وتُنسبُ إليه هذه الأبيات:

أوسّع رَحلي على مَنْ نَزَلَ وزادي مُباحٌ على مَنْ أَكَلَ
نُقِدمُ حاضِرَ ما عندنا وإن لم يكنْ غيرَ خُبْرٍ وخَلٍّ
فأمّا الكريمُ فيَرْضَى بهِ وأمّا اللئيمُ فمَنْ لم أَبْلُ

فكذلك كان سيّدنا الشيخُ أبو بكر بن سالم^(٢) يُصغّرُ الأقراصَ للضيفِ
ويدخلُ على الجاريةِ بنفسِه ويقولُ لها: صَغْري الأقراصُ، أنا ألاّ ولَدَ سالم
بن عبد الله مِنْ حَلالي^(٣) ما أنا فلانٌ مِنْ بيتِ المالِ.

وكذلك كان سيّدنا الحبيبُ عبدُ الله بن علوي الحدّادُ يضيّفُ بالخَميرِ
والدُّجْر. وجاءَ بعضُ أهلِ شبامِ إلى تَريمَ مساءً فقال: غداً نأتي سيّدنا
الحبيبَ عبدَ الله، والليلة نأخذُ لَحْم؛ لأن سيّدنا عبدَ الله بايضيّفُ نحن
بالخَمير، فلما تعشّى ونام شَغَلَتْهُ بَطْنُهُ، حَالِبٌ شديد^(٤) فعَرَفَ أنّ ذلك من
سوءِ أدبِه، فذهَبَ الرسولُ إلى سيّدنا الحبيبِ عبدِ الله ليُخبرَه، فحينَ قال له
بذلك، قال له: الخَميرُ والدُّجْرُ ألاّ دواء، اسألوا الأهلَ إن عادَ شيءٌ قليل

(١) الإمام لجليل، القفال الكبير، أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل، المتوفى سنة ٣٥٦هـ.

(٢) الإمام العارف بالله، الولي الشهير، توفي بعينات سنة ٩٩٢هـ.

(٣) أي: هذا الخُبْرُ من مالي وحلالي.

(٤) أي: أدسا به مرض الحالب، وهو شدة الإسهال مع ألم في البطن.

خمير أعطوه إياه، وإلَّا اغْسِلُوا الوعاء وأعطوه ذلك؛ فحين أعطوه سُفِي. رضي الله عنه ورزقنا الأدب معهم.

وكذلك كان سيدنا أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه، لا يتكلف بالضيف، بل ما اتفق قَدَمُه، قد يكون أحد ما يتراقب فيتفق له بُرٌّ ولَحْمٌ، ويكونون أولادَ شيخه ويحضر خميرٌ ودجرٌ فيقدمه لهم. هذا في حال الضيف، وهو الذي يأتي على غفله، وأما الطلابُ فيفعلُ حسب الحال والزمان من غير تكلف.

قال الحكماء: إذا ما طُرِفَتْ فما حَضَرَ، وإذا طَلَبَتْ فلا تُبَقِّ ولا تَذَر؛ يعني: حسب حالِك، كما تقدم. أو كما قال سيدنا، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.



وقبيحٌ بالمُضيف أن يستحقِرَ ما يقدِّمه لضيفه وإن كان يسيراً، وبالضيف أن يستحقِرَ ما قدَّم إليه، فهما سواءٌ في ذلك.

وقدَّم بعضهم لضيفه خُبْزاً فقال: لو كان عنده زَعْتَرٌ إني أُحِبُّه. ومع المُضيف مطهرة، يعني: إناءً لطهوره، فرهَنَه في قيمة الزَعْتَرِ وقَدَمَه لضيفه، فلما فرغ من الأكل قال الضيف: الحمد لله الذي أشبعني وقنَّعني بما رزقني. فقال له المُضيف: ما قنَّعْتَ بما يرزُقُك، وإلَّا لَمَا مطهرتي مرهونة في ثَمَنِ الزَعْتَرِ. فينبغي للإنسان أن لا يكلَّف ولا يتكلَّف حتى يفرَحَ بالأضياف.

وقد كان سيدنا عليُّ بن الحسين يقولُ للسائل: مرحباً بالحاملِ زادنا إلى الآخرة.

ومثلُ الضَّيفِ والسائلِ مثلُ جمālٍ جاء إلى الدارِ يقرقع: حدّ معه مِعلاقِ شِلُّه له إلى الفردوسِ بلا كِراء^(١).

قدّموا لآخرتكم وابتخلوا بالمالِ في غيرِ موضعه، وجُودوا به في موضعه، فهو من الحزم، ولأن الأموالَ غلبتَ عليها الشُّبه فلا ينبغي صرفُها في التُّرّهات.

قال بعضهم: وجَّهوا هذا الفضول^(٢) أمامكم، والفضولُ من كلِّ شيء، من أكلٍ ولُبسٍ وشُرْبٍ وغير ذلك.



وقال رضي الله عنه: إذا كثرَ الفضولُ قلَّتِ الفضائلُ، وإذا قلَّ الفضولُ كثرَتِ الفضائلُ. والإنسانُ وعاءٌ يصلحُ يمتلي فضائل أو فضائح. والإنسانُ يَحَادِي وَيَتَحَقِّظُ على قلبه، لأنه ما خُلِقَ إلا لمعرفةِ الله تعالى. ومثَلُ الإنسانِ مثلُ علجوم^(٣)، إذا بارَكَ اللهُ فيه غُرِسَ وانقلبَ نخلة

(١) أي مثلُ لضيف مثلُ جمālٍ جاء يطرق باب البيت، ويقول لأهل الدار: هل معكم من شيء من الماعون أحمله لكم إلى جنة الفردوس بلا أجر! إشارة لما في الضيافة من الفضل العظيم والأجر الجزيل.

(٢) أي: ما فضل عن حاجتكم وزاد عليها.

(٣) العلجوم: نوى التمر.

وأثمرت، وغُرسَ عجم^(١) الثَّمَرِ وهَلَمَّ جرّاً، وإذا مُحِقَ - والعياذُ بالله -
عُلْجُومٌ أَكَلَتْهُ ضَانَةٌ^(٢)، معاد انقلبَ شيئاً.

ما خلقَ الله الإنسانَ إلَّا لسانٍ عظيم، والإنسانُ ينظرُ في هذا الوعاء،
إذا أرادَ أن يملِيه^(٣) تراباً كيف لا يملِيه طعاماً، وإذا كان يمكنه ذلك كيف
لا يملِيه مسكاً؟

والعمرُ ما هو عُمرين، ينبغي له كلَّ حالٍ يُحِبُّ أن يأتي الموتُ وهو
فيه فُيْدَاوُمٌ عليه، وكلَّ حالٍ لا يُحِبُّ أن يأتيه الموتُ وهو عليه فليترُكه.
وكذلك المجالس، هذا الميزان، إن كانت مما يعودُ عليك النفعُ فيها وإلا
اجتنبها.

ومجالِسُ أهلِ الزمانِ كما قال والدي: مثالها كَمَنْ يُبِرِّدُ بالفلفل!
ينبغي الاعتزالُ وعدمُ المخالطة. احفظوا هذا الحديث: «خيرُكم بعدَ
المتينِ الخفيفُ الحاذِ»^(٤). . . إلخ؛ لأنَّ الزمانَ فسَدَ، والجِهةُ ضائعة، ولا

(١) جمع عُلْجُوم، وله جمعان بالدارجة: عَجَم، كما هنا، وعلاجيم، واستعمال
الأول أكثر شيوعاً من الثاني.

(٢) مثالٌ شهير، يُضرب لمن مات ولم يخلف أولاداً يحملون اسمه، أو ترك أولاداً
طالحين لا يدعون له ولا يذكرونه بخيرٍ بعد موته.

(٣) أي: يملأه.

(٤) الحديث أخرجه أبو يعلى في «مسنده»، وعند الترمذي (٢٣٤٧) عن أبي امامة
مرفوعاً: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفٌ الْحَاذِ. . .» الحديث.

شيء مثل الخُمُولِ^(١) اليوم. كما قال سيدنا أُويسُ القَرَنيُّ رضيَ الله عنه:
أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ فِي غَبَاءِ النَّاسِ الْأَخْفِيَاءِ الْأَبْرِيَاءِ، (إلخ).
قال بعضهم:

من أَرَادَ الْمُلْكَ وَالرَّاحَةَ مِنْ هَمٍّ طَوِيلٍ
فليكن فرداً من الناس ويرضى بالقليل
ويرى أن قليلاً نافعاً غير قليل
يترك الكبر لأهليه ويرضى بالخُمُولِ
ويُداوي مَرَضَ الْوَحْدَةِ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ
لا يَمَارِ أَحَدًا مَا عَاشَ فِي قَالٍ وَقِيلَ
ثم مع ذلك لا يعرف سمحاً من بخيل
فإذا كَمَلَ هذا كان في مُلْكٍ جَلِيلٍ
أَفَّ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ
أو كما قال، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: من كلام سيدنا أحمد بن زين الحبشي رضيَ الله عنه:
أَعْمَالُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا لَا تَكَادُ تُقَامُ بِقِيَمَةِ^(٢). قال رضيَ الله عنه:

(١) أي: السكون ولزوم البيت وعدم الاشتغال بما عليه الناس.

(٢) أي: لحنازتها وتفاهتها.

وإن كان أعلم أهل زمانه؛ لأنه ليس بفقيه، كما قال سيّدنا الحسنُ البصريُّ رضي الله عنه حين قال له فرقدٌ رضي الله عنه: إنَّ الفقهاء يقولون خلافَ قولك. قال له: ثكلتك أمُّك يا فُريقد، وهل رأيتَ فقيهاً قط؟ إنّما الفقيهُ: الزاهدُ في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، فنفيُ الفقهَةِ عَمَّنْ هذا وصفه؛ لأنه راكِنٌ إلى السبب، لأنّها من باب الأسباب، وفي الآية التي بعدها ﴿وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ لأنه من باب العلم. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: لقيَ بعضهم أعرابياً مُتَحَزِّماً في مَقْطَبٍ^(١) فقال له: مَنْ أَرْوَحُ^(٢) الناس؟ قال الأعرابي: أنا. فقال له: أين الخليفة، أين الأمير؟ فخنس الأعرابيُّ بأنفه وقال:

وما العيشُ إلّا في الخُمُولِ مع الغِنَى
وعافيةٌ تغدو بها وتروحُ
وبيت آخر:

إذا القُوْتُ تَأْتَى لَكَ وَالصُّحَّةُ وَالْأَمْنُ
فَأَصْبَحْتَ أَخَا حُزْنٍ فَلَا فَارَقَكَ الْحُزْنُ

(١) إزارٌ معروف.

(٢) أي: أكثرهم أريحية وسخاءً وكرماً.

وهو معنى قوله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ»^(١)... إلخ. حتى أن الإنسان يغتبط بمقامه ويقنع به.

كان سيدنا الحبيب حسين بن طه^(٢) جالساً في الجامع في أيام الشتاء ومعه ملحنة سوداء وجوخة، وكأنه استقل ذلك بغا فوق ذلك، ثم إنه خرج إلى تحت المسجد، فلقبه سائل فصافحه فقال له: يا حبيب، قد لي مدة أتشوف منك بغيتك تكتب لي حرز إنني متوجه في الطلبة وإن السؤال باينشفوناً على ذلك^(٣). فقال الحبيب حسين: ما هذه إلا موعظة لي يوم ما قنعت بما أنا فيه.



وقال رضي الله عنه: قد يقع مقصود العلم^(٤) في رجل لا يؤبه له، وليس صاحب فضيلة علم؛ لأن سر الله في خلقه، حتى ما تستحقر أحداً من المسلمين وتحسن الظن بهم.

وكان بأسود حراثاً، وكان والدي يخرج إلى عنده، وفي بعض الأيام وقعت عليه سرقة، فقال له والدي: لا شر عليك. قال: حبيب ما شي

(١) الحديث تقدم قريباً.

(٢) هو السيد حسين بن طه بن أحمد بن أبي بكر باعقيل السقاف، ولد وتوفي بشبام، أدرك الإمام الحداد، كان فاضلاً، ذكره في «بهجة الفؤاد».

(٣) طلب ذلك الرجل من السيد أن يكتب له حرزاً يكون نافعاً له في نيل ما يطلبه ويسأله من الناس، لأنه شحاذ، ويخشى أن لا ينال بغيته بسهولة.

(٤) مقصود العلم: أي تمام اليقين والرضا بالقضاء.

شر، سَلُّوا وَخَلُّوا لَنَا، مَا سَلَّوْهُ كُلُّهُ^(١). قَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْمَجْلِسِ: مَا بَلَغَتْ إِلَى أَحَدٍ مِنَ النِّقَبَاءِ؟ قَالَ: قُلْنَا لِلنَّقِيبِ وَلَكِنْ النَّقِيبُ مَسْلَمٌ الْأَمْرَ. قَالَ الْحَبِيبُ عَمْرٍ: هَذَا الرَّجُلُ حَاصِلُ الْعِلْمِ مَعَهُ^(٢) بِدَلِيلِ كَلَامِهِ.

وكَذَلِكَ كَانَ دَحْمَانُ بَانَاغِمِهِ كَبِيرَانٌ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، وَأَخْبَرَ بِمَوْتِ الْحَبِيبِ سَقَافٍ^(٣) فِي (سَيُون)، وَهُوَ حِينَئِذٍ فِي (الْحَوِطَةِ) عِنْدَ الْحَبِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ^(٤). وَقَدْ يَصِلُنِي الْجُمُعَةُ بِشَبَامَ فَيُرُونَهُ فِي (سَيُون)، فَهُوَ شَبِيهُ قَضِيبِ الْبَانِ^(٥) إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ الْحِكَايَاتُ عَنْهُ. فَسِرَّ اللَّهُ فِي خَلْقِهِ.

وَأَصْلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا: تَهْوِينُهَا فِي الْقَلْبِ، لِأَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أَخْلَاقِ الْبَاطِنِ، وَالتَّقَلُّلُ مِنَ الدُّنْيَا عِلَامَةٌ لَهُ. وَقَدْ يَكُونُ صَاحِبَ مَظْهَرٍ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ زَاهِدٌ، وَلَوْ فَاتَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُهَا لَمْ يَتَحَرَّكَ لَهُ سَاكِنٌ. وَقَدْ يَكُونُ وَاحِدًا مَا يَحْوِي شَيْئًا، وَلَكِنْ قَلْبُهُ مَعْلُوقٌ بِالدُّنْيَا، فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ. وَالْعِلَامَةُ قَدْ تَصَدَّقَ وَقَدْ لَا تَصَدَّقُ. وَمَنْ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ وَلَمْ يَفْرَحْ بِمَا حَصَلَ فَهُوَ زَاهِدٌ، ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وَإِذَا لَمْ يَقَعْ زُهْدٌ، تَقَعُ قَنَاعَةٌ وَتَزَهُّدٌ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ: إِنْ

(١) أَي: مَا هُنَاكَ شَرٌّ، فَإِنَّ اللَّصُوصَ سَرَقُوا شَيْئًا وَتَرَكَوا شَيْئًا وَلَمْ يَأْخُذُوا كُلَّ شَيْءٍ.

(٢) أَي: حَصَلَ مَعَهُ الْيَقِينُ وَالرِّضَا بِمَا جَرَى لَهُ مِنْ مُرِّ الْقَضَاءِ مَعَ قِيَامِهِ بِمَا يَنْبَغِي لَهُ فَعَلَهُ.

(٣) هُوَ الْحَبِيبُ سَقَافُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّافِي، تَوَفَّى بِسَيُونِ سَنَةِ ١١٩٥ هـ.

(٤) الْحَبِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ الْحَبْشِيِّ، تَوَفَّى بِالْحَوِطَةِ سَنَةِ ١٢١٨ هـ.

(٥) قَضِيبُ الْبَانِ الْمُوصَلِيُّ؛

لم تَكُنْ إِبْلٌ فَمِعْزَى، وإذا عَجَزَ عن حالِ الأخيار، وهو الزهد، يَقْعُ حالُ الأبرار القناعة. والقناعة: الاكتفاء بالموجود، وزوال الطمع عن المفقود. بل بعضهم يفرح بالفَقْدِ وَيَعْتَمُّ من الوجود. أو كما قال، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا قال الإنسان: (رضيَ الله وعفا عَنَّا وعنكم وعن جميع المسلمين) بلسانه، ينبغي أن يساعدَ اللسانَ القلبُ، فلا يُضْمِرُ غلاً في قلبه لأحدٍ من المسلمين، ولا حسداً، ويعفو عَمَّن ظَلَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، رَبَّنَا ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]؛ لأن الدعاءَ باللسانِ من حيثُ الظاهرُ لا يُجْدي إلا إذا ساعده الباطن.

والزمانُ زمانٌ تغافلٌ وتغافرٌ في كلِّ شيءٍ، وما أحسنَ التغافلَ إذا حصلَ معه التغافرُ والمُحَالَّةُ^(١).

* * *

وقال رضي الله عنه: يقال: الأولادُ نِعَمٌ، والنَّعَمُ تحتاجُ إلى شكرٍ، والبناتُ حَسَنَاتٌ، والحَسَنَاتُ تحتاجُ إلى صَبْرٍ، يعني: على تعليمهن وتأديبهن.

(١) المحالَّة: المسامحة.

قال سيدنا الحبيب عبدُ الله الحدّاد: لا تطلُب من الله ولداً ولا بنتاً، اطلُب من الله الذي فيه البركةُ والصّلاح.

وفي الحديثِ عنه عليه الصّلاةُ والسّلام: «أو وليدٍ صالح يدعو له»^(١). والولدُ يشملُ الذكْرَ والأنثى، وقد تكونُ خيراً من الذكر؛ انظرُ إلى مريمَ عليها السلام، ولَدَتْ رُوحَ اللهِ عيسى عليها السلام، وكمَ وكمَ، وينبغي للرجل أن يشكّرَ نعمةَ الرجوليّة، وذلك بالقيام بتعليم الأهل، وإلاّ أقلُّ عقوبته: الغربةُ عن وطنه؛ يحوِزُ الغُربَتين: غربةَ الجَهل، وغربةَ الوطن. أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: قال الوالدُ عمر: كان حالُ سيدنا أحمدَ بن زين الحبشيّ هذه الأبيات:

فطابَ الأنسُ لي، وصفا السرورُ	أنستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي
هَجَرْتُ فلا أزارُ ولا أزورُ	وأدبني الزمانُ فلا أبالي
أسارَ الجندُ أم ركبَ الأميرُ	ولستُ بسائلٍ ما عشتُ يوماً

انتهت الأبيات؛ لأن سيدنا أحمدَ حاله التغافل، ولولا العلمُ ما انبسطَ للناس؛ لأنه متوحّش^(٢)، وكذلك أولاده رضي الله عنهم.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم: (١٦٣١).

(٢) أي: يأنس بالوحشة والخلوة.

ومن كلام سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر السكران: عليك بالتغافل، فإن مدار مصالح أهل الزمان عليه. أو كما قال.

ومن كلام سيدنا الحبيب حامد بن عمر: التغافل التغافل! التصائم التصائم! التعامي التعامي! يعني: تغافل حتى عن مطالب نفسك، وتصائم وإن كنت تسمع، وتعيّز وإن كنت تبصر، خصوصاً في زماننا؛ لأنك ماذا تسمع.

شكا بعض آل سُمَيْط إلى والدي عمر الصَّقَع^(١)، قال له الحبيب عمر: خَيْرُ لك، ائش باتسمع؟ والإنسان إذا كَثُفَ عليه شيءٌ من الأحوال يرجع إلى بيته يُعَلِّمُ أهله ويفقههم، ومن الفقه: أن يُصَغَّرَ عندهم ما صَغَّرَ الله — يعني الدنيا — حتى يزهدوا فيها، ويكبر ما عَظَّمَ الله حتى يطلبونه.



وقال رضي الله عنه: من سِيرَ جدُّك^(٢) محمد بن عوض باذيب لَعَجَم^(٣): إذا جاء عنده الضيفُ أخذ بِسِتِّ خَمَاسِي^(٤) لحْم، ويجلسُ هو والضيفُ فقط، وصنوه عُبُودٌ أكبر منه ما يجلسُ معه، وما زاد من الضيف فَرَّقَه على أهل البيت، ويقولُ لأهل البيت: ليلتكم في اللحم معروفة.

(١) أي: الصمم.

(٢) أي: جدّ كاتب هذا المجموع.

(٣) من أصحاب الإمام الحداد. ترجمته في كتابنا «بغية الأريب».

(٤) الخماسي: من عُملَة أهل ذلك الزمان.

وإذا هدَفَ له مولود يذبح رأس بثمانى أواق، مع أنه في وقتِه عَيْنٌ^(١). هذا في أمرِ المعاش.

وفي الشَّقُّ الثاني له مكارمٌ لا تَسألُ عنها. من جملة ذلك بعدَ موته، أخبرَ صَنُوهُ عبودُ الحبيبِ محمد بنُ سُميط مع سَفَرِهِ دوعن قال له: حبيب؛ وقع لي كلُّ خيرٍ ببركةِ محمد. قال: حصلَ علينا مداخلة^(٢)، فشكونا ذلك إلى سيدنا الحبيب عبد الله الحداد، فقال لنا: بيعوا جميع ما كان معكم لو يَخْلُفَ لكم خَرَشُ نساءكم^(٣)، وبعدُ تعالوا إلينا. ففعلوا ذلك، بدَّوا^(٤) جميع الذي عليهم وزاد بعد ذلك ثلاثمئة قرش. فساروا إلى عندِ الحبيب عبد الله، فلمّا قدهم بالحاوي قال محمدٌ لأخيه عبود: يا عبود باتساعدنا؟ قال: ما ارجع لك من شَقٍّ^(٥). قال: مئتان لنا، ومئةٌ للحبيب عبد الله. قال: صواب. فأعطوها الحبيبَ فقبَلَهَا وفرَّقَهَا في نحو يوم.

وأخبر^(٦) سيّدنا عمرَ البار بهذه الواقعة، وعنده ناسٌ من جُمْلَتِهِم باخيضر (دَلال)، فقال له الحبيبُ عمر: يا فلان؛ يصلح أنَّ أحدَ يتصدق

(١) أي: من الأعيان المرموقين.

(٢) أي: شيء من التجار والباعة.

(٣) أي: ولو لم يفضلْ لكم إلا حلي النساء، المراد: ولو شيء بسيط.

(٤) أي: سددوا ما عليهم.

(٥) الشفّ: الهوى، أي: لا أخالف لك مطلباً.

(٦) أي: الإمام الحداد، أو الحبيب محمد بن زين.

بثلث ماله؟ قال له: إن حَدَّ من أهلِ شبام يصلح. قال له: كيف ذلك؟
قال: هذا لي^(١) أقولُ لك.

وأشار الحبيبُ عبد الله على محمدٍ بالسفر إلى الشحر، ويطلعُ وقتَ
الموسمِ نحوَ شهرين^(٢). ومع مَطْلَعِهِ ومَخْرَجِهِ يعبرُ تريم على سيدنا الحبيب
عبد الله، وكان سيدنا الحبيبُ أحمد بن زين يعُدُّهما^(٣) من أولاده.

وأنتم إن باتحلُّون حضرَموت اتبعوا سِيرَهم، عاذا مَدْرُوكه،
وانقلُّوها واعقلُّوها، ولكن ربَّوهم العارفون بالله، ونحن من ربِّي نحن؟

* فطوبى لهم، فازوا وسادوا على الكلِّ*^(٤)

أو كما قال رضي الله عنه.

* * *

وقال رضي الله عنه: الدعوةُ إلى الله شرطٌ في قبولِ الدعاء، وإذا ما
شيءٌ دَعَوَ إلى الله ما شيءٍ قبول. كما في الحديث: «ثم يدعو خياركم فلا

(١) أي: الذي..

(٢) أي: يمكث نحو شهرين.

(٣) أي: عبود ومحمد عوض آل باذيب.

(٤) في قصيدة للإمام الحداد، وتمام البيت:

حياتُهُم خيرٌ لهم ومماتُهُم
فطوبى... إلخ

«الديوان» (٣٩٨-٣٩٩).

يُستجاب لهم»، بل يجمع بين: الدعوة من باب الحقيقة، والدعاء من باب الشريعة.

وإن حصلَ تلطيفُ المعاش، وإلاَّ فالأشياءُ كُلُّها لآش^(١)، خصوصاً هذه القهوة، التي وقعتْ علينا محنةً وفتنةً، في تضييع الأعمار والأوقات، نساؤنا ورجالنا في المسيرة في قالٍ وقيل، يشترون ناراً بها، الناسُ يمدحونها وأنا أذمُّها لأنها صارت بلاء. امنعوا أولادكم منها، الأولاد والبنات، اسمعوا الكلام، لكنْ أهل الزمان معاد سمعوا الكلام. بغوا الأُشورهم؛ زمان مفتون!!



وقال رضي الله عنه: الطبُّ هو تعديلُ الطبيعةِ قبل لا يظهر ألمٌ. كما في الحديث: «احتجموا في الصيفِ لئلا يتبَّيغَ بكمُ الدَّمُ في الشتاء فيقتلُكم»^(٢). وأمّا إذا ظهرَ الألمُ فيُسمَّى علاجاً معاد يسمى تطبياً.

وحبُّ الشَّيْبَارِ زين، ملينٌ للبطن، ينبغي أخذه، يصفِّي البطن، وإذا صَفَّتْ صَفَيْنِ العيون، يؤخذ إما بين الوقتين: الظهر والعصر، أو مع النوم، ولا يشرب بعده، ويأخذ على قَدْرِ قوَّةِ الطبيعة وضعفها. كان الوالدُ عمر يأخذه.

(١) أي: لا شيء.

(٢) الحديث لم أجده بلفظه، ووردت أحاديث متكلمٌ فيها في الحجامة ولم أجد فيها ذكر الصيف، ينظر: «تنزيه الشريعة المرفوعة» (٢: ٣٥٨).

وبَعْضُهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ يَتَعَشَّى خَمِيرَ الْبُرِّ ثُمَّ يَأْخُذَهُ. والوالدُ عمر لا يفعل ذلك. وأنا كنتُ آخُذَهُ. واسمُ الشَّيْبَارِ فِي اللُّغَةِ: رفيقُ اللَّيْلِ. وكذلك عَصِيدُ الْبَصِيلَةِ، يَصْفِي الْبَطْنَ، وإنما هي تُشَبِّهُ الشَّرْبَةَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: إِنَّ اللَّهَ يُنْطِقُ عَالِمَ كُلِّ زَمَانٍ بِمَا يَنَاسِبُ أَهْلَهُ. اعْقِلُوا؛ إِنَّهُمْ خَلَفَاءُ الرِّسْلِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى أُمَّةِ الْهَدْيِ أَنْ يَسِيرُوا بِسَيْرِ أَدْنَى النَّاسِ. انظُرُوا كَيْفَ هَدَى الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ، وَذَلِكَ تَشْرِيعٌ لَأُمَّتِهِ لِأَجْلِ يَتَأَسَّوْا بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

* * *

وسمعتُ^(١) سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْنُتُ فِي الْفَرَضِ: اللَّهُمَّ أَصْلِحِ الْإِمَامَ وَالْأُمَّةَ، وَالرَّاعِيَ وَالرَّعِيَّةَ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي الْخَيْرِ، وَادْفَعْ شَرَّ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ.

وكثيراً ما يَقْنُتُ: اللَّهُمَّ الطُّفَّ بِنَا وَالْمُسْلِمِينَ، وَعَافِنَا وَالْمُسْلِمِينَ، وَاكْفِنَا وَإِيَاهُمْ أَجْمَعِينَ شَرَّ مَصَائِبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَإِذَا طَلَبَ الْفَاتِحَةَ مِنَ الْحَاجِّ يَقُولُ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لَنَا وَلِلْحَاضِرِينَ. ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ الْحُجَّاجِ وَالْعُمَّارِ، وَالزُّوَّارِ وَالْوُقَّادِ إِلَيْكَ، أَنْ تَفِرَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَتَشْرَحَ صُدُورَنَا.

* * *

(١) القائل: الشيخ دحمان لعجم، كاتب الكلام.

وقال رضي الله عنه: كان سيدنا الحبيب حامد بن عمر يقول: جَاوَةٌ إبليس؛ أَكَلَتْ شُبَّانَ آلِ بَاعِلَوِي، وذلك حين أُخْبِرَ بوفاةِ رَجُلٍ منهم في جَاوَةٍ، وأُخْبِرَ أنه كَمَلْ مقبرةً فيها من سادةِ تَريمَ نحوُ ستمئةٍ في ذلك الحين^(١).

وجاء^(٢) أيضاً إلى سيئون فاتفق ببعض السادة، فشكا من أحوال الزمان فقال له علوي: كانت سيئون زهرةً فَشَتَّمُوها بِالكَيْلِ. وكان السيدُ يَعْمَلُ به. فقال للحبيب حامد: وأنا أَعْمَلُ به. فقال له: هَهْ، هَهْ، عَلَوِي، عَلَوِي. قال السيد علوي: مِنْ حِينَئِذٍ انْتَفَى خَاطِرِي وَكَرِهَتِهِ.

وقال سيدنا رضي الله عنه: وأنتم يا أهلَ شبام، هذه اللُّجْمَةُ^(٣) شَتَّمَتْ بلادكم، تتَحِيلُونَ على الله، والسبُّ كُلُّهُ قِلُّ الاقتصاد في المعيشة، وهذه الأثقالُ أَزَتْ الناسَ على الدخولِ في الحيلِ والشُّبُه، بل والحرام.

قال الحبيب عبد الله^(٤) خَرَدَ وذلك حين حَلَّ شبام في دار السادة آل محمد بن أبي بكر^(٥)، لَمَّا حَصَلَ عليه أَدَى من أهلِ تَريمَ وَنَقَصُ في المال، وذلك في مجلسِ الحبيبِ عمر بن زين: مَوْلَانَا! عِنْدَنَا الطَّرِيقَ،

(١) أي: القرن الثاني عشر الهجري.

(٢) أي: الحبيب حامد بن عمر.

(٣) نوعٌ من الحيل كانوا يتعاملون به في بيعهم وشرائهم.

(٤) هو السيد الفاضل عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علوي بن المحدث محمد بن علي خرد، كان سيداً فاضلاً عابداً. ذكره في «غاية القصد».

(٥) لعلهم من آل بلققيه، فقد سكن منهم جماعة في (شبام).

والسببُ الأثقال، وهذه دراهمُ إمامِ صنعاءَ بلاءٍ على أهلِ حضرَموت. ونحن يا سيدي نعامل، نعمل شِاذراً^(١) من مئة قرش وثمانين، ويسير بهنَّ بعضُ الأولاد إلى صنعاء، ولا يأخذ ذلك إلاَّ الإمامُ أو أحدٌ من حاشيته، ودراهمُهُ من عَشُورٍ^(٢) المَخا وغيرها.

قال سيدنا أحمد: أنصَفَ الحبيبُ^(٣). رضيَ الله عنهم.

وكذلك سيدنا الإمامُ عبدُ الرحمن بنُ عبد الله بلفقيه، حصلَ عليه أذى كبيرٌ من بعض الجُند، ثم افتكَّ^(٤) منهم، وكأنَّ الناسَ أنكروا ذلك، لجلالةِ مقامِ الحبيب، ولما افتكَّ أتوا يهتُونَه، فقال لهم رضيَ الله عنه: لا تستعظمو ما وقع، السببُ إلاَّ مِنِّي، خُوِّدتمْ معي مُهَوَّنٌ في الصلاة، فوقع ما وقع لي سببُ ذلك.

قال سيدنا: هذا حالُ العارفين؛ لأنهم أدنى شيءٍ يروْنَه سبباً في الذي يَقَعُ بهم، مثالُهُم مثالُ القُبَّةِ المنوَّرة: ما فيها شَبُوءٌ^(٥) ظاهر قطّ، فلمَّا بدَا شَبُوءٌ قليل ظهرَ له في الحال، ومثالُ غيرهم مثالُ العَرِيشِ المُخْلَل: ما شيءٌ يظهر فيه.

سمعَ بعضهم إنساناً يقول: لا خيرَ في الإسراف. قال له: لا إسرافَ

(١) الشِاذر ما تلبسه النساء كالجلباب أو العباءة، وهو جمع، الواحد منه: شِذَر.

(٢) أي: المكس والضرائب.

(٣) أي: السيد خرد المذكور.

(٤) أي: تخلص.

(٥) الشَبُوء: لعله الشرخ في الجدار.

في الخير. يعني أن السرف لا يكون إلا في حرام أو مكروه، وأما الإنفاق في وجوه الخير فلا يُسمى سرفاً، «ما نَقَصَ مالٌ من صدقة، بل يزداد»^(١)، والمواساة ليست بالمال فقط، بل المواساة إلى المحتاجين بالمال، وتعليم الجاهل وإرشاد الضالين من أفضل المواساة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، لم يقل: من مال، بل إذا أعطيت كسرة أحييت جسمه الفاني، وإذا علمته مسألة في دينه أحييت روحه الباقي، وشتان بين الأمرين، ولا يضره إذا مات جوعاً ودينه سالم. ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا، جبر الله لهم به الجنة. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: لا يكره إقامة الوالي إلا منافق؛ لأنه ما بغى أحد يقهره من هواه، ويردعه من ظلمه، بل ينبغي له أن يتمنى ذلك. وغالب الناس يكرهون ذلك ﴿وَلَنْ تُلَاقُوا نَفْسًا تَرْضَى﴾ [الأنعام: ١١٦].

* * *

وقال رضي الله عنه: بعض الخلف سبق سلفه ويسمى سابق، مثل محمد لعجم سبق سلفه وإن كانوا أهل خير، بل ذكر والدّه وذكر هو في

(١) الحديث أخرجه القضاعي في «مسنده» عن أم سلمة مرفوعاً، «كشف الخفا» (٢):

مجلس سيدنا الحبيب عبد الله الحداد فقال فيه: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ؛
لأنه بالنسبة لسبقه، وذلك ببركة سيدنا عبد الله وترتيبته له.

* * *

وقال سيدنا رضي الله عنه: أَخْبَرَنِي عَوْضُ بْنُ دَحْمَانَ بَلْفَقِيهِ قَالَ:
تَزَوَّجَ وَالِدُهُ عِنْدَ آلِ لَعْجَمٍ، فَقَالُوا لَهُ: عَرِّبْ لِلزَّوْجِ، شَفُّهُمْ نَاسٌ
مَكْثِرَةٌ^(١). قَالَ: مَا أَهْمُرُهُمْ! وَمَعِيَ ضَانَةٌ فِي السَّطْحِ، قَالَ: فَذَبَحَهَا فِي
الزَّوْجِ، وَعِنْدَهُ ثَمَانِينَ نَفَرًا وَكَفَّته، مَعَ أَنَّ الْمَذْكُورِينَ كُلَّهُمْ أَهْلُ جَدَّةٍ^(٢)،
وَلَكِنْهُمْ مَا يَتَعَدُّونَ سِيرَةَ السَّلَفِ حَتَّى مَا يُتَّعَبُونَ غَيْرَهُمْ. (وَمَنْ خَالَفَ كَيْبُرَهُ
عُورَتْ بَيْرُهُ)، وَمَنْ بَايَظَفَرَ لَا يَتَكَلَّفُ.

* * *

وقال رضي الله عنه: أَنْصِفْ مِنْ نَفْسِكَ، لَا تَتَشَبَّهُ بِالْأَكْبَارِ وَأَنْتَ مِنْ
أَصْغَرِ الْأَصَاغِرِ، تَدَّعِي أَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَنْتَ عَبْدُ شَهْوَتِكَ؛ «تَعَسَ عَبْدُ
الدِّينَارِ، تَعَسَ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا
شَيْئَكَ فَلَا انْتَقِشْ»^(٣).

وين الحُر؟ كما قال سيدنا أبو إسحاق الشيرازي صاحب «التنبيه»
و«المهذب» — وهو مناظرٌ للإمام الغزالي في العلوم — شعراً:

(١) أي: الناس المدعوون كثير.

(٢) أي: يسر وسعة في العيش، وقدرة واستطاعة لذبح أكثر من ذلك.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٧٣٠).

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ خِلٍّ وَفِيٍّ فَقَالُوا: مَا إِلَيَّ هَذَا سَبِيلُ
تَمَسَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِوُدِّ حُرٍّ فَإِنَّ الْحُرَّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ

وتشييدُ المباني من البلاءِ العظيم، وأنا أقول: إِنَّهُ تَدَجِيلٌ؛ لِأَنَّ
الدَّجَالَ مَنْ يُلَبَّسُ. كَيْفَ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بُعِثْتُ لَخْرَابِ الدُّنْيَا، فَمَنْ
عَمَرَهَا فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

وَلَمَّا أَرَادَ الْأَنْصَارُ بِنَاءَ الْحَرَمِ وَمَعَهُمْ قَصَبَةٌ يَقْدُرُونَ بِهَا، أَخَذَهَا مِنْهُمْ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَرَمَى بِهَا، وَقَالَ: «خُشْبَاتٌ وَثُمَامَاتٌ، وَعَرِيشٌ
كَعْرِيشِ مُوسَى، وَالْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ»^(٢)؛ يَعْنِي: عَرِيشَ مُوسَى، لَوْ مَدَّ
يَدَهُ لَنَالَهُ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَيْلَةَ الْمَطَرِ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ^(٣).
وَبَنَى سِدْنَا الْعَبَّاسُ قُبَّةً، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: أَتَصَدَّقُ بِثَمَنِهَا أَوْ

(١) لم أجده.

(٢) الحديث أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥١٤٩)، وفيه: أَنَّ أَبِي بَنِ كَعْبٍ وَأَبَا
الدَّرْدَاءَ ذَرَعَا الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِالذَّرَاعِ، قَالَ: «بَلْ عَرِيشُ كَعْرِيشِ مُوسَى،
تَمَامٌ وَخَشَبَاتٌ، فَالْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ الثَّوْرِيُّ: وَبَلَّغْنَا أَنَّ عَرْشَ مُوسَى إِذَا
قَامَ مَسَّهُ.

(٣) متفق عليه، البخاري في كتاب الاعتكاف (٢٠٣٦)، ومسلم في كتاب الصيام
(٢٧٦٤).

أَهْدِمُهَا؟ فقال له عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِهْدِمُهَا، بُعِثْتُ لْخَرَابِ الدُّنْيَا»^(١)... إلخ.

وما وَضَعَ ﷺ لِبْنَةً عَلَى لِبْنَةٍ^(٢). كُلُّ ذَلِكَ تَشْرِيعٌ لِأُمَّتِهِ. وَبَنَى سَيِّدُنَا أَبُو ذَرٍّ بَيْتًا، فَرَأَاهُ سَيِّدُنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ: بَنَيْتَ مَشِيدًا، وَأَمَلْتَ بَعِيدًا، وَتَمَوْتُ قَرِيبًا.

انظروا تَنَاصُحَ الصَّحَابَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، مَعَ أَنَّهُمْ أَكْمَلُ النَّاسِ!

وَكَانَ سَيِّدُنَا حَامِدُ بْنُ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ إِذَا جَاءَهُ أَحَدٌ يَزُورُهُ يَقُولُ لَهُمْ: كُلُّهُ زَيْنٌ فِيكُمْ، إِلَّا تَشْيِيدَ الْمَبَانِي. وَوَرَدَ: أَنَّهُ يُكَلِّفُ حَمْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا لَا، يَعْنِي مَا لَا بَدَّ مِنْهُ.

دَخَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ الصَّالِحِينَ وَهُوَ فِي عَشْوَةٍ، فَقَالَ لَهُ: لَوْ صَلَّحْتُمُ الْبَيْتَ! فَقَالَ لَهُ: عَادَةُ جَمٍّ لِمَنْ بَايَمُوتَ. وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي آزَتْ النَّاسَ عَلَى الْغُرْبِ وَشَبَّتْ نَارَ الْحَرَصِ، وَالسَّبَبُ قِلُّ الشُّكْرِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٧].

وَالْحَرِيصُ مَعْدَبٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ عَذَابِ الْآخِرَةِ. وَقَدْ جَاءَ فِي قَوْلِهِ

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» كَمَا فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (٤: ٧٠). قَالَ الْحَافِظُ الْهَيْثَمِيُّ: (وَهُوَ مَرْسَلٌ وَرَجَالُهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ).

(٢) وَرَدَ بَدْعُنَاهُ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ مِنْ رَوَايَةِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَفَعْتَهُ: «مَنْ سَأَلَ عَنِّي، أَوْ سَرَّهَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ، فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ شَاخِبَ مَشْمَرٍ لَمْ يَضَعْ لِبْنَةً عَلَى لِبْنَةٍ وَلَا قَصْبَةً عَلَى قَصْبَةٍ...» الْحَدِيثُ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٢٢٤١).

تعالى: ﴿لَا عَذَابَ إِلَّا لِلْعَاصِينَ﴾ [النمل: ٢١]، أي: أطلب من الله أن ينزع من قلبه القناعة، لأن الهدد أقنع الطيور، وفي المثال: «باعدته عذاب الهداهد».

والقانع مستريح في الدنيا قبل الآخرة، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، أي: بالقناعة في قلبه.



وقال رضي الله عنه: الحلبة المحلاة^(١) توطي بخار البطن؛ وتحليتها قال بعضهم: تخمر في الماء من الليل إلى الصبح، ثم تطير الماء. والغالب قال: إنها تفور خمس مرات؛ وفيها منافع جمّة.

قال والذي عمر رضي الله عنه: كان بعض السادة في علوا سنة ثمانين سنة، قد عمي وتعكف^(٢)، ثم إنه استعمل الحلبة المحلاة دواماً حتى انطلق من التعكف، وفتح عينه، واضطل بدنه، ورجع يقرأ في «دلائل الخيرات»، لكن الذي استغرقها حلبة على الدوام نحو قهاول ومُصرى^(٣).

وأنا بغيت أهل شبام يستعملونها، خصوصاً في الروبة؛ لأنهم يحبونها، وكذلك المرأة إذا قرب الوضع، ينبغي أن تجتنب الخمير وكل

(١) الحلبة: دواء معروف، تؤكل وتطبخ.

(٢) أي: أقعد.

(٣) أي: الكمية التي استعملها في فترة علاجه بها.

يابس، وتستعمل الحلبة؛ لأنها تسهّل الوضع. والطّب أكثر ما ينفع إلا مع المداومة، ولو هو قليل.



وقال رضي الله عنه: صلاح القلب في الحزن وخرابه في الفرح؛ لأنّ المؤمن دائم الحزن من ذنوبه وتقصيره، بل يفرح إذا عمّل طاعة بتوفيق الله تعالى له، والمؤمن لا تمضي أوقاته إلّا في قرّة، يكون شحيحاً بوقته:

* واقطع لياليك والأيام في القرب *^(١)

فقد جمّع سيدنا الحبيب عبد الله الحداد في هذا البيت الفرائض والسنن؛ لأنه أوتي جوامع الكلم وراثّة من جدّه ﷺ، ومثاله كمن يقنم النخلة بكربها وليفها وخريفها، وغيره من العلماء يقنم إلّا الخيل^(٢) فقط.

ومن كلام سيدنا عبد الله الحداد: تمنيت إحدى خصلتين: إمّا خلافة كخلافة عمر بن الخطاب، وإمّا سياحة في البراري والقفار. وذلك منّي ومطلوبي، ولكن ما قدر الله، لا ذا ولا ذا، بخت الناس بي أكثر من بختي بهم.

انظر إلى كلام الكبار واهتمامهم بإقامة العدل؛ لأن سلامة الدين

(١) من بيت للإمام الحداد، أوله:

الزّم فرائضه واترك محارمه واقطع..... إلخ

«الديوان» (٨١).

(٢) الخيل: عذق التمر أو البلح وهو على النخلة.

والدنيا بالوالي على ما فيه. ونية سيدنا عبد الله الحداد وقصده كأنما تولّى وأقام العدل، كما صاحبُ الكُتبان من بني إسرائيل^(١) لَمَّا عَلِمَ اللهُ صدق نيته تقبّل منه.

وينبغي الدعاء للوالي أن يصلحه الله ويرشده، كما قال سيدنا الفضيل ابن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها لمن يتولّى رقاب المسلمين. وكذلك الشيخ عمر بامخرمة^(٢) في قصائده يمدحُ السلاطين^(٣) ويدعو لهم، لَمَّا يترتبُ على وجودهم من الصلاح.

وهذا الدعاء ينبغي الدعاء به: «اللهم أصلح الإمام والأمة، والراعي والرعية، وألف بين قلوبهم في الخير، وادفع شرّ بعضهم عن بعض»؛ فهو عظيم جَمّ.

وهذا الدعاء ينفي صغار الشرك وكباره: «اللهم إنّنا نعوذ بك أن نُشركَ بك شيئاً نعلّمه، ونستغفرُك لَمَّا لا نعلّمه»، ينبغي تكراره صباحاً ومساءً.

ومن كلام سيدنا عبد الله الحداد: مثال الدنيا كالبقرة، إن جئتها من قبل رأسها نطحتك، أو من جهة رجلها رمحتك، وذيلها أملس، إذا قبضته ملّص.

قال بعضُ الحاضرين: بي منها كم من نطحة ورمحة، لكنّي ما تُبت!

(١) تقدم ذكره.

(٢) من أكابر العارفين، توفي بسيون سنة ٩٥٧هـ.

(٣) وأكثر من مدحهم الشيخ عمر من السلاطين.

يعني: أن الدنيا زائلة، «ولو يشوف الإنسان أن معه شيئاً قابضاً عليه ما يدري إلّا وذهب، إمّا بحادثٍ أو وارث، وعادتها الأكدار والنَّغص». أيُّ وَلِيٍّ صَفَتْ له؟ أيُّ صِدِّيقٍ؟ بغيتها تصفَى لك؟

ومن كلام سيدنا الحبيب عبد الله الحدّاد أيضاً: لا حَذُّ يقتدي بي في ترك الأسباب، فما مثلي إلّا مثال مَنْ ألقى ساعيته في البحر وقطع الشراع والحبال وخلاًها تعوم.

وقال سيدنا: وكذلك سيدنا الحبيب أحمد بن زين آخر وقته يقول: إنَّ ذِكْرَ الأسبابِ يوجع قلبي.



وقال رضي الله عنه: إذا استحقّر الإنسان نفسه قرُبَ من ربّه، وإذا استعظم نفسه بُعدَ من ربّه.



وقال رضي الله عنه: إذا فُقدَ النور، ضاقتِ الصدور. ولو كان شيء نور لكان آيةً من كتاب الله تعالى تزهد نحن في الدنيا وننتاف منها، ونرى المحنة فيها عينَ المنّة. وإذا كَمُلَ عقل الإنسان زهد في الدنيا، وإن كان لا يؤمنُ بيوم الحساب.

كما يروى: أن بعض المؤمنين أتى طبيباً كافراً يتطبّبُ عنده، فقال له: ما أخبركم نبيكم أن الدنيا فانية؟ قال له: بلى، قال: أنا بي كذا وكذا علّة ما أخذتُ لها دواء. يعني: أنه عرّف أنها فانية، ولكن ما معه نور.

كما كفارُ قريش: عقولٌ وافرة بلا نور. كمثّل مَنْ نَظَرُهُ زين جَمٍّ لكنه في ظُلْمَةٍ ما ينفعُهُ شيء، فلو أدركه النورُ — مثل سيدنا عمرَ رضي الله عنه وأمثاله — لكان بهرَ في الخير.

* * *

وقال رضي الله عنه: الأمرُ عندَ أهلِ الأصول للوجوب، حتى يدلّ عليه دليلٌ خارجيٌّ إمّا للندبِ أو للإباحة.

* * *

وقال رضي الله عنه: يكفي الإنسانَ فخراً أن يُنسبَ إلى ربّه: عبد الرحمن، وعبد الله؛ قال بعضهم: كفاني عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفاني فخراً أن تكونَ لي ربّاً^(١).

قال سيدنا الحبيبُ محمد بن سُمَيْطٍ رضي الله عنه: يُسْتَدَلُّ على كَمَالِ الشيخ عبدِ الله بن محمدٍ بآعباد^(٢) بدعاءِ الخُتمِ الذي له؛ وإنّه من كبارِ العارفين الجَمِّ؛ لأنّه ما له تصانيف، وكان خمولياً رضي الله عنه.

* * *

وقال رضي الله عنه: ما أعقلَ الزاهدَ وما أحمَقَ الحرّيصَ! وأهلُ

(١) ومنه قول الشيخ أحمد بن عمر باذيب في «دعائه»: (ويا حقّ، يكفيني فخراً أن أكون لك عبداً، ويكفيني عزّاً أن تكونَ لي ربّاً)... إلخ. «الأدعية الأحمدية» (٢٤).

(٢) هو الشيخ عبد الله القديم، المتوفى سنة ٦٨٧هـ.

الزمان طلبوا الدنيا إلى جاوة والهند، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(١)، عكسوا الحال.

وزمان عكست أحواله صار فيه الوجه في حدّ القفا^(٢)

وصار المعروف منكراً والمنكر معروفًا والقلب ما يسمع إلا واحد.

قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [الأحزاب: ٤]، إمّا

جاءت الدنيا وامتلاً بها، وإمّا الآخرة وامتلاً بها، فأثروا ما يبقى على ما يفنى. وجّه قلبك إلى العلم الباقي؛ لأنّ به حياة القلب، وبفقدّه موت القلب، مثل الماء للنخلة؛ إذا ما سقيت يبست وماتت.

والإنسان يُمضي وقته كلّ في طلب العلم. كما قال سيدنا الحبيب

عمر بن سفيان نفع الله به:

مذ نشأ في العلوم طفلاً وشيخاً وارتنقى في كهولة وشبابٍ

يا بخت من هذا وصفه، ويا بخت أبويه ويا بخت مجالسيه،

فالسعادة كلّ السعادة أن يموت الإنسان مُحبّاً لله وعارفاً بالله تعالى. فمن

أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه. وعكس ذلك — والعياذ بالله — أن يموت

جاهلاً بربه كارهاً للقاءه، فمن كره لقاء الله كره الله لقاءه. اللهم احفظني

بعينك التي لا تنام. اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) من قصيدة للإمام الحداد؛ مطلعها:

يا رسول الله يا أهل الوفا يا عظيم الخلق يا بحر الصفا

قال بعضهم: الحالة التي تحبُّ أن يأتِكَ الموتُ وأنت عليها الزَّمنُها من الآن. تُوفِّي سيِّدنا عبدُ الرحمن السَّقافُ رضيَ الله عنه في صلاةِ العَصْرِ وهو ساجد^(١)، وكذلك من المتأخِّرينَ الحبيبُ محمد بن سهل^(٢)، أنا أنقُضُهُ^(٣)، تُوفِّي في صلاةِ العَصْرِ. مقامٌ عظيم. اللهمَّ يا مَنْ وفقَ أَهْلَ الخَيْرِ للخير، وأعانهم عليه، وفَقَّنَا للخيرِ وأعِنَّا عليه، وافعلْ ذلك بوالدِنا ووالديهم وأولادِنا وأحبابِنا وبجميع المسلمين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قيل: إن قطرةً من الهوى تُخَمِّجُ بحراً من العلم. انظُرْ إلى حال بلعام بن باعوراء لما دَخَلَهُ الهوى، انسلخَ عن آيات الله واتبع هواه. وقال عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ لعائشة الصَّدِّيقية رضيَ الله عنها — حين قالت: إنها كذا، تعني قصيرة —: «لقد قُلْتُ كلمةً لو مُزِجَتْ بماءِ البحرِ لَمَزَجَتْهُ»^(٤) يعني لو قَدَرْنَا أن الكلمةَ جِسْمٌ طُرِحَ في بحرٍ عذبٍ لَغَيَّرَتْ طعمَه ولونه وريحَه، مِنْ نَتَنَ ريحِها وخبثِها. وفيه إشارةٌ إلى أنها بحرٌ من العلم، وذلك لما في الكلمةِ من الهوى؛ لأنها حريقتُها^(٥).

(١) المشهور أن الذي توفي ساجداً هو الشيخ الإمام عمر المحضار ابن الإمام عبد الرحمن السَّقاف، توفي سنة ٨٢٣هـ.

(٢) لعله يعني السيد محمد بن علي بن محمد بن سهل مولى خيلة، لم أقف على تاريخ وفاته، وتقدم ذكر ابنه الحبيب عمر المتوفى سنة ١٢٣٥هـ، وهم من أهل تريم، وهو مقبور عند السادة آل جمل الليل بجبانة تريم.

(٣) أي: أذكره.

(٤) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢)، وأحمد (١٨٩: ٦).

(٥) أي: ضرَّتها. وفي هذا إشارةٌ إلى سبب ورود هذا الحديث الشريف، وهو قول =

فإذا كان هذا حال الصديقة رضي الله عنها، التي قال فيها عليه الصلاة والسلام: «خُذُوا نَصَفَ عِلْمِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْحُمَيْرَا»^(١) فكيف حالنا وحال نسائنا؟ فالانقباض وعدم المخالطة أولى بنا، واسألوا من الله الحفظ.

ولهذا سُمِّيَتِ الغيبة صاعقة الأعمال؛ لأنه قد يقع مع الإنسان أعمال خمسين سنة جاءت غيبة أعطتها خطفة^(٢)، ورجع في لا شيء. الجهد جم، وكلما حصل شيء خذوه عليه. وكذلك العجب مُحِبٌّ للعمل كما قال عليه الصلاة والسلام: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، الْعُجْبُ الْعُجْبُ»^(٣)؛ لأن الذنب يورث العبد الانكسار والافتقار.

وقد قيل: «قُرْصٌ فِي بَطْنٍ جَائِعٍ، أَفْضَلُ مِنْ بِنَاءٍ أَلْفِ جَامِعٍ»؛ إذا صحَّت النية، يعني: لأن الأشياء الظاهرة قد يرى نفسه فيها الإنسان، مثل بناء مسجد أو غير ذلك، تحتاج إلى تحرير النيات.

= السيدة عائشة: حسبك من صفة كذا وكذا، تعني أنها قصيرة.

(١) قال الحافظ ابن حجر: (لا أعرف له إسناداً ولا رأيته في شيء من كتب الحديث).. إلخ. وورد ذكر الحميراء في أحاديث غير هذا، والحميراء تصغير حمراء، والعرب تسمي الأبيض أحمر، ومنه حديث: «بعثت إلى الأحمر والأسود». «كشف الخفاء» (١: ٤٤٩ - ٤٥٠).

(٢) أي: اختطفها وجعلت أعمال تلك السنين لا شيء.

(٣) الحديث أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٤٧)، وغيره. قال العلامة الغماري: (فالحديث إن لم يبلغ درجة الصحيح فهو حسن ولا بد إن شاء الله). «فتح الوهاب» (٢: ٣٦٩).

يُحْكِي عن سيدنا الإمام عبد الوهاب الشعراني^(١): أن بعضهم استشاره في الحج، وبايحهج بجملة من العلماء معه، وبا ينفق في ذلك كثيراً من المال، فقال له الشعراني: يا ولدي، لو أعطيتني الذي باتنفقه في الحج، والثواب حاصل لك. قال له: باشاور نفسي: فلما رجع قال له: إن النية برزت وأريد الحج. فقال له: يا ولدي، إذا دخلت الأموال من حيث لا، خرجت فيما تهواه الأنفس. يعني: من حيث لا يرضي الله. ثم استشاره آخر في شي من الأموال الظاهرة. فقال له الشعراني: لو أعطيتني ذلك الذي باتنفقه. قال: صواب؛ المقصود حصول الثواب. فقال له: افعل ما بدا لك. يعني: أن نيته صحيحة.



وقال رضي الله عنه: التَّحَلِّي، بالخاء المُعْجَمَة، عن المذموم، والتَّحَلِّي، بالخاء المُهْمَلَة، بالمحمود. فمن تَحَلَّى عن الرذائل تَحَلَّى بالفضائل، تَحَلَّى عن الحسدِ تَحَلَّى بالنصيحة للمؤمنين، تَحَلَّى عن الكبر تَحَلَّى بالتواضع، تَحَلَّى عن الرياءِ تَحَلَّى بالإخلاص. وهكذا... إذا تَحَلَّى عن شيءٍ تَحَلَّى بضده؛ أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: قال سيدنا عمر بن عبد العزيز لولده^(٢):

(١) المتوفى بمصر سنة ٩٧٣هـ.

(٢) واسمه: عبد الملك؛ مات في حياة أبيه بالطاعون. قال الحافظ ابن الجوزي في «ترجمته» (٢٧٩): (وعن بعض مشيخة أهل الشام قال: كنا نرى أن عمر بن =

يا بُنَيَّ، لَأَنْ تَكُونَ فِي مِيزَانِي أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ فِي مِيزَانِكَ. فقال له: وأنا أُحِبُّ الذي تحبُّ. يعني: أنه بغى ولده يموت قبله؛ لأن قلوبهم في الآخرة؛ والإنسان مَنْ قَدَّمَ قَبْلَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ يَكُونُ فِي صَحَائِفِهِ، وإلا هو يَكُونُ فِي صَحَائِفِهِمْ.

وكانوا يَرَوْنَ أَنْ ما أُوتِيَ سَيِّدُنَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنَ الْمَقَامِ الْعَزِيزِ الْكَبِيرِ إِلَّا بِبِرْكَهٖ وَلَدِهِ الْمَذْكُورِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ إِمَامًا. حُكِّوا^(١) عَلَى أَوْلَادِكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ قَرَّةَ عَيْنٍ.

* * *

وقال رضي الله عنه: الدنيا سبيلٌ مسلوكة، ومتاعٌ متروكة.

* * *

وقال: كم قليلٍ مِنَ الْعَمَلِ كَثَّرَتْهُ النِّيَّةُ، وكم مِنْ كَثِيرٍ قَلَّلَتْهُ النِّيَّةُ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ تَحْتَاجُ إِلَى إِخْلَاصٍ جَمٍّ. وَأَمَّا الشَّيْءُ الْحَقِيرُ مَا يَدْخُلُهُ رِيَاءٌ وَلَا عُجْبٌ، يَتَضَاعَفُ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

والمضاعفةُ هي كَمَا يُحْكِي عَنْ بَعْضِ الْمُلُوكِ: أَنَّهُ تَعَلَّمَ لَعِبَ الشَّطْرَنْجِ، فَلَمَّا عَرَفَهُ نَالَ لِلَّذِي عَلَّمَهُ: سَلْنِي مَا تَرِيدُ إِلَّا الْمُلْكَ، فَقَالَ لَهُ: أَرِيدُ مِنْكَ زِينَةَ هَذِهِ الْحَبَّةِ الشَّعِيرَةِ، وَتَضَاعَفُ هَذِهِ عَلَى عَدَدِ آيَاتِ الشَّطْرَنْجِ، فَقَالَ:

= عبد العزيز إنما أدخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك). اهـ.

(١) أي: اسألوا وفتشوا.

هَمَّتْكَ دَنِيَّةٌ، سَلْ شَيْئاً كَبِيراً. فقال: احسبوها؛ فحسبوها، ثم قالوا له: ما طلبه منك لا يسعُه بسيط الدنيا. وكانت عدَّةُ أبياتِ الشطرنج فوق الستين، وقد طلب مُضاعفةً ذلك إلى عددها.

فالإنسان إذا أرادَ أن يدخلَ في أمرٍ يحرِّرُ النيةَ. والمغبونُ مَنْ غُبِنَ في حُسْنِ النيةِ؛ لأنَّ الأعمالَ لا تُحَسَّبُ إلَّا بالنيةِ، ويثابُ عليها إذا صحَّتْ وإن لم يعملْ، كما في قصةِ صاحبِ كُتبانِ الرملِ.

ومن النِّعَمِ الكبيرة: أنَّ الله تعالى أمرَ بالتصدُّق وإن قلَّ، فلم يكلفنا التصدُّقَ بالكثير، وكذلك النبيُّ عليه الصَّلَاةُ والسلام بُعثَ باليسرِ تخفيفاً لأُمَّته، فقال: «لو أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُهُ»^(١). وتصدَّقْتُ سيدتنا عائشة بنصفِ تمرة، وقالت: كم فيها مثاقيل. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقد ورد: أن الكِسْرَ واللُّقْمَ تكونُ يومَ القيامةِ أمثالَ الجبال؛ لأنها لا يدخلُها رياءٌ ولا فخر.

والإنسانُ إذا أرادَ أن يُطَرَّفَ^(٢) قهوةً أو طعاماً يَمِيلُ^(٣) منه قليل كل يوم، وينوي بذلك إحياءَ الإسلام، ودفعَ البلاءَ عن هذه الجهة، ثم إذا حصل ما حصل من ذلك يصرفُه في أفْرِضِ الوجوه، وأعلاها: لِمَنْ يَطْلُبُ العلمَ العينيَّ، حتى تتضاعفَ الصدقة، ولا يستقلَّ ذلك، فإنه لن يقلَّ عَمَلٌ مقبول، كما قيل:

(١) الحديث في «البخاري» (٢٤٢٩) في باب (القليل من الهبة).

(٢) أي: يقرب ويُعد.

(٣) أي: يُبْعِد.

افْعَلِ الْخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتَ وَإِنْ كَانَا قَلِيلًا، فَلَنْ تُحِيطَ بِكُلِّهِ
وَمَتَى تَفْعَلُ الْكَثِيرَ مِنَ الْخَيْرِ إِذَا كُنْتَ تَارِكًا لِأَقْلَهُ؟

يُروى أن سيدنا الإمام الغزالي رضي الله عنه رُئي بعد موته، فقيل له: بماذا غفر الله لك؟ قال: إني كنتُ أكتب يوماً، فَبَرَحَ ذُبَابٌ عَلَى سِنَةِ الْقَلَمِ، فخلَّيتهُ إلى أن روي، فبهذا غفر الله لي. ولم يقل: بعُلُومي ولا أعمالي ولا تصانيفي. عرفت أن الشأن في حُسن النية.

قال سيدنا عبدُ الله الحدَّادُ رضي الله عنه: «وَأَصْلِحْ قُصُودِي والأعمال».

* * *

وقال أيضاً لِرَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ الصَّبُورِ^(١) أَهْلٍ يَشْبُمُ: تريدُ أن تكونَ عالماً فقيهاً، أو صوفياً؟ قال: أريدُ فقهاً في الدين؛ فقال له: حُزَّتِ الشَّيْئِينَ؛ كانه أخذَ ذلك من قولهِ تعالى: ﴿لَيَسْفَهَهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢].

* * *

وقال أيضاً: في كتابِ «رياضِ الصالحين»^(٢) شَرَحُ أدلةِ الصوفية، ونحن نتمنّى إشاعته؛ لأنه نافع، ولا بعدَ كلامِ الله إلَّا كلامُ الرسول. عسى الله يشرح الصدور.

(١) آل عبد الصبور أسرةٌ معروفةٌ من آل محمد بن عمر الخولانيين، بمنطقة حَبَّان، ظهر فيهم فقهاءٌ أعلام، ينظر للمزيد: «إدام القوت».

(٢) للإمام النووي، شهير للغاية.

وقال رضي الله عنه: قال بعض السلف: ما قَاطَعَ النَّاسُ الْخَيْرَ إِلَّا بسبب التَّكَلُّفِ.

* * *

وقال أيضاً: مرَّ سيدنا الحبيبُ علي بن حسنٍ العطاسُ هو ورجلٌ على امرأةٍ وبقرِها رجلٌ. فقال له الرجل: يا سيدي، هذه المرأةُ جالسةٌ على الطريق. فقال له: رُحْ اضربِها. فضرِبَها فلم تنزجر، فلما سارا قال له: أتدري بهذه المرأة؟ قال: لا. قال: هي الدنيا. قال الرجل: يا سيدي، بغيناها إن كانت هي الدنيا. فقال له: ما رأيتَ الرجلَ بقرِها؟ ذاك الشيطان، لو زال من عندها لأخذناها، لكنه ما يزولُ عنها؛ لأنها بنته يصطادُ بها الناس. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: قال لي عبدُ الله بالسُّعود^(١): قال لي الحبيبُ جعفرُ بن أحمدَ بن زَيْنِ الحبشي^(٢): أدركنا أهلَ شبامَ ثلاثَ طبقات^(٣)؛ أولُ طبقة: لبأسهم كوافي^(٤) بيض، وروادي^(٥) شمال^(٦). وثاني طبقة:

(١) كان من علماء الحوطة وقضاتها.

(٢) الملقب بجعفر السلطان، توفي بالحوطة سنة ١١٨٠هـ، تكرر ذكره.

(٣) أي: في أحوالهم المعيشية كما سيذكر.

(٤) الكوافي: الطواقي، جمع كوفية وطاقيّة، وهي القلنسوة.

(٥) جمع رادي، وهي الرداء الذي يوضع على الكتف (شال).

(٦) الذي يوضع على الكتف الشمال.

كوافي سُوسي^(١)، وملاحف^(٢) بيض. وثالث طبقة: كوافي صنعانيات من نصف قرش، وملاحف سُود.

قال سيدنا: وَمِنْ بَعْدُ تَوَسَّعُوا فِي الْأَشْيَاءِ: مصانف^(٣)، وكوافي صنعانيات من قرشين، ورجعوا في غُرب طويلة وعوائد، قُدُوتهم فيها النساء، وَمَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ مَمَّنْ عَقَلُهُ عَقْلُ النِّسَاءِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: الإمامُ النووي^(٤) لم يتزوّج، وتولى القطبية^(٥)، وهو إمامٌ عظيم. قال سيدنا الحبيب عبدُ الله الحدّادُ في وصفه: جاءنا بعلومٍ نحو ما جاء به الإمامُ الغزاليُّ مع صغرِ سنّه. سنّه خمسٌ وأربعون سنة، ولو بلغ سن الإمامِ الغزاليِّ وهو خمسٌ وخمسون لبلغ مقامه. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «النَّاسُ مُبْتَلَى وَمَعَايٍ»

(١) لعلها صنع بلاد (سوس)، وهي بلد بالمغرب.

(٢) أي: رداؤهم ملحفة، وهي ثوب صوف محبوك الأطراف والحواشي، يتردّون به.

(٣) المصانف: القماش الذي يحاك ثم يصبغ ويجعل إزاراً، وهو من قماش غليظ، ويكون مفتوحاً مثل (السباعية).

(٤) مولده سنة ٦٣١هـ، ووفاته سنة ٦٧٦هـ، توفي عن ٤٥ عاماً فقط رضي الله عنه.

(٥) ذكر ذلك الإمامان السخاوي والسيوطي في كتابيهما في ترجمته رضي الله عنه.

فارحموا أهلَ البلاء، واشكروا اللهَ على العافية^(١)؛ ليس الشكرُ باللسان، بل بالسعي في عافيةِ المبتلى، وأكثرُ الناس مُبتلى في دينه، فلا أفضلَ اليومَ من الدعوةِ إلى الله والمعاونةِ عليها. وأهلُ الزمانِ ما لهمُ شيءٌ في المعاونةِ على الخير. ما حسرةٌ إلا على قِلِّ المعاونة.

والمجالس^(٢) رجعتُ إلا صُور، وعادةٌ ما لها ثمرٌ. معاذُ حاجةٍ لكثرة الاختلاف. أهلُ الزمانِ حَكَمُوا العادة، وسُتِرَتِ الشريعةُ وضاعت، وهذا آخرُ الزمان، ما شيءٌ يُستنكر فيه. ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]؛ ولكنَّ التذكيرَ معذرةٌ كما قال تعالى: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، بانخروجٍ من العذر، والرجاءُ في الله، ما حدَّ ييأس من كرم الله تعالى، ما بعيد إلا الذي بيد المخلوق، وأما الكريمُ سبحانه ففضله باقٍ، ولكنه ينبغي تعرُّض؛ لأن النِّفحةَ ما تقع إلا لمن تعرَّض لها^(٣).

وأكثرُوا من الدعاءِ بعدَ الدعوة، وكلُّ داعٍ يرى أنه كغريقِ البحر، يُخلصُ في الدعاء، ويُعظمُ المسألة، كما في الحديث: «إذا سألتُم فاسألوا اللهَ الفردوسَ»^(٤) ويدعو لغيره حتَّى يحصلَ المطلوب؛ كما في الحديث: «اسألِ اللهَ العافيةَ لغيرك تُعْطَهَا لِنَفْسِكَ»^(٥).

(١) الحديث لم أجده.

(٢) أي: مجالس العلم والتذكير.

(٣) كما في الحديث المتقدم: «إنَّ لربكم في أيامِ دهرِكُم لنفحاتٍ، ألا فتعرَّضوا لها».

(٤) الحديث أخرجه البخاري (٢٦٣٧).

(٥) الحديث لم أجده بنصه، ومعناه صحيح، وورد ما يؤيده في الصحيح.

وقال رضي الله عنه: مَنْ طلب زائد على الكفاية أَوْرَثَتْهُ قَفَايَةً؛ لأن الدُّنْيَا فِي آخِرِ زَمَانٍ خَطِرَةٌ مَعَ قَلِّ التَّوْفِيقِ، فَيَطْلُبُ الْإِنْسَانُ الْكَفَايَةَ وَالتَّكْفِيَّ بِهَا، فَإِنْ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَيْ. لِيَكُنْ بَلَاغٌ أَحَدِكُمْ كَرَادِ الرَّكَابِ.



وقال رضي الله عنه: حَكْمَةُ التَّوَاتُرِ فِي سَمَاعِ الْعِلْمِ ^(١) تَثْمَرُ الْيَقِينَ، وَإِلَّا بَقِيَ الْإِيمَانُ وَاقِفًا مَعَادُ يَزِيدُ. وَالَّذِي يَثْمَرُ الْيَقِينَ خَصْلَتَانِ؛ انْقِسَمَ النَّاسُ إِلَيْهَا:

فَمِنْهُمْ بَكْثَرَةُ الْمَجَاهِدَةِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، مَعَ الْوَهْبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَثَلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وَوَهَبُ مَحْضٍ كَسَحَرَةِ فِرْعَوْنَ ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢١]؛ لِأَنَّ قُوَّةَ الْإِيمَانِ هِيَ الْيَقِينُ.

وَمِنْهُمْ: بَكْثَرَةُ تَوَاتُرِ سَمَاعِ الْعِلْمِ، كَسَيِّدِنَا الْإِمَامَ الْغَزَالِيَّ وَالْإِمَامَ النَّوَوِيَّ مِنْ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ؛ لِأَنَّهُمْ بَلَغُوا الْيَقِينَ بِكْثَرَةِ مَا يَطْرُقُ أَسْمَاعَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ.

وَمِثَالُ الْيَقِينِ الْمَكْتَسَبِ بِالتَّوَاتُرِ: عِلْمُكَ بِمَكَّةَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ أَخْبَرَكَ جَمِيعُ الْخَلْقِ قَالُوا: مَا شَيْءٌ مَكَّةَ ^(٢)، لَمْ تَصَدِّقْهُمْ، مَعَ أَنَّكَ لَمْ تَرَهَا، فَعِلْمُكَ بِهَا يَقِينٌ، وَالْيَقِينُ مَعَادُ يَقْبَلُ النَّقِيضَ بِسَبَبِ التَّوَاتُرِ ^(٣)، بِخِلَافِ غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ

(١) أي: كثرة سماعه، وتواليه.

(٢) أي: لو قالوا لك: لا يوجد شيء اسمه (مكة).

(٣) التواتر هنا هو الاصطلاحي؛ بمعنى: توفر الدواعي على صحة القول بها.

كبلادِ بعلَبَكْ^(١)؛ فإنك تسمَعُ بها أنها بلادٌ باليمن^(٢)، فعَلِمْتُك بها إيمان، لو أَخْبَرَكَ بها ناسٌ أن ليس شيئاً لصدَّقْتَهُمْ؛ لأن الإيمانَ يَقْبَلُ النقيض.

ثم اليقينُ على مراتب؛ فإنك إذا رأيتَ مَكَّةَ مثلاً بَغَلَسَ زادَ يقينُك، ويسمى عندهم (عِلْمَ اليقين)، فإذا دَخَلْتَ إليها ورأيتَ بيوتَهَا مع طلوعِ الشمس ازدَدَّتَ يقيناً، ويسمى (عينَ اليقين). فإذا تعرَّفْتَ بأهلِها ورأيتَ الكعبةَ بلغتَ النهايةَ في اليقين، ويسمى (حقَّ اليقين).

لأجلِ هذا، بغينا كثرةَ المذكرين، حتَّى يدخلَ العلمُ إلى أَسْمَاعِ الجُهاَلِ مثلِ القبائلِ وغيرها، فإنهم اسْمُ الإيمانِ معهم، لكنه ضعيف، يصدِّقُ ويكذِّبُ، لأنه ما يخضُرُ مجلسَ التذكيرِ إلا في الفِئَةِ^(٣)، طَشَّهُ في مَطِي، ويُخْشَى عليه عندَ المَوْتِ أن ينطفئَ نورُ الإيمان؛ لأنه ما يتقوَّى إلا بالأعمالِ الصالحة، كمثِلِ السُّراجِ بالسليط [أي: الزيت]، وهي الأعمالُ الصالحة.

ولا شيء عندي أفضلَ اليوم من دعوةِ القبائلِ والإصلاحِ بينهم وبين ربِّهم^(٤)؛ لأنهم يتقاحمُونَ في النار، ويشكُرُ النعمةَ الإنسان، يوم^(٥) الله ما جَعَلَهُ مثلاً واحدٍ منهم، ولا الشكْرُ إلا السعيُّ في نجاتِهِ وهدايته؛ حرَّروا

(١) بلدة بالشام.

(٢) أي: فرضاً.

(٣) أي: في النادر، أو مرةً بعد أخرى.

(٤) أي: بتعليمهم فرائض الدين، وكل ما يرضي الرحمن.

(٥) أي: لأجل.

نِيَاتِكُمْ فِي هِدَايَتِهِمْ، وَكَلِمَا آذَوَكُمُ أَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ بِالدَّعْوَةِ وَالتَّذْكِيرِ؛ هَذَا مَقَامُ الْإِحْسَانِ، وَإِذَا صَدَقَتْ نِيَّتُكُمْ فِي هِدَايَتِهِمْ رَثُّوا لَكُمْ وَأَشْفَقُوا بِكُمْ، «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ»^(١)؛ وَكَلُّنَا خَلْقَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالْقُلُوبُ بِيَدِهِ. أَوْ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(١) الحديث أخرجه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (١٩٢٤).

ثم إن سيدي رضي الله عنه أصابه كربٌ عظيم، وَعَلَّ منه النوم^(١)،
أَخَذَ بنحوِ ستة أشهرٍ لا ينامُ الليل، وابتدأه من نصفِ شعبانَ سنة (١٢٤٩)
تسع وأربعين ومئتين وألف.

وفي آخرِ شعبانَ توفيتُ كريمته سيدتنا شيخخة بنتُ سيدنا الإمام عمرَ
ابن زين ابن سُميط، وتحمل من ذلك، حيث لم يَعْلَمْ سببه، وضعفَ
جسده، وانقطع في البيت نحو شهرين، وطلب من الناس الدعاء والحل^(٢).

وكثيراً ما يقول: كونوا أهلَ وفاء؛ ادعوا لي، حيث ذلك متعینٌ
عليكم. وكلُّ مَنْ لقيه طلب منه الدعاء. وظنَّ أكثرُ الناس أنه شيءٌ عَمِلَ
له أعاده الله من ذلك، وقد أعاده.

ثم بعد ذلك، في آخرِ شهرِ عاشوراء^(٣)، تفرَّجَ قليلاً، ولم يزل يشكو
من السهر، إلا أنه أهونُ مما مضى، وخرج إلى المسجد والمجالس بعضَ
الأحيان؛ حفظه الله بحفظه المكين من كلِّ حاسدٍ وشان، آمين، آمين^(٤).



وقال رضي الله عنه: سببُ الحرصِ في غالبِ الخلق: تعظيمُ الناسِ
لأرباب الدنيا، فحينَ رأوا ذلك تكالبوا على الدنيا واشتَبَّت نارُ الحرصِ

(١) أي: شرد منه بسبب القلق.

(٢) أي: المسامحة.

(٣) أي: محرم الحرام.

(٤) هذه الفقرة بتمامها غير موجودة في نسخة شبام.

في القلوب، فتراهم في ولك^(١) عظيم: من (شام) إلى (يمن) إلى (مسكت). صدّقوا الشيطان ولا صدّقوا الرحمن حيث قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]، أي: رزقاً؛ ويقول أحدهم إذا ختم: (صدق الله العظيم) بقوله، ويكذّبه بفعله، إلّا مَنْ قَنَعَ فهو صادق في ذلك. ولهذا نحُثُّ على الاقتصاد والقناعة، لأجل تخفيف العلائق.

وحضرموت تحتاج إلى ثلاث خصال: قناعة في القلب، وهي أمّهن؛ واقتصاد في الخرج؛ وكفاية في اليد.

فإذا حصلت هذه للإنسان عاده يطلب ماذا؟ يطلب تبعاً ومحنة؟ يصيرُ خادماً للدنيا؟ وهو وعبدُه سواء في اللقمة والخِرقَة، بل عاده زائد بالحرص والمحنة، معذب عذاب الهداهد^(٢). قيل: إن ذلك في قوله تعالى: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١]، أي: لأُسلبَنَّه القناعة. أو كما قال رضي الله عنه.



وقال رضي الله عنه ونفعنا به: كان حالٌ والدي عمرَ رضي الله عنه
هذه الأبيات:

أَنِسْتُ بَوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي فطابَ الأُنْسُ لي وَصَفَا السُّرُورُ

(١) أي: حركة وسرعة.

(٢) جمع هُذْهَد؛ وهو مثل يضرب!

كسيدنا أحمد بن زين الحبشي؛ قال ذلك هو^(١) حينَ ذَكَرَ حالَ سيدنا أحمد ابن زين، قال: وإن لم أذكرْ، بالنسبةِ إلى حالِ سيدنا أحمد بن زين.

وفي أيام سيدنا الحبيب محمد صَنُوهُ^(٢) قال: لم أَقْدِرْ أَجالسَ الناسَ، ولم أَمَلَّ النَّظَرَ إلى سيدنا محمد بن زين، ولَمَّا توفِّي سيدنا الحبيبُ محمدٌ انبسطَ للناس؛ لأنه تَعَيَّنَ عليه^(٣).



قال سيدنا رضي الله عنه: الأولياءُ المخالطُونَ للناس لأجل دَعْوَتِهِمْ، أَفْضَلُ من المنفردِينَ والمعتزلِينَ في البراري؛ لأنهم يكابدونَ عناءَ المخالطة، وإلى ذلك يشيرُ قولُ سيدنا الحبيب عبد الله الحدَّاد: * ومنهم رجالٌ ظاهرونَ بأمرِهِ^(٤) *

(١) أي: والده الحبيب عمر.

(٢) أي: أخوة، والصنو: أخو الأب، أصلها عربيٌّ فصيح، وشائعة في لهجة أهل اليمن. وكان الحضارمة في زمن المؤلف وبعده يستخدمونها، ثم اختفت في أيامنا هذه.

(٣) أي: المجالسة والبروز لهم.

(٤) تمام البيت:

* لإرشادِ هذا الخلقِ نهجَ الطريقةِ *

«الديوان»: (١٠٦).

وقد سئل^(١) عن أفضل المذكورين في هذه القصيدة؛ فأشار إلى هذا البيت. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: امسخت الأعمار في الأسفار.

* * *

وقال أيضاً: فضائل التوحيد، تُقابلها: فضائح الشرك؛ احذروا من الشرك جميعه، وحذروا أولادكم ونساءكم من ذلك. قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٢). لِيَتَّهَيْنَ أَقْوَامٌ عَنِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ^(٣). أو كما قال.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، لَمَّا نزلت هذه الآية شقَّ ذلك على الصحابة، وقالوا: يا رسول الله، أئنا لم يَلْبِسْ إيمانه بظلم؟ فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ففُسِّرَ الظلم بالشرك^(٤).

(١) أي: الإمام الحداد وأنشدت بين يديه القصيدة الثائية الكبرى التي هذا البيت منها، فلما وصل المنشد إلى هذا البيت، قام الإمام الحداد ومن حضر عنده، إلى أن تمت القصيدة، ينظر «الديوان» (١٠٢) وما بعدها.

(٢) رواه بلفظه الإمام أحمد في «مسنده»، وابن حبان في «صحيحه» (١١٧٧)، وبلفظ (الكفر): الترمذي (١٥٣٥) وغيره.

(٣) لم أجد.

(٤) «البخاري» باب (ظلم دون ظلم) حديث (٣٢) و (٣٢٤٥).

والصغارُ والنساءُ لا يزالونَ يَخْلِفُونَ بِالْمَخْلُوقِينَ، حَذَرُوهُمْ مِنْ ذَلِكَ :
﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦].

* * *

وقال رضي الله عنه: المعاصي ثلاثُ مراتب، أعظمُها: الكفرُ،
والعياذُ بالله، ثم البدعة، ثم الفسق.

حذروا أولادكم واحذروا من جميع ذلك، واعتنوا، واطلبوا ما يجمعُ
القلوب، حتى تأتي النُصرةُ إذا حصلَ الاجتماع. فالاجتماعُ رحمةٌ، والفرقةُ
عذاب، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُشَلُّوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، أي: نُصِرْتُكُمْ،
اطلبوا ذلك قبلَ رحمة المطر. اللهم اجمعْ قلوبنا على التقوى.

وتعاطوا أسباب الاجتماع. قال عليه الصلاة والسلام: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى
شيءٍ إذا فعلْتُموه تحابَبْتُمْ؟ أفشوا السلامَ بينكم»^(١)، تصافحوا يذهبِ الغلُ من
قلوبكم. «تهادوا تحابُّوا»^(٢)، ولطفوا الهدية حتى ما تنقل ولا تنقطع.

قال بعضُ السلفِ رضي الله عنهم: إنما تقاطعُ الناسُ الخيرَ بسببِ
التكلف. والنبِيُّ ﷺ ما أتى إلا بالسهالة، «ما خَيْرَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ
أيسرهما ما لم يكن إثماً»^(٣)، «ولو أهدى لي ذراعٌ أو كراعٌ لَقَبِلْتُ، ولو
دُعِيتُ إلى ذراعٍ أو كراعٍ لأَجِبْتُ»^(٤).

(١) رواه مسلم (٥٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، وغيرهما.

(٣) رواه مسلم (٢٣٢٧).

(٤) قدمنا تخريجه.

وقال: الزهد حكمة، والزاهد حكيم، والقناعة حكمة، والقنوع حكيم. الزاهد فهيم، والحريص بليد. (فلا تكن به يا بليد مهموم)، أي: بالرزق.

ومن كيد الشيطان: هذه العوائد والتكلفات، حتى يمضي عمر الإنسان وهو مهمومٌ مغمومٌ محزون، وذلك مقصودُ اللعين: ﴿لِيَحْزُنَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠]، فهذه العوائد مجبنةٌ محزنةٌ مبخلّةٌ، خصوصاً هذه القهوة، التي وقعت على أهل الزمان محنة وفتنة، على النساء والرجال.

قال سيدنا عمر بن سقافٍ في «تفريح القلوب»: «خرجت هذه القهوة، التي فيها الجفلُ والسكر، عن القهوة الممدوحة، التي مدحها الصالحون». أو ما هذا معناه.

ولأنّ الوسائل لها حكمُ المقاصد، ولا هي لكلّ الناس.

وفي بعض المجالس قرئ عند والدي عمر رضي الله عنه في كتاب «الزهر الباسم في مناقب الشيخ حاتم»^(١) الأهدل^(٢)، تصنيف سيدنا عبد القادر بن شيخ العيّدروس^(٣) صنّفه في شيخه المذكور، ومدح القهوة جمّ، ثم قال سيدنا عمر: هذا الكلام ألاّ لي ما هو لكلّ الناس.

(١) منه نسخةٌ بمكتبة جامع صنعاء الغربية.

(٢) توفي سنة ١٠١٣هـ.

(٣) توفي سنة ١٠٣٨هـ؛ تنظر ترجمته في كتابه «النور السافر».

قال سيدي رضي الله عنه: لا أحد يغش نفسه يتشبه بالصالحين وليس منهم. قيل لبعض الناس وهو في مجلس سيدنا عبد الله الحداد: فلان، ما تقول لو أتاك الموت الآن؟ قال: حبيب جاء على فاقة. فشق ذلك على سيدنا عبد الله، وقال له: تتشبه بالأكابر وأنت من أصغر الأصاغر؟ وقال: تدري من قال هذه الكلمة؟ هو بعض الصحابة رضي الله عنهم. أو كما قال، وأستغفر الله.



وقال رضي الله عنه: أهل العلم الذين صنعوا نظماً ونثراً، مثل سيدنا عبد الله الحداد، والحبيب طاهر بن حسين، وأخيه عبد الله، خرجوا من العذر، ومن كنتم العلم. خطب سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه ثم قال: «والله لأرْمِيَنَّها بين أظهركم، ما لي أراكم عنها غافلين؟». ولكنها تظهر عقوبة على من لا يمثل نصرة للدعاة إلى الله؛ «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»^(١).

قال سيدنا الحبيب محمد بن زين بن سميطة رضي الله عنه للسيد عبد الله مقيبيل^(٢)، حين خرج إلى حضرموت من ظفار، وكان جالساً عنده في أيام محط المكرمي^(٣) على البلاد، ومن عنده يخوضون أن المكرمي

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٦٥٠٣).

(٢) هو السيد عبد الله بن حسن بن محمد بن علوي مقيبيل، توفي جده علوي بظفار سنة ١٠٠٨هـ، وبقي نسله بها. وهو جد السيد الولي عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله مقيبيل المتوفى بالعرسمة سنة ١١٩٥هـ.

(٣) هو حسن هبة المكرمي، بسكون الكاف وضم الراء، خرج من البحرين أو نجران=

سار^(١)، فقال الحبيب محمدٌ لبعض الحاضرين ممّن كان يعرفُ المَكْرُميّ وافْتَقَ به: يا فلان، اخرجْ عَرْضَ البلاد^(٢)، وتحقّقْ على نفوذِهِ^(٣)، فإن أخطأ (حِصْنَ سَعِيدِيَّةَ)^(٤) فلك هذه الكوفية؛ وكانت على رأسِهِ. فلما خَرَجَ قال الحبيبُ محمدٌ للحاضرين: باقول لكم كلمة واخفوها: خروج المَكْرُميّ نصرَةً لعبِدِ الله الحداد. أو كما قال.

* * *

قال سيدي رضي الله عنه: ولا ظَهَرَتِ المخالقاتُ إلا بعدَ موت الكبار:

بهم يدفعُ اللهُ البلايا ويكشفُ الـ
ولولاهُم بينَ الأنامِ لَدُكِدَكْتُ
رَزَايا، ويُسَدِّي كلَّ خيرٍ ونعمةٍ^(٥)
جِبَالٌ وأَرْضٌ لارتكابِ الخطيئةِ
أو كما قال.

* * *

= قبل سنة ١١٧٢ هـ ومعه جيشٌ كبير، وخطَّ على شبام وحاصرها مدة (٤٠) يوماً، وهو من الإسماعيلية الباطنية وعدد من كانوا معه (٤٠٠٠) أربعة آلاف.

(١) أي: ذهب.

(٢) أي: خارج البلاد (شبام).

(٣) أي: سفره.

(٤) حصنٌ معروفٌ أسفلَ جبل (الخَبّة) مقابل شبام. وأخطأه، أي: جاوزه.

(٥) من التثنية الكبرى للإمام الحداد (١١٦).

وقال رضي الله عنه عند قوله: (والظلامُ اغتَكَرَ)، يعني: ظُلْمَةُ الجَهِلِ التي عَمَّتْ، ولا يُخْرِجُ منها إِلَّا نُورُ العِلْمِ، وكلُّ مَدْحٍ في الصَّلَاةِ، أو حَثٌّ عليها، فهو على العِلْمِ، إذ مَدْحُ المشروطِ والحَثُّ عليه مَدْحٌ وحَثٌّ على الشرطِ، وهو العِلْمُ، إذ لا تَصِحُّ الصَّلَاةُ ولا غيرها إِلَّا به. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: لَمَّا سَارَ سَيِّدُنَا الحبيب محمدُ بْنُ سُمَيْطٍ لزيارة الحبيب حسين بن عمر العطاس^(١)، سأله: لِمَ هذا الانزواءُ البالغُ من سيدنا عمر بن عبد الرحمن العطاس^(٢) عن الدنيا؟ فقال له: إيثاراً للراحة. وذلك حينَ تذاكرًا أن بعضَ الزبودِ مع خروجِهم حضرَ موت^(٣) أهدى لسيِّدنا عُمرَ خريطةً فيها مَشَاخِصٌ^(٤). فقال له سيدنا عمر: قبلناها منك ووهبناها لك.

* * *

قال سيِّدُنَا رضي الله عنه: والراحةُ في الدنيا هي معَ الزاهدين، كأويسَ القرني، وإبراهيمَ بنِ أدهم، فهمُ الملوكُ حقيقةً، كما قيل:

ملوكٌ على التحقيقِ، ليسَ لغيرهم
منَ الملِكِ إِلَّا إثمُهُ وعقَابُهُ

(١) توفي الحبيب حسينُ العطاس بحريضة سنة ١١٢٩هـ.

(٢) توفي الإمام عمر العطاس بحريضة سنة ١٠٧٢هـ، وهو من شيوخ الإمام الحداد.

(٣) وذلك في سنة ١٠٧٠هـ، وكان على رأسهم السيد الصفي أحمد بن حسن، المتوكل على الله، الملقب سيل الليل.

(٤) أي: سبائك ذهب.

تَغْدَى بعضُ الملوك يومَ العيد قُرْصاً من غيرِ إدام، فقال له وَلَدُهُ: يا أبتِ، تَأْكُلُ هذه، والناسُ اليومَ في عيدِهِم ومأكولاتِهِم؟ قال له: وأنتِ يا ولدي إنِ بغيتِ المُلْكَ يدوم لك، سِرْ بِسِرِّي.

قال سيدنا: لَأَنَّ أَهْلَ المراتبِ والمناصبِ بِهِمُ الأُسُوءَةُ والقُدُوءَةُ. انظُرْ إلى حالِ المصطفى عليه السَّلامُ في اقتصادِهِ وقناعتِهِ، رِفْقاً بِأُمَّتِهِ حَتَّى يَتَأَسَّوْنَ ويقتدون بِهِ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]. ظَلَمْنَا «سُنَّةَ» مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، وَاتَّبَعْنَا «سُبَّةَ» الشَّيْطَانِ، بِاتِّبَاعِ العَوَائِدِ والإِسْرَافِ ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

قال بعضُ السلف: مَنْ شَهِدَ الضَّعْفَ مِنْ نَفْسِهِ نَالَ الاستقامة. كَمَالَ الإنسانِ فِي شَهِودِ ضَعْفِهِ، وَنَقْصِهِ فِي شَهِودِ كَمَالِهِ.

* * *

وَقَامَ سَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِدُخُولِ الحبيبِ عَمَرَ بْنِ زَيْنِ الحَبَشِيِّ^(١) فِي المَجْلِسِ إِجْلَالاً لَهُ، فَقَالَ لَهُ الحبيبُ عَمْرٌ: لَا تَقُومُوا؛ اللَّهُ يَرْضَى عَلَيْكُمْ. قُلْ لَهُ سَيِّدِي: خَلَّنَا حَصْلَ دَعَاكَ بِالرِّضَا.

ثُمَّ قَالَ سَيِّدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْأَوَّلَى أَنْ تَقُولَ: اللَّهُ يَرْضَى عَنْكَ، لِأَجْلِ اتِّبَاعِ الْقُرْآنِ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، فَإِنَّهُ عَدَاهُ بَعْنٌ،

(١) من آل الحبشي سُكَّانُ بلدة (ثبي) بقرب تريم، توفي بها سنة ١٢٥٥هـ، ودفن

إِلَّا أَنْ تَجْعَلَهُ بِمَعْنَى الْعَطْفِ يَسُوغُ أَنْ تَعْدِّيَهُ بَعْلَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، يَعْنِي: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ. وَالرِّضَا أَعْلَى مَقَامَاتِ الْيَقِينِ، وَأَقْصَى مَطَالِبِ الصَّالِحِينَ.

قال سيدنا محمد بن سُمَيْطٍ رضي الله عنه في «شرح يا ربَّ يا عالمَ الحال»^(١)، عندَ قوله: (أَقْصَى مُرَادِي رِضَاؤِكَ الدَّائِمُ الْحَالِ): بَيَّنَّ النَّاظِمُ قَوْلَهُ^(٢): (حَاجَةً فِي النَّفْسِ يَا رَبَّ)^(٣)... إلخ بقوله: (أَقْصَى مُرَادِي)^(٤) إلخ؛ والرِّضَا نَتِيجَتُهُ الْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا أَنَّ السَّخَطَ — وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ — نَتِيجَتُهُ الْخُلُودُ فِي النَّارِ. أَوْ كَمَا قَالَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.



قال سيدي رضي الله عنه: قال الحبيبُ محمد بن سُمَيْطٍ لجدِّك محمد لَعَجَمَ حِينَ رَأَى كَثْرَ انْفِاقِهِ فِي الْخَيْرِ: مُحَمَّدٌ، كَثَّرْتُوا جَمًّا، عَسَى الْمَالُ

(١) واسم ذلك الشرح: «الكواكب الدُّرِّيَّة شرح الأبيات السَّحَرِيَّة».

(٢) أي: بين الناظم مراده في قصيدته الأخرى...

(٣) هو قوله:

فَاقْضِهَا يَا خَيْرَ قَاضٍ	حَاجَةً فِي النَّفْسِ يَارَبَّ
مِنْ لَظَاهَا وَالشُّوَاظِ	وَأَرِخْ سَرِّي وَقَلْبِي

إِلَى آخِرِهَا.

(٤) أي: قوله:

كَمَا إِلَيْكَ اسْتِنَادِي	رَبِّ عَلَيْكَ اعْتِمَادِي
رِضَاؤُكَ الدَّائِمُ الْحَالِ	صَدَقًا، وَأَقْصَى مُرَادِي

والحال يقتضي ذلك؟ قال له: لا؛ هُوَ إِلَّا يَا حَبِيب: عسى شيء يكفر شيء، أَمَا غَبْنُ مُسْتَسِير^(١). أو كما قال.

قال سيدنا رضي الله عنه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، طَرَحَ النَّظَرَ عَلَيْهِمُ الْأَكَابِرُ^(٢).

* * *

وقال رضي الله عنه: كان حبيبي زين بن علوي^(٣) له مدخل في جميع الأولياء، ويحبونه. وكان سيدنا عبد الرحمن الرخملي تلميذ سيدنا عبد الله الحداد الذي قال له: يا سيّد عبد الرحمن ما تشرب القهوة؟ قال: لا. قال: إِذَا أَنْتَ حُر.

وكان لا يشربها^(٤) إِلَّا فِي الْمَسْجِد؛ يقوم الليل في مسجد السقاف بتريم، ويأتي بالقهوة له آخر الليل سيدنا زين المذكور.

ولمّا توفّي الحبيب زين؛ قَالَ الرَّخْمَلِيُّ الْمَذْكُور: اشهدوا عليّ أن السيد زين شيعي، وأن قبره روضة من رياض الجنة؛ وأن الدعاء مستجاب عند قبره. قال سيدنا محمد بن سميّط: فأخذت كلام الحبيب عبد الرحمن

(١) هكذا انعبارة في الأصل.

(٢) الآية شاهد حال المذكور، أي: أنهم صاروا إلى تلك الحالة الراقية بسبب تربيتهم واعتناء الأكابر بهم، ويعني بالأكابر هنا: سيدنا الإمام الحداد.

(٣) المتوفى بشبام سنة ١١٤٠هـ.

(٤) أي: الإمام الحداد.

بقوّة، فإذا همّني أمرٌ خرجتُ إلى عندِ قبره^(١)، فاستغثتُ به، فتَقَضَى لي حاجتي.

وكان السيّد عبد الرحمن المذكورُ كاتباً؛ نسخَ خِزانةَ كُتُبِ بقلمه، ولم يتزوَّج، كانت له جاريةٌ يُعلِّمُها الأورادَ والأذكار.

* * *

قال والدي عمرُ رضي الله عنه: طلب والدي زينُ بنُ علويّ الحبيبَ عبدَ الله الحدادَ للغداء، ونحن بالرملة^(٢)، وذبحوا له، وفعلوا الغداءَ هريس، فجاء سيّدنا عبد الله، فقرَّبوا الغداء، وكنت صغيراً، فحينَ رأيتُ الغداء ما فوقه لحم، قلت: أين اللحم؟ فقال سيّدنا عبد الله — وقد قال لهم: اجعلوا الصغارَ بجنبي —: من ذا يتكلم؟ لأنه في سمّعه ثقل؛ قالوا له: عمر! قال: ماشي لحْم فوق الغداء. قال له: عُمَر! قُدّه وسَطُه.

ثم قال له الحبيبُ زين: إن بين عُمَر وعلي — يعني ابنَيْه — مودةً زائدة، مع أن سِتْهُما متقارب. قال له سيّدنا عبدُ الله: أينك من مودةِ سيّدنا عمر ابن الخطاب، وسيّدنا علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنهما؟ ثم قال له الحبيبُ زين: عُمَر فيه صلابَة. قال له سيّدنا عبد الله: أينك من صلابَة سيّدنا عُمَر بن الخطاب. قال سيدي رضي الله عنه: أفهم الإشارةَ إلى عِظَمِ المقامِ في المشابهة.

(١) أي: قبر والده الحبيب زين بن علوي المذكور.

(٢) موضع بقرب تريم.

قال^(١): وقرأ والدي عُمرَ على سيدنا عبد الله سورة الفاتحة، ومسحَ على رأسه؛ وكانت من عادة سيدنا عبد الله الحداد إذا دخل عليه الصغير يرفعُ كوفيته ويمسحُ على رأسه ويقول: بَارَكَ اللهُ فيكَ.

توفي سيدنا عبدُ الله وسنُّ الوالد^(٢) نحو ثلاث عشرة سنة. قال: أُتقِنُ^(٣) قراءة القرآن على سيدنا عبد الله الحداد في الرُّوحَة، بعضُهم في «البغوي»^(٤)، وبعضُهم في «المُكاتبَة»^(٥).

وختم القرآن^(٦) أيامَ مَوْتِ سيدنا عبد الله الحداد، قال والدُه: إذا فات نخن الحبيب عبد الله الحداد، لا يفوت نحن الحبيب أحمد بن زين، فقرأ الوالدُ عليه السُّورَ والختم. أو كما قال.

وقال رضي الله عنه: كان سيدنا الحبيب عبد الله الحداد يُثني على الحبيب جُنَيْدٍ^(٧) — جدُّ الحبيب أحمدَ جنيد^(٨) — ويشيرُ إليه. وقال: إنه

(١) أي: الحبيب أحمد بن عمر.

(٢) أي: الحبيب عمر بن زين بن سميظ.

(٣) أي: أتذكر.

(٤) أي: «تفسير البغوي»، وكان للإمام عنايةً به.

(٥) لعلها: مكاتبات الإمام رضي الله عنه.

(٦) أي: الحبيب عمر بن زين المذكور.

(٧) هو السبد الشريف، الولي الصالح، الجُنَيْدُ بن علي بن أبي بكر الجنيد، هارون جمل الليل بأعلوي، توفي بتريم سنة ١١١٧هـ، وهو أحد الأوابين الأربعة الذين كانوا يُثني عليهم الإمام الحداد.

(٨) وهو السيد العلامة أحمد بن علي بن هارون بن علي بن الجنيد. . ولد بتريم سنة =

من الأبدال الذي ودِدنا أن بيوتهم تتفرَّق في تَريمَ حتى يتمَّ الحفظُ لها، فما اتفقَ ذلك، حيث كلُّها بالنويدرة^(١). ولَمَّا توفيَّ جُنيدُ المذكورُ قال سيِّدنا عبدُ الله لَمَن عنده: قوموا احضروا جنازةَ جنيد، ولولا الضعْفُ لحضَرنا.

وكان رضيَ الله عنه^(٢) يعظُمُ الحبيبَ أحمدَ بنَ عمرَ الهُندوان^(٣)؛ ولَمَّا سألَ الحبيبُ المذكورُ^(٤) الحساويَّ^(٥) عن الفقرِ المستعاذِ منه: ما هو؟ فأجابه بما يسمُّعه عن سيِّدنا عبدِ الله. قال له: ما هو كذا، اسألَ حبيبَكَ عنه. يعني سيِّدنا عبدَ الله. ثم سألَ الحساويَّ سيِّدنا عبدَ الله فقال له: إذا سَأَلَك قُل: اللهُ ورسولُه أعلم. فسأله ثانياً سيِّدنا أحمدُ المذكور، كأنَّه لم يسأله؛ فأجاب: اللهُ ورسولُه أعلم. فقال له: هو خَوْفُ الفقر.



قال سيدي رضيَ الله عنه: كان الحبيبُ أحمدُ الهُندوانُ المذكورُ يعيِّدُ

= ١١٩٥هـ، وبها توفي سنة ١٢٧٥هـ، أفردته بالترجمة العلامة السيد عبد القادر الجنيد بكتابٍ حافلٍ سمَّاه «العقود العسجدية» مطبوع.

(١) من أحياء تريم المعروفة.

(٢) أي: الإمام الحداد.

(٣) المتوفى سنة ١١٢١هـ. كان من أجَلَّةِ علماء بني علوي، ومن أقران الإمام الحداد، له رحلات إلى الهند.

(٤) أي: الهندوان.

(٥) الشيخ أحمد بن عبد الكريم الأحسائي، تلميذ الإمام الحداد.

الصلاة مراراً، وذلك على خلاف المقرّر^(١)، ولكن بعض الأولياء ما يحسب الصلاة حتى يرى أمارات القبول^(٢).

قال: فأتى لسيدنا أحمد بن زين الحبشي ليُصلي. قال له: أصلي بك؟ قال: نعم. فصلّى به، فقرأ في الركعة الأولى سورة يوسف، ثم أسرع في آخر الصلاة جداً بحيث لم يدركه سيدنا أحمد، فأصاب سيدنا أحمد بن زين بكاء في الصلاة.

ثم ذكر أحوال أصحاب الشيخ ابن عربي، وأن بعضهم يضطرب في الحاضرة^(٣) رضي الله عنهم.

إلهي بحق القوم من بتوبة من الذنب تغسلنا بها أبلغ الغسل^(٤)

* * *

وقال رضي الله عنه: بعض الناس يقع حجابُه رقيقاً، خصوصيات. قال والدي عمر: كان محمد بن عتبة سديس^(٥) يقرأ القرآن أنا وإياه؛ فقال لي: هذا الحبيب محمد بن سميّط أدخل رأسه بيني وبينك. وسيدنا الحبيب محمد حينئذ قد توفي، وكان محمد المذكور يعلم القرآن حاملاً في الناس.

(١) أي: عند الفقهاء.

(٢) هذا تعليل من الحبيب أحمد بن عمر واعتذار.

(٣) أي: في حضرة رب العالمين.. في الصلاة.

(٤) للإمام الحداد، من القصيدة التي مطلعها: أقوم بفرض العامرية والنفل....

(٥) آل سديس عتبة: أسرة معروفة بشبام؛ وكان الشيخ المذكور قائماً بوظيفة الجامع؛

توفي سنة ١٢٩٩ هـ، تنظر ترجمته في مقدمة كتابه «تقريب الشاسع».

يقول الوالد: إنه أُوَيْسِيٌّ، يعني أن مذهبه مذهب أُوَيْسِ الْقَرْنِيِّ في الخمول. وكان وزَّده في قيام الليل من سُورَةِ (تبارك) إلى آخر القرآن، لأجل الحديث: «من قرأ ألف آية في ليلة كُتِبَ من المُقَنِّطِينَ»^(١).

قال: وكان والدي يقول للذين عنده: قرأتُ الكتُبَ إلَّا لأجلِكم، وأنا أودي أن القراءة كُلُّها قرآن. ومعني هذه البشارة عن بعضهم: إذا تنوَّرتِ القلوبُ لم تشبَع من قراءة القرآن. مَنْ استأنَسَ بالكفاية استوحش من الغربة، ومَنْ تَبَعَ مطالبَ نفسه مات غريباً في البُعدِ حساً ومعنى: البُعدِ عن وطنه والبُعدِ عن الله.

قال العيَّدروس:

مضى العُمُرُ في غُربة لا طاعة ولا قربة

أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه عند قراءة قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧]... إلخ المُقرَأ: ينبغي للإنسان أن يكرِّر القرآن ولو سبعين مرة، ويتدبره؛ لأن مقصود القرآن التدبر، ﴿يَكْتُبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وبعضُ الصحابة طوَّلَ لَيْلَهُ يكرِّرُ آيةً كما رُوِيَ عن سيدنا تميم الداري أنه يكرِّرُ هذه الآية ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا

(١) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨: ١٨٠) (٧٧٤٨)، و«مجمع الزوائد» (٢: ٢٦٨).

السَّيِّئَاتِ أَنْ يَتَغَلَّهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ نَجَّيَهُمُ وَمِمَّا تُهْمُ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ ﴿[الجاثية: ٢١]﴾.

وهذه الآيات فيها آدابُ الصَّحبةِ التي عليها المدار: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، المرءُ من جَلِيسِهِ، و«المرءُ على دينِ خليلِهِ»^(١)، مَنْ جالَسَ الأخيارَ كتبَهُ اللهُ مِنَ الأخيارِ وإن كان مِنَ الأشرارِ؛ وَمَنْ جالَسَ الأشرارَ كتبَهُ اللهُ مِنَ الأشرارِ وإن كان مِنَ الأخيارِ.

* * *

وقال رضي الله عنه، عندَ قوله عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام: «انظُرْ إلى مَنْ هو فوقَكَ، فإنه أجدرُ أن لا تزدرِي نعمةَ الله»^(٢)، أو كما قال عليه السَّلَام؛ يعني: في المالِ والخَلْقِ؛ من نظرَ إلى مَنْ دونَهُ في المالِ والخَلْقِ كتبَهُ اللهُ صابراً شاكراً، وَمَنْ نظرَ إلى مَنْ فوقَهُ في المالِ والخَلْقِ لم يكتبَهُ اللهُ لا صابراً ولا شاكراً؛ وأما في الدينِ فانظُرْ إلى الأعلى. لهذا صنَّفَ العلماءُ رضيَ اللهُ عنهم سِيرَ السلفِ مثل: «المشرع»^(٣)

(١) حديث شريف رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، بلفظ: «الرجلُ على دينِ خليلِهِ».

(٢) الترمذي (١٧٨٠)، وابن ماجه (٤١٤٢).

(٣) هو كتاب «المشرع الرَّوِّي في مناقب السادة بني عَلَوِي»، للعلامة المؤرخ السيد محمد بن أبي بكر الشَّلِّي العَلَوِي، المتوفى بمكة سنة ١٠٩٣هـ.

و«الجوهر»^(١)، و[«شرح العينية»^(٢)]، لأجل يعلم الإنسان قدر نفسه، ولأنّ كُتِبَ سِيرِ السلف تنفي العُجب ورؤية النفس، وإلّا وقع الإنسان في ذلك، وهذا مقصودُ الشيطان منه.

وهذه علّة أهل الزمان؛ يعني نظرهم إلى من هم فوقهم، حتّى آزَتْهم^(٣) على الغُرب وطولها، ولا أَوْحَشَ عندي من مجالسة مَنْ يطوّل الغربة، ايش تبغى بمجالسة القاسيين الغبيّين، يخلى زوجته كأنها أرملة وأولاده أيتام، في طلب المُحال.

* * *

وقال رضي الله عنه: أسمعُ والدي عَمَر يقول: إنّ هذه الدعوة للحبيب عبد الله الحداد: «اللهم بارك لي في أولادي ولا تضُرهم، ووفّقهم لطاعتك وارزُقني برّهم. والضميرُ في (برّهم) يحتملُ عودةً على الأب وإلى الأولاد. وكما أن الولدَ يسمّى عاقاً، وكذلك الأب. وفي البرِّ كذلك.

والبركةُ شأنٌ آخر؛ ولسيدنا أحمد بن محمد الحبشي^(٤) هذه الدَعوات: «اللهم لا تكشِفْ لنا حال، وبارك لنا في الأهل والمال والعيال، وارزُقنا من رزقك الحلال؛ واكفنا شرّاً ما تأتي به الأيام والليال». ولسيدنا عبد الرحمن

(١) هو كتاب: «الجوهر الشَّفّاف في حكايات السادة الأشراف» للشيخ الصالح

عبد الرحمن بن محمد الخطيب التريمي، المتوفى سنة ٨٥٥ هـ.

(٢) تأليف الحبيب الإمام أحمد بن زين الحبشي المتوفى سنة ١١٤٥ هـ.

(٣) أي: اضطرتهم.

(٤) هو صاحب الشُّعب، المتوفى سنة ١٠٣٨ هـ.

مَوْلَى العَرْشَةِ^(١) : «اللهم نَزِّهْ قلبي عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونَكَ، واجْعَلْنِي مِنْ قَوْمٍ تُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَكَ».

* * *

وقال رضي الله عنه: حضر موتٌ تحتاجُ إلى عفة وحرُفة. وأتى بهذين البيتين:

وَيْكَ! لَا تُسْتَنْكِرِي لِمَسِّ يَدِي^(٢) لَيْسَ مَنْ يَكْسَبُ عِزًّا بِذَلِيلٍ
 إِنَّمَا الدَّلَّةُ أَنْ يَمْشِيَ الْفَتَى سَاحِبَ الدَّيْلِ إِلَى بَابِ الْبَخِيلِ
 أَصْلُ التَّربِيَةِ مِنْ حَيْثُ الْإِجْمَالُ: أَنْ تُصَغَّرَ الدُّنْيَا فِي قَلْبِ أَوْلَادِكَ
 وَأَهْلِكَ، وَتَكَبَّرَ الْآخِرَةُ، وَإِنْ عَكَّسْتَ انْعَكَسَتْ. إِذَا كَبَّرْتَ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ؛
 إِذَا كَبَّرَ عَقْلَكَ، وَيَرَى خُمْسِيَّةً^(٣) خَيْرًا مِنْكَ، وَأَنْتَ سَبَبُ الْعُقُوقِ، أَنْتَ
 عَقَيْتَهُمْ بِقِلِّ التَّربِيَةِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: موتُ الغربةِ شهادة، معاذُ بانغُر^(٤) آلِ حضر موت، وإلاَّ سفرُهم جهاد؛ لأنَّ الجهادَ أَلَا نِيَّة. والسرُّ: فِي صَلَاحِ النِّيَّةِ فِي سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ. وَآلُ حَضْرَمُوت مُمْتَحَنُونَ؛ وَعَلَامَةُ الْإِيمَانِ: الْامْتِحَانُ.

(١) هو الحبيب عبد الرحمن الجفري المتوفى بـ: (تريس) سنة ١٠٣٧ هـ، والعَرْشَةُ: شجرة ضخمة كانت إلى جوار ضريحه.

(٢) أي: أخشونتها من أثر المهنة.

(٣) الخُمْسِيَّة: قطعة قليلة القيمة من الدراهم والنقود.

(٤) أي: ما نريد أن ندخل عليهم الغرور.

وعسى الله يكثر المذكرين، ويكثر أنوارهم حتى يصادموا ظلمة الجهل، والزمان الخائب العايب.

* * *

وقال رضي الله عنه: في كل آدمي سرٌ عجيب، وهو: الترقّي إلى أعلى عليّين، ما أعطاه الله الملائكة، حيث قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]: يعني وهو رُوحٌ قبلَ الجسم، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]، يعني: في الجسم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٦]، يعني: الذين ترقّوا إلى المقام الأعلى، ما بقوا في حضيض الجسم ولا نزلوا إلى أسفل سافلين. أو كما قال.

ولكن ظلم نفسه^(١)، حيث أحرَمَها الخير الكثير؛ وكلٌّ من جهل قدر نفسه ضيَعها، ومن عَرَفَ قدرَها حَفِظَها؛ ويَصِحُّ أن يكون كلُّ إنسانٍ قُطْبَ زمانه، وفرعون زمانه، يصلح لِهذه وذه، للجنة والنار.

هُمُوا بمعالِي الأمور وكَبُرُوا هِمَمَكم وهَمَمَ أولادِكم في الخير. كان سيدنا الحبيب عمرُ بن حامد علوي يطالعُ قراءته على الحبيب عبد الله ثمانِي عشرة مرّة، والحبيب أحمدُ بن زين الحبشي ثلاثاً وعشرين مرّة.

قال الحبيب محمد بن سُمَيْط رضي الله عنه: دخلَ الحبيبُ أحمدُ على مكانٍ فيه جُمْلَةٌ كُتِبَ؛ فقال لي سيدنا أحمدُ بنُ زين: لو احترقت عليك أُمْلِيَتُها عليك من حفظي. أو كما قال.

(١) أي: الآدمي أو الإنسان.

وقد رُوِيَ عن ابنِ الحِداد^(١) لَمَّا احترَقَتْ خِزانةُ كُتُبِ عليِّ الملك، فاشتَغَلَ، قالوا له: لا تشغَلْ؛ ابنُ الحِدادِ يُملِئُها عليك مِن حفظه!

قال سيدنا محمد بن سُمَيْط: أنا أَفْرَحُ لَمَنْ ماتَ صغيراً علي خَيْرِيَّتِهِ! يَعْلَمُ الله، لو طالَ عمرُهُ كيف يَقَعُ الحال؟ وذلك حينَ توفِّي بَكَارٍ بِلَفْقِيَةِ المسمي بالهَارِش.

وسارَ الحبيبُ مُحَمَّدٌ إلى دُوعَنَ عند الحبيبِ عمرَ البار. فرأى بعضَ أولادِ العموديِّ يَجِي ويروح مع أولادِ سيدنا عمر، وكان أبوه واليَ ذلك المكان، فقال الحبيبُ محمد: هذا ابنُ فلان؟ فقال: نعم. فقال: إنه جُوَيْدٌ^(٢)؛ فقال الحبيبُ عمر البارُ برفعِ صوته: يَعْلَمُ الله، إذا طالتْ أيامُهُ يَبْقَى كذا أو يتغير؟ فلَمَّا كَبُرَ ذلك الولدُ رَجَعَ في حالةٍ أُخرى، حتى قال له بعضُ أولادِ الحبيب^(٣): إن المذكورَ بلغَ من أذاه في بيتنا كما فعل المَكْرُميُّ في بيوتِ أهلِ المَعِيقاب^(٤). أو كما قال.

وقال رضيَ الله عنه: دُنِيانا خيرٌ من دنيا الأولين، ناصِحَةٌ أَظْهَرَتْ عيوبَهَا من بَرَصٍ وَجُذَامٍ، وأما دنيا الأولينَ تَبَرَّجَتْ لَهُم ودَجَلَتْ وَلَكِنْ

(١) لعله سيد بن محمد الغَسَّاني، المولود سنة ٢١٩ هـ، والمتوفى سنة ٣٠٢ هـ. من أهل القيروان، كان مناظراً قوي الحجة.

(٢) جُوَيْدٌ: تصغير جَيِّد؛ يقصد بها: عليه سَمْتُ الخير.

(٣) أي: من آل البار.

(٤) المَكْرُمي تقدم، وهو الذي حاصر شبام. والمعيقاب: حصنٌ قريبٌ من شبام في طريق الذهاب إلى الحَزَم والحوطة، وقد اندثر وبقي موضعه معروفاً بهذا الاسم.

مَعَهُمْ نُورٌ وَافِرٌ، فَصَارَتْ دُنْيَانَا مُعَاوَنَةً لِلدَّعَاءِ^(١) إِلَى اللَّهِ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ كَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ لَوْ سَاعَدَتِ الْأَسْبَابُ؟!

وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ عَظِيمِ لَطْفِ اللَّهِ مَعَ خُرُوجِ الْمَكْرُمِيِّ، حَيْثُ تَمَّ الْحِفْظُ مَعَ أَنْ خَرُوجَهُ وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ، تَسْعَةُ أَعْشَارٍ أَهْلِهِ مَا يَصَلُّونَ^(٢).
أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وَقَالَ الْحَبِيبُ عَمْرُ حَامِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ خَرَجَ تِلْكَ الْجُنْدُ — يَعْنِي الطَّائِفَةُ الْمُضِلَّةَ — نُصْرَةً لِلْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣).

قَالَ سَيِّدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَالْأَسْبَابُ فِي قُصْرَانِ^(٤) إِلَى الْآنَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ، فَكَيْفَ بِمُجَالَسَتِهِمْ، وَكَيْفَ بِذِكْرِ أَصْلَحِ الصَّالِحِينَ الرَّسُولِ ﷺ؟ وَالِدَّعَاءُ عِنْدَ ذِكْرِهِ

(١) أي: الدعوة.

(٢) تقدمت مثل هذه المقولة أول الكتاب نقلاً عن الحبيب عمر بن زين، والد المتحدث.

(٣) أي: الإمام الحداد. وتقدم مثل هذا القول قريباً، وسيأتي أيضاً شرح معناه من كلام الحبيب أحمد.

(٤) أي: تقاصر وانحسار.

مقبول، وبعد الصلوة عليه يدعو الإنسان^(١): «ربِّ اشْرَحْ لي صدري وَيَسِّرْ لي أمري؛ اللهمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي»... إلخ.

وحُسْنُ الخُلُقِ كما قال الغزالي رضي الله عنه: هيئة راسخة في الصدور، تصدر عنها الأفعال الجميلة بسهولة. ومن جملة حُسن الخلق: بشاشة الوجه وطلاقة. ومن أفضله: أن تغفوَ عَمَّن ظلمَكَ، وتعطي مَنْ حرَمَكَ، وتصل مَنْ قطعَكَ. قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ومنها الغضب لله؛ فقد كان عليه السلام إذا غضب لا يقوم لغضبه شيء^(٢)، ولا يغضب إلا لله. وأصل الجهاد إلا غضب الإنسان يحمله^(٣) على ذلك، وإذا عُدِمَ ذلك من الإنسان سُمِّيَ دُيُوثًا، وهو: الذي يُقِرُّ الحَبْثَ في بيته؛ فينبغي أن يتسبَّب في حصول ذلك الغضب من نفسه لله.

وقد فصل العلماء رضي الله عنهم حُسن الخلق؛ سئل بعضهم عنه، فقال: وجهه طلق، وكلامه لين.

وسألت أم سلمة رضي الله عنها النبي ﷺ عن المرأة تتزوج الرجال؛ تكون لمن منهم في الآخرة؟ قال: «لأحسنهم خُلُقًا»، فقالت: ذهب حُسن الخلق بخير الدنيا والآخرة. أو كما قال عليه السلام.

(١) لأن الصلاة على رسول الله مقبولة قطعاً، ومن صلى عليه ودعا ثم ختم بالصلاة عليه كان، ذلك أرجى وأدعى للقبول.

(٢) أخرج نحوه أبو نعيم في «الحلية»: (٩: ٢٢٧)، ولفظه: «كان إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه».

(٣) أي: يحمله ذلك الغضب على الجهاد والقتال.

وكذلك الفقه مراتب؛ ومن أجمَلِه: الفقه المشهور. وأدنى مراتب الفقه: أن يعلم أن الآخرة خير وأبقى.

* * *

وقال رضي الله عنه عند قوله عليه السلام: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»^(١): لأنهم عرفوا ذلك من فعله عليه السلام، حين أتاه ثقيف وأبوا من الصلاة، فلم يقبل عليه السلام إسلامهم، وقال: «لا خير في دين لا ركوع فيه»^(٢).

بخلاف الذي أتى مسلماً وشرط الفاحشة، فقبل إسلامه، ثم قال عليه السلام: «أترضى أن يكون ذلك لأُمَّك؟ أترضى أن يكون ذلك لأختك؟»؛ ومسح صدره، فزال ذلك^(٣)، لأن عدم الصلاة المانع منها الكبر، وهو أكبر المعاصي ﴿أَبَى وَأَسْتَكْبَرُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]؛ بخلاف الزنا، فإنه شهوة تنفع فيه موعظة الواعظين، أما الكبر فلا ينفع فيه ذلك.

* * *

وقال رضي الله عنه عند قول سيدنا عبد الله الحداد:

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٥٧)، والحاكم في «المستدرک» (٧: ١)، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٩٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٨: ٤).

(٣) رواه أحمد (٢٢٢٦٥) والطبراني في «الكبير» (٧٦٧٩) (٨: ١٦٢).

ما تَراهُمُ أعوانُ إلا على باطلٍ وتركِ قُرْبَةِ^(١)

قال سيدنا الحبيبُ عمر بن سقافٍ في قصيدته :

* وتشاغِلُ بأمورٍ لهوٍ باطلٍ *

وكلُّ ما لا لَهُ ثَمَرٌ في العاقبةِ فهو مِن قِسمِ الباطلِ ، وإن لم يكن حراماً ، كَرَزَها مراراً .

قدّموا الزائدَ إلى الفردوسِ وجَنَّةِ عدن . بانضرب لَكُمْ مثلاً : يُحَكِّى عن بعض الأذكياء من آلِ باذيب ؛ وهو عليُّ بن عبود لعجم ، قال لمن بايجي عنده في قهوة^(٢) : هَاتُوا دَيْرَ العادة ، والزائد هَاتُوهُ يابس^(٣) . وكانوا في ذلك الوقت يَشْلُون دَيْرَ وافر : قِشْر ، وعِسل ، وسَكَّر ؛ والزائد على دِيرِ العادة من جملةِ المذكورين نحوَ خمسة قروش ، فأجابوه إلى ذلك ، وفعلَ لهم به فُسْحَةً .

(١) وتمامه :

إنَّ قلبِي الآنُ يا صاحبي في غُرْبَةٍ وكُرْبَةٍ
مِنَ زمانٍ قد خانَ ومَعشِرٍ لا يحفظونَ صُحْبَةَ
ما تَراهُمُ أعوانُ إلا على باطلٍ وتركِ قُرْبَةِ
ما أولئك أخيارُ كلاً ، ولا بالمتقينَ الأبرارُ
والله يخلُقُ ما يشاء ويختارُ

(٢) أي : يشربها عنده .

(٣) أي : أحضروا معكم المعتاد ، وما زاد عندكم أحضروه يابس أي : غير مطبوخ ، يقصد البِن وخلافه .

وأنتم، خذوا هذا المِثَالَ وافهموا المعنى، قدّموا إلى فُسْحَةِ الْجَنَّةِ في الأبدان العارية والبطون الجائعة وإحياء الإسلام. وأما الشّهواتُ إذا ما تيسّرتْ لك أفرح.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: يقال في الماءِ البارد: يهضم الطعام، ويقتلُ الدود، ويُخْرِجُ الحَمْدَ من صميمِ القلب.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ما هُوَ شَيْءٌ مَن رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان حبيبي^(١) زينُ بن علوي في تريمَ في ضيقٍ من العيش، كان يقول له سيّدي الحبيبُ أحمدُ بن زينِ الحبشي: يا سيد زين، إذا ما معكم عشاء اذهروا في التنور، وإذا ما معكم قهوة صرّقوا بالمنحاز^(٢) حتى ما يحسّ الجيران أن ما معكم شيء! هذا وصفُ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وأين نحن من سيّريهم؟ رحنا في شور النساء.

(١) أي: جدّي؛ لأن لفظة الحبيب تطلق فيراد بها الجد عامّة، وتخص فيراد بها العالمُ أو العاقلُ من السادة الأشراف آل أبي علوي.

(٢) المنحاز: هو الآلة التي يُرَضُّ بها البن ونحوه، يقال له: المدق، أو الهاون، ويكون من نحاس أو عود.

والمعنى: افعلوا صوتاً بذلك المنحاز كأنكم تدقّون البن لعمل القهوة!! تعففاً.

قال: وفي بعض الأيام قال له الحبيب عبد الله الحداد: يا سيد زين، لعل تحصلون حجة بأجرة، وسافر بها أنت والكبير من الأولاد، قد عنده شي من العلم، يعني سيدنا محمد. قال: فثقل ذلك على حبيبي زين، حيث شقَّ عليه الخروج من تريم ومخالفة كلام سيدنا عبد الله. فحكى بذلك للحبيب أحمد بن زين؛ وكانت بينهما صُحبة، فقال له: إن الحبيب بايشوفك عاد شي اضطراب معك إلى الأسباب أم لا؟^(١)

قال: وفي ثاني جمعة أعاد عليه الكلام سيدنا عبد الله، فسكت حبيبي زين، ثم قال سيدنا عبد الله: عادُه يخطر ببالك الخروج من تريم؟ معاد يصلح. أو كما قال.

فهم يرونَ حَضَرَموت أحسنَ الأماكن، ومغتبطونَ بها معَ الجوع، رضيَ الله عنهم.



وقال رضي الله عنه: لسانُ حالِ الأسباب تقول: اجلسوا في بلادكم، لا عادُ تسافرون، اقنعوا؛ لأن الأسباب إلا مخيض^(٢) ماء، والناس إلا كما

(١) أي: يريد اختبارك هل لا زالت نفسك تنزع إلى الكسب، والسفر خارج حضر موت لأجل الحصول على شيء من المال!

(٢) أي: أن أسباب الكسب والضرب في الأرض ليست إلا كمخيض الماء، لا يُنتج الرُبْدَة، ولذا سميت أسباباً لأن الله هو الرزاق حقيقة وما هي إلا أسباب لحصول الرزق.

(نبيش حاتم)^(١)، كان يسافر مع العوابثة^(٢)، وبعد لَمَّا قَدَّهم في الطريق شافوا شجرة، قالوا: كُلُّنا بانطمرها^(٣)، فطمروها. قال نبيش: وأنا كَمَا هُمْ. فوقَّع فيها، رَجَعُوا يخرِّجون منها، ويخرِّجون منه الشوك.

وغالبُ الناس لا يسافر يوم شَافَ غيرُه، لا تقفوا أذوَه على بعضكم، اقْبَعُوا قدوة في الخير. وهذه (جاوة) وقعت فتنةً على الناس؛ كل مَنْ سافر حاسب أنه بايغرف.

ولكن ورد في بعض الأحاديث^(٤): أن في آخر الزمان ينحسرُ الفرات عن جبلٍ ذهب، فيذهب إليه الناس، يسلمُ من الألفِ واحد، ومن المئةِ واحد، جاوة وقعت مثل هذا.



وقال رضي الله عنه: إذا أردت أن تعرف ربَّك هل هو راضٍ عليك أم لا؟ انظرْ إلى نفسِكَ، هل أنت راضٍ بما قُسمَ لك مِنَ الرزقِ أم لا؟ فإن كنت راضياً فهو عليك راضٍ، وإلا فلا. قال عليه السلام: «مَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(٥).

(١) اسم شخص.

(٢) العوابثة، جمع عوبثاني، وهم قبائل معروفة.

(٣) أي: ستقفر عليها.

(٤) منها: حديث أبي هريرة المتفق عليه، البخاري (٦٧٠٢)، ومسلم (٢٨٩٤): «يوشكُ الفرات أن يحسرَ عن جبلٍ مِنْ ذهب...»، وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى يحسرَ الفراتُ عن جبلٍ مِنْ ذهب...» الحديث.

(٥) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١).

وذلك كما سئلت سيدتنا رابعة العدوية^(١) رضي الله عنها فأجابت
بمثل هذا؛

وإن ترَضَ بالمقسوم عشتَ مُنْعَمًا

وإن لم تكن ترضى به عشتَ في حزن^(٢)

ودليل الرضا: الرِّقُّ في المعيشة؛ ودليل السخط: الخرق، كما
في الحديث^(٣).

وهذه العوائد تُشَبُّ نارَ الحرصِ في القلوب، لو بايهون الإنسان
حَصَلَ شيء يطلبه^(٤). اهدموا العوائد وشيّدوا مباني الدين، وإلاّ هدمتكم
ثم غرّبتكم، ولولا حرصُ الحريص لما قنع القانع؛ لأن الحريص يَلُوبُ
ويَجْلِبُ جميعَ الأشياء للقانع؛ والقانع كما مُفَجَّشُ بُور^(٥)، يَجُونُ بالأفقاش
إلى عنده.

(١) هي: السيدة العابدة الربانية رابعة بنت إسماعيل العدوية، توفيت بالقدس سنة
١٣٥ هـ، قال ابن خلكان: (وقبرها يزار).

(٢) من قصيدة للإمام الحداد، مطلعها: «عليك بتقوى الله في السرّ والعَلَن».

(٣) أي: الذي تقدم.

(٤) أي: إذا أراد الإنسان أن يقلل من سعيه وكده في طلب المعيشة وجد أموراً وراءه
تطلبه!

(٥) بور: بلدٌ معروفة، والمُفَجَّش: الرجل الذي يكسّر الأفقاش، والأفقاش: معروفة،
جمع فُقش، وهو الطين اليابس. والمعنى: أن القانع يأتي إليه ما يحتاجه إلى
عنده، ولا يكلف نفسه عناء السفر والتغرب لأجله.

وكما في المثل: «رَزَقُ الْقَانِعِ» وهو الذباب، لأنه يُلقِي نَفْسَهُ في الحارَّ والبارد، شبيهُ الحريص، يَخْبِئُ من شَأْمٍ إلى يَمَنٍ. و(القانع) وهو الشُّبْتُ^(١)، جالسٌ في العنكبوت^(٢)، وَقُوَّتُهُ الذباب، يَأْتِي إلى عِنْدِهِ، فإذا وَقَعَ في الشبِكِ جاء يَحُوكُ عليه من بعيد ؛ لأنه جَبَانٌ، فإذا ظَنَّ أنه مات أَكَلَهُ شَيْئاً فشيئاً.

وهذا المَثَلُ يُمَثِّلُونَ به أَهْلُ السَّيْرِ إلى الله في سَيْرِهِمْ، ولهم في ذلك معانٍ.



وقال رضي الله عنه: ما هو بعيد عندي أن هذا البلاء في الأماكن التي وَقَعَ فيها، هو نوعُ الكُبةِ^(٣)، سنة (١٢٥٠) خمسين ومئتين وألف، ووقعَ بِبُورٍ وسيئون ونواحيها^(٤) وفي علّوا، أن ذلك من التساهل بالمُظَاهَرة بين النساء والرجال؛ لأنه وردَ في الحديث: «إذا كُثِرَ الزَّنا كُثِرَ موْتُ

(١) الشبْتُ: هو العنكبوت.

(٢) أي: بيت العنكبوت، ويقال له: الحوكة.

(٣) مرضٌ وقع في ذلك الزمان؛ قال السيد عبد الله الحبشي: (والكبة في العرف العامي: هي مؤخرة الرأس. ولعل هذا المرض هو المعروف الآن بالحمى الشوكية). اهـ. «العدة المفيدة»: (١: ٣٢٦) (حاشية).

(٤) وممن مات آنذاك من أعيان أهل حضرموت بسبب هذا المرض: السيد العلامة محمد بن عبد الله بن قطبان السقاف بسيون، والحبيب الولي عبد القادر بن محمد الحبشي بالغرفة، ذكرهما ابن حميد في «العدة»: (١: ٣٢٦) ومنهم والد الكاتب كما سيذكره لاحقاً.

الْفَجَاءَةُ»^(١)، وفي الحديث أيضاً: «زنا العينِ النظر، وزنا الأذنِ الاستماع»^(٢)؛ لأن المذكوراتِ مقدّمات الزّنا، اكتبوها إلى أهلِ هذه النواحي وذكّروهم بذلك؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وأنتم يا أهلَ شبام ما شيء عندكم! استدفعوا ذلك بدعوةٍ من لا يؤبّه له، مثل أهلِ الخلوات^(٣)، عوّلوا على صغارهم ذكوراً وإناثاً يطلّعونهم إلى العلّمة، ونادوا بذلك بالتطروب في السوق. بهذا يدفع الله البلاء.

وأنا مستغبطٌ بعُلمةِ البنات، بها يدفع الله البلاء، اشكروا النعمة بالمعاونة على ما يزيدها، حتى يتمّ الحفظ لبلادكم، قولوا: إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما توفيقى إلا بالله.

* * *

وقال رضي الله عنه عند قول سيدنا الحبيب عمر بن سقاف في قصيدته:

* فحذارٍ من نظيرِ العيونِ تعشُّقاً * إلخ:

اغْضُضْ عَيْنَكَ عَنِ الدُّنْيَا، حتّى تستريحَ في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]، شعر:

(١) لم أجده.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٨٣٣٨).

(٣) أي: يطلب الدعاء من الصالحين أهل الخلوات.

وأنتَ إذا أرسلتَ طَرْفَكَ رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
رأيتَ الذي لا كُله انت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنت صابرٌ

سمعَ سيدنا عمر بن سقافٍ بنته تصِفُ في مَرِيَّةٍ أو دَقَّةٍ^(١)، فقال لها:
فلانة؛ اليوم سقطتِ مِن عيني! فانظرُ كيف تأديبُ الصالحينَ لأولادِهِم!

* * *

وقال رضي الله عنه: ما كانت تُعرِفُ الجوابي في المساجد، ولا
الحُزُوب ولا الرواتب في زمن الأولين، ولكن لما علموا عَجَزنا ونَقْصنا،
خافوا تَرَكَ ذلك، فعَلُوا لنا المذكورات. والوضوءُ في البيت أَفْضَلُ وأَحْسَنُ،
خصوصاً لِمَن يعتادُ ذلك، وَيَشُورُ به. قال عليه السَّلام: «مَن توضَّأَ في بيته
وزارني في بيتي فعلى المَزُورِ أن يُكْرِمَ زائرَه»^(٢)، أو كما قال عليه السَّلام.
وكان الوالدُ يتوضَّأُ في الدار، ولم أخْزُرُ يوماً أنه توضَّأَ في الجوابي.

□ □ □

ووقعَ الوَبَاءُ^(٣) في البلادِ^(٤) في السَّنةِ المذكورة، سنة ١٢٥٠هـ، أولاً
تُوفُّوا منه نحوُ خمسينَ من البلاد، وليفة توفِّيَ سيدي الوالدُ عبد الله بنُ عُمَرَ
لَعَجَمَ في ذلك، قال سيدنا أحمدُ رضي الله عنه: إنه من الأخيار،

(١) المَرِيَّة: نوعٌ من حلي النساء، ومثلها: الدقة. كان النساء يلبسْنَها آنذاك.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦: ٣١١).

(٣) هو مرض الكبة المتقدم ذكره.

(٤) أي: شِباء.

ومن الذين يدفعُ الله بهمُ البلاء، ومن الذين يحييهم في عافية، ويميتهم في عافية، حيثُ أخذَ ليلةً في المَرَضِ. وتوفي يومَ الربوع ١٦ شهرِ ربيعِ الأولِ سنةَ (١٢٥٠هـ) خمسينَ ومِئتينَ وألفَ.

وقال: إن هذا الوباءَ شهادة، وإنه من المذكَرات؛ لَمَّا قَلَّ المذكَرونَ جاءتِ المذكَرات.

اذكروا شأنَ المظاهرة^(١)، وطَرَبُوا^(٢) في الأسواق، بأنَّ: مَنْ ظاهرَ يُصَلِّي عليه فوقَ العُصْبِي^(٣)، وكذلك مَنْ لم يُصَلَّ أو يتساهلُ بالصلاة، ويُذَفَّنُ في جانبٍ من المقبرة ونسَمِّيها (مقبرة الشياطين)، لعل بذلك الحيِّ المقصَّر يتعظُّ وينزجر، وأمَّا الميِّتُ فقد لاقى عمله. اسألوا في ذلك. وتعاونوا يا آلَ باعلوي على ذلك.

وقد ذكرَ المحلِّي ذلك عن ابنِ النحوي، إذا عُرِفَ أنه باينزجر المقصَّر. أو كما ذكروا.

وهذه سياسة؛ لأن ما معنا وإلٍ يُسمَحُ^(٤) الناس، وإلَّا حَدُّ تارك الصلاة إلَّا القَتْلُ. وقد عَمِلَ المُصْطَفَى عليه السَّلامُ بالسياسةِ في حقِّ الرُّجُلِ الذي لم ينطق بالشهادتين، وكانت له أُمٌّ غيرُ راضيةٍ عليه، فقال عليه السَّلام:

(١) أي: رؤية الرجال للنساء الأقارب، والاختلاط بهن في البيوت مع عدم المحرمية.

(٢) أي: نادوا.

(٣) العصبي: دكة المسجد، خارجه. أي: عقوبة له لا نصلي عليه في المسجد.

(٤) أي: يصلح أمورهم.

«هاتوا ناراً نَحْرِقْهُ بِهَا»، نارُ الدنيا ولا نارُ الآخرة، فلَمَّا عَلِمَتْ أُمُّهُ قَالَتْ: رَضِيتُ عَنْهُ^(١). أو كما قال.

وترى تارك الصلاة يُقْتَلُ بِسِيفِ الْحَقِيقَةِ، أَلَا تَرَى الْقَبَائِلَ يَتَقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ، مَا هُوَ^(٢) إِلَّا تَرَكَ الصَّلَاةَ، لَمَّا خَمَدَ سُلْطَانُ الشَّرِيعَةِ، تَجَلَّى سُلْطَانُ الْحَقِيقَةِ.

قال الوالدُ عمرُ رضيَ الله عنه: كان عندنا شارح^(٣) في الخلا بتريم، وكان لا يصلي، ولا نفع فيه الكلام، مع أنه له محاسنُ كبيرة، ثم إنه رُمِدَ، فجلسَ في بيته، فجاء له الأبعوس^(٤)، فذبحوه ذُبْحَ الْغَنَمِ، قال الوالد: عسى ذلك حَدُّهُ.

قال سيدنا: رَجَا لَهُ الْوَالِدُ إِقَامَةَ الْحَدِّ عَلَيْهِ!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان الوالدُ رضيَ الله عنه يقول: من علامة الرضا، السُّيُولُ الصَّغَارُ؛ وَلَا تَفْرَحُوا بِكَثْرَةِ السُّيُولِ، سَيْلٌ وَاحِدٌ وَفِيهِ بَرَكَةٌ؛ لِأَنَّ الْبِلَادَ^(٥) مَا تَحْمِلُ الْوَخْمَ^(٦)، وَأَصْلُ جَوْهَا زَيْنٌ، يَشْبَهُ جَوْ قَارَةٍ

(١) الحديث.

(٢) أي: ما السبب؟

(٣) الشارح: الذي يعتني بالنخيل ويلقحها ويقوم بكل ما يلزم لها، ويكون له نسبةٌ من الثمر.

(٤) من قبائل يافع، جرت منها حوادث في تريم أيام حكم آل غرامة.

(٥) أي: شِباب.

(٦) أي: العفونة، وتغيّر الهواء.

الصَّناهِجَة^(١) ، كما قال الحبيب جعفر بن أحمد؛ وإنما عرَضَتْ لها الوُحْمُ من هذه الحُومِ والعتوم^(٢) ، فيحتاجون الدُّخُونَ والطَّيْبَ ، حتَّى يُجَدَّعَ^(٣) في الشوارع مع أيام الأمطار، لأنَّ الدخانَ يفتِّقُ الجوَّ.



وقال رضي الله عنه: كلُّ مؤمنٍ يثبُتُ في الكلام والأخبار، لا يخابِرُ إلَّا بخبرٍ محقَّقٍ، وأمَّا المكروه وخبر الشرِّ خلَّ غيرك يخابِرُ به؛ لأنَّ العجلة وعدمُ التأني مذموم.

ويقال: إنَّ حكيمَ العرب معه امرأة، فرآها آخرَ الليلِ تتخلَّلُ^(٤)، فقال: لا تصلُحِينَ لي، إن كان الطعامُ بينَ أسنانِكَ من أولِ الليلِ فناهيكِ من عثاة، وإن كان من أكلٍ بهذه الساعةِ فبُستِ البطالة، وفارَقَها. فقالت له: لا مِن ذا ولا مِن ذاك، ولكنَّ مِن شَطَاطِ السَّوَاكِ.

ثم نزَّوجَها يوسف، أبو الحَجَّاج، فجاءت له بهذه الداهيةِ الحَجَّاجِ، وُلِدَ وليس له دُبُرٌ، فجاءوا إلى الحكيمِ المذكور، فقال لهم: اسقوه لبناً، ثم اسقوه سَمْنًا، ثم اسقوه دماً، فتحدَّد.

(١) قارة الصناهِجَة، ويقال: الشناهرة، بقرب تريم، كانت مسكن أجداد السادة آل سميطة وآل بن يحيى، ينظر الكلام عنها في «إدام القوت».

(٢) الحُوم جمع حومة: وهي المستنقع، والعتوم: المجاري المكشوفة التي كانت منتشرة في الشوارع.

(٣) أي: يحرقون جذوع النخيل.

(٤) أي: تستعمل الخلال في أسنانها لتصفيتها.

وقال رضي الله عنه: ما حُكِّمَ الذي يَصِلُ أرحامَه بالعطاءِ والصلةِ الحسنةِ والجبر، ولكنّه لا يسألهم عن دينهم، ولا يعلمهم ذلك، هل يُحشَرُ يومَ القيامةِ مع الواصلين أو مع القاطعين؟ اسألوا أهلَ العلم حتى ينتفي منكمُ الغرور.

وقد ذكرَ ابنُ عطاءِ الله في كتابه «التنوير» أن مَنْ يَصَلِّي ويحافظُ على الصلاة وله أهلٌ لا يصلُّون، ولم يأمرهم ويزجرهم ويهجرهم، لا يحشَرُ مع المصلِّين بل مع المضيعين، أو كما قال، وإن كان يصلي أولَ الوقتِ وفي الجماعةِ وفي أولِ صفٍّ.

قوموا على أهليكم بما أمرَ الله، واسحبوهم إلى الجنة، وإلاَّ سحبوكم إلى النار؛ أو كما قال رضي الله عنه.

* * *

وقال رضي الله عنه: لا يُدرَكُ النورُ إلا بالنور.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان الشيخُ محمد بن أبي بكرٍ عبّاد^(١) متصدياً للفتوى بشبام ولا عِلْمَ له تصنيف^(٢) ولا فتاوى.

(١) تقدم ذكره.

(٢) لكن وقفتُ على تأليف له اسمه: «المنهج القويم في مناقب الشيخ القديم» (مخطوط).

والشيخ عبد الله بن محمد عبّاد^(١) غالباً عليه العبادة؛ أخذ اثنتي عشرة سنةً يتعبّد في (مسجد الخَوْقة) ولا يدري ماذا قال الناس!

* * *

وقال رضي الله عنه: بيعُ العِينة جَوّزه الإمامُ الشافعيُّ مع الكراهة، وحرّمه الأئمة الثلاثة: مالك، وأحمد، وأبو حنيفة.

وصورته: أن يتواطأ المتبايعان على الزيادة في الدراهم؛ فيقول أحدهما: تبيعني ثوبك بعشرة مثلاً، ثم يشتريه، ثم يرده إليه باثني عشر فيكتبُ الزائدَ ويعطيه عشرة، وهذا كلّ حيلة؛ ولا تعبُر الحِيلُ على الله تعالى.

* * *

وقال رضي الله عنه: كُتِبَ الفقهُ بغت شيخ من شيخ؛ لأنهم وضعوا فيها شيئاً من هذه الحيل، ومرادهم بها مثل الدَّرَقَة^(٢) يُتَّقَى بها، فمن جعلها كذلك انتفع بها، ومن جعلها سيفاً ضرّته.

وقد أخذَ ساداتنا آل باعلوي على بعضهم العهدَ أن لا يُقرئوا أحداً من آل باكثير^(٣) كتابَ فقهٍ إلا بكتابٍ في التصوّف معه، لأنّ فيهم فهماً

(١) هو الشيخ القديم، تقدم.

(٢) أي: نالترس.

(٣) أسرةٌ معروفةٌ، صنّف في تراجم أعلامهم وتاريخهم الشيخ محمد باكثير (ت ١٣٥٥هـ)، كتاب «البنان المشير»، مطبوع.

وذكاءً وحاجة، وربما تَأْزِيهِمُ الحاجةُ فيفتَحون شيئاً من هذه الأبواب. قال
والذي رضيَ الله عنه: إِلَّا آلَ بن قاضي منهم^(١)، فَإِنْ عَلَيْهِمْ نَظَرًا مِنْ
الحبيبِ أحمد بن زين. انظُرْ إلى الشيخ علي بن قاضي^(٢) وورعه وقد
صَنَّفَ كتابَ «البواتر الدامغة»^(٣) بإشارة الحبيب حامد بن عمر.

وأنتم احزروا هذا الكلام، وكلَّ إنسانٍ ما عليه إِلَّا نَفْسُهُ، يَذْهَبُ بِهَا
ويعتقدُ فيها كلَّ شرٍّ؛ وَأَمَّا النَّاسَ فَخَلِّمْ عَلَى رَبِّهِمْ؛ أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مُتَابَعَةَ
رَسُولِكَ ﷺ». فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَكْفَلْتُ لَكَ بِخَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، عَسَى اللَّهُ يَرْزُقَنَا
مُتَابَعَتَهُ فِي عَافِيَةٍ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣]: إِنْ كَانَ مَرْضًى أَوْ فَوَاتَ مَالٌ فَلَيْسَتْ فِتْنَةٌ بَلْ هِيَ نِعَمٌ،

(١) أي: من آل با كثير، فخذ منهم.

(٢) العلامة علي بن عمر بن قاضي با كثير، توفي سنة ١٢٣٠ هـ.

(٣) كتاب «البواتر الدامغة في التحذير من تعاطي الحيل الربوية الزائغة» (مخطوط)،
منه نسخة بمكتبة تريم رقمها (٢٦٩٥).

(كم نِعَمَ طَيِّ المصائب)^(١)، ومن الرضا ما يهَوِّنُ علينا به مصائب الدنيا.
ما الفتنةُ والمصيبةُ إلا فتنة الدين.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا كَتَبَ الإنسانُ بقلمه شيئاً لا يجوزُ، فقد كَفَرَ
النَّعم؛ نِعْمَةُ القلم، والبياض، والدَّواة، واليد، والأرض التي أَلَقَّته، والسماءُ
التي أَظَلَّتْه، والشمس التي رَأَى بها، والسماءُ التي ضَمَّتِ الشمس،
وهكذا... إلى شيءٍ لا يُحْصَر، لهذا وَقَعَ عاقبةُ تَرْكِ الشُّكْرِ العذابُ
الشديد، وسُمِّيَ كافراً. كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: تدبَّروا كلامَ سيدنا عبدِ الله الحداد؛ فإنه أَخَذَه
من الكتابِ والسنة، وللقُرآنِ العظيمِ صَدْمَةٌ؛ لأنه كلامُ الحقِّ سبحانه، فقد
لا يَتيسَّرُ التَّفَكُّرُ فيه لكلِّ الناس، بخلافِ كلامِ المخلوقِ يسهلُ التدبُّرُ فيه.
وسيدنا عبدُ الله نِعْمَةٌ مكفورة. كما قال رضي الله عنه؛ قد قال: إني
نِعْمَةٌ مكفورةٌ لم يعرفوها غالبُ الأحياء.

(١) من قصيدة (مَوْشَح) للإمام الحداد، قال فيها:

إن في الغيبِ عجائب

كم نِعَمَ طَيِّ المصائب

وأخو التدبيرِ خائب

لم يزل في قبضةِ الشكِّ رهين لم يذُقْ عيشَ العبادِ الصالحين

«الديوان»: ٤٩٨.

قال الحبيبُ عمر حامد — وذلك في مرضِ موته — لبعضِ أولادِ الحبيبِ عبد الله الحداد: ما حَدَّ عَرَفَ قَدْرَ أَيْبِكَ إِلَّا إِنْ كَانَ الحبيبُ أَحْمَدُ ابن زين الحبشي، رضيَ الله عنهم، آمين.

وكلامُ سيدنا عبد الله الحدّادِ دواءٌ لأهلِ القلوبِ المنوَّرة، كما قاله شيخُه مديح^(١)، وهو من كبارِ مشايخِ سيدنا عبد الله، وذلك حينَ سَمَعَ قصيدته:

وصيّتي لك يا ذا الفضلِ والأدبِ^(٢)

* * *

وقال عندَ قوله: طوبى لعبدٍ رآهم أو رأى مَنْ رآهم. قال سيدنا الحسن البصريُّ لبعضِهم: أنتَ أَفْضَلُ مِنِّي لِأَنَّكَ رَأَيْتَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ذَاكَرَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ الحَبْشِيِّ عِنْدَ بَعْضِ القُبُورِ، ثُمَّ قَالَ: بَانُوْهُبُهُ المِيتَ؛ وَنَحْنُ بَانَجِيبِ «التَّذْكَرَةُ» وَبَانُوْهُبُهَا المِيتَةُ؛ فَاتَّوَا بِهَا؛ إِلَى آخِرِهِ.

(١) هو العلامة الجليل السيد محمد بن عبد الرحمن بن أحمد مديح باعلوي، توفي بتريم سنة ١٠٨٠ هـ تقريباً.

(٢) وهي وصيةٌ عظيمة، نظمها سيدنا الإمام لتلميذه الفقيه حسن بن عبد الله العمودي، وقد شرحها الكثيرون، منهم الإمام أحمد بن زين الحبشي، والعلامة السيد علوي السقاف، والسيد العلامة أحمد بن أبي بكر ابن سميط.

قال: قَدِّمُوا الْأَهَمَّ فالأهمَّ، وما زاد هاتوا عوائد السلف، ترتيبُ الفواتح^(١) نقول: عادةٌ مباركة. وإذا قال الإنسان: (وفروِعِهِمْ)؛ يشملُ جميعَ المسلمين من آدَمَ حتَّى الحاضرين. وإذا قال: (وجميع المسلمين) شملَ مسلِّي الجَنِّ.

اخْصِرُوا فِي الْكَلَامِ وهاتوا الأهمَّ، واشتغلوا بالمعاونةِ على البرِّ والتقوى؛ لأنَّها سَعَادَةٌ، وتركُها عَارٌ ونازٌ في الدنيا والآخرة. وياتندمون على تركها ندامة عظيمة؛ يا حسرةً من لا يعاون على الدعوة إلى الله.

واحرصوا على أولادكم ونسائكم وأخدامكم، فقَّهوهم في الدين وعادهم صغار، واحشوهم من العلوم، ما زال قلوبُهم واسعة؛ لأنَّ الإنسان إذا كَبُرَ معَاذَ قَلْبِهِ إلا الباطل.

قال سيدنا الحبيبُ عمر حامد لبعضهم حين سألَه: لَمْ لَا زَوَّجْتُوا الأولاد؟ وقدهم كبار. قال: بغيناهم يتضلعون من العلم. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: تَخَيَّلُوا الْمُصْطَفَى ﷺ كَيْفَ يَجْلِسُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَغَيْرُهُمَا، وَكَيْفَ مُحَاوَرَتُهُمْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان سيدي الحبيبُ أحمد بن زين الحبشي

(١) أي: قراءتها وهبُ ثوابها للأموات.

رضي الله عنه إذا سار إلى تريم لطلب العلم يأمرُ خادمه يشل^(١) الذي يقدر
لَهُ تمرٌ، ويجلسُ في تريم في منارة باعلوي^(٢) ليلاً ونهاراً على تمرٍ مدّة
طلبه. ولا يحصلُ العلمُ إلّا مع القِلِّ من العيش.

وكان سيّدنا أحمد المذكورُ رضي الله عنه لا يتكلّف للضيف؛ جاءوا
عنده أولادُ شيخه سيّدنا الحبيب عبد الله الحداد، فصنع لهم عشاءً خميراً
ودُجراً؛ لأنه الموجودُ عنده في تلك الليلة^(٣). وأمرَ الحبيب جعفر يتعشى
مَعهم وجلسَ هو للحزبِ في المسجد، فذهبَ سيّدنا الحبيبُ جعفرٌ إلى
الذّار، وفرّشَ لهم مكيلاً^(٤) في الضيّقة، وأكلوا ذلك الخبزَ وغسلوا في
الصحفة، مع أنهم أولادُ شيخه، ما تكلف ولا تدّين.

□ ثم جاء في بعض الليالي إلى عنده بعضُ السادة آل الجفري وقد
أتى لسيّدنا أحمدَ رأسُ غنمٍ وبُرٌّ من عند بعضهم، فقال لهم: اصنعوه كلّهُ
للسادة، فصنعوه ضيافة. هذا حالُ الكبار - رضي الله عنهم - وسيرتهم.

يا بخت مَنْ هُوَ عندهم تربيُّ السالكين لله خير مَسَلِكُ

* * *

(١) أي: يحمل.

(٢) أي: مسجد باعلوي.

(٣) تقدمت هذه القصة في موضع سابق بأخصر مما هنا.

(٤) المكيل: مفرّش من خوص.

□ قال سيدي رضي الله عنه: أتى عند سيدنا أحمد بن زين المذكور السيد عمر بن عبد الله العندروس، جدُّ السَّادة آل الشَّحر، وكان قد خرَجَ إلى تريم، ثم عَزَمَ راجعاً إلى الشَّحر، وأتى إلى عند الحبيب أحمد بن زين الحبشي بايستودع منه، ومعه جملة من أصحابه، فقصدوا المسجد.

فجاء الحبيب جعفر وأخبر سيدنا أحمد بهم، فقال له: لا حاجة لنا بهم. ما أنا مقصد للأكل؛ إن بايجي السيد وحده لا بأس. فذهب الحبيب جعفر إلى عندهم، وقال للسيد: إنَّ الوالد إذا ماشي مَدْرَسَ يَحْصُلُ معه انقباض، وإن باتجي أنت واثنان من الجماعة لا بأس. قال له: حتى أنا وحدي، ما المقصود إلَّا الاجتماع به.

وكان عند سيدنا الحبيب أحمد ابنه الحبيب علوي بن أحمد يقرأ عليه في «شرح مسلم» أو في «مسلم»؛ لأنه يخرج إلى عند والده في الشَّهر مرة فقط^(١)، فجاء السيد المذكور ومعه اثنان من جماعته، فانبطَّ معهم الحبيب، ثم قال للسيد المذكور: كأنَّ بينكم اتفاقاً أنت وعلوي حيث وقعتُم مرة. وكان السيد المذكور يحبُّ الكساء والظهور كمثلي سيدنا الحبيب علوي رضي الله عنه.

وكان سيدنا الحبيب محمد بن سُمَيْطٍ عندهم، فجاء الحبيب جعفر يغمزُ والدَّه، يقول: أتأذُنُ لي أن أضنعَ لهم غداءً هو والذي في المسجد؟

(١) لأنه كان متوطناً في شبام، وداره معروفة بها، وهي في موضع دار المرحوم سالم بن محمد بن سالم باصهي، المجاورة لدار آل مسلم.

فقال له سيدنا أحمد: إن كان من وَضِيعَكَ^(١)؛ برُفِعَ صَوْتُهُ؛ فَصَنَعَ لَهُمْ غَدَاءً؛ هَذِهِ أَحْوَالُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. (وَلَا تَخَالِفْ شُورَهُمْ فَتَهْلِكُ).

* * *

قال سيدي رضي الله عنه: وَأَتَى بَعْضُ أَوْلَادِ السَّادَةِ عِنْدَ سَيِّدِي أَحْمَدَ، فَأَرَادَ لَهُ تَمْرَ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ هُنَا إِلَّا تَمْرٌ غَابَ^(٢). فَوَصَّى فِي تَمْرِ زَيْنَ، فَتَحَيَّرَ الرَّسُولُ. ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ لِلْسَّادَةِ الْمَذْكُورِينَ: إِنَّ أَبَاكَ ذُو مَرْتَبَةٍ، بَانَجِي لَكُمْ بِتَمْرِ زَيْنَ وَصَيَّنَا لَهُ، وَنَحْنُ مَا نَحْبُ نَشْغَلُ أَهْلَنَا نَقُولُ لَهُمْ: اخْبِزُوا؛ أَوْ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمَنْ تَكَلَّفَ تَخَلَّفَ عَنِ سِيرَةِ السَّلَفِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؛ آمِينَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: عَلَّقُوا هَمَّتْكُمْ بَوَالٍ عَذْلٍ يَحْفَظُ النَّاسَ، وَيُرْدُّهُمْ مِنْ طَرِيقِ النَّارِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ؛ وَتَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ بِالْدَّعَاءِ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ سَيِّدُنَا الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ: لَوْ كَانَ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ لَجَعَلْتُهَا لِمَنْ يَلِي أُمُورَ النَّاسِ؛ هَذَا مَعَ حَصُولِهِ^(٣) فَكَيْفَ إِلَّا مَعَ عَدَمِهِ، فَالْدَّعَاءُ فِي ذَلِكَ أَهَمُّ.

قال سيدنا طاهر بن هاشم: أَنَا أَتَعَجَّبُ أَوَّلًا فِي مَدْحِ الشَّيْخِ عَمْرٍ

(١) أي: مخزنك.

(٢) أي: متغير الطعم والرائحة، أو قديم.

(٣) أي: مع وجود الوالي العادل في زمن الفضيل.

بامخرمة للسلطان بدر^(١)، فلَمَّا حَدَّثَتِ الْفِتْنُ وَالتَّجْرِي عَلَى اللَّهِ، عَرَفْتُ أَنَّ مَدْحَهُ فِي مَحَلِّهِ، مَا وَقَعَ بِامْخَرَمَةِ إِلَّا بِبَرَكََةِ بَدْرِ. وَلَا حُرْمَانَهُ نَحْنُ إِلَّا بِذُنُوبِنَا؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ. وَلَكِنْ فَضَّلَ اللَّهُ وَكْرَمَهُ وَجُودَهُ يَعْطِينَا نَحْنُ وَإِنْ لَمْ نَكُنْ أَهْلًا، لَا تُحْصَى مَوَاهِبُهُ، وَلَا تَنْفَدُ عَجَائِبُهُ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَّقُوا هَمَّتْكُمْ، أَقْلُ ذَلِكَ تَمُوتُ بِحَسْرَةٍ عَلَى قَلِّ الْوَالِي، حَتَّى نَسْلَمَ مِنَ التَّوْبِيخِ فِي الْقُبُورِ، وَنَفُوزِ بِالْأَجْرِ، كَمَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَمَاتَ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَجَرَهُ عَلَى اللَّهِ.

وَمَا تَقُولُونَ فَيَمَنْ لَا لَهُ هَمَّةٌ بِحَصُولِ الْوَالِي وَلَا يَعُولُ عَلَيْهِ، هَلْ يُوَبِّخُ فِي قَبْرِهِ أَمْ لَا؟ ارْفَعُوا سُؤَالَ فِي ذَلِكَ. وَأَنَا مَا اسْتَأْنَسَ أَقُولُ: بَايُوبِّخُ. وَقَدْ قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ: أَكْثَرُ مَا يُوَبِّخُونَ الْعُلَمَاءَ فِي قُبُورِهِمْ مِنْ أَجْلِي؛ لِأَنِّي الدَّرَبُ الْخَارِجِيُّ عَلَيْهِمْ، أَتَحَمَّلُ عَنْهُمْ الْأَذَى. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَأَلَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ هُرْمُزُ^(٢) عَنْ حَالِ سَيِّدِنَا الْحَبِيبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السَّكْرَانِ: أَهْوَ قُطْبٌ أَمْ لَا؟ فَقَالَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ قُطْبًا فَلَيْسَ لِلَّهِ وَلِيٌّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

(١) هو بوطويرق، تقدم.

(٢) المتوفى سنة ٨٧٥ هـ بشبام.

وكذلك سأل السيد الزاهر^(١) سيدنا الحبيب حامد بن عمر عن حال سيدنا عمر بن زين بن سُميط^(٢)؛ أهو قُطْبٌ أم لا؟ فأجاب: نقول كما قال باهرمز: إن لم يكن الحبيب علي بن أبي بكر السكران قطباً فليس لله وليٌّ على وجه الأرض؛ ونقول في الحبيب عمر كذلك.



وقال رضي الله عنه: تَنَزَّلَ جميعُ الناسِ عن سِيرِ أسلافهم، الدولة^(٣)، والسادة، وغيرهم، معاذ أخذ تبعَ سيرة أهله.

□ وقد كان السلطان علي بن بدر^(٤)، زِيَّهَ زِيَّ الصوفية: بياض^(٥). ورأى بعض السادة بزيِّ مخالف، ومعهُ تَبَعَةٌ، فأمر بحَبْسِهِ وأخذَ ما عليه من كساء وغيره، ثم بعدَ مُدَّةٍ أخرجَه من الحبسِ وأرسلَ للحَلَّاقِ فحلَّقَ له، وأخرجَ له بُقْشَةَ كساء أبيض، وألبَسَه ذلك.

وقال له: هذا زيكَ، واخلُنا اسمع بك في تريم من مدرّسٍ إلى مدرّسٍ. فانتجَبَ السيدُ المذكورُ وصار مدرّساً، وكان إذا رَتَّبَ الفاتحة ابتداءً

(١) هو السيد محمد الزاهر بن عيدروس بن محمد بن شهاب الدين الأصغر، كان فاضلاً كريماً، وهو صاحب مسجد الزاهر بنويدرة تريم، توفي بالهند حوالي سنة ١٢٠٠هـ.

(٢) أي: والد المتحدث.

(٣) أي: الحكام؛ السلاطين.

(٤) هو السلطان علي بن بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق، توفي بالشحر سنة ١١٠٧هـ.

(٥) أي: لباسه الثياب البيضاء.

بالسلطانِ عليٍّ قبلَ سيدنا الفقيهِ المقدَّم؟ فقلَّ له: كيفَ ذلك؟ فقال: ما رَدَّنَا شَرِيفَ إِلَّا السلطانَ.

وكذلك السلطانُ عمرُ بن جعفر^(١)، جدُّ هؤلاء^(٢)، قال والدي: كانت له أيادي شريفة، وكان صاحبَ نُسكٍ، ورُدُّه من الليلِ مئةَ ركعة. عسى الله يَمُنُّ علينا بوالٍ يرُدُّ الناسَ من طريقِ النارِ إلى طريقِ الجنة. ما معَنَا حياة، ولا معَنَا شيء، إِلَّا مَنَ اللهُ علينا بوالٍ على ما فيه، ولو هُوَ عَيْفٌ في نفسه، يَقَعُ في حُفْرَةٍ من النار، ولكن يَضُمُّ الناسَ؛ وإن وقعَ عادلٌ فذلك فضلٌ من الله تعالى.

وهذه القهوة باتقيم لنا سلطاناً عادلاً لو وَفَّقَ الله، ولكن غلبَ الشيطان، بغاها ترُوح في التَّرَهَّات ويضِيع بها الوقت في المُسَايرة الدَّامِرَة للنساء والرجال.



(١) هو السلطان عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله بن عمر بن بدر أبي طويرق، توفي حدودَ سنة ١١٤٠هـ.

(٢) يعني الحبيب أحمد بقوله: (هؤلاء) أحفاد عمر بن جعفر المذكور، الذين قامت لهم دويلةٌ هزيلةٌ في حضرموت في مطلع القرن الثالث عشر، وقد هرع العلويون حينها لنصرتهم ومؤازرتهم رغبةً في إقامة العدل.

قال السيد محمد بن هاشم: (ولم يقصر الحبيب العلامة أحمد بن عمر بن سميط في نشر الدعاية لهذه الدولة التي علّق الناس عليها آمالاً كباراً في إصلاح مستقبل حضرموت... إلخ. «تاريخ الدولة الكثيرة»: (١: ١٢٠).

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]: تفسيرها هذه الآية: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، يعني: شؤونُ يُبديها لا يتبدىها، قد جرى بها القلمُ في اللوح من قَبْلِ يُظهِرها؛ يُغني ويُفقر، ويصِحُّ ويُسقم، ويحيي ويميت، قد سبق في علمه: أن فلاناً يُقتلُ في المكانِ الفلاني في اليومِ الفلاني. فإذا علمَ الإنسانُ أن الأشياءَ مفروغٌ منها استفادَ التسليمَ والرضا بالقضاء. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [أي: نُظهِرها] إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، فمن لم يأسَ على ما فاتَه ولم يفرحَ بما آتاه فقد أخذَ الزهدَ بطرفيه، وأشار سيدي رضي الله عنه بيديه ممثلاً له؛ هذا في شأنِ الدنيا ومصائبها.

وفي دعائه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام: «وَمِنَ الرِّضَا مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا»، وله ثوابٌ في ذلك مهما صَبَرَ ورضي. وأما مصائبُ الدين فما فيها ثوابٌ إذا كان يقدرُ على دفعها بالأمر والنهي، بل هو مُقرُّها إذا رضي بها، وهو الدِّيُّوث الذي يقرُّ الخَبَثَ في أهله؛ وكذلك إذا وفَّقَكَ الله للخيرِ تفرَّحَ بذلك، من حيث فضله وامتنانه وفَّقَكَ لها. أو كما قال.



وقال رضي الله عنه ونفعَ به: في المالِ ثلاثةُ أشياء: حادث، ووارث، وحارث.

فالحادث: الفَوَاتُ في بَرٍّ أو بَحْرٍ، كما جرى في البنادر، ما لَمَّتْهُ

الذَّرَّةَ سَنَةً أَكَلَهُ الْغَرَابُ صِيْمٌ^(١)، حتَّى تُعْرِفَ أَنَّ الْخَبَبَ فِي الرِّزْقِ مَذْمُومٌ، عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهُ حَصَلَ.

والوارث: أَن تَمُوتَ وَتَخْلِيَهُ لَزَوْجِ حَلِيلَتِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَالُكَ مَا قَدَّمْتَ، وَمَالُ وَارِثِكَ مَا خَلَّفْتَ»^(٢) أَوْ كَمَا وَرَدَ.

□ وَمَرَّ بَعْضُ السَّادَةِ الْفَضْلَاءِ فِي شَارِعِ شَبَامَ، فَوَجَدَا اثْنَيْنِ مُتَخَاصِمَيْنِ، وَاحِدُهُمَا يَقُولُ بَرَفَعَ صَوْتِهِ: مَالِي مَالِي! فَقَبَضَ السَّيِّدُ بِكَتِفِهِ وَقَالَ: يَا وَجْهَ الْخَيْرِ، غَرَّوكَ! لَقُؤَا لَكَ سَوَادَ فِي بَيَاضٍ، وَقُلْتَ: مَالِي. وَأَتَى بِالْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ: «مَا لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ»^(٣) أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: صَدَقْتَ يَا حَبِيبَ.

والحارث: الَّذِي يَخْرُثُ فِيهِ الْخَيْرَ وَيَقْدِّمُهُ لِلْآخِرَةِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: فَكُنْ خَيْرَ الثَّلَاثَةِ؛ يَعْنِي الْحَارِثَ.

كَانَ بَعْضُهُمْ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَبَاتُ نِعْمَتِكَ، فَلَا تَجْعَلْنَا حَصَادَ نَقْمَتِكَ». فَكَّرَ رَاحِلًا ثَلَاثًا.

□ وَكَانَ بَعْضُ سَادَتِنَا آلِ أَبِي عَلَوِي صَاحِبِ اسْتِغْرَاقٍ فِي الذِّكْرِ، وَكَانَ لَا يَطْرَحُ الْمِسْبَحَةَ إِلَّا عِنْدَ شَلِّ الْكِتَابِ لِلْقِرَاءَةِ، وَأَنْتُمْ انصَبُوا لِلتَّذْكِيرِ، اصْرِفُوا هَمَمَكُمْ إِلَيْهِ.

(١) هَذَا مِثْلُ، مَعْنَاهُ: مَا جَمَعَتْهُ الذَّرَّةُ (النَّمْلَةُ) فِي سَنَةٍ، أَكَلَهُ الْغَرَابُ فِي لُقْمَةٍ وَاحِدَةٍ.

(٢) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٤: ٩٩)، وَابَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ»: (٣٣٣١).

(٣) الْحَدِيثُ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٥٨).

وقال رضي الله عنه: ما طريقُ الجنةِ إلَّا العِلْمُ، وكَبُرُوا هَمَّتكم حتى تكونَ العطيةُ جَزَلَةً؛ لأنَّ العطاءَ على قَدْرِ الهَمَّةِ.

واتركوا هذه الدنيا العائقة، لا يكنُ لكم هِمَّةٌ فيها، فربما يَهْمُ الإنسانُ بها ويُبْتَلَى بها، وهَوَّنوا في طلبها وازهدوا، وإن ما وَقَعَ زُهدٌ تَقَعُ قَناعةٌ، وحَقَّقوا القناعةَ بالاعتصامِ، كالحِظْوَةِ للمِلْحَفَةِ^(١). لا يكونُ سلامة لها إلَّا بالحِظْوَةِ؛ لأنَّ القناعةَ محلُّها القلبُ، وهي: الاكتفاءُ بالموجود، وزوالُ الطَمَعِ عن المفقود؛ وليس هي من مقدورنا، بل هي نورٌ من الله يقذفه في القلبِ، بخلافِ الاعتصامِ فهو من مقدورك.

ومن نعمةِ الله علينا حيثُ لم نَعْرِفِ الياقوتَ والزمرد. ما هو كما قال الشيخُ محمدٌ صالح^(٢): من نعمةِ الله عَلَيَّ حيثُ لم أنظُرْ إلى وجهِ كافرٍ ولا بدَّعي.

ولا تغتروا بالدنيا، بل اعرِفوا أنها فانية، وأنها فتنةٌ ومحنةٌ، وأن الآخرةَ باقية، وذلك عندَ قولٍ بحرقِ: (وفي الدنيا الدنيَّة)^(٣). إلخ، ما دَرى بحرقِ إن عادَ ولدُ علوي قفاه. قال سيدنا عبدُ الله رضي الله عنه: (والزهدُ في الدنيا الدُّنْيَى متاعُها). إلخ البيتين^(٤).

(١) أي: خياطة حواشيها وأطرافها.

(٢) هو الشيخ محمد صالح الرئيس الزمزمي الزبيدي، مفتي الشافعية بمكة، توفي سنة ١٢٤٤ هـ.

(٣) «الحديقة الأنيقة» (٧٠).

(٤) «الديوان»: ٣٦٤، وهما قوله:

فقال له الحبيبُ عمر بن زين الحبشي: كُنْتُ بِالْحَرَمَيْنِ، فَدْخَلْتُ عَلَى شَابٍّ وَعِنْدِي دِيوَانُ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ، فَنَكَشَهُ فَوَقَعَ التَّكْشَ عَلَى قَوْلِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ^(١). فَبَقِيَ يَقْرُؤُهَا فِي نَفْسِهِ، وَيَحْرُكُ بِرَأْسِهِ.

ثم قال لي: أَتَأْذَنُ لِي فِي نَقْلِهَا؟ فقلت: نعم. فَأَخْرَجَ مِنْ خَرِيطَتِهِ بِيَاضاً وَدَوَاةً وَقَلَمًا، قَدْ هُوَ مُتَأَهَّبٌ لَطَلْبِ الْعِلْمِ، فَنَقَلَهَا.

ثم قال لي: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقَابِلَهَا؟ فقلت له: نعم. فقابَلْنَاهَا. فَلَمَّا فَرَغَ، قَالَ الشَّابُّ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْهَرِ: إِنْ كَانَ فِيَّ خَيْرٌ تَكْفِينَا هَذِهِ الْقَصِيدَةَ.

ثم أُخْبِرْتُ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ فَتُوْحٌ فِي الْعِلْمِ وَإِعْرَاضٌ عَنِ الْأَشْيَاءِ، حَتَّى أَنْ أَبَاهُ بِالْمَدِينَةِ أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَتَكَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ. وَقَبْلَ الزَّوْاجِ بَلِيلَةٌ هَامَ الشَّابُّ وَلَا دَرَوْا بِهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ. أَوْ كَمَا قَالَ.

قال رضيَ الله عنه: أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّهُ كَلَامُ حَدَادِ الْقُلُوبِ، جَذَبَ قَلْبَهُ بِكَلَامِهِ.



قال والدي عمرُ رضيَ الله عنه: فِي سَفَرِي إِلَى الشَّامِ اتَّفَقْتُ بِإِسْمَاعِيلَ

= والزهد في الدنيا الدني متاعها دارِ الوباءِ فما بها من مرتعِ

تأهي عن الأخرى ولا تبقى ولا تصفو بحالِ فاجتنبها أو دَعِ

(١) تمام البيت:

عليك بتقوى الله في السرِّ والعلنِ وقلبك نطفه من الرجس والدرنِ

النقشبَندي^(١)، وهو علامةٌ من العلماءِ الكبار، قال الوالد: جينا إلى عنده وهو يشرح «الشفاء» للقاضي عياض. وقال: أنا في هذه الأيام في شرح ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

فذكرَ أَنَّ بعضَ السادةِ آلِ الحَدَّادِ يسألُ عن الطرائقِ النقشبَنديَّة. فقال إسماعيل: أين السائل؟ قصيدةٌ من ديوانِ الحبيبِ عبدِ الله تكفيه؛ أمّا عِلْمُ أَنَّ (عليك بتقوى الله) مشتملةٌ على «الإحياء»؟ قال الوالد: فجعلَ الشيخُ إسماعيلُ يقول: كذا وكذا فيها من رُبْعِ المَهْلَكَاتِ، وكذا وكذا من رُبْعِ المنجيات. قال الوالد: فتعجَّبتُ من سَعَةِ عِلْمِهِ.

وأنتم كلُّ مَنْ بغانا أفرَحَ به يجي عندي يأتي معه بكرَّاسٍ من «العُمدة»^(٢) و«خطبة الحبيبِ طاهر بن حسين»؛ خلَّوا نحن نتكاثر، ونكثُرُ سوادَ النبي ﷺ، فَمَنْ كَثُرَ سوادُ قومٍ فهو منهم؛ ويصيرُ المجلسُ رُوحاً، وإلا صارَ جسداً بلا رُوح، وخلَّوا الكتابَ^(٣) دستوراً لكم، كما القبايلُ شالَّينَ السلاحَ حتَّى العُمَيَّانِ، وأنتم سِلاحُكم العِلْمُ. أو كما قال وأستغفرُ الله.

(١) هو العلامة الإمام الشيخ إسماعيل بن عبد الله الأسكداري الحنفي، النقشبندي، نزيل المدينة المنورة، ولد سنة ١١١٩هـ، أخذ العلم عن أبي طاهر الكوراني، وصحب الإمام الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الكبير، وأخذ عن الشيخ محمد حياة السَّندي، والشيخ محمد ابن الطيب الفاسي. له: «مختصر صحيح مسلم»، و«مختصر شرح الشفا للخفاجي»، وغيرها. كان قوَّالاً بالحق، معتقداً، توفي بالمدينة سنة ١١٨٢هـ. «سلك الدرر»: (١: ٢٥٥).

(٢) أي: كتاب «عمدة السالك» في الفقه.

(٣) أي: كتب العلم.

وقال رضي الله عنه: إلزموا هذه «الخطبة» وشيئوها، يعني خطبة الحبيب طاهر بن حسين^(١)، وهي موهبة من الله تعالى لأهل الزمان، ونرجو أن تكون هي الرشيد المشار إليه فيها بقوله: (هل من رشيد)؛ إذا شيعت يحصل بها النفع الكبير؛ لأنه مات وهو متعلقٌ بصلاح الجهة.



وقال رضي الله عنه: إذا اجتمعوا اليوم على نشر الشريعة وإحياء السنة، حصل لكم الاجتماع ثم في الجنة، الجزاء من جنس العمل، اطلبوا هذا النعيم والمُلك الكبير. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتُ نِعَمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

قالوا^(٢) في تفسيره: إنَّ الحقَّ جلَّ وعلا يكتُبُ إلى عبده^(٣): (منَ الحيِّ القيُّومِ، الذي لا يموت، إلى الحيِّ الذي يموت: عبدي اشتقتُ إليك)؛ ويطبَّعُ عليه، فيأتي المَلَكُ إلى العبد، فيناوله الكتاب، فيقول له: هل أتيتَ بالبُرَاق؟ فيقول: نَعَمْ؛ فيركبُ إلى حيثُ شاء الله. ثم يغلبه الشوقُ فيطير، ويبقى البُرَاقُ فارغاً. أو كما ورد.

قال سيدي: لأنَّ الحقَّ — جلَّ وعلا — لا أوَّلَ [له] ولا آخر؛ وأمَّا

(١) وهي مطبوعةٌ ضمنَ مجموع رسائل أخيه الحبيب عبد الله، آخر رسالة فيه، ونظمها الشيخ أحمد بن عمر باذيب في «منظومة ألفية»، بإشارة شيخه صاحب هذا «المجموع».

(٢) أي: العلماء.

(٣) أي: في الجنة.

الآدمي له أولٌ ولا آخر له، بل خلودٌ أبديّ، إما خلودٌ في الجنة ولا موت، وإما خلودٌ في النار ولا موت؛ وأمرُ الخلودِ يُحَيِّرُ العقولَ!

* * *

وقال رضي الله عنه: تمسَّكوا بالكتابِ والسنة، واعتصموا بهما، وألقِ يدك في يده عليه السَّلامُ لا تفكَّها فيفكَّك.

* * *

وقال رضي الله عنه: الإمامُ بحرق فحل، وكتبه يُستأمن عليها، وهو ممَّن جمَعَ بينَ الظاهر والباطن. قيل: إنه توفِّي بأرض الهند، وله قصةٌ خارقةٌ هو وبعضُ البراهمة مشهورة.

كان سيِّدنا عبد الله الحدَّاد لا يتركُ قراءةَ كتِّبه^(١)، وله «اختصارُ شمائل الترمذي»، كان الحبيبُ عمر بنُ سقافٍ يحملُها في كِيسِه لأنها لطيفة.

* * *

وطلبَ الاستيداعَ من سيِّدنا بعضُ السادة، فقال للمعلِّمِ عوض^(٢): زِدْ ذِكْرَ الحبايب، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ﴾... إلى آخرها. فقال رضي الله عنه: كان سلفُنا رضي الله عنهم لا يتفرَّقونَ حتَّى

(١) وكتبه كثيرة، تقارب الخمسين كتاباً ورسالة.

(٢) هو المعلم الشيخ عوض بن محمد سديس عَقَبَه، توفي بشبام سنة ١٢٩٩هـ.

يقرأوا سورة ﴿وَالْعَصْرِ﴾، حرصاً منهم على التواصي بالحق والصبر، قال الإمام الشافعي رحمه الله: الناس في غفلة عن هذه السورة.



وقال رضي الله عنه: ما خُلِقْنَا في الدنيا إِلَّا لشأنٍ عظيم. ما خُلِقْنَا يا حبايب لِشَلِّ الدِّيُور من مكانٍ إلى مكان، ولا هذا عادة سلفنا. ضاعت الأعمار، وفوتنا الشيء العظيم الذي خُلِقْنَا لأجله، وقلوا المذكِّرون وقلوا أهل العلم. كما قال سيدنا عبدُ الله الحداد: (وقد ذهب الأساة وقد تَفَانُوا)... إلخ.

وقلَّ من يُسْتَحْيَا منه؛ إذا جيت إلى بلد ما تحصَّل فيها من يُسْتَحْيَا منه، معاد استحيوا حتى من كبارهم، وهذا آخرُ الزمان، العاضُّ على دينه كالعاضُّ على الجَمْر.

اطلبوا من الله الثبات والحفظ، بالتعاون والتظاهر والتأزر على الحق والصبر، والشیطان ما بغا لكم ذلك، بغاكم توائسونه في النار. والدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر، ولا أُخْرِجَ آدَمُ من الجنة إِلَّا عقوبةً وبلوى. وشاهدُ الإيمان: الامتحان، يُبتلى الرجلُ على قدرِ إيمانه.

وخذوا حذرکم من أولادِکم ونسائکم، بتعليم ما أوجبَ الله، وإلَّا رجعت صداقة في الدنيا عداوة في الآخرة. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، يخاصمونكم عند الله، يقول أحدهم: يا ربَّ خذْ لي حَقِّي

من أبي كما ظَلَمَنِي، ما عَلَّمَنِي شرائع الإسلام. اتقوا شرَّهم في الدنيا، ولا تزالون تطلبون الحَفْظَ من الله، ما أحد معصوم، وكلُّ من سار مكان ينوي التعلم والتعليم.

— وأنت يا حبيبُ عمر، يعني عمر بن زين الحبشي^(١)، إذا جيت إلى شبام انو طلبَ الزيادة، وكذلك إذا سرتَ إلى تريم انو التعلُّم والتعليم؛ لأنهما متلازمان، لا يحصلُ ذا إلاّ بذا.

فَتَعَلَّمُوا وَعَلَّمُوا تَسَلَّمُوا وَتَغَنَّمُوا، وإلاّ فلا سلامة ولا غنيمة. وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، يعني: ما بغاهم كلّهم يروحون للجهاد في سبيل الله، بغا بعضهم للتفقه في الدين، ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

اجلسوا في حضر موت على طلب علم وعبادة، هذه سيرة سلفنا، ما نَسَخَى بكم لجأوة ولِهْنْد، ولكن سَوَّسُوا أموركم على القناعة والاقتصاد حتى يتأتَّى لكم ذلك، وإن كان تركتُم هذا الحال عاقبكم الله بالغرب في طلب المَحَال.

* * *

وقال رضي الله عنه: الأدبُ ثمرةُ حُسْنِ العقيدة، وقلةُ الأدبِ من ضَعْفِ العقيدة؛ قال المُقْرِي^(٢) شعراً:

(١) تقدم التعريف به.

(٢) هو الشيخ إسماعيل المقرئ الزبيدي، صاحب «الإرشاد»، توفي سنة ٨٣٧هـ.

مجالسُ ذكرِ اللهِ تنهَكَ أن تَرى بها ذاكراً لله ضَعْفَ العقيدةِ
والمدارُ كُلُّهُ على الأدبِ، تَأدَّبْ تَأدَّبْ تَأدَّبْ.

قال بعضهم: اجْعَلْ عِلْمَكَ مِلْحاً وأدَبَكَ دَقِيقاً؛ والأَصْلُ في الأدبِ
قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] ، يعني: فقَّهْهُمْ
وأدِّبْهُمْ. ولهذا يُصَدِّرونَ العلماءُ كتابَ الأدبِ بهذه الآية.

قال في «رياضة الصبيان»^(١):

وفي كتابِ اللهِ قُوا أَنْفُسَكُمْ مفهومة: وكلُّ من يلزمكم
أرادَ: بالتفقيهِ والتأديبِ وكثرةِ التعليمِ والتهذيبِ

... إلخ

أدَّبُوا أولادكم وفقَّهْهُمْ. ومن حقِّ العاقلِ إذا جاءه مولودٌ أن يَبْكِي
ولا يَفْرَحَ، لأنه كُفِّ أمانته، ولكن يسألُ من اللهِ المعونةَ على حفظِها.
ومن أهمِّ الآدابِ: القناعةُ والاقتصادُ، ينبغي للإنسانِ أن يقولَ
للمُعَلِّمِ: علِّمْ ولدي القناعةَ والاقتصادَ.

(١) منظومة «رياضة الصبيان» للإمام العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الرملي
المصري، المتوفى سنة ١٠٠٤هـ.

وقد أشار الحبيب أحمد بن عمر على العلامة الشيخ عبد الله باسودان أن يقوم
بشرح هذه المنظومة، فشرحها في كتاب سماه «سمط العقيان» وقد تشرفتُ
بخدمته، وهو مطبوع.

وأنت يا معلّم محمد عبدون^(١) علّمهم (باب القناعة والاقتصاد) من «رياض الصالحين» حتى تقَع لك الشفاعة العظمى والجاه عند النبي صلى الله عليه وسلم؛ أو كما قال رضي الله عنه.

* * *

وسمعه رضي الله عنه يقول إذا سمع المؤذن:

مرحباً بالقائل عدلاً، وبالصلاة مرحباً وأهلاً.

اللهم افتح أقفال قلوبنا لذكرك، وأتمم علينا نعمتك بفضلك، واجعلنا من عبادك الصالحين. ثم يجيب المؤذن.

* * *

وسمعه رضي الله عنه يقرأ هذه الآية في السكنة التي بعد الفاتحة في صلاة المغرب: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

* * *

وقال لي: إذا رأيت المعلم محمد عبدون تذكر جدك عمر بن محمد لعجم في سلامة الصدر.

(١) هو الشيخ الصالح المعلم محمد بن أحمد عبدون شراحيل، سيتكرر ذكره في هذا المجموع، كما له ذكر في «الديوان» أيضاً، توفي بشبام ليلة السبت ٨ جمادى الأولى عام ١٢٦١هـ.

وقال رضي الله عنه؛ لما توفي بعض الأخيار، وهو عمر بن أحمد مَعَاشر: هو من الذين يمشون على الأرض هوناً، ومن الضعفاء المشار إليهم في الحديث: «إِنَّمَا تُنصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بضعفائكم»^(١)؛ كونوا مثله.

وكذلك لما توفي أحمد بن محمد جبر، قال: هو منكمش في نفسه، ومن الذين يمشون على الأرض هوناً؛ أو كما قال.



وقال رضي الله عنه وعفا عنا وعنه وعن جميع المسلمين، آمين: ولو كان شيءٌ يزيد الرزق لكانت القناعة أولى بذلك؛ لأن القناعة مغناطيس الرزق، ولو كان شيءٌ ينقص منه لكان الحرص، ولكن الحرص والقانع لا يقع لهم إلا المقدّر، وإنما هذا بهناء وذلك بنقص.



وقال رضي الله عنه: قال سيدنا الفضل بن عياض: أعرفُ ذنبي في خلقي حِمَارِي! قال الله تعالى: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وفي دعائه عليه الصلاة والسلام عند الفراغ من الشرب: «الحمد لله الذي جعله عذاباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاباً بذنوبنا»؛ عسى الله يغفر الذنوب ويستتر العيوب ويكشف الكروب. لو رأى الإنسان ما يكره من أولاده بعترف أنه بذنبه.

(١) أصله عند البخاري (٢٧٣٩): «هل تنصرون...» الحديث.

□ وكان الحبيب محمد بن سميطة يقول في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتٍ إِنَّي يَأْتِيَنَّكَ إِلَيَّ وَلِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ومن الإصلاح: وجودهما من العدم: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، أي: من الذنب الذي عقّوني بسببه. أو كما قال. حتّى من عَدَمِ فهِمِهِم للعلم.

اعترف أنت أنه بذنبك، وأشك نفسك إلى ربك، وقل: يا رب، أنت سلّطتها عليّ، فأعني على إصلاحها؛ لأنها عدوّ محبوب؛ وقدر أنك في الوجود وحدك، وقم على نفسك وأهلك وأولادك. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: السعيد من رزق حظاً وافراً من اتّهام النفس، وهي عدوّ محبوب، ولا سبيل للشيطان على الإنسان إلّا من قبلها؛ لأنها بمنزلة الوزير للملك، ومثلها الزوجة، عدوّ محبوب: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

والفرق بين خاطر النفس وخاطر الشيطان: أن النفس إذا عزمّت على شيء صممت عليه ولا تسكن إلّا به؛ لأنها عند شهوتها كالطفل، إذا بغا شيء ما يسكن إلّا به.

وخاطر الشيطان يداريك، لأن مقصوده: الظفر بك على أيّ حال، يقول لك في المعصية، فإذا امتنعت أتاك في الطاعة، إمّا بالعجلة، أو الرّياء، أو العُجب، ويروج لك الشرّ في معرض الخير.

ولا معك إلّا ربك التّجىء إليه، وقل: «اللهم إنك سلّطت علينا

عَدُوًّا... إلخ. وقد أغْوَى أَبَانَا آدَمَ ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢]، وأَخْرَجَهُ إِلَى الدُّنْيَا لِلْعُقُوبَةِ، كَمَثَلِ الْمَلِكِ إِذَا غَضِبَ عَلَى أَحَدٍ أَدَّبَهُ بِالسَّجْنِ. والدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَهِيَ لِتَكْمِيلِ أَيْبَانَا آدَمَ، مَا خَرَجَ إِلَى الدُّنْيَا إِلَّا لِيُكَمِّلَ، وَيَدْعُوَ أَوْلَادَهُ إِلَى اللَّهِ؛ اقْتَدُوا بِأَبْيَكُمُ آدَمَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: الْحِكْمَةُ تَقْضِي عَلَى صَاحِبِهَا بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَإِلَّا لَيْسَ بِحَكِيمٍ، قال الحبيبُ عمر بن سقافٍ شعراً:

فَإِذَا تَعَشَّقَهَا الْحَكِيمُ فَمَا لَهُ مِنْ حِكْمَةٍ

... إلخ.

□ كَانَ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ يُسَمَّى أَوْلَادَهُ: عَلَوِيٌّ: صَالِحٌ؛ وَحَسَنٌ: حَكِيمٌ. قال الوالد: انْظُرْ قَوْلَهُ: (حَكِيمٌ) اقْتَضَتْ حِكْمَتَهُ زَهْدَهُ فِي الدُّنْيَا، إِنَّهُ كَانَ يَتَقَهَّوِي زَعْتَرًا، وَيَجْلِسُ عَلَى دِئِمٍ، وَفِي الْغَالِبِ يَسِيرُ بِلَا رِدَاءٍ؛ بِهَذَا صَارُوا أَكَابِرَ.

وجاء إلى شَبَامَ، أعني الحبيبُ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ، مَعَ سَفَرِهِ إِلَى الشَّامِ^(١)، فَاتَّفَقَ السَّفَرُ فِي يَوْمِ الرَّبُوعِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ يَوْمُ الرَّبُوعِ، مَا حَدَّ يُسَافِرُ فِيهِ. فَقَالَ لَهُ: عَسَى وَلَا يَعُودُ عَلَيَّ بِسَفَرٍ، مَا بَغَيْتُ السَّفَرَ، إِلَّا الْحَجَّ آزَانًا عَلَى السَّفَرِ. أَوْ كَمَا قَالَ.

□ قال الوالدُ رضي الله عنه: سَلَفْنَا يُؤْثِرُونَ الْجُلُوسَ فِي تَرْيَمٍ حَتَّى

(١) يقصد بالشام: الحجاز وجهتها في عرف أهل حضرموت.

على بعض كفاية، وكلُّها حضرموت بغت تكفّي واقتصاد في العوائد، كما قال القائل شعراً:

ما كُلُّ ما فوق البسيطة كافياً وإذا فنعت فكلُّ شيءٍ كافي^(١)

يعني: إن ابن آدم ما يكفيه شيءٌ مع التوسع، «لو كان لابن آدم وادٍ من ذهبٍ لابتغى إليه ثانياً»^(٢). . . إلخ، وإذا قنع كلُّ شيءٍ يكفيه؛ وذا مع ذا حتى يتأتى له الحلالُ وإلا أكلَ الشُّبَّةَ والحرامَ واحتاجَ إلى الحيل، فاقْتَصَرُوا في العوائد.

كما قال سيدنا إبراهيمُ بنُ أدهمَ حينَ قالوا له: إن اللحمَ غالي، قال: أرخصوه بالترك.

□ وقال عبدُ الله بنُ ناعمٍ^(٣)؛ حينَ غلِيَ السَّمْنُ، بلغَ ستَ أواقٍ بأوقية^(٤)، قال: أنا حصَلْتُه من رطل. قالوا له: كيف؟ قال: لقمةٌ بسمن ولقمةٌ بلا سمن.

معنى كلامه قريبٌ من كلام سيدنا إبراهيم، وإنما ما أُثبتت مقالته في الكتبِ لأنه ما يُؤبَهُ له. وأنتَ أفهمُ المقصود، وإن صدرَ من مجذوبٍ أو مغرورٍ عندَ الناس، فكلامه هذا كلامُ العُقَّال. أو كما قال.

(١) البيت لابن الفارض.

(٢) متفقٌ عليه، البخاري (٦٠٧٤)، ومسلم (١٠٤٨).

(٣) آل بنانعة من الصَّدِف من كندة، أصلهم من (صيف) بدوعن، وانتقلوا إلى (سيون)، ومنهم جماعة بمكة وجدة.

(٤) أي: ست أواقٍ سمن بأوقية فضة.

[شرح قصيدة (يا ربنا) للإمام الحداد]

وقال رضي الله عنه، عند قراءتي عليه لقصيدة سيدنا عبد الله الحداد:
«يا ربَّنَا يا ربَّنَا»^(١)، عند قوله فيها:

ما عنه حِرْنَا إِنَّمَا فِيهِ نَحِيرُ لِعَجْرِنَا

الْحَيْرَةُ فِي اللَّهِ مَقْصُودُ الْأَكْبَرِ أَهْلِ اللَّهِ، كما قال سيدنا أبو بكر
الصدِّيق رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ زِدْنِي فِيكَ تَحِيرًا»، وأما الْحَيْرَةُ عَنْهُ فَهِيَ
كُفْرٌ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

وقال عند قوله:

إِنَّ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ بِالْأَحَدِيَّةِ مُغْلِنَا

كما قال القائل:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(٢)

أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ مَا يَعْبُجُكَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ!
فهذا يَشْهَدُ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ.

* * *

(١) تمام البيت:

يا ربَّنَا يا ربَّنَا يا ربُّ يا أَهْلَ الثَّنَا

«الديوان» (٤٥).

(٢) البيت لأبي نواس.

وقال عند قوله رضي الله عنه :

سُحْقاً لِمَنْ يَشُكُّ فِي الْحَقِّ وَقَدْ تَبَيَّنَا

قال تعالى: ﴿سَتُريَهُمْ ءَايَتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] «اللهم أرني الحقَّ حقاً وارزُقني اتِّباعه، وأرني الباطلَ باطلاً وارزُقني اجتنابه، ولا تجعلِ الأمرَ متشابهاً عليَّ فأتَّبعِ الباطلَ».

الهُجُوا بهذه الدعوة وأكثرُوا منها حتى يتنفَّى عنكم تلييسُ الشيطانِ والنفسِ والهوى، واطلُّوا من الله الثبات. ما الدنيا إِلَّا فتنة ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]. «واسأله السَّلامةَ من دارِ الْفُتُونِ»^(١).

* * *

وقال عند قوله :

يا أَمَلَ الْمُؤْمِلِينَ ويا ملاذاً كُنْ لَنَا

ما معَكَ إِلَّا رَبُّكَ، ما الرُّكُونُ إِلَّا إِلِيهِ، لا إِلِيَّ عِلْمٌ، ولا إِلِيَّ عَمَلٌ،
ولا إِلِيَّ نَسَبٌ ولا حِسَابٌ؛ بل لو وَكَلَّكَ إِلِيَّ نَفْسِكَ هَلَكْتَ، اللهم لا

(١) هذا بيتٌ من قصيدةٍ للإمام الحداد؛ مطلعها:

الزَّمْ باب ريك واترك كل دون واسأله السلامة من دار الفتون
لا يضق صدرك فالحادث يهون الله المقدر والعالم شؤون
لا يكثر همك، ما قدر يكون

«الديوان» (٤٨٩).

تَكَلِّني إِلَى نَفْسِي فَأَهْلِكَ، وَلَا إِلَى غَيْرِكَ فَأَضِيعَ، فَالْمَوْكُؤُ إِلَى نَفْسِهِ هَالِكٌ،
وَالْإِلَى غَيْرِهِ ضَائِعٌ. اللَّهُمَّ وَاقِيَهُ كَوَاقِيَةَ الْوَلِيدِ.

□ حَزَنَ بَعْضُهُمْ عَلَى مَوْتِ شَيْخِهِ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى بَعْضِهِمْ، فَقَالَ لَهُ:
لِمَ جَعَلْتَ شَيْخَكَ مَنْ يَمُوتُ؟ وَيُقَالُ لِلرَّاكِنِ إِلَى أَهْلٍ أَوْ مَالٍ: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى
إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧]، فَارْجِعْ إِلَيْهِ تَعَالَى مِنْ سَمَحٍ^(١).

* * *

وقال عند قوله:

فَمِنْكَ كُلُّ خَيْرَةٍ وَكُلُّ نِعْمَةٍ بَنَّا

اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدِّكَ... إلخ، هَذَا شُكْرُ الْجَنَانِ،
وَهُوَ أَفْضَلُ الشُّكْرِ، يَعْنِي: التَّوْحِيدَ فِي قَوْلِهِ: (فَمِنْكَ وَحَدِّكَ) إلخ؛ وَشُكْرُ
اللِّسَانِ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ. وَشُكْرُ الْفِعْلِ: ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]: شُكْرُ الْأَرْكَانِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّعْيِ فِي حِفْظِ
نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ عَزِيزٌ، يَعْنِي: شُكْرَ الْفِعْلِ.

* * *

وقال عند قوله:

أَحْسَنْتَ فِيمَا قَدْ مَضَى أَبْذُ وَرِذُّ يَا مُحْسِنَا

طَلَبَ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ بِالنِّعْمَةِ؛ كَمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ فَتَمِّمَهَا؛

(١) أي: عاجلاً.

تدري ما تمامُها؟ دخولُ الجنة. فنسألُ اللهَ تعالى حُسْنَ النية، وتمامَ النعمة، ودخولَ الجنةِ برحمته، وكمالَ اليقين، والثباتَ في الدين، لنا ولكافةِ المسلمين.

وفي قوله: (أبد): النعيمُ الأبدِي إذا حصلتُ حُسْنَ الخاتمة، والمعاونة على البرِّ والتقوى تُثمرُ حُسْنَ الخاتمة.

واجمعْ قلوبنا على التقوى، ووفقنا وإياهم أجمعينَ لِمَا تحبُّه وترضاه، واختمْ لنا ولهم بالحسنى في خيرٍ ولطفٍ وعافية يا ربَّ العالمين، فعَجِّلْ ثمرةَ الاجتماع، واختمْ لنا ولهم بالحسنى.

إذا حصلَ الاجتماعُ في الدنيا على الدين فيقعُ الاجتماعُ هناك في الجنة؛ يُرجعُ إلى قولِ سيدنا عبد الله الحدّاد:

يا ربِّ واجمعنا وأحبّابنا لنا في دارِك الفردوسِ أطيبِ موضعٍ^(١)

والفردوسُ هي للآمرينَ بالمعروفِ والنّاهين عن المنكر؛ وسيدنا عبدُ الله استعان بطلبِ النعمةِ على النعمة، كما أعطيتني الفرسَ، فأعطني العبدَ يسوسُ الفرسَ. وأنت كذلك، أمّا إن كانك قلت: يوم أنا، يوم أنا، ما استحققت شي ولا تستحق شي.



(١) من «العينية الكبرى». «الديوان» (٣٦٥).

وقال عند قوله :

مَلَكَتْهُ أُمْنِيَاتُ نَفْسٍ هَمُّهَا عَرَضُ الدُّنْيَا

شهدَ رضيَ الله عنه على نفسه بحبِّ الدنيا، فكيف ألاّ نحن؟ اللهم لا تجعل الدنيا أكبرَ همِّي ولا مبلغَ علمي. و«حبُّ الدنيا ذنبٌ لا يُغفر» كما في الحديث^(١). يا الله بالثبات في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: لا يقدِرُ أحدٌ أن يذُمَّ الأكابرَ بمثل ما يذُمُّونَ به أنفسهم. انظروا إلى قول سيدنا عبد الله الحدّاد: «يا ويحَ نفسي الغويّة»^(٢)... إلخ، وقوله: «على أنني آثرتُ دنيا دنيّة»، إلى غير ذلك.

ومن ذلك: حين سبَّ بعضهم سيدنا زينَ العابدين، فقال له: وما خفيَ عليك بأعظم. ألك حاجةٌ نعينُك عليها، أو دينٌ نقضيه؟ أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أهلُ القلوبِ المنوَّرة يفرَّحون بالتذكير، وأهلُ القلوبِ المظلمة يشقُّ عليهم ذلك.

(١) لم أجده.

(٢) تمام البيت:

يا ويحَ نفسي الغويّة عن السبيلِ السَّويّة
أضحّت تروّجُ عليّهُ وقصّدها الجاهُ والمالُ

«الديوان» (٤٤٤).

وقال رضي الله عنه: الرِّفْقُ والاقتصاد يُثمر خصلتين زيان جم جم: العطفُ من الأغنياءِ على الفقراءِ بالفاضل؛ والتعففُ من الفقراءِ؛ لأنه إذا ما شي يُخَوِّجُه تعفف، وإذا بغاه كلُّهُ استأزى على السؤال.

□ رأى بعضهم في المنام بعضَ الصالحين المُقْلِينَ يقول له: كنا مُقْلِينَ فقراء، فأغننا اللهُ بقدمِ فلان. فقال له: كيفَ ذلك وهو فقير؟ فقال له: دَلَّ فقراءنا على التعفف، وأغنيانا على التعطف. أو كما قال.

فقال سيدنا: انظروا بركةَ الدعوةِ إلى الله؛ فأدبُ الفقير: التعفف، وأدبُ الغني: التعطف؛ كررها ثلاثاً. ولا يتأتى ذلك إلا بالرفق والاقتصاد، ولا يتأتى الورع إلا بذلك؛ ومُحالُّ الورع مَمَّنْ بغاه كلُّهُ؛ لأن القناعةَ بساطُ الورع، وإذا عُدِمَتِ القناعةُ عُدِمَ الورع، لا أحدٌ يغش نفسه ويغرّها.



وقال رضي الله عنه: ما يفرحُ الإنسانُ بأحدٍ يكونُ خيراً منه إلا ولده، فهو يفرحُ أن يكون خيراً منه.

□ كما يُحكى عن سيدنا الشيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيْدُروس^(١) أنه أتى بابنه مُحَمَّدٍ^(٢) إلى سيدنا الحبيب أحمدَ باحْجَدَب،

(١) هو الأوسط، المتوفى بتريم ساجداً في صلاة العصر ليلة الجمعة ١٤ ذي القعدة ١٠١٩هـ.

(٢) هو السيد محمد العيْدُروس بن عبد الله بن شيخ، مولده بتريم سنة ٩٧٠هـ، وتوفي بسورت بالهند سنة ١٠٣١هـ.

وهو نقيب آل باعلوي وتولى القطبية. فقال له العيّدروس: هذا مُحَمَّدٌ ولدي، باركوا عليه! فمسح رأسه وقال له: ابنك محمد خير منك. فخرَّ سيدنا عبد الله شكراً لله تعالى. وسيدنا محمد المذكور هو مصنف كتاب «إيضاح أسرار علوم المُقرّبين».

□ وكذلك يروى عن التاج السبكي^(١)، وكان يُدرّس، ف قيل له: ابنك أحمد في التدريس أحسن منك. فأنشأ هذا البيت:

دروس أحمد خير من دروس علي وذاك عند علي غاية الأمل

قال سيدنا رضي الله عنه: وأنا إن كان أولادي بايقعون إلا مثلي فلا أرضي لهم بحالتي؛ كبروا هممكم في أولادكم وكل من تحته ولد يبخل به، يحسب أنه جوهرة، ويفرغه لطلب العلم والرحلة له، وإلا لعاد يتمنى العيال إذا حالتنا إلا هذه، نكون كما قال في الحديث: «خيركم بعد المثنين الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد»^(٢).

لا يُغبط اليوم إلا من لا تزوج ولا تحته عيال. وسعد من مات صغيراً على حالة مَرَضِيَّة. ولا أحد يتمنى طول العمر، لماذا يكتسب أوزار؟ ولا معنا أعمال حتى نتمنى الموت، أو كما قال.

(١) الرواية عن النقي علي بن عبد الكافي السبكي لا ولده التاج، وهو المشار إليه في البيت ب (علي). والرواية ذكرها التاج عبد الوهاب السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠: ١٩١).

(٢) الحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣: ١٠٣٧)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢: ١٤٦)، من حديث حذيفة رضي الله عنه، ولا يصح.

وقال رضي الله عنه: ادعوا بهذه الدعوات: «اللهم متّعنا بخيارنا، وأعنا على أشرارنا، واجعلنا خياراً كلنا».

* * *

وقال رضي الله عنه: الهجّوا بطلب الوالي حتى تموتوا ما يعذرُكم إلاّ الموت، وموتوا حسارى^(١) على فقدّه، وإن منّ الله به فذلك المطلوب، وإلاّ خرجنا من العذر وسلمنا من التوبيخ. ما معك إلاّ جهدك.

قال سيدنا عبد الله الحداد:

فإن ظفرتَ فإنّ الله ذو كرمٍ وإن فقدتَ فقد أعذرتَ في المثل^(٢)
وهو قولُ امرئٍ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقنَ أنا لاحتقانَ بقيصرا
فقلتُ له: لا تبك عيناك، إنما نحاولُ ملكاً أو نموتَ فنُعذراً
واللهُ جلّ وعلا يعطي ويمنع، ما أحدٌ يحكمُ عليه، إن أعطى فبفضله،
وإن منع فبذنوبنا؛ لأن العبد يُحرّم الرزقَ بالذنب يصيبه. واجتهدوا في
ذلك وعلّقوا همّكم به.

(١) أي: متحسرين.

(٢) من القصيدة التي مطلعها:

خلّ اذكّارك ربّعا دارسَ الطلّل ومنزلاً بينَ ذاتِ الضالِّ والأثّل

«الديوان»: ٤١٥.

□ وقد ظَهَرَ لَكُمْ عُمَرُ بْنُ جَعْفَرٍ^(١)، وَعُمَرُ بْنُ مُقَيْصٍ^(٢)، مَا تَسَبَّيْتُمَا لَكُمْ وَتَطَيَّبْتُمَا، أَوْ حَسِبْتُمْ مَلَكًا بَايَنَزِلُ، أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ مَا بَايَقَ لَكُمْ إِلَّا مِنْكُمْ، وَإِلَّا مَا تَنْفَعُ الْحَيَاةُ؛ وَإِذَا مَا شِئْءٍ وَالْيَ غَبَّتُمَا أَوْلَادَكُمْ وَمَكَالَكُمْ، وَلَا شَيْءَ مَكَانٍ يُعِيضُ فِي حَضَرَمَوْتَ تَهَاجِرُ إِلَيْهِ، قَدْ الْأَرْضُ كُلُّهَا مُتَشَبِّهَةٌ، عَادَ حَضَرَمَوْتَ أَشْكَلَ مَوْجُودٍ، تَعَاوَنُوا عَلَى نَصْرِ الدِّينِ، لَا تَخْلُونَهُ يَحَقُّ فِيكُمْ قَوْلُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ:

مَا تَرَاهُمْ أَغْوَانٌ إِلَّا عَلَى بَاطِلٍ وَتَرْكُ قُرْبِهِ
وَأَمْرُ الْمَعَاشِ كُلُّهُ مِنَ الْبَاطِلِ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦]، فَخُذْ مِنْهُنَّ؛ وَأَمَّا الْفَانِي فَخُذْ مِنْهُ إِلَّا قَدَرُ الضَّرُورَةِ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَخُذْ مِنْهُ قَدَرُ الْحَاجَةِ.

قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَاتَرَكَ الْفَانِي الْمَرْذُولَ وَاقْبَلَ عَلَى أَخْرَاكَ

(١) هُوَ السُّلْطَانُ عُمَرُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ بْنِ جَعْفَرِ الْكَثِيرِيِّ، آخِرُ سُلَاطِينِ آلِ عُمَرَ بْنِ جَعْفَرٍ، امْتَدَّ حُكْمُهُ إِلَى سَنَةِ ١٢٤٠هـ، وَكَانَ حَبْلُ الْأَمْنِ فِي زَمَانِهِ مُضْطَرَبًّا جَدًّا.

(٢) هُوَ الدَّقْدَمُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَقِيصِ الْأَحْمَدِيِّ الْيَافَعِيِّ، كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ، وَلَهُ عِزْمٌ عَلَى تَخْلِيسِ الْوَطَنِ مِنْ وِيَلَاتِ الْفِتَنِ، وَقَامَتْ دَوْلَتُهُ فِي قَرْيَةِ (بَيْتِ جُبَيْرٍ) فِي رَبِيعِ الثَّانِي سَنَةِ ١٢٤٣هـ، وَلَمْ تَدَمْ غَيْرَ سَتَيْنِ حَتَّى قُوِضَتْ خِيَامُهَا وَزَالَتْ.

قال سيدنا الشافعي رضي الله عنه: أعطِ العلمَ كلَّك يُعطِكَ بعضه .
كما قيل :

لم يُحِطْ بالعلم يوماً أحدٌ لا، ولو مارسه ألفَ سنَّة
إنما العلمُ بعيْدُ غورُهُ فخذوا من كلِّ علمٍ أحسنه

وأهل الزمان عكسوا الحال، أعطوا الدنيا قوالبهم مع القلوب، فيا لله
من عَجَبٍ^(١).

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا ضاع الصَّغر ضاع الكبر.

□ رأى بعضهم سائلاً يُلحُ في المسألة؛ فقال: ترونَ هذا في هذه
الحالة، هذا ضيَّع حقَّ الله في صِغَرِه فضيَّعه الله في كِبَرِه.

* * *

وقال رضي الله عنه: قلَّةُ المالِ وقلةُ العيالِ اليومَ عافية، كما في
الحديث: «وقلةُ المالِ قلَّةُ الحساب»^(٢)، أو كما ورد؛ «خيرُكم بعدَ المئتين
الخفيفُ الحاذ» أو كما قال عليه الصَّلَاةُ والسلام.

(١) أخذاً من قول الإمام الحداد:

تنافسوها وأعطوها قوالبهم مع القلوب، فيا لله من عَجَبٍ
«الديوان» (٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٦٧٤)، بلفظ «... وقلة المال أقل للحساب».

فخذُ جذركَ من نفسك ومن زوجتك ومن ولدك. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، وقال تعالى: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

□ دخل جماعةٌ على سيدنا عبد الله بن مسعودٍ الصحابيِّ رضي الله عنه وعندَه، أولادُه فيهم نَشْمَةٌ^(١)، فقال: تدرُونَ ماذا أَحَبُّ فيهم؟ قالوا: ماذا؟ قال: أن يقولوا: نفقوا، يعني: ماتوا؛ وذلك خوفاً من عدم القيام بحقوقهم، يرجعون أعداءَه يومَ القيامة.

* * *

وقال رضي الله عنه: يُعِينُكَ على تركِ الحَسَدِ القَنَاعَةُ، وأمَّا الطامعُ فلا يخلو من حسد؛ لأنه بشر؛ والحاسدُ سَاخِطٌ لقضاءِ الله تعالى.

العلومُ ثلاثة: أولُها عِلْمُ العقيدة، ثم عِلْمُ الشريعة، ثم عِلْمُ أخلاقِ القلب. فهذه فروضٌ تجبُ على كلِّ شخصٍ فرضَ عَيْنٍ؛ وباقي العلوم فرضٌ كفاية.

* * *

مِئْتَةُ الْآدَمِيِّ طَاهِرَةٌ، وإن كان كافراً مُراقٍ الدَّمِ. وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، يعني: نجاسة اعتقادهم. وعند الإمام

(١) أي: أُلْبَهة ووسامة.

أبي حنيفة: ينجسُ الآدميُّ بالموت؛ فعلى هذا: لو أوصى شخصٌ — إذا مات — أن لا تدخلَ جنازتهُ المسجدَ.. وجب اتباعه.

* * *

وقال رضي الله عنه: الدِّينُ تعظيمُ الدين؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وأما صورةُ الطَّاعة فقد تصدُرُ حتى من المنافق؛ والطاعةُ — وإن قلَّتْ — مع التعظيم، أفضلُ من كثيرها مع الغفلةِ وعدمِ المُبالاة.

* * *

وقال رضي الله عنه عندَ قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، أي: وجوباً؛ لأن الأمرَ عندَ أهلِ الأصولِ للوجوب، إلا إن دلَّ دليلٌ على النَّدْبِ أو على الإباحة.

* * *

وقال رضي الله عنه عندَ قول الإمام العامريِّ^(١) رضي الله عنه في السكتَةِ المسنونِ تطويلُها بعدَ الفاتحةِ في الجهرية للإمام: إنها سنةٌ مهجورة،

(١) هو العلامة الفقيه المحدث الشيخ يحيى بن أبي بكر العامريُّ الحرصي، ولد سنة ٨١٦هـ، وتوفي سنة ٨٩٣هـ، له مؤلفات نافعة، منها: «بهجة المحافل وبغية الأماثل في تخليص السير والشمائل» مطبوعة وعليها شرحٌ للعلامة محمد بن أبي بكر الأشخر، وغيرها ينظر: «الضوء اللامع»: (١٠: ٢٢٤)، و«البدر الطالع»: (٣٢٧: ٢).

قَلَّ مَنْ يُرَاعِي لَهَا؛ كَمَا هَجَرُوا سَنَةَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَكَمَا هَجَرُوا الْمُعَاوَنَةَ عَلَى الْخَيْرِ هَجَرَهُمُ الْخَيْرُ. وَحَاقُوا بِالْإِثْمِ وَالنَّكَدِ، وَكَمْ مِنْ سُنَنِ هُجِرَتْ، وَكَمْ وَكَمْ.

□ وَالْإِمَامُ يَحْيَى الْعَامِرِيُّ أَدْرَكَهُ سَيِّدُنَا الْعَدَنِيُّ وَقَرَأَ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ مَقْبُورٌ فِي (حَرَضُ) مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ.

وكَانَتْ لَهُ خَاصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ وَهِيَ: إِذَا لَمَسَتْ يَدُهُ شَيْئاً لَمْ تَضُرَّهُ النَّارُ، حَتَّى أَنَّهُ وَقَفَ بِبَابِهِ سَائِلٌ، فَمَا وَجَدَ الشَّيْخُ فِي بَيْتِهِ إِلَّا عَجِيناً، فَأَعْطَى السَّائِلَ مِنْهُ، فَذَهَبَ السَّائِلُ بِهِ لِيُخْبِزَهُ، فَنَاولَهُ أَهْلَ بَيْتٍ آخَرَ فَلَمْ تُنْضِجْهُ النَّارُ، فَقَالُوا لَهُ: لَمَسَهُ الْعَامِرِيُّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: لَا تُدْخِلِ النَّارَ شَيْئاً لَمَسَهُ الْعَامِرِيُّ. نَفَعَ اللَّهُ بِهِ.



وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْنَا هَذِهِ الْعَوَائِدَ بِإِزَاءِ الْمَعَامِلَةِ الْفَاسِدَةِ، «رَزَقَ الْمَاءُ فِي الْمَاءِ».

كَمَا فِي قِصَّةِ رَجُلٍ كَانَ يَغِشُّ اللَّبَنَ بِالْمَاءِ، فَركَبَ الْمَرْكَبَ هُوَ وَابْنُهُ، وَمَعَهُمْ كَيْسٌ فِيهِ دِرَاهِمٌ، فَجَاءَ قَرْدٌ وَحَمَلَهُ وَطَلَعَ بِهِ رَأْسَ الدَّقْلِ^(١)، وَجَعَلَ يرمي بِالْدرَاهِمِ؛ دِرْهَمٌ فِي الْمَاءِ وَدِرْهَمٌ إِلَى السَّاعِيَةِ، حَتَّى فَرَّغَ الْكَيْسُ وَنُصِفَ الدَّرَاهِمُ فِي الْمَاءِ وَنُصِفَ فِي السَّاعِيَةِ؛ فَقَالَ الْوَلَدُ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ، رَزَقَ الْمَاءُ فِي الْمَاءِ.

(١) صَارِي السَّفِينَةِ.

يعني: الماء الذي في اللبن؛ أو كما قال. والسبب كله في عدم القناعة. رُدُّوا لنا مُلْكَ أهلنا: القناعة والاقتصاد، طَرَّبُوا عليها في الأسواق.

مُلْكُ القناعة لا يُخْشَى عليه، ولا يُحْتَاجُ فيه إلى الأنصارِ والخولِ

* * *

وقال رضي الله عنه لي: رأى جدُّك محمد لعجم كأنَّه يقولُ لسيدنا عبدِ الله الحداد: ائذن لي في التدريس بشبام. فقال له: إنَّ فيها مَنْ يكفي في التدريس: السيّدُ محمدُ بنُ سميّط؛ والذين عاشروا السيّدَ محمداً خيراً من الذين قبلهم، وأخوك بكار عوض خيراً منك.

فلَمَّا انتبه جاء إلى الحبيب محمد بن سميّط وقال: رأيت رؤيا بأقْصَها عليك، ولا بغيت أخي بكار يسمع؛ فقَصَّها عليه.

قال سيدي أحمد: انظُرْ شفقته على أخيه في عدم إسماعه الرؤيا؛ فيها مدح له.

* * *

□ ورأى السيّدُ صالح بن عبد الله^(١) صاحبُ وادي عمَد — وذلك

(١) هو السيّد الحبيب الولي صالح بن عبد الله بن عيروس الحامد، المتوفى ببلدة (عمَد) سنة ١٢١٢ هـ تقريباً.

ووقع في بعض النسخ: عبد الله بن صالح، وهو خطأ من النسخ.

لَمَّا بَلَغَتْهُ أَخْبَارُ مِنْ شَبَامَ أَيَّامَ حَضَرِ الشَّوَيْرَعِ^(١) - قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: لَا تَخَفْ عَلَى شَبَامَ وَفِيهَا الْمَشْغَانُ الْأَصْقَعُ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدٌ^(٢).

قَالَ سَيِّدِي: أَدْرَكْتُهُ، صَاحِبُ ذَهُولٍ، وَهُوَ عَبْدٌ صَالِحٌ وَفِيهِ دَعَابَةٌ، تَزَوَّجَ ثُمَّ فَارَقَ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: قَدْ بَنَيْتِي تَحْبِيزًا.

وَذَكَرَ الْفَقْرُ عِنْدَ الْحَبِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ سَمِيطٍ، فَقَالَ: عَوَيْمِرُ!! مَا لَكَ حَاجَةٌ بِي.



وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَى الْحَاجُّ أَحْمَدُ بْنُ عُقْبَةَ بَعْضَ السَّادَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقَالَ لَهُ: بِمَاذَا نَفَعَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: بِهَذَا الْمَجْلَدِ. فَلَمَّا انْتَبَهَ الْحَاجُّ جَاءَ إِلَى أَوْلَادِ السَّيِّدِ الْمَذْكُورِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرُونَا كُتُبَكُمْ الْجَمِيعَ؛ فَأَرَوْهُ إِيَّاهَا، فَنَظَرَ فِي الْمَجْلَدِ الْمَذْكُورِ فَإِذَا هُوَ مَجْمُوعٌ مِنْ كُتُبِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ، وَ«سَبِيلِ الْأَذْكَارِ»^(٣) مِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذَا الَّذِي نَفَعَ اللَّهُ بِهِ وَالِدَكُمْ؛ أَوْ كَمَا قَالَ.

(١) فِي نَسْخَةِ تَرْيَمِ زِيَادَةَ: (أَيَّامَ حَضَرِ بْنِ عَلِيٍّ جَابِرٍ). أَهـ؛ وَقَدْ جَرَتْ مِنْهُمْ مَنَاوِشَاتٌ سَنَةَ ١٢٢٤هـ.

(٢) هُوَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ مُحَمَّدُ مَشْغَانٍ، يَلْقَبُ بِالْأَصْقَعِ، مِنَ الْآخِذِينَ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْنِ بْنِ سَمِيطٍ.

(٣) كِتَابُ «سَبِيلِ الْأَذْكَارِ بِمَا يَنْقُضِي لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْأَعْمَارِ» مَطْبُوعٌ.

قال سيدي: والمذكورون^(١) من تلامذة الحبيب محمد بن سُميط.

* * *

وقال رضي الله عنه: كنت نائماً ضَحوةً، فرأيت سيدنا عمر بن سقافٍ وكأن نحن في منزلٍ غِلسٍ كما في أيام الشتاء، ويقولُ لي الحبيبُ عمر: سَلَوْتُكَ وَالْأَنْسَ، فلما انتبهتُ تعجَّبتُ من ذلك، فجاء مكْتَبٌ من تَريم بوفاة السلطان جعفر بن علي^(٢)، فعرفتُ أن تأويلَ الرؤيا حصولُ اغْتِمَامِ الناسِ بذلك مع شِدَّةِ فَرَحِهِم بالسلطان، وذلك سنة اثنتين وعشرين ومئتين وألف^(٣)، فحضرتُ لي الآياتُ التي أوَّلُها:

يا مريدَ العلمِ والعملِ فُزْتُ بالمطلوبِ والأملِ
سَلَوْتُكَ وَالْأَنْسَ تَلَقَّيْهُمَا فيهما من غيرِ ما جدَلِ^(٤)

(١) وهم: الشيخ محمد مشغان، والشيخ أحمد بن عقبه، والسيد عبد الله بن صالح الحامد.

(٢) هو السلطان جعفر بن علي بن عمر بن جعفر، أول سلاطين دُويلة آل عمر بن جعفر الأخيرة بحضرموت.

كان أول قدوم له إلى حضرموت من جهة الهند وجاوة سنة ١٢١٨هـ، وأقام أولاً بهينن. وفي أيامه قدم آل بن قملا من نجد في أول مرة وردَّهم هذا السلطان عن شبام فرجعوا، وله حوادث وأخبار. وكانت وفاته بتريم في المحيضة سنة ١٢٢٣هـ، كما في «تاريخ الدولة الكثيرة» (١٢٠-١٢١).

(٣) في نسخة شبام ١٢١٦هـ.

(٤) وهي في «الديوان» (١١٠-١١٤).

وقال رضي الله عنه: طريقة سيدنا عليّ الخوَّاص^(١) السَّيَّاحَة. قال رضي الله عنه: سلكتُ إلى مكة تسعةَ عشرَ طريقاً، من جُمَلَتِها: طريقان من ذهبٍ وفضة.

□ وحصلتُ له فترةٌ في بعض الأيام، فخرجَ إلى شاطئِ البحر، فجعلَ يعمَلُ قفافاً من خوصٍ ويرمي بها إلى البحر، ثم أفاق فتفكَّر: لماذا سخرني الله تعالى؟ فسارَ على ساحلِ البحر، فلقي امرأةً جالسةً، فسألها عن جلوسِها؟ فقالت: لي زوجٌ مات وخلفَ خمسةَ أيتامٍ أعولُهم، وكنتُ أخرجُ إلى الساحلِ ألتقطُ قفافاً يقدِّفُها البحرُ أتقوَّتُ بثمرِها. فتعجَّبَ الشيخُ عليّ من ذلك؛ وقال: يا ربِّ، لو علمتُ أنك سخرتني لخمسَةِ أيتامٍ لَبقيتُ في عمَلِ القفاف. ثم كفلَ المرأةَ وأولادها يُعولُهم، رضي الله عنه.

قال سيدي رضي الله عنه: انظرُ كيف فترةٌ أولياءِ الله!

* * *

وقال رضي الله عنه: العلمُ فنونٌ؛ وكلُّه شريفٌ، وبعضُه أشرفُ من بعضٍ، ولَبعضِه ثوابُ العمَلِ بالعلم، ولَبعضِه ثوابُ العِلْمِ.

وهو العلمُ الذي فَقَدَ بموتِ سيدنا عمرَ بن الخطابٍ رضي الله عنه، وبه تُطفأُ نيرانُ الجهلِ، ولكن كلُّ شيءٍ يُطفئُ شيئاً، فنارُ الحرِّصِ لا يُطفئُها العلمُ بأبوابِ السَّلمِ، وإنما تُطفأُ بالعلمِ بنحوِ قولِه عليه السَّلامُ:

(١) هو الشيخ العارف بالله، علي الخوَّاص، من أهل القرن العاشر الهجري، عاش بمصر، وهو شيخ العلامة عبد الوهاب الشعراني.

«ما أخطأك لم يكن ليُصيبك»^(١)، هذا الذي فُقِدَ بموت سيدنا عمر .
أو كما قال .

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا قلتَ دعاءَ الخروج من البيت: «اللهم إني أعوذُ بك أن أضِلَّ أو أُضِلَّ، أو أزلَّ أو أُزَلَّ، أو أظلمَ أو أُظلمَ»^(٢)؛ توسَّعَ في المعنى، لا تقتصر على معنى الظلم الذي سَبَقَ إلى الفهم .

لأن أصلَ الظلم: وضعُ الشيء في غير محله؛ ومنه: أن تضعَ صدقتك في مفضولٍ وعادَ أفضل منه، فإنك ظَلَمْتَ . مثلاً: التصدَّقَ بخُمُسَيْتَيْنِ^(٣) في مفضول وعادَ أفضل منه، بتركك عدمَ التخيير، من باب قوله عليه السلام: «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ»^(٤)، بل تَخَيَّرَ لها، وضعها في طالبٍ علمٍ تقيٍّ حتى يزيدَ ربحُ الصَّدقة، أو كما قال .

* * *

وقال رضي الله عنه: كانت الملوكُ السابقونَ مستجابي الدعوة .

□ يقال: إن امرأةً وقفتُ تبكي بدارِ مَلِكٍ، فسألها الملكُ عما يُبكيها،

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٠) .

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٤) .

(٣) الخُمُسِيَّة: فئة من العملات التي كانت متداولة في عصر المؤلف، ولعلها من مسكوكات السيد حسين بن سهل التي ضربها في الشحر في القرن الثالث عشر .

(٤) رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، والدارقطني (٢٩٨:٣)، والحاكم: (١٧٦:٢) .

فقلت: من القَحْط. فقال: وهل سوى ذلك؟ فطَلَعَ بيته، وأمرَ خادِمَه أن يُكَورم^(١)، فطلعت سحابةٌ مثلُ الترس، ففَشَعَ فيها البرق، وأغاثَ اللهُ الأرضَ في تلك الليلةِ بركةٍ دعائه. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: سأل سيدنا عبدُ الله الحدادُ سيدنا الحبيبَ محمَّدَ ابنَ سُمَيْط: ماذا تطالعُ فيه من الكتب؟ فقال له: في «سبيل الرشاد» لبازرعة^(٢). فقال له: طالعُ في «فتح الجواد»^(٣)، واقصِدِ اللهَ بالعلم، واحذِرْ أن تكونَ مِن حطبِ النار. أو كما قال.

قال سيدي: لأن لسانَ سيدي عبدِ الله الحدادِ ناطقةٌ بالخوف.

كما قال^(٤) رضي الله عنه: حالي الرجاء، وإنما أنطقني الله بالخوف رحمةً لأهل الزمان؛ لأنهم كثيروا الاغترارَ برَبِّهم.

* * *

وقال رضي الله عنه: سببُ القبائلِ وضياعِهم: عدمُ القِصاص. ماذا

(١) أي: ينادي: يا كريم، يا كريم. تبشيراً بطلوع السحاب الممطر.

(٢) هو كتاب «سبيل الرشاد شرح الإرشاد» في الفقه، للعلامة الفقيه الإمام عبد الله بن أحمد بازرعة الدوعني الحضرمي. (مخطوط) منه نسخة بمكتبة الأحقاف بتريم برقم (٧٥٠) الجزء الأول فقط.

(٣) وهو أيضاً شرحٌ على كتاب «الإرشاد»، تأليف العلامة الإمام أحمد بن حجر الهيتمي المكي.

(٤) أي: الإمام الحداد.

بايقولون لهذه الآية يوم القيامة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾^(١)
[البقرة: ١٧٨]؟

وسبب ما نحن فيه: ضياع الاقتصاد في المعيشة، راحت الأموال في الكُعدة^(٢)، وما ضاهاها من زوائد العوائد.

يستغرق آل حضر موت كم في القهوة؟ قيل له: نحو ستين ألف قرش في السنة جفل وسكر ونحوهما؛ باتقيم لنا والياً يسوق نحن إلى الجنة، ويرد نحن من طريق النار، ماذا نقول حين نسأل عن المال فيما أنفقناه؟ فاستحيوا من الله، شفوا الحجة قائمة علينا.

والذين يتظاهرون: رجال ونساء، ماذا بايقولون لآية النور: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] وآية الأحزاب: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]؟ نقرأ القرآن حجة علينا، هل أذن واعية؟ قال تعالى: ﴿وَقَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]، وإلا ترجع عقوبات علينا. قد مبال حضر موت إلا مخالفة القرآن، يتنكسون في المحن بسبب مخالفتهم؛ وأهل الزمان ما لهم همّة في معالي الأمور، همّتهم خسيّة، وفي طلب المَحَال، مفجوعون من المَعاش، ضدّ السلف رضي الله عنهم.

قال سيدي عبد الله الحداد فيهم:

وهمّتهم نيل المكارم والفضل^(٢)

(١) آنية من الخزف تطبخ فيها القهوة.

(٢) تمام البيت:

وفيها:

..... هُمُومُهُمْ فِي لَذَّةِ الْفَرْجِ وَالْأَكْلِ^(١)

أو كما قال.

والهَمَّةُ قَالَبُ التَّوْفِيقِ، كما أن السَّخْوَةَ^(٢) تَقْنَصُ الطَّيْرَ وهو في الهواء، فكذلك الهمةُ تقنص طيرَ التوفيق.

* * *

وقال رضي الله عنه: لا ينفعُ ذكْرُ الموتِ باللسان، بل تذكُرُ أقرانَكَ وَمَنْ عاشَرْتَهُمْ من آبَاءٍ وإخوانٍ وجيران، لهذا قال عليه السلام: «كنتُ نهيتُكم عن زيارةِ القبور، فزُوروها تُذكِّرُكم الآخرة»^(٣) أو كما قال.

معناه: تُذكِّرُكم آخرَ أمرِكم، كانَ أهلُ القبورِ مثلكَ وتصيرُ مثلهم. هذا ذكْرُ الموتِ الذي يُجدي. قال عليه الصلاة والسلام: «أَكْثَرُوا مِن ذَكْرِ هَازِمِ اللذاتِ، فإنه ما كان في كثيرٍ مِنَ العملِ إِلَّا قَلَّله، ولا في قليلٍ مِنَ العيشِ إِلَّا كَثُرَ»^(٤).

= وقد درَجَ الأسلافُ من قَبْلِ هؤلاءِ وهمتُهُم نيلُ المكارمِ والفضلِ
«الديوان: ٣٩٩».

(١) تمام البيت:

أما إنَّ هذا الدهرَ قد ضلَّ أهلُه هُمُومُهُمْ فِي لَذَّةِ الْفَرْجِ وَالْأَكْلِ

(٢) آلة من العود لقنص الطيور.

(٣) رواه مسلم (١٩٧٧).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (٤: ٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨).

كما قال بعضهم: أما ترى، عندي أربعة دراهم، متى تراني أُنفيها؟
ولا عادٌ تُخاصم ولا تُتَنازع على أمور الدنيا؛ لأنها: (ما تسوى العداوة
للحشيم)، كما قال سيدنا عليُّ بن حَسَن^(١).

وقال بعضهم: مَنْ نازَعَكَ في دنيَاكَ فأَلْقِهَا في نَحْرِهِ، وَمَنْ نازَعَكَ
في دينِكَ فلا تُطْعمه.

وخيرٌ للإنسان أن يتسلَّطَ على ماله ظالمٌ ولا يصرفه في شهوات
نفسه؛ لأنه إذا ظلمَ وصبرَ أُثيبَ على ذلك، فإن عفا عنه وكظمَ غيظه أُثيبَ
غير الثواب الأول، وهكذا يُثابُّ ويصبر! (كم نِعَمَ طيِّ المصائب).

□ كان سيدنا أبو الدُّغَيْر من قدماءِ أئمةِ تَريم، جعلَ عليه بعضُ
الولاءِ كلَّ يومٍ حَسوكِ فرس^(٢)، فإذا جاء له السائِسُ دفعَ له ذلك بعدما
ينحزه ويطيِّبه، فقليلٌ: لِمَ ذلك؟ قال: حتَّى يَأْتِيَ الثوابُ مَنْقَى. فجاء له
السائِسُ يومَ الجمعة، مع انصرافِهِ إلى المسجد، وطلبُهُ الطعامَ، فقال له:
بعدَ الصلاة، فأبى إلَّا في هذه الساعة. فقال له الشيخ: أنت تبقَى قائماً
حتَّى أصليَ وأعطيك الطعامَ؛ فمضى الشيخُ إلى المسجدِ والرجلُ قائمٌ في
الشمس لا يقدِرُ أن يميلَ كذا ولا كذا، حتَّى صلَّى وجاءَ الشيخُ والسائِسُ
قائمٌ في محلِّه. فقال الرجلُ: فُكَّ عليّ، وطعامُك لك.

وقال سيدي: هذا حالهم يصبرون على الأذى مع أنَّهم أهلُّ

(١) هو العطاس: صاحب المشهد.

(٢) لعله: طعامٌ للفرس.

تصريف^(١). فمثل هؤلاء أهل القلوب، تصلح لهم الدنية، وأما نحن أهل النفوس، إذا حصل على أحدنا أذى يؤدي أن يهلك الظالم وتُدمر ذريته.



ودخل سيدنا الحبيب عمر بن زين الحبشي حال وصوله من مكانه على سيدي رضي الله عنه، مع قراءتي هذا البيت له:

رَبَّنَا انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا رَبِّ عَلَّمْنَا الَّذِي يَنْفَعُنَا
رَبِّ فَقِّهْنَا وَفَقِّهْ أَهْلَنَا وَقَرَابَاتٍ لَنَا فِي دِينِنَا
مَعَ أَهْلِ الْقُطْرُ، أَنْثَى وَذَكَرُ^(٢)

فقال سيدي رضي الله عنه: أعيذوا الدعاء لوصول الحبيب عمر. هذا شاهد القبول إن شاء الله؛ ولكن في الوقت الذي يريد لا الوقت الذي تريد، وربما تختار الفاني، وربك بغا لك الباقي.

ثم قال: كيف طلبتم الفقه في الدين لجميع الخلق؛ لأنهم إذا تفقهوا في الدين زهدوا في الدنيا، والله سبحانه وتعالى أراد عمارتها ولا تُعمَّر إلا بأهل الغفلة، أما أهل الله فهم في ذكر وفكر، بترجع تخرب الدنيا أم كيف؟

ثم قال: حتى تشهد حكمة الله سبحانه وتعالى؛ لأنه الحكيم؛ انظر

(١) لأنهم أربلاء الله؛ وأولياء الله لهم كرامة كما في الحديث: «ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

(٢) وهي الأبيات التي يؤتى بها في ختام المجالس والدروس العلمية.

تَجِدُ أَخَوَيْنِ، أَحَدُهُم زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخَرُ حَرِيصٌ، اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ ذَلِكَ. لَا تَعْتَرِضُ الْحَكِيمُ فِي حُكْمِهِ.

مَا تَقُولُ لَوْ بَنَى أَحَدٌ دَارًا وَلَمْ يَفْعَلْ فِيهِ بَيْتَ مَاءٍ^(١)، بَلْ فَعَلَهُ كُلَّهُ مَحَاضِرٌ؟ فَإِنَّهُ يُنْقَمُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ لِعَدَمِ حُكْمَتِهِ؛ لِأَنَّ الْحِكْمَةَ تَقْتَضِي بَيْتَ الْمَاءِ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْكَبِيرُ يَنْوُبُ عَنْ أَهْلِ وَقْتِهِ. يَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ، وَقِيلَ عَنْهُمْ: «اشْتَدَّى أَرْزَمُهُ تَنْفَرَجِي»، الْبَيْتُ^(٢).

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا الْحَبِيبِ حَامِدِ بْنِ عَمْرِ: حَوَادِثُ الزَّمَانِ تُنَكِّرُ وَلَا تُسْتَنَكِرُ، أَيُّ: تُنَكِّرُ مِنْ حَيْثُ الشَّرِيعَةُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ لِأَنَّ مَا شِئَ يَعْذَرُكَ، وَلَا عَذْرُكَ اللَّهُ بِذَلِكَ، بَلْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ تَعْطُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وَلَا تُسْتَنَكِرُ؛ لِأَنَّهَا مَوْعُودٌ بِهَا. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَتَسْبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذَوَ الْقَدَمِ بِالْقَدَمِ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ لَكَانَ فِيكُمْ مَنْ يَأْتِي أُمَّهُ»^(٣)، «بَدَأَ الدِّينُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»^(٤)

(١) أَيُّ: بَيْتٌ خَلَاءَ.

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَلَعَلَّ فِي الْكَلَامِ سَقَطًا.

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، الْبُخَارِيُّ (٧٣١٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٦٩).

(٤) مُسْلِمٌ (٢٣٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦٢٩)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٩٨٨)، وَالدَّارِمِيُّ (٢٧٥٨)، =

الحديث . ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [الأحزاب : ٢٢] ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس : ٥٢] .

بل ما تراه من الحوادث معجزة للنبي عليه السلام ؛ لأن ما أخبر به واقع لا محالة ، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا رخصة فيه .

* * *

وقال : المدارُّ كله على التربية ؛ شكاً بعضهم من ولده أنه ضربه ، فقال له : ماذا علّمته ؟ قال : يقر على ثورين . قال : حسبك ثوراً من ثيرانه . ومن هذا القبيل ما تراه من القبائل ، والسبب : تضييعهم في الصغر ، ما حدّ ذكّهم وعادهم صغار قابلين ، حتى أنهم نشؤوا على ما ترى ، واليوم إن عاد شيء مُلافاً^(١) باتقع لصغارهم ، فالرجاء في الله ، ما أحد بايأس من كرمه .

* * *

وقال رضي الله عنه : كان سيدنا الحبيب محمد بن سميطة رضي الله عنه يبكي في مرض موته ، ويقول : بدّلنا ضرّس حمار بضرّس غزال ، يعني : على محلّتهم في شبام على تريم^(٢) .

= وأحمد (١ : ٣٩٨) و(٤ : ٧٣) ، وغيرهم .

(١) مُلافاة : ندارك .

(٢) لأن تريم هي مسقط رأسه رضي الله عنه ، بها ولد ونشأ . وأيضاً ، لأن أهل تريم كانوا يعظّمون آل بيت رسول الله ﷺ وهم كثرة بها ، أما شبام فالبيت فيها قلة ، =

وقال رضي الله عنه: رأى بعضهم كائنه في مسجد الجامع بالجانب البحري ورجلٌ مُعَظَّمٌ بالجانبِ النَجْدِيِّ وهو يقول: اللهَ اللهَ في عِيَالِي!
ثم قصَّ الرؤيا على الوالد عمر رحمه الله فقال له: الرجلُ المعظَّمُ هو النبي ﷺ، وهو الجامعُ لصفات الكمال، وعياله هم أهل البيت. أو كما قال رضي الله عنه.

* * *

وقال رضي الله عنه: خلُّوا فلان - وكان به جرح في رجله - يقرأ على الجرح ما ذكر سيدنا عبدُ الله الحدَّاد: (يا ذا النِّبْتِ المنبوت، مُتٌ في جسدٍ مَنْ يَمُوت، بقَدْرَةِ الحيِّ الذي لا يموت)، وأظنُّه على الرِّيق.

* * *

وقال رضي الله عنه: تبصَّروا في عيالِ القبائل، البناتِ والأولاد، خلُّوهم يتفقَّهون وهم أبناءُ سبعِ سنين أو ثمان، ما عاذَ يبلغُ خمسَ عشرة سنةً إلَّا وقد أحرَزَ أمرَ دينه. ولو عرَفُوا مِنَ الْقُرْآنِ «الفاتحة» تكفي، أمُّ الكتاب؛ لكنك لو صليتَ خلفه استأمنت، ونرجو من الله أن يكون ذلك بَذَرَ السُّلْطَانِ العادل، يُكْرِمُ اللهُ به، إذا تَمَّتِ المعاونةُ على ذلك. وما ذلك على اللهِ بعزیز. ما حَالٌ يَعْسُرُك يا حَتَّان يا مَتَّان، ما عَسِرَ إلَّا الذي في قُدْرَتِكَ يا مخلوق. أو كما قال.

= ولكنهم صبروا على ذلك لتسيير الدعوة ونشرها، فنفخ الله بهم ونالوا بذلك درجاتٍ رفيعة.

وقال رضي الله عنه: أهلُ شبامَ لهم حصّةٌ كبيرةٌ في شهوة القيل والقال^(١).

□ حضروا ناس عند رجلٍ ومعه بضاعة، فرجّفوا عليه بأنها باترخص وساقطة، فلمّا خرجوا من عنده أرسلَ لبعض الدّالّين وأخبره بذلك. فقال له الدّالّ: هذا كلام ماله راس؛ فقال له: بعها. فباعها بسبب إرجافهم، فبعد ذلك ندِمَ على البيع.

والآن العجلة على قطع الخريف — وعاده بُسر ما بعد نجح — من المُنكر، أعطاهم الله رزق استعجلوا عليه من غير حادث، لا قوم ولا خوف. ولكن ما لهم أبو يقهرهم، كلٌّ يَفْقَعُ على رأسه^(٢).

والمجالس معاذ لها ذوق ولا رُحلة ولا فرح، قدّها إلّا عادّة، معاد شي انتفاع، ولا تصلح هذه الأشياء ما يقع شور، وهذا إصلاح في أحوال الدنيا، فكيف أحوال الدّين؟ ولا هناك مانع من المعاونة حتى نعذرهم بذلك، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: قد ظهرت المخالفات والأموُر البشعة أيام الحبيب حامد بن عمر، والحبيب أحمد بن حسن، ولا وقعت مُلافة وانتقادٌ وزَعْلٌ منها. ومن ذلك الوقت إلى اليوم والأموُر إلى هابط، إلى هابط، حتى صار الحال إلى الذي نقاسيه.

(١) إلّا من رحم الله.

(٢) لعلها: على مرواسه؛ والمرواس: طبل صغير، معروف.

أُظهِرُوا الْحَقَّ وَبَالِغُوا فِي إِظْهَارِهِ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ تَبَالَغَتْ، وَلَا عَلَيْكُمْ إِيجَادُ الْوَالِي، عَلَيْكُمْ إِلَّا بَذْلُ الْمَجْهُودِ فِي طَلْبِهِ وَإِظْهَارُ التَّعْوِيلِ عَلَيْهِ، فِي الْجُمُوعِ أَوَّلُ مَا يُبْدَأُ بِذِكْرِ طَلْبِهِ، إِذَا مَا تَكَلَّمْتُمْ يَا الْأَعْيَانُ بَغَيْتُمْ مَنْ يَتَكَلَّمُ؟ هَيَّا، أَمَّا هَذَا الْيَوْمَ كُلُّ يَذْكُرُ مَا مَعَهُ، لَا تَكْتُمُوا الْحَقَّ، وَلَوْ كَانَ الْحَبِيبُ طَاهِرُ بْنُ حُسَيْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَوْجُوداً مَا أَعْذَرْنَاهُ مَنْ الْقِيَامِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، مَا يُعْذَرُ، وَأُظِّنُّهُ مَاتَ كَنِينَةً مِمَّا شَاهَدَهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى زَوَالِهِ.

وَانظُرُوا كَلَامَ الْحَبِيبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَلْفَقِيهِ آخِرَ وَقْتِهِ، فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَوَّلُهَا: (لَكَ الْحَمْدُ يَا مُحَمَّدٌ) إِلَى آخِرِهَا، فَإِنَّهَا خِلَافُ كَلَامِهِ الْأَوَّلِ الَّذِي فِي سَوَالِ الصَّنْعَانِي؛ لِأَنَّ الْوَقْتَ إِلَى هَابِطٍ، عَسَى نَفَحَهُ.

وَلَا نَغِيْطُ الْيَوْمَ إِلَّا مَنْ لَا تَزَوَّجَ مِثْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، إِذَا مَا عَجَبَهُ شَيْءٌ شَلَّ نَفْسَهُ، أَمَّا مَنْ مَعَهُ عِيَالٌ مَا يَسَعُهُ السَّكُوتُ، وَالْوَقْتُ كَمَا يَشَاهِدُ. أَوْ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ بَايَجُلِسُ فِي حَضْرَمَاتِ بَيْنِي أَمْرَهُ عَلَى قَوْلِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ:

وَالْفَقْرُ وَالْإِقْلَالُ وَالْمَجَاعَةُ	يَصْبِرُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْقَنَاعَةِ
وَالْفَوْزُ فِي الْعُقْبَى لِكُلِّ صَبَّارٍ ^(١)	فَمَا الشَّجَاعَةُ غَيْرُ صَبْرٍ سَاعَةٍ

(١) «الديوان» (٢١٢).

ولا يتجشَّم الغُربُ من عَقْبِهِ إلى غُبَّهِ . وإذا شَقَّ عليه ذلك من ضيقِ المعيشَةِ يذكُرُ القبرَ . كما قال سيدنا عبدُ الله الحدادُ بعدَ ذلك :

والقبرُ إمَّا رَوْضَةٌ نَعِيمَةٌ نَعَمْ ، وإلاَّ حُفْرَةٌ جَحِيمَةٌ^(١)

ويذكرُ أحوالَ أهلِ النارِ وقُوتَهُمُ الزُّقُومَ ، حتَّى يشكُرَ اللهَ على حالَتِهِ التي هو فيها ، ويقعَ له العيشُ الرغيدُ في الجنة ، ولكنَّ ما يقعُ العيشُ الرغيدُ إلَّا لمن صبرَ على العيشِ الشديدِ ، كما سلفنا رضيَ الله عنهم ، كان غالبُهُم أهلَ تجلُّدٍ في المعيشَةِ ، ويستَقُونُ^(٢) لأنفُسِهِم ، عادُ باقيهِم الشيخُ معروفٌ باجمال^(٣) .

□ ويُحكى أن الشيخَ الكبيرَ معروفَ باجمال^(٤) كان يَسْرَحُ إلى عندِ شيخِهِ باهرمز^(٥) ويضوي في نهارِهِ ، كان صاحبَ مُجاهداتٍ كثيرة ، حتَّى أن كَشَفَهُ كثيرٌ جَمِّ .



(١) ديوان الحداد (٢١٢) .

(٢) أي : يجلبون الماء من الآبار بأنفسهم .

(٣) يعني به : الشيخ الصالح معروف بن محمد باجمال ، المتوفى بشبام سنة ١٢٦٤هـ ، الذي صنف ، مناقب الحبيب محمد بن زين المسماة : «مجمع البحرين» .

(٤) هو الكبير المتوفى سنة ٨٦٩ هـ .

(٥) هو الشيخ عبد الرحمن الأخضر ، المتوفى بهين سنة ٩١٤ هـ .

وقال رضي الله عنه: مَثَلُ الكُتُبِ الكبار - مِثْلُ «الإحياء» - كَمَثَلِ الشُّوقِ، يَبْعُدُ عَلَى الطَّالِبِ أَخْذُ الْمَطْلُوبِ فِي سَاعَةٍ، وَمِثْلُ الْمُخْتَصَرَةِ كَخُطْبَةِ سَيِّدِنَا طَاهِرِ بْنِ حُسَيْنٍ كَمَثَلِ الْمَخْزَنِ فِي السُّوقِ، فِيهِ جَمِيعُ الْمَطْلُوبِ، يَحْصُلُ لَكَ فِي سَاعَةٍ.

حَصَّلُوا مِنْهَا نَسْخًا كَثِيرَةً، وَتَشَبَّهُوا بِكَلَامِ سَيِّدِنَا الْعِيدَرُوسِ فِي «الإحياء»: مَنْ حَصَلَ أَرْبَعِينَ نَسْخَةً مِنْ «الإحياء»، إِلَى آخِرِ مَا قَالَ؛ وَحَصَّلُوا أَرْبَعِينَ نَسْخَةً مِنْ «الخطبة»؛ وَفَضَّلَ اللَّهُ وَاسِعًا، إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ فَتَشَبَّهُوا، وَمِثْلُ «الإحياء» بَغَا أَلَّا فُحُولَ، مَا هُوَ لِكُلِّ النَّاسِ؛ وَ«الخطبة» لِكُلِّ النَّاسِ.



وقال رضي الله عنه: الشَّرُّيُّ^(١) مِنَ النَّاسِ - بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكَ - مَنْ يَظْهَرُ شَرُّكَ بِسَبَبِهِ، فَاْبْعُدْ عَنْهُ وَاحْذَرْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ خَيْرًا فِي نَفْسِهِ، مَا لَكَ حَاجَةٌ بِمَجَالَسَتِهِ؛ كصَاحِبِ جُرْحٍ يَتَضَرَّرُ بِمَجَالَسَةِ مَنْ فِيهِ مِسْكٌ؛ لِأَنَّ جُرْحَهُ بَايِتَضَرَّرَ بِذَلِكَ؛ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُ الْمِسْكِ مَحْمُودًا فِي نَفْسِهِ، لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكَ مَا لَكَ فِيهِ صَالِحٌ؛ أَوْ كَمَا قَالَ.

مَاذَا يَضُرُّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَبَسَ مِثْلَ هَذَا الْقَمِيصِ وَجَلَسَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الشُّطْفَةِ؟ إِنْ أَرَادَ الْجُلُوسَ فِي حَضْرَمُوتَ، حَتَّى يَتَأَتَّى لَهُ الْحَلَالُ؛ لِأَنَّهُ عَزِيزٌ فِي زَمَانِنَا، كَمَا قَالَ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمِنْ أَيْنَ لَنَا، فِي زَمَانٍ عَزَّ فِيهِ مَا

(١) الشري: المنسوب إلى الشر.

يُسَدُّ الْجُوعَ وَيُوَارِي الْعُورَةَ مِنَ الْحَلَالِ؟ قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ الْحَدَّادُ فِي «النِّصَائِحِ»: (قُلْتُ: وَمَنْ أَرَادَ التَّوَرَّعَ مِنَ الشُّبُهَاتِ)... إلخ.

□ اتَّفَقَ وَالِدِي عُمَرُ بِيَعُضِ أَهْلِ الْفَضْلِ بِنْدَرِ الْمَخَا، فَذَكَرُوا حَضْرَمُوتَ وَحَقَارَتَهَا فِي الْمَعَاشِ، فَقَالَ: مَا تَصْلُحُ حَضْرَمُوتَ إِلَّا لَكَ يَا عَمْرُ؛ يَعْنِي: الْوَالِدَ. وَأَمَّا فَلَانٌ وَفَلَانٌ مِنْ آلِ حَضْرَمُوتِ الْمَخْرُوبِينَ^(١)، مَا تَصْلُحُ لَهُمْ. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَسَعُوا الْمَشْهَدَ فِي مَوْلَاكُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَالْعَطَاءُ يَأْتِي مِنْهُ عَلَى كُبَرِ الْهَمَةِ وَصُغَرِهَا، وَجُودُهُ فَائِضٌ، وَلَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِأَحَدٍ، وَاطْلُبُوا مِنْهُ مَطْلَبَ الْأَكَابِرِ، وَاشْهَدْ نَفْسَكَ أَحْسَنَ الْخَسِّ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى مَا يَنْظُرُ إِلَّا هَمَّ الْعَبْدِ، بِأَيِّ شَيْءٍ هُوَ^(٢)؟

وَاطْلُبُوا مِنَ اللَّهِ وَالْيَا عَلَى مَا فِيهِ، كَمَا قَالَ سَيِّدِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَالْيَ غَشُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تَدُومُ؛ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ مَا تَحْتَهَا خَيْرٌ، اطْلُبُوا ذَلِكَ وَيفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ. مَا أَحَدٌ يَحْكُمُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِذْنِهِ فِي الدَّعَاءِ لَنَا: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، هَذَا تَرْغِيبٌ فِي الدَّعَاءِ. وَعَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(٣)، هَذَا تَرْهيبٌ.

(١) أي: المذللين المترفين.

(٢) أي: إلى هَمَّ العبد، أي توجهه، أو همته، بأي شيء يتعلق ذلك بهم.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧٣).

ولكن يَجْمَعُ الإنسانُ بينَ الدعاءِ والدعوة؛ لأن شرطَ قبولِ الدعاءِ الدعوةُ إلى الله، كما قال عليه السَّلام: «لَتَأْمُرَنَّ بالمعروف».. إلى أن قال: «ثم تدْعُوْنَهُ فلا يستجيبُ لكم».

* * *

وقال رضي الله عنه: ارفعُوا هِمَمَ أولادكم إلى الله تعالى.

□ مرَّ بعضُ المشايخِ على صبيّين مع أحدهما قرصٌ وكامخ^(١)، ومع الآخر قرصٌ فقط، فقال الذي معه الكامخُ للذي ما معه شيء: أعطيك من كامخي وأنت «كلبي»؟ قال: نعم. فأعطاه، وربطَ حبلاً في رقبته وجعلَ يسوقُه وهو ينبُحُ ويقول: هُوَ هُوَ. فقال الشيخُ لمن معه: انظروا إلى هذا الصبي؛ لو قنعَ بقرصه لما صار كلباً بسببِ الكامخ.

قال سيدي: ونحن كذلك، الحذرُ نفع كلاباً لبعضنا البعض، ارفعوا الهمة.

* * *

وقال رضي الله عنه: عولوا على دعوةِ السَّؤالِ وخلُّوهم يصلُّون صلاةَ ظاهرة. ومن لم يصلَّ يخرجُ من البلاد. طرَّبُوا بهذا في السوق؛ لأن شرَّهم علينا، وإذا صلَّوا نلنا الخير.

كما روي عن سيدنا موسى عليه السَّلامُ حينَ استسقى بقومه، فمُنِعوا

(١) شيء كالإدام.

بسبب الرجل الذي لم يَتُبْ، وهو في القوم، فتَابَ في تلك الساعة فَسُقُوا، فقال موسى: يا رب، بَمَنْ سَقَيْتَنَا؟ قال: بالذي منعْتُكُمْ به. أو كما وَرَدَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: تغافلوا في هذا الزمان وعَلِّمُوا أولادَكُمْ التغافل. وَمَنْ لَا تَغَافَلَ وادَّعَى المَحَذَّةَ^(١) وقع في الشُّبْك.

□ وَمِنَ التغافل: ما فعله بعضهم في زمن سيدنا أبي حنيفة، وذلك حينَ طَلَبَ الوالي أربعة نفرٍ للقضاء، منهم: سيدنا سفيان الثوري، فحينَ سمعَ بذلك ركبَ السفينةَ وسارَ مِنَ البلد؛ ومنهم: سيدنا أبو حنيفة، وقد قال لهم حينَ سمعَ بذلك: أمّا أنا بأُخرجُ بَعْدُ، وفلان كذلك، وأخى على فلان.

فحينَ حضروا عندَ الوالي أجابهم سيدنا أبو حنيفة وقال: إني لا أَصْلِحُ للقضاء، فقالوا له: لِمَ؟ فقال: إني إن كنتُ صادقاً في قولي: أنا لا أَصْلِحُ للقضاء فأنا لا أَصْلِحُ، وإن كنتُ كاذباً في قولي ذلك، فالكاذبُ فاسق، والفاسق لا يَصْلِحُ للقضاء.

والثاني منهم: لَمَّا حضرَ ادَّعَى أَنه مجنون. فقال: كيفَ حالُك يا والي؟ وكيفَ حالُ عيالِكَ وخيلِكَ وغَنَمِكَ؟ فقال الوالي: مَن هذا؟ أخرجوه من المجلس. فخرجَ سالماً.

(١) أي: المعرفة بكل الأمور = الفهولة.

قال سيدنا: والثالث وقع في الشبك، ادّعى وجع عينيه، فقال
الوالي: أعطوه الهريسة تنفعه. والذي ادّعى أنه مجنون هو المتغافل.



وقال رضي الله عنه: كانت شبام بلاد المنقود، أخبرني الحبيب عليُّ
ابن سالم الحبشي، قال: أخذ بعض أهل البلاد دراهم من جُنديّ يافعي،
هو ابنُ أحمدَ ناصر، فلما علم بذلك أصحابه، قالوا: معاذَ يجلس مجلسنا،
فإذا جلس قوموا واخلّوا المجلسَ له. ففعلوا ذلك، فأنكرَ منهم ذلك،
وعرفَ أنه بسببِ الدراهم، فردَّ الدراهم في الحالِ إلى صاحبها.

وكذلك دخلَ السوقَ ثمانونَ حِملاً حوير^(١)، فيها حِمْلٌ حق كثير
ابن سلامة، فأخذوا جميعَ الحَوِيرِ إلّا الحِمْلَ المذكور، فخرجَ به من
البلاد، فهذه أفعالهم. كما قال سيدنا عبد الله الحداد:
(مقالُهُم صِدْقٌ وأفعالُهُم هُدًى)^(٢).

... إلخ ما قال.

وهذا الرِّفْقُ في النصيحةِ والسياسةِ بالفعل؛ لأنه أبلغ من القول. والأمرُ
يسهُل، لو عاملوهُم بذلك لما رأيتَ منكراً، ورجعَ الجميعُ زيانَ بسهولة.

(١) الحَوِيرُ:

(٢) تمام البيت:

(وأَسْرارُهُم متزوعةُ الغشِّ والغِلِّ). «الديوان»: (٣٩٩).

لو عاملَ الناسُ قُطَّاعَ الصَّلَاةِ بما في «بهجة العامري» لم يخلُّوها. إلخ، فالصلاةُ مثالٌ، وباقي الأشياءِ كالصلاة.

□ لهذا، امتنع سيدنا أحمد باجحدب نقيب آل أبي علوي بتريم، حينَ طلبتهُ في وليمةٍ من يعاملُ بالكيل، وكان من أعيانِ البلد، وهو أولُ من بدَّعه، وقال: إني لم آخذ منهم ما فعلتهُ إلا لأجلِ يُسرِّعونَ بالذي عندهم. أو كما قال.

قال سيدي: وهكذا كل بدعةٍ تُنكر مع حدوثها، ثم تصيرُ عادةً يفعلها حتى من أنكرها. ثم قال:

فقدنا جميعَ الخيرِ لما ترحَّلوا ومنهم خلاَ وغرُّ البسيطةِ والسهلِ
... إلخ. وأولُ الخيرِ ورأسُه: العلمُ، شرد من حضر موت، ورجعوا في ظلمة، أعورٌ يقودُ أعور إلى النار. وكثيراً ما يرددُ هذه الكلمة رضي الله عنه.

* * *

وقال رضي الله عنه: المؤمنُ إذا كملَ إيمانه زاد امتحانه، وليس بكمالٍ تأتي أسبابُ الدنيا للإنسان، بل الكمالُ كما في قوله عليه السلام عن الله تعالى: «يا دُنيا، تكدري وتمرري على أوليائي، لا تخلي لهم فتفتنيهم»^(١).

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٥٣) بلفظ: «يا دُنيا مُرِّي على أوليائي، لا تحلولي لوم فتفتنيهم».

□ كان سيدنا علي رضي الله عنه - في أول الإسلام - يَسْتَقِي الماءَ للناسِ بالأجرة، ويَطْلُعُ كُلَّ دَلْوٍ بتمرة.

□ وكانت سيدتنا فاطمة رضي الله عنها تطحنُ للناسِ بالأجرة؛ فدخل عليها عليه السلام وهي لابسة جلدًا؛ أو كما قال. ومع ذلك مُسْتَغْبِطُونَ بذلك ومُتَلَذِّذُونَ به؛ أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: إِذَا بَصَّرْتَ غَيْرَكَ بعيوبه بَصَّرَكَ اللهُ بعيوبِ نفسك، الجزاءُ من جنسِ العمل، عسى الله يُبَصِّرُنَا بعيوبنا؛ لأن ابن آدم محلُّ الخطأ والنقص.

* * *

وقال رضي الله عنه: الْعَمَلُ بِغَيْرِ نِيَةٍ لَا يَقْرُبُكَ إِلَى اللهِ، وَالنِّيَةُ بِغَيْرِ عَمَلٍ تَقْرُبُكَ عِنْدَ اللهِ، انظرُ سَحَرَةَ فرعونَ حين قالوا: آمنا برب العالمين، ثم قَتَلَهُمْ فرعونُ قَبْلَ عَمَلِهِمْ شَيْئاً صاروا مَقْرَبِينَ بِنِيَّتِهِمْ.

* * *

وقال رضي الله عنه: التَّأْوِيلُ أَوْلَى وَأَسْلَمُ مِنَ التَّتَوِيلِ^(١)، وظاهرُ الشريعة لا يُتْرَكُ، وَخَلَّ قَلْبُكَ مَحْفُوظاً، واعتقد في الذي تأمره أنه مُكَاشِفٌ.

(١) التتويل: التنقيص.

□ كما حُكي في «روض الرياحين»^(١): أن بعضهم صلّى خلف رجل، فلقن في قراءته، فخطر له أن يُنبّهه بعد الصلاة أو يروح لحاجته ويفوّت التنبيه. فلما سلّم الرجل كاشفه وقال: قم يا عبد العزيز (وكان اسمه ذلك) إلى حاجتك؛ واللحن الذي سمعته لا يُكره^(٢). أو كما قال.

□ وكذلك جاء بعضهم ليزور بعض الصالحين، فلما حضر سَمِعَهُ يُشدُّ هذا البيت:

يظنُّ الناسُ بي خيراً وإني لَشَرُّ الناسِ إن لم تَعْفُ عني

بضم (الناس) الثانية^(٣)، فخطر للزائر: خابَت السفرة؛ حين سمعَ الشيخ يلحن. فسار من عنده، ثم أتاه بعد مدة، فلما دخل عليه أنشد البيت المذكور، بكسر لفظ (الناس)، ففرح الزائر بذلك، فقال له الشيخ: يا هذا، ذهبت بك ضمة وجاءت بك كسرة! أو كما قال.

فهذا غاية التأويل، ومن حيث الظاهر أعطيه حكمه:

وسلّم لأهل الله في كلِّ مُشكلٍ لَدَيْكَ لديهم واضحٌ بالأدلة

* * *

(١) هو كتاب «روض الرياحين في حكايات الصالحين» للإمام عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٧٦٨ هـ.

(٢) «روض الرياحين» (٢٩٩)، الحكاية رقم (٢٤٣)، وعبد العزيز: هو الديريني، العارف المشهور.

(٣) لأن حقّها أن تُخفّض؛ لأنها مضافٌ إليه.

وقال رضي الله عنه: «خُطْبَةُ الحبيبِ طاهر بنِ حسينٍ» رَمَتِ الغَرَضُ .
مَوْهِبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَخُصُوصِيَّةٌ لِأَهْلِ الزَّمَانِ، شَيَعُوهَا وَاعْقَدُوا لَهَا مَجْلِسًا
فِي الشَّهْرِ يَحْضُرُونَهُ كُلُّ النَّاسِ خَلَاءَ وَبِلَادَ . وَطَرَّبُوا فِي الْأَسْوَاقِ، وَأَعْلَمُوا
أَهْلَ الْخَلَوَاتِ بِذَلِكَ، وَتَحَبَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِهَذَا الْمَجْلِسِ حَتَّى يَرَسَخَ .

كما حضره الحبيب أحمد بن زين، يأتون إليها من كل مكان ببركته
نفع الله به؛ أو يومها فيها طار! كما قال القائل:

إذا أتوك لهم في القصد أوطارُ فلا تُبالِ بمن جا منهم أو طاروا
ونرجو أن رُوحَهُ حاضرةٌ عندَ قراءَتِها، واحمدوا الله على ذلك،
يخاطبُكم بالنصيحة من ضريحه! أو كما قال .



وقال رضي الله عنه عند قوله:

فَكَمْ تَوَدَّدْتَ بِالْإِحْسَانِ مُبْتَدِئًا وَكَمْ تَبَغَّضْتُ بِالْعِصْيَانِ وَالْحَرْجِ^(١)
كَرَّرَ هَذَا حَتَّى تَعْلَمَ بِقِلَّةِ حَيَاكَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُمَدِّكَ بِالنَّعَمِ
وَتَجَاهُرُهُ بِالْمَعَاصِي، وَأَكْبَرُ النِّعَمِ: نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ، جَعَلَكَ اللَّهُ مُسْلِمًا، وَأَبُوكَ
مُسْلِمِينَ ابْتِدَاءً مِنْهُ مِنْ غَيْرِ سَبْقٍ سَوَّالٍ مِنْكَ، وَأَحْرَمَهَا آزَرَ أَبَا نَبِيِّ اللَّهِ
إِبْرَاهِيمَ، وَوَلَدَ نُوحَ، وَأَبَا طَالِبٍ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

ولهذا جعل قوله: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا

(١) أي: قوله هو، كما في «ديوانه» (٢٠).

عبدك». إلخ، سيّد الاستغفار؛ لأنك إذا أقررت له بنعمته عليك واعترفت بذنبك، تولدت من هذين المشهدين حالة تسمى الحياء، وهو مقام المراقبة له تعالى.

□ خرج بعض المشايخ هو وتلامذته قاصدين المسجد، فرأوا جماعة من اليهود قاصدين كنيسهم، فحجل الشيخ، فسئل: لماذا؟ قال: ذكرتُ نعمة الإسلام حين رأيت هؤلاء وما هم فيه فحمدتُ الله على ذلك. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه؛ حين صافحه رجلٌ من آلِ باسراحيل: والشيخُ أحمدُ بن جبيرٍ من آلِ باسراحيل، وكان أُمياً تغلبُ عليه الحقيقة، سمع قارئاً يقرأ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِثْلَنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال له: يا هذا؛ لا تَمَحْ^(١) نفسك الثواب؛ قل: حَمَلْنَا؛ حين غلبت عليه الحقيقة.

□ واستشاره الشيخ معروفُ بن عبد الله في سفره الشام، فقال على لسان الحقيقة: عبدي معروفٌ ليس له سفرٌ إلى الشام، أريدُ أن أبقيه لنفع عباد الله. أو كما قال.

هذا مقامُ سلفنا ذهبَت الأرواح وبقِيَتْ أشباح. كما قال سيدنا عبدُ الله الحداد: لا عاذُ آلِ باعلوي آلِ باعلوي، ولا آلِ باعباد آلِ باعباد، ولا آلِ باسراحيل آلِ باسراحيل، قدّها إلّا صور بلا حقيقة.

(١) لعل معناه: لا تحرم.

فأنت يا معلّم محمد عبدون من آل باسّراحيل، لا عاذ تقول: أنا من آل فلان، قل: أنا عبّد من عبيد الله، فكيف عادك إلا باتفتخر بهم وتنسب إليهم. لهذا أهل الزمان أنكروا نحن في الدعوة، ندعوهم إلى شمس مثل هذه ما قبلوا، ولعاذ المُجالسة ترجع حجة علينا، ما نفرح بالجلوس إلا إذا هو بايعاون، بايفرح قلبك، وإلا معاد حاجة للمُجالسة.

* * *

وقال رضي الله عنه: كلُّ إنسانٍ مُودّع في العلم، ولكنه كالأرض: إذا حُرثَ ظهرَ خيرُهُ.

مثاله: كالعلجوم^(١)؛ تأكله ضانة ويفسّد سرّه، أو يُنذر في الأرض ويصير نخلة فتثمر ويبدرون عجمها، وهلمّ جراً. وهو يترقى إلى أن يموت.

والعلم مكنون في الآدمي، كما يروى عن الله: لا تقولوا: ليس العلم فينا! أهو في السماء؟ فمن ينزله؟ أو من وراء هذا البحر! فمن يأتينا به؟ المقالة إلى آخرها في «الإحياء» في كتاب العلم. أو كما قال، وأستغفر الله.

* * *

وقال رضي الله عنه للمعلّم محمّد عبدون: الذين يتعلّمون عندك على ثلاثة أحزاب:

١ - ناس يريدون إلا تعلّم القلم فقط، فهذا دنيائويّ محض، احذر منهم، وخذ عليهم العهد فيه، وإلا أصبحت تُقاسمه في وزره. كما قال

(١) نواة التمر.

الإمام الغزالي: «ومعلّمك شريكك»، وعلمهم آفات القلم قبل أن تعلمهم إياه؛ لأنه خطرٌ في آخر الزمان، بغا الا تقوى وورع وخوف من الله. ولو هو كمالٌ على الإطلاق لما كان سيدُ الأولين والآخرين ﷺ أُمياً لا يكتب.

٢- وناسٌ يريدون تعلّم القرآن فقط، قراءة فقط، ولا لهم همّة على تعويل فهم معانيه ومقصوده، وهم أهل الزمان، غالبهم هكذا.

٣- وناسٌ يريدون تعلّم مقاصد القرآن ومعانيه، فهؤلاء عوّل عليهم وتخبّر منهم إذا ما جاءوا، واحرص واجتهد معهم. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: كلُّ إنسانٍ مَذْرِيٌّ^(١) بالخير والشر، فإن مَطَرَتْ عليه مطرُ الخير ظهرَ خيرُه، وإن مَطَرَتْ عليه مطرُ الشرِّ ظهرَ شرُّه؛ فأما مطرُ الخيرِ فهي بمجالسةِ الأخيار، وأما مطرُ الشرِّ فهي بمجالسةِ الأشرار، فالمدارُ كنهٌ على الجليس.

* * *

وقال رضي الله عنه - عندَ قراءتي عليه هذين البيتين من قصيدته
«الجميّة»:

فَعَامِلِ الْخَلْقَ لِلْخَلْقِ مُدَكِّراً قُرْبَ الْوَدَاعِ لَذي رِفْقٍ وَذِي هَوَجٍ
يَصِفُ لَكَ الْعَيْشَ وَالطَّاعَاتِ تُتَقْنُهَا بَلْ تَسْتَقِمُ إِنْ تَقَمَّ بِالْشَرِّ وَالْعَوَجِ^(٢)

(١) أي: مبدورٌ فيه.

(٢) «ديوان بن سميطة» (٣٢).

تَدَبَّرُوا هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، وَتَعَلَّقُوا بِهِمَا، وَابْنُوا أَمْرَكُمْ عَلَيْهِمَا إِنْ بَغَيْتُوا صِفَاءَ الْعَيْشِ وَإِحْسَانَ الطَّاعَةِ، وَإِلَّا صَارَ الْإِنْسَانُ مَمْحُونًا إِذَا عَامَلَ الْخَلْقَ لِأَجْلِ مَكَافَأَتِهِمْ لَهُ، بَلْ يَطْلُبُ الْجَزَاءَ مِنَ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩].

وهذا مَعْنَى حُسْنِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ احْتِمَالُ الْأَذَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، هَذَا حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخَلْقِ. وَأَمَّا مَجَرَّدُ الْبِشَاشَةِ وَبَسْطُ الْوَجْهِ فَلَا يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّ الْحَكَّ أَلَا عِنْدَ الْإِخْتِبَارِ.



لَيْسَتْ الْأَحْلَامُ فِي حَالِ الرِّضَا إِنَّمَا الْأَحْلَامُ فِي حَالِ الْغَضَبِ
بَلْ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الْبَسْطُ وَالْبِشَاشَةُ فِي حَالِ الرِّضَا (أَدَبُ الْهَرِّ).

□ يَرَوِي أَنَّ بَعْضَهُمْ أَدَبَ هَرًّا، حَتَّى صَارَ يَطْرَحُ السَّرَاجَ وَقْتَ الْمِطَالَعَةِ عَلَى رَأْسِهِ، فَوُصِفَ ذَلِكَ لِبَعْضِهِمْ، فَقَالَ لَهُ: فَلَان؛ لَكِنَّهُ (أَدَبُ هَرِّ)! فَمَا طَاعَهُ فِي ذَلِكَ. فَحَضَرَ مِطَالَعَتَهُ وَتَوَسَّلَ مَعَهُ جُرْذٌ، فَحِينَ رَأَى الْهَرَّ الْجُرْذَ طَمَرَ، وَطَيَّرَ السَّرَاجَ فِي الْكُتُبِ. فَقَالَ لَهُ: قَدْ قَلْتُ لَكَ: إِنَّهُ (أَدَبُ هَرِّ).

وكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ إِذَا اخْتَبَرَ، رَبَّمَا مَعَاذَ شَيْءٍ يَصْبَحُ مِنْ حُسْنِ خَلْقِهِ، وَالْحَوَاصِلُ ضَاقَتْ عَنِ الصَّبْرِ وَاحْتِمَالِ الْأَذَى، وَالسَّبَبُ: الطُّعْمَةُ؛ كُلُّ مَا شَتَّ، فَمِثْلُهُ تَعَمَّلَ؛ وَحُسْنُ الْخَلْقِ مَا يَتَأَتَّى مَعَ أَكْلِ الشُّبَّةِ.

وَالشَّرْطُ فِي قَوْلِهِ: (إِنْ تَقُمْ بِالشَّرْطِ) هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]، حَتَّى كَانَ سَيِّدُنَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ

رضي الله عنه إذا بعث الحكَّمين للإصلاح فلم يَقَعْ، يعلوهُما بالذِّرَّةِ ويقول: إِنَّ نَيْتَكُمَا لَمْ تَصْلُحْ. أو كما قال.

وانْضُرْ نبيَّ الله يوسفَ عليه السَّلام.. لَمَّا صَبَرَ وَاتَّقَى مَلَكَ أَهْلَ مِصْرَ بصبره واحتماله، حتَّى قال الوالدُ عمرُ رضي الله عنه: حَاصِلُ قِصَّةِ يوسُفَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وكذلك نبيُّنا عليه السَّلامُ حين أتاه عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يريدُ قَتْلَهُ، وعمرُ ابن الخطَّاب يريدُ قَتْلَهُ، بِحُسْنِ خُلُقِهِ عليه السَّلامُ جَذَبَهُمْ وصاروا أئمة. أو كما قال.

* * *

وقال أيضاً رضي الله عنه عند قوله:

فَعِشْرَةُ الضَّدِّ لَا تَأْمَنُ غَوَائِلَهَا^(١)

كَرَّرُوا هَذَا الْبَيْتَ وَاحْفَظُوهُ؛ لِأَنَّ الْمَدَارَ كُلَّهُ عَلَى الْجَلِيسِ.

* * *

وعند قوله: «شَرُّ الْأَخِلَاءِ»^(٢)... إلخ: هَذَا الْمَثَلُ كَانَ يُعْجَبُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ ويقول: مَثَلٌ عَجِيبٌ! وهما هذين البيتين:

(١) «الديوان» (٣٧).

(٢) «الديوان» (٣٨).

يُزَانُ نَادِيكُمْ يَوْمَ الْخِصَامِ بِكُمْ كَمَا تُزَانُ بِيُوتُ الشَّعْرِ بِالْمَثَلِ
شَرُّ الْأَخِلَاءِ مَنْ تَسْرِي عِقَابُهُ لَا خَيْرَ فِي آدَمٍ يُطَوِّى عَلَى نَغْلٍ^(١)

وشرُّ الأخلاء: نفسك؛ لأنها تفسد عليك قلبك؛ ثم زوجتك، كما قال عليه السلام: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(٢)، و «أعدى عدوك زوجتك التي تضاجعها وتضاجعك»^(٣).

انظر إلى أُمنا حواء؛ كانت السبب في إخراج آدم من الجنة، مع أنها أكمل وأفضل من بناتها، احذروهن، واسألوا من الله الحفظ.

اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة.. إلخ، اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي.

* * *

وقال عند قوله:

خَلَّ مُخَالَلَةً الْمُشْفِينِ غِيْظُهُمْ^(٤)

... إلخ.

(١) ومعنى المثل: شرُّ الأصدقاء هو من تكون أذيته غير ظاهرة، كمن يرسل عقابه ليلاً لأذية الناس!

(٢) رواه البيهقي في «الزهد» (٣٤٣).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس». «كشف الخفا» (١: ١٦٠).

(٤) تمام البيت: (خوفاً على الدين والدنيا مع المهج).

المؤمن لا يشفي غيظه، بل يعفو ويصفح، والأحمق إذا أذنى شيء
كذّر عليه قلب الدنيا أسفلها أعلاها. لهذا حذّروا من صحبة الأحمق.

* * *

وقال عند قوله: «ما ضاق حالٌ بعبدٍ»^(١) إلخ، هذا لسيدنا أحمد بن
عُجيل. وأصلهن:

ما ضاق حالٌ بعبدٍ فاستعدَّ له عبادة الله إلا جاءه الفرَجُ
ولا أناخَ ببابِ الله ذو ألم إلا وأذهب عنه الضيقُ والحرَجُ

* * *

وعند قوله: «لا تُكثِرِ الهمَّ بالآتي»^(٢) إلخ. أصله قوله تعالى: ﴿مَا
أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

وهذا البيت دواءٌ للهمِّ بالآتي؛ لأن الهمَّ فضلةٌ كما قاله بعضهم،
والفضلةٌ تحتاجُ إلى شربة، والشربةُ هي: ذكرُ الموت، والإقبالُ على الدارِ

(١) البيتان مما هكذا كما في «الديوان»: ٣٩ - ٤٠ :

ما ضاق حالٌ بعبدٍ فاستعدَّ له عبادة الله إلا فاز بالفرَجِ
ولا أناخَ ببابِ الله ذو كرم إلا وآب بما يرجوه غير شجي

(٢) تمام البيت:

لا تُكثِرِ الهمَّ بالآتي أُخِيَّ ولا تأسَ لِمَا فاتَ، وارضَ الحُكمَ وانتَهجِ

الآخرة، وإلا تربت الفضلة وأخذت صاحبها. كما أن أهل الطب يعالجون فضلة البلغم وفضلة الصفراء بالشربة، كذلك أطباء القلوب: يأمرُون بها. وفائدة المصائب: أنها تخلّيك ما تفرّح بحصول شيء من الدنيا، ولا تهتمّ عند فقده.

□ وكان سيدنا عبدُ القادر الجيلاني: إذا جاءه مولودٌ كَبَرُ أربع تكبيرات، ويقول: أَحْسِبُهُ مَيِّتًا، حتى إذا مات معاذُ اشتغل عليه، أو ما هذا معناه؛ لأنه ما بغى شيء يدخل قلبه مع ربه، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمَؤُكُمْ وَلَا ءَأْوَالُكُمْ عَنْ ذِكْرِ ءَللّٰهِ﴾ [المنافقون: ٩].

فمن فرّح بالفاني فهو سفيه، ومن حزن عليه فهو سفيه، يحزن على ميّت ميّت ميّت! والمؤمن يرضى بما قدره ربّه؛ كما قال سيدنا عبدُ الله الحداد:

وارض بالحكم من ربك حلاً عندك أو قر^(١)
قال بعضهم: لو أدخلت النارَ والله راضٍ عليّ لم أبال.
وكما قال الشيخ عمر بامخرمة:
رضينا بحكمه رضينا إلى جنة أو نار تلهب
وهذا مقامٌ رفيع.

(١) من القصيدة الحمينية التي مطلعها: (يا أحمد الله يسّر كل ما قد تَعَسَّرَ).
«الديوان» (٢٨٦).

وقال رضي الله عنه: قوله: «فالرزق يسعى كما تسعى إليه»^(١).. الخ. أصله: قوله عليه الصلاة والسلام لعلي: «ما قُدِّرَ يَكُنْ، وما تُرْزَقُ يَأْتِكَ»^(٢)، أو كما قال عليه السلام. فإذا كان الإنسان يمشي في طلب الرزق، فهو يسعى إليه، أي: يَحْبُّ. ولَضِيقِ النَظْمِ عَبَّرَ بِسَعَى ما قال: يمشي، ولأنه من باب المُقَابِلَةِ والمُشَاكَلَةِ، كما في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقول الشاعر:

قالوا: تُرِدْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ؟ قلتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وقَمِيصاً!

أجابهم بما ذَكَرَ مُقَابَلَةً لسؤالهم، وهو من علم البديع.

وفي الحديث، عنه عليه الصلاة والسلام: «ما قُدِّرَ لِمَا ضَعَيْكَ أَنْ يَمْضُغَاهُ فَلَا بَدَّ أَنْ يَمْضُغَاهُ، فَخُذْ رِزْقَكَ بَعِزًّا وَلَا تَأْخُذْهُ بِذُلٍّ»^(٣). وقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه، حين رَمَى له بَتَمْرَةً: «لو لم تأتِها لَأَتَيْتَكَ»^(٤)؛ أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

* * *

(١) هو من قوله رحمه الله في الجيمية الكبرى، وتَمَامُهُ:

فالرزق يسعى كما تسعى إليه وما قُدِّرَ يَكُونُ، وما تُرْزَقُهُ سَوْفَ يَجِي

(٢) رواه أبو نعيم من حديث ابن مسعود، وعنده أيضاً عن أنس «كشف الخفا» (٥٢٣: ٢).

(٣) لم أجده.

(٤) أخرجه ابن حبان (١٠٨٦).

وقال عند قوله رضي الله عنه: (كن مطمئناً بوعده الله...) (١) إلخ. أصله: قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] يعني: البخل. ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]، أي: غنى.

وفي مثل آل حضر موت يقولون: (وعند النور)، والنور من أسماء الله الحسنى، وهو قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً﴾؛ ولكنهم ما يدرون بمعناه، وصدقوا الشيطان في قوله: ﴿يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ﴾ [سبا: ٢٠]، تمضي أعمارهم في الغرب، ويخيّل له الشيطان أنه بايحصّل مالاً وبايأخذ الأموال، وكلها أوهام.

□ قال الوالد: جينا إلى شبام (٢) وأهلها: ثلث منهم يعملون الجوبة (٣) جوبه خفيفة، وثلث يحرقون في الخلا، وثلث يسافرون وقت الموسم شهرين زمان يتعوض ويخرج إلى بلاده.

رجعنا الآن بدّل الشهرين سنين يحذفون بها في الغربة، عسى ماذا شك في الرزق! والشك في الرزق شك في الرازق، ويثمر سوء الخاتمة والعياذ بالله. أو كما قال، وأستغفر الله.

(١) تمامه قوله:

كن مطمئناً بوعده الله مغفرةً منه وفضلاً ووسواس اللعين هجي

(٢) في منتصف القرن الثاني عشر.

(٣) أي: صباغة الثياب.

وقال رضي الله عنه عند قوله: «لا تُهْمَلَنَّ لِمَا اسْتَكْفَيْتَ»^(١) إلى آخره: هذه المقالة لسيدنا إبراهيم الخواصر، وهي: (لا تتكلف ما كُفيت)، يعني: الرزق؛ لأن الله يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، (ولا تضيع ما استكفيت)، يعني: ما أمرك الله به من السعي لأمر الآخرة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]. وأهل الزمان عكسوا الحال، كما قال سيدنا عبد الله الحداد:

وزمان عكست أحواله صار فيه الوجه في حد القفا!^(٢)

فأحسن الظن بربك في أنه لا يفعل بك إلا ما هو خير لك، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، فإن جعلك فقيراً أو غنياً، أو صحيحاً أو مريضاً، فارض به. كما قال سيدنا عبد الله الحداد:

فَوْضَ لَهُ أُمُورَكَ وَاحْسِنَ فِي الظُّنُونِ^(٣)

وفي الحديث القدسي عن الله تعالى: «إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لَكَفَرَ»^(٤) الحديث، والعبد مع ربه كالطفل بين أبويه، لا يكون له اختيار، وإن رأى أن ذلك خلاف ما تريد نفسه. كالطفل إذا

(١) وتمام البيت:

لا تُهْمَلَنَّ لِمَا اسْتَكْفَيْتَ، مشغلاً بما كُفيت، وحسن الظن فانتهج

(٢) «ديوان لحداد» (٣٧٧).

(٣) «ديوان الحداد» (٤٨٩).

(٤) أخرجه أبو يعلى والبزار والطبراني، ينظر «العلل المتناهية» (١: ٤٤).

أَخَذَ سَكِينًا. فَإِنَّ أَبَوَيْهِ يَحْمِيَانِهِ عَنْ ذَلِكَ، لَمَّا فِيهِ مِنَ الضَّرْرِ عَلَيْهِ. وَالْعَبْدُ هَكَذَا يَكُونُ مَعَ رَبِّهِ. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِنْ كَلَامِ الْحَبِيبِ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ:
الْتَمَرُ وَالْكُرَّاثُ خَيْرٌ مِنَ الْهَرِيسَةِ، يَعْنِي: إِمَّا لَخَفَّةِ حِسَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ مَنْ يُحَاسِبُ عَلَى التَّمْرِ وَالْكُرَّاثِ لَيْسَ كَمَنْ يُحَاسِبُ عَلَى الْهَرِيسَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. أَوْ: لَخَفَّةِ الْمَوْثُونَةِ، فَإِنَّ مَنْ يَحْتَاجُ لْخُمْسِيَّةِ قِيَمَةِ الْكُرَّاثِ وَالتَّمْرِ، مَا هُوَ كصَاحِبِ الْهَرِيسَةِ يَحْتَاجُ لِنَحْوِ حَرْفٍ^(١)، لِمَاذَا وَأَنْتَ فِي طَرِيقٍ بَاتِتَانَق؟ أَوْ لَصِحَّةِ الْجِسْمِ؛ فَإِنَّ أَكْلَ الدُّسُومَاتِ مَا هُوَ صَحِيحٌ!

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْكُتُبُ حِيلَةُ الْفَاقِدِ لِلشَّيْخِ، وَأَيُّنَ مَنْ يُلْحَقُ شَيْخًا يَطْرَحُ يَدَهُ فِي يَدِهِ؛ مِمَّنْ شَيْخُهُ كِتَابُهُ؟ لِأَنَّ الشَّيْخَ كَالسَّرَاجِ، وَقَدْ قِيلَ:

يُظَنُّ الْفَدْمُ ^(٢) أَنَّ الْكُتُبَ تُغْنِي	أَخَا ثِقَةٍ لِإِرْشَادِ الْعُلُومِ
وَلَمْ يَدْرِ الْجَهْلُ بِأَنَّ فِيهَا	أُمُورًا حَيْرَتِ عَقْلَ الْفَهِيمِ

(١) الحرف: عملة كانت متداولة، وهي تعادل ثمانين خماسي في ذلك الزمان، مثل الخمسيّة.

(٢) الجاهل المغرور.

وإذا لم يوجد الشيخ فالكُتِبَ — كما قال الغزالي رضي الله عنه — إن لم تكن إبلاً فمِعْزَى، أي: ماعز.

* * *

وقال رضي الله عنه: معرفة العارفِ أشدُّ من معرفة الله تعالى؛ لأن الله سبحانه وتعالى معروفٌ بَعْدَمِ المشابهةِ وبمُباينةِ خَلْقِهِ في أوصافِهِ وأفعاله، والعارفُ بالله يأْكُلُ ويشْرَبُ ويَضْحَكُ وينامُ مثلكَ؛ لأنه بشرٌ، فَمَنْ نَوَّرَهُ اللهُ شَهِدَ السِّرَّ الذي فيه، ولا نَظَرَ إلى البشريَّةِ فانتفعَ به.

ولهذا لم تَنْتَفِعْ قريشٌ بالنبيِّ ﷺ، قالوا: يَتِيْمُ أبي طالب؛ لأنهم شَهِدُوا البشريَّةَ فقط ولم يشَهِدُوا الخصوصيةَ. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: التَّائِي والتَّشَيُّتُ في الأمورِ مطلوب، وهكذا يكونُ المؤمنُ، وعساه يسَلَمُ من العَجَلَةِ.

□ يروى أن رجلاً اسمه (مُعافى) حَضَرَ في الموقف^(١) فسمعَ مُنادياً يقول: يا مُعافى. فقال: ربَّما يكونُ غيري، فلم يُجِبْهُ. فقال المنادي: مُعافى بنَ فلان؛ فلم يُجِبْهُ؛ لأنَّ الموقفَ يَجْمَعُ كثيراً، فقال: ابنَ فلان، فلم يُجِبْهُ، حتَّى قال: النَّهْرَوَانِي. فأجاب: قَدْ وَجَدْتَهُ، فقال المنادي: لعلَّكَ مِنْ نَهْرَوَانِ الْغَرْبِ وأريدُ نَهْرَوَانَ الشَّرْقِ! فانْظُرْ مع راضِيَتِهِ وتَشَبُّهِهِ وموافِقَةِ أبيه وجَدَّهُ وبلادِهِ أخطأ!

(١) أي: في عرفات.

وقال رضي الله عنه: استعينوا بالتذكير في شأن الصلاة؛ لأنها رأس الأعمال وسلطانها، تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما أن السلطان العادل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهي كذلك. قيل لرسول الله ﷺ: إن فلاناً يسرق، فقال ﷺ: «أُيصلِّي؟»، قالوا: نعم. قال: «ستنّها صلاته»^(١). أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: مرَّ سيدنا عبدُ الله باعلوي^(٢) على إنسانٍ وهو يقول:

والله يا متشعبه لتخليّن وذكرش كل أفعال ذي تلقين

فقال له: أعد البيت. فأبى أن يُعيده إلا بشرط أن يضمن له الجنة^(٣).

فقال له: ضمانّة بالجنة. فأعاده، فقال الحبيب عبدُ الله باعلوي: إذا مات أعلموني بموته. فلما مات أعلموه به، فحضر دفنه، فلما دفنوه تغير

(١) حديث «ستمعه صلاته» رواه أحمد، والبخاري، وابن حبان، وغيرهم، وسنده صحيح.

وفي سنن سعيد بن منصور من حديث جابر: قيل: يا رسول الله، إن فلاناً يقرأ بالليل كله، فإذا أصبح سرق، فقال ﷺ: «ستنّها قراءته»، «كنز العمال» (٢٤٤٢).

(٢) الإمام الكبير العارف بالله، عبد الله بن علوي ابن الفقيه المقدم، وفاته بتريم سنة ٧٣١هـ.

(٣) من باب حسن الظن في الله وفي عباد الله، والجنة يدخلها كل موحد بإذن الله.

سيدنا عبد الله باعلوي وتلوّن وجهه، (وبكى) سيدي أحمد عند ذلك واعتبر، ثم قال: ثم أسفر وجهه وقال: الحمد لله الذي نجّاه^(١).
وقد سمعت سيدي يقول: سمع سيدنا عبد الله الحداد سائقاً يقول في شروعه^(٢):

خَابَتْ شُيُوبَةٌ مَا تَصِلُ يَثْرَبَ، وَخَابَتْ حَيَاةُ^(٣)

فحصل لسيدي عبد الله الحداد وجدّ بذلك! ثم قال لهم: إذا مات أعلموني. فلما مات أعلموه به، فأخرج خمسة قروش لمن يحج عنه ويزور، لما حصل له من المدد بسببه. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: من بايطلب العلم يطرح الكلفة في طلب الرزق، ويقنع بما حصل، إن هو حجّف^(٤) أو صيم^(٥) تمر. وأما إن كانه بغا إلا قهوة وتفتاك ما بايحصل له العلم.

(١) في هذا الموضع عبارة حذفت عند الطبع.

(٢) أي: في شروعه في سؤق الدواب.

(٣) هذا معنى جليل ومقصد عظيم أنطق الله به ذلك الراعي الأمي، وفيه من الشوق والحب المكنون للرسول ﷺ ولزيارته الشريفة ما لا تفصح عنه العبارة، ومن تذوقها عرف المعنى، وكم بين أظهرنا اليوم من يزور الرسول عليه الصلاة والسلام أو من يدعي محبته وليس في قلبه شيء من الشوق والتعظيم لجنابه ﷺ.

(٤) الحجف: كسرة الخبز.

(٥) الصيم: قبضة من التمر.

وقال رضي الله عنه: كلُّ إنسانٍ سلطانٌ في أهل بيته وراعٍ فيهم، وأسعدُ الرعاةَ مَنْ سَعِدَتْ به رعيته، وأشقاهم مَنْ شَقِيَتْ به. «وكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته»^(١).

وأنت يا فلانُ سلطانٌ في المُوَزَّعِ وكلمتُك نافذةٌ على أهلِ الخُلواتِ، لو عاونتَ لكانَ تَمَّ بك مقصودٌ كبيرٌ، ولكنْ عسى التوفيقُ وأنت مسؤولٌ عن جاهك وغيرك مثلك من الأعيان، ما بايتم المقصود إلا بالمعاونة. أنا ما يصلح لي داري وأهلي إلا إن عاونتُم وجاءوا الناس من جُبِّ واحد.



وقال رضي الله عنه: اشكروا الله يا أهل الزمان، شفوا الله خصكم بأشياء ما خص بها أهل الزمان الأول. كان ناسٌ من أعيان البلد نساءؤهم ما يصلُّن قط، من يوم وُلِدَتْ إلى أن ماتت ما صلَّت لله ركعة.

وأنا متعجَّبٌ من المَكْرُميِّ يومَ حطَّ على البلادِ في ذلك الوقتِ ولا دَخَلَ^(٢) إليها وقَمَشَها وذَبَحَ نساءها؛ لأنهم يستحقون القتل. ولكن لطفَ الله بهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنَّ تَطْطُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّدُخُلِ اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]، كم من صالح وصالحة بهم دفعَ الله البلاء، وأنتم اشكروا الله... نخاطبُ الآن في سؤال وأهل

(١) متفق عليه، البخاري (٤٨٩٢)، مسلم (١٨٢٩).

(٢) أي: ولم يدخل إليها ولم يقم بذبح نساها... إلخ.

الْخُلُوتِ، وَلَكِنْ مَا مِنْكُمْ مَعَاوَنَةٌ يَا إِخْوَانِي، وَإِلَّا لَكَانَ حَصَلْتُ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ.

اسْمَعُوا كَلَامَ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّادٍ، وَأَضْرَابَهُ مِنَ الْكِبَارِ، شَفَوْهُمْ مَشْغُولِينَ^(١) مِنْ أَهْلِ وَقْتِهِمْ، مَا أَنْصَفُوهُمْ، كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ: وَقَعْتُ فِي زَمَانٍ مَا شَلُّوا بِي رَأْسَ أَهْلِهِ.

هِيَ هُمُّوا بِالْمَعَاوَنَةِ، هَذَا كَلَامٌ مَا يَحْمِلُ: غُدُوَّةٌ بَعْدَهُ. وَكُلُّ يَتَكِي عَلَى أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ وَيَفْقَهُهُمْ، وَافْعَلُوا مَدَارِسَ لِلنِّسَاءِ حَتَّى تَقَعَ نَفْحَةٌ لِلْكَلِّ، وَيَزْهَلُوا سَمَحَ، وَيُكْرِمَكُمُ اللَّهُ بِوَالٍ عَدْلٍ إِذَا صَلَحَتْ نِيَّتُكُمْ فِيهِ. تَرَاهُ مَا حَصَلَ يَوْمَ نِيَّتِكُمْ بِهِ إِلَّا صَلَاحُ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ «اللَّهِ يُعْطِي الدُّنْيَا عَلَى نِيَّةِ الْآخِرَةِ، وَلَا يُعْطِي الْآخِرَةَ عَلَى نِيَّةِ الدُّنْيَا». كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).



وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَبَصَّرُوا فِي دَعْوَةِ قَاطِعِ الصَّلَاةِ؛ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيََ الْحَسَنَةَ قُلْ: هَذِهِ الْحَسَنَةُ لَكَ إِنْ بَاتَصَلِي، وَعَلَّمَهُ الْفَاتِحَةَ وَشُرُوطَ الصَّلَاةِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ عُذْرِهِ، وَإِلَّا عَاوَنْتَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ إِذَا سَكَتَ لَهُ، وَلَا تَدْعُهُ: يَا مُسْكِينُ، تَغْرُهُ، قُلْ: هَاكَ يَا شَرِّئِي.

□ كَمَا يُرَوَّى عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَتَتْهُ الْمَرْأَةُ التَّائِبَةُ وَقَدْ زَنَتْ وَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ وَقَتَلَتْ الْوَلَدَ، قَالَ لَهَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى: اخْرُجِي،

(١) أَي: مُتَأَلِّمِينَ.

(٢) رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ»، وَهُوَ فِي «كَنْزِ الْعَمَالِ» بِرَقْم (٦٠٥٦).

لا ينزل علينا عذاب. فعاتبه الحقُّ جلَّ وعلا لِمَ رددتِ النّائبة؟ ألم ترَ شرّاً منها؟ فقال موسى: مَنْ هو شرٌّ منها؟ قال: من ترك الصلاة عمداً. أو كما ورد.

وأعطِ الحسنةَ كلباً أو هِراً ولا تعطِها قاطعَ الصلاة؛ لأن في البهائم صدقة، كما قال عليه الصّلاة والسلام: «في كلِّ كبدٍ حرّى أجر»^(١).

□ وكانت امرأةٌ من قدماءِ تريم من الصالحات تُخرج كلَّ يوم لقمةً تتصدّقُ بها، فاتفقَ - في بعض الأيام - أنها لم تجد مسكيناً، فوجدت عُفوة^(٢) فأعطتها اللقمة. قال سيدي: لأنها تحفظ الحديث المذكور.

فلما تُوفيت وقُذها تغسلها الغاسلة، تبسمتِ المُتوفاة، فقالت الغاسلة - وكانت من الصالحات -: بالله عليك إلّا ما أعلمتني الليلة في المنام ممّ تبسمين؟ فلما نامت رأتها تقولُ لها: تبسمي من العُفوة التي أعطيتها الحسنة، كان ثوابُ الحسنةِ إليها أوّل من يشفع لي عند الله. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: الداعي إلى الله يُصلح بين الخلق وبين ربّهم، ويتشفعُ لهم عند ربّه.

* * *

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (٣٦٨٦)، وورد بلفظ «كبد رطبة»: عند البخاري (٢٢٣٤)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٢) الأتان الصغيرة.

وقال رضي الله عنه: اليأس مذهب إبليس، ما حد يئأس من كرم الله وفضله، وإن كان الزمان عيِّف وآخر زمان، ففضله سبحانه وتعالى لا يختص بزمنٍ دون زمن، ولا تُحصى مواهبه، ولا تنفد عجائبه.

□ سمع سيدنا أحمد بن زين الحبشي كلامَ الشعراني رضي الله عنه معناه: أنهم نفَضُوا مَحْمَلَةَ الأولياء في القرنِ العاشر؛ لأنهم كَثُرُوا جَمًّا.

فقال الحبيب أحمد بن زين: ما يُعجبنا كلامُ الشيخ هذا. تُعجبنا خُطْبَةُ «الإرشاد»: «الحمدُ لله الذي لا تُحصى مواهبه، ولا تنفد عجائبه» إلخ. ومَن قال: إن آخرَ الزمان ما عاد يَقَع فيه زين؛ نقول له: ألا ترى أن سيدنا محمدَ بنَ عبدِ الله ﷺ خيرَ خلقٍ لله، وقَعَ خاتمُ الأنبياء؟ وما في القدرة ما هو بعيد؛ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤]، و﴿يَكُلُّ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قالوا: ما عامٌّ إلَّا وخُصَّص، إلَّا هذين: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و﴿يَكُلُّ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾ ما خُصَّص ولا حُصِر، فقدرته تسع كل شيء، وعلمه كذلك.

ومن يئأس ويقنط من فضلِ الله وكرمه فهو عاذل؛ ورأسُ العُدالِ إبليس. ولنا يسر من رحمة الله بأيُّوَس الناس وبايقنطهم؛ وكلُّ من يُقنط ويؤيس فهو إبليس. ما معك غيرُ ربك، ولو أنت عيِّف إن أطعته فقل: ربِّ تقبَّل مني، لأنه هو أهلُ القبول، وإذا لم يقبَل ما ينفع شيء من طاعتك، وإن عصيته فقل: ربِّ اغفر لي، ما معك إلَّا ربك. أو كما قال رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه: رأيت الحبيب محمد بن عيْدروس الحبشي^(١) كأنني أذكره في شأن الدعوة إلى الله، وهو يُرادُّنا، وأحسب أنه في الحياة، حتى أقول له في الرؤيا: تشوّفوا كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من «الإحياء» وهو يقول: هذا شيء ما يعنّانا نحن. فلما انتبهت عرفت أنه قد مات، والميت ليس بمخاطب بهذا الشأن.

ونقول: كل من هو حيّ يعاون في الدعوة إلى الله، وإلا يقولون: نحن أموات! وأعذرناهم. علّقوا هممكم بالدعوة إلى الله؛ وقدّموها على كل شيء؛ وفيما يروى عن الله تعالى: «لو عبدتني عبادة أهل السموات والأرض، وحُب فيّ ليس، وبُغض فيّ ليس، لم ينفك ذلك عندي»، أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: قال الوالد عمر لبعض السادة، وقد أتاه يحكي له بمشاجرة حصلت بينه وبين بعض أقاربه، حين ابتدأ يحكي له: يا فلان، فتّح لي في قضيتك في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى. أولهن: ﴿خُذِ الْقَوَاعِدَ بِالْعَرَفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ثم بعدها ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] والثانية: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦] ثم بعدها: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]، والثالثة: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، وبعدها: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ [فصلت: ٣٦].

(١) المتوفى ببلد (الغرفة) سنة ١٢٤٧ هـ. وهو عم الإمام عيْدروس بن عمر الحبشي.

لماذا بعد هذه الآيات ذكر الاستعاذة من الشيطان؟ لأنه مقام عظيم، وهو أعلى مراتب حُسن الخلق؛ فتفكروا في ذلك وتدبروا كتاب الله.

* * *

وقال رضي الله عنه: المداهنة صلاح الدنيا بذهاب الدين، كما قيل شعراً:

نُرْقِعُ دُنْيَانَا بتمزيقِ دِينِنَا فلا دِينُنَا يَبْقَى، ولا ما نُرْقِعُ

وضدّها: المُدَاراة، وهي: صلاح الدين بالدنيا، أو صلاح الدنيا بالدنيا.

* * *

وقال رضي الله عنه: صَنَّفَ سيدنا عبد الله الحدّادُ «رسالة المعاونة» سنة ١٠٦٩، في سنة وَلَدَ سيّدنا أحمدُ بنُ زين الحبشي، يصحُّ لها في سنة ١٢٥١ (هذه السنة): مئتين، بعجز ثمانين عشرة سنة^(١)، وقد الحبيب من ذلك الوقتِ يصيح، علّموه البكاء، وعاده صغير يدعو إلى الله. وصنّف «الرسالة» للحبيب أحمد بن هاشم — الحبيب أحمد الحبشي جدّه (صاحب الشعب)^(٢) — تصنيف إمام لإمام.

(١) أي: يكون لها في ذلك التاريخ (سنة ١٢٥١هـ): مئة واثنان وثمانون سنة، تساوي مئتين إلا ثمانين عشرة سنة.

(٢) أي: إن الإمام الحداد صنّف «رسالة المعاونة» للسيد أحمد بن هاشم الحبشي المتوفى سنة ١١١٥هـ، وهو من أصحابه، والسيد أحمد بن هاشم هذا هو حفيد الحبيب أحمد الحبشي صاحب الشعب المتوفى سنة ١٠٣٨هـ.

وَإِذَا سَمِعْتَ كَلَامَ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ مَا كَأَنَّكَ سَمِعْتَهُ سَابِقًا، يَتَجَدَّدُ وَيَجُوهَرُ، وَلَكِنَّهُ مَظْلُومٌ وَكُتِبَ مَظْلُومَةٌ، وَحَقِيقٌ أَنْ يُسَمَّى بِالْمَظْلُومِ.

عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْبُكَاءَ عَلَى الدِّينِ وَالِدَعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَعَاذِهِمْ صَغَارًا، يَطْلَعُونَ دُعَاةَ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَّا رَجَعُوا يَدْعُونَ إِلَى الدُّنْيَا، مَا بَايَعُونَ وَسَطًا؛ إِمَّا دُعَاةَ إِلَى اللَّهِ، وَإِمَّا إِلَى الدُّنْيَا. خُصُوصًا أَهْلُ الْبَيْتِ هُمُ الْمَعْنِيُّونَ؛ لِأَنَّهَا طَرِيقَةُ جَدِّهِمْ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أَوْ كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ:

مَنْ الْفَاطِمِيِّينَ الدُّعَاةَ إِلَى الْهُدَى قَدْ انْتَهَجُوا فِي نَهْجِ خَيْرِ إِمَامٍ^(١)
يعني النَّبِيَّ ﷺ كَمَا فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

مَعَاذَ لَنَا حَاجَةً بِأَسْفَارِهِمْ، مَا جَاءُوا لَنَا بِشَيْءٍ؛ كَيْفَ، يَجْلِسُونَ فِي حَضْرَمُوتٍ وَيَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ؛ شَفِ يَوْمَ تَجِيهِمْ أَرْزَاقَهُمْ إِلَى عِنْدِهِمْ^(٢).
اخْدُمُوا عَبْدَ اللَّهِ الْحَدَّادَ فِي نَشْرِ كُتُبِهِ؛ لَوْ قَالَ لَكَ عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ:
اخْدُمْنَا. بَاتَطِيعٌ أَمْ لَا؟

وَنَشْرُ كُتُبَهُ خِدْمَةٌ لَهُ، بَلْ خِدْمَةٌ لِسَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَلَكِنْ

= كَمَا أَنَّ هُنَاكَ نَسَبًا يَجْمَعُ بَيْنَ الْإِمَامِ الْحَدَّادِ وَالْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ هَاشِمٍ؛ إِذْ هُوَ ابْنُ عَمِّ وَالِدَةِ الْإِمَامِ الْحَدَّادِ، وَهِيَ الشَّرِيفَةُ سَلْمَى بِنْتُ عِيدَرُوسَ بْنِ أَحْمَدَ صَاحِبِ الشَّعْبِ الْحَبَشِيِّ.

(١) «الديوان» (٤٦١).

(٢) أي: لَوْ جَلَسُوا لَرَأَيْتَ كَيْفَ تَجِيءُ أَرْزَاقُهُمْ إِلَى عِنْدِهِمْ.

عسى نعرف قدر النعمة؛ لأن سيدنا عبد الله نعمة. كما قال في «كلامه»: أنا النعمة المكفورة. وكما قال سيدنا الحبيب محمد بن زين بن سميطة نفع الله بهم:

قد قال: إني نعمة مكفورة لم يعرفوها غالب الأحياء^(١)

وأهل حضر موت ما عرفوا إلا الدنيا وأمر المعاش، وكل رجل شغلته معاشه عن معاده. ما عرفوا قدر عبد الله الحداد. كما جوهرة سرت بها إلى (الريدة) أعطوك فيها مضراً دوماً^(٢)، ما عرفوا قدرها. أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: مسجد بأمكا^(٣) مأثور، عليه نظر من ثلاثة، من الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس^(٤) يسميه «مسجده»؛ لأن تلميذه

(١) من قصيدته التي امتدح بها شيخه الحداد، ومطلعها:

أبدور ليلاً أسفرت بدجاء أم هل شمس أشرق بضياء

إلى آخرها، وهي في «مجمع البحرين» (مخطوط).

(٢) ضرب الحبيب أحمد مثلاً هنا لحال سيدنا الحداد وقدره بجوهرة ثمينة نفيسة خرج بها صاحبها إلى (الريدة)، وهي موضع معروف بحضر موت يسكنه البادية، فأعطى فيها ثمناً لها: مضراً (أي: صاعاً) من تمر الدوم، وهو ثمر السدر (النبق)!. .

(٣) مسجد معروف بسحيل شبام، بناه أحد الصالحين، من أصحاب الحبيب عمر العطاس.

(٤) المتوفى سنة ١٠٧٢ هـ.

بناه، ومن الحبيب حسين بن طه^(١)، ومن الوالد عمر^(٢)، كان يخرج إلى
بئر الحصة. كان فيها بأسود^(٣) يقول له الوالد: اعتنوا بعمارة بامكا، ولا
يصلح أن الأذان يتعطل في السحيل، خلّوا حد يؤذن؛ لأن بالأذان يدفع الله
البلاء، أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: جاء بعض السادة إلى عند سيدنا عبد الله الحداد
وقد ضرب رجلاً فقتله بما لا يقتل، فحكى لسيدنا عبد الله الحداد. فقال
له: جئت إلى عندي؛ بغيتنا ضمك حتى أقيدك^(٤)؟ أما علمت أن شرّ
البقاع المجاورة؟ يعني: من فعل شيئاً أتى إلى أماكن من يحصنه حتى ما
أحد يقدر عليه.

ومعنى كلام الحبيب عبد الله: أنه ما بغاه يجي إليه، ما هو إذا واحد
فعل شيئاً جاء إلى عند الكبار بأيأذيهم، أما أهل الطلب، إذا احترّموا الولي
فهو زين منهم، ولكن الولي ما يرضى بذلك. أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: احذروا من الوسوسة في النية، وحذروا منها

(١) هو السيد حسين بن طه باعقيل كان يسكن شام، وبها توفي.

(٢) هو الحبيب عمر بن زين بن سميط.

(٣) رجل من العامة يعمل في تلك البئر.

(٤) من القود، أي: القصاص.

الصغارَ قبل لا يُبتَلون بها، يحسبون أنَّ الموسوسَ على حِكْمَةٍ وهو مخالفٌ للنبيِّ ﷺ، مُحَكِّمٌ عَقْلَه، وهي أَلَّا بلوى قد ابْتُلِيَ بها الشيخُ عبد الرحمن بنُ محمد باكثير^(١)، وهو من أهل الفضل، له منظومةٌ رَجَزَ سَمَاهَا «وسيلة البنين إلى مهمَّات الدين» بإشارة الحبيب علوي باحسن جمل الليل^(٢).

كان السيدُ المذكورُ من أقران سيدنا الحبيب عبد الله الحداد، ترجمَ له سيدنا أحمدُ بن زين الحبشيُّ في «شرح العينية»^(٣) عند قوله: (وبقيةٌ في العصرِ منهم عُمرُوا).

كان باكثير المذكورُ يكرِّرُ لفظ (أَصْلِي) حتى يخرجَ الوقت، حتى أنه رَجَعَ يَكْتُبُ الفروضَ التي تفوتُه.

وعن سيدنا الحبيب أحمدَ بن زين الحبشيِّ قال: ابْتُلِيتُ بالوسواسِ أَوَّلَ الأمرِ بتكرارِ الفاتحة، حتى أني قَلَدْتُ القائل^(٤) بأنَّ فاتحةَ الإمام تكفي.

(١) كذا في الأصول: (عبد الرحمن) والصواب: عبد الرحيم، وهو: العلامة القاضي الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله المعلم باكثير، قاضي تريم وشبام، صاحب قضية الهلال الشهيرة سنة ١٠٩٦هـ، وله عدة رسائل فقهية، تنظر ترجمته في «البنان المشير» (٧٦-٨٠).

(٢) وقع في بعض الأصول أو معظمها: حسن بن علوي جمل الليل؛ وهو خطأ والصواب أنه السيد. العلامة علوي بن عبد الله باحسن جمل الليل، وهو الذي له ترجمة في «شرح العينية» كان علامةً فقيهاً نبيهاً.

(٣) «شرح العينية» (٢٧٧).

(٤) وهم: المالكية والحنفية.

وقد صَنَّفَ الإمامُ ابنُ خليل^(١) «نبذة في ذمِّ الوسواس». نقلَ عنه صاحبُ «بهجة المحافل» يحيى العامري^(٢).

انقلُّوا النبذة، وتحذِّروا منَ الوسواسِ في النية، كما قال صاحبُ «الزُّبْد»:

يَكْفِي بَأْنَ يَكُونُ قَلْبُ الْفَاعِلِ مُسْتَحْضِرَ النِّيَّةِ غَيْرَ غَافِلٍ^(٣)
وهي^(٤) تحصيلُ حاصل، لماذا استَقْبَلَتِ الْقِبْلَةُ؟ لماذا قمت؟ لأنه
فرض. أو كما قال.

* * *

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) «بهجة المحافل» (٢: ٣١١)، ونقل فيها عن ابن قدامة في «نبذته في ذم الوسواس» التي ذكرناها آنفاً. ونقل في (٢: ٣٠٨). عن الشيخ الصالح عبد الله بن خليل المقدسي قولاً له، ولم يذكر له «نبذة».

(٣) وتمام كلامه فيها في (باب الصلاة):

وقارن النِّيَّةَ بالتكبيرِ
والنَّوَوِي وَحِجَّةَ الْإِسْلَامِ	في كُلِّهِ حَتْمًا وَمَخْتَارًا
	يَكْفِي بَأْنَ يَكُونُ . . . إلخ.

وحاصل شرحها: أنَّ معتمد المذهب هو: مقارنة النية للتكبير في جميع الصلاة وجوباً حتماً. ومختار إمام الحرمين الجويني وتلميذه حجة الإسلام الغزالي: الاكتفاء بالمقارنة العرفية عند العوام، وهي: أن يكون قلب الفاعل مستحضراً النية في الصلاة غير غافل عنها. اهـ ملخصاً من «غاية البيان» (٨٣).

(٤) أي: مسألة استحضر النية.

وقال عند قولهم^(١): «فإذا نطق بالراء من «أكبر» تبين أنه داخل في الصلاة من أول النية»، أي: لأن القاعدة: أن الركن ما كان داخل الماهية، فأفاد قولهم ذلك أن النية داخل الصلاة. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: منبع الغيبة الحسد، لأنك ما تغتاب إلا الذي في قلبك عليه شيء. وأما الذي قلبك سليم عليه فإنك لا تغتابه.
ولا يكاد أحد يسلم منها، وسببها: طول المجالس، حتى مجالس الزيان.

قال الشعراني رضي الله عنه: إياك وتطويل المجالس، فإني جرّبت: ما طال مجلس إلا وجرّت فيه الغيبة.

ووقعت الغيبة أشد من الزنا: لأن من تاب من الزنا تاب الله عليه، والتوبة من الغيبة لا بدّ فيها من استحلال من اغتبتّه. فالأولى: تقليل المجالس، وتخفيفها إذا وقعت. والمُحاللة كلما مضت أيام تباحلوا الأقارب^(٢).

* * *

وقال رضي الله عنه: المدح ذبح، وفي الحديث في ذم المدح:

(١) أي: الفهاء.

(٢) أي: كلما مضت أيام قال كل منهم لقريبه: أنت بحل مما قلته في.

«عَقَرَتِ الرَّجُلَ عَقَرَكَ اللهُ»^(١). فالمدحُ بليَّةٌ عظيمةٌ، وما أُسرَعَ فسَادُ الإنسانِ بالمدح، بخلافِ الذمِّ، بل ربما يكونُ صلاحُك بسببِ الذمِّ.

تحدَّروا منه، خصوصاً المُكاتبات^(٢)، ما له حاجةٌ، مثل: فلانُ الفاضل، أو نحوه. والوصفُ الحقيقيُّ إلّا: مِنَ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ فَلانٍ إِلَى الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ فَلان. والباقي إلّا هَذُوةٌ، بلى إن كان في صاحبٍ فضيلةٌ دينيةٌ أو في أحدٍ لا يغيِّره المدحُ فلا بأس.

كَتَبَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ إِلَى الشَّيْخِ الْبَجَلِيِّ^(٣) صَاحِبِ (الْحَدِيدَةِ) وكان إماماً: «تخصُّ الشَّيْخَ الْعَالِمَ الْعَامِلَ»، فلمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الشَّيْخِ الْمَذْكُورِ قَالَ: اكْتُبُوهُ فِي وَصْلٍ^(٤)، واجعلوه في كَفَنِي إِذَا مِتُّ، بِغَيْتِهَا شهادة لي بما قال. أو كما قال.

وكان سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ قَلِيلَ الْمَدْحِ، كان الْبَجَلِيُّ من أَهْلِ الْحَدِيدَةِ أَيْضاً لَهُ تَعَلَّقٌ بِسَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ، فَذَكَرَ عِنْدَهُ مِرَاراً وَلَمْ يَقُلْ فِيهِ شَيْئاً سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بِذَلِكَ. فلمَّا تَوَفَّى أَخْبَرُوا سَيِّدَنَا عَبْدَ اللَّهِ بِذَلِكَ، وكانت له قِصَائِدُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ، فقال سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ: يَكْفِيهِ مَدْحاً أَنَّهُ ثَالِثُ

(١) الحديث، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣: ١٣٩): (لم أجد له أصلاً). اهـ.

(٢) وخصوصاً في الرسائل والمكاتبات.

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) أي: قصاصة ورق.

مدّاح للنبي ﷺ. يعني: البرعيّ عبد الرحيم^(١)، وعبد الله بن جعفر البرعيّ،
والبجليّ المذكور، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه لرجلٍ صافحه وقد جاء من الحجّ: يا فلان، شلّ
كتابك واحضر المدارس^(٢)، فقد قالوا: علامة قبول الحجّ إقبال الإنسان
على الدار الآخرة والتهوين في أمر الدنيا.

* * *

وقال رضي الله عنه: تعاونوا، حتى يتنوّر الوقت وتقع الهداية لكل.

* * *

وقال رضي الله عنه، عند قوله في الرائية:

وَأَنْتَ الْبَابُ يَا خَيْرَ الْبَرَايَا فَأَيُّ النَّاسِ يَقْصِدُهُ يُجَارُ^(٣)

الباب: متابعتُه عليه الصلّاة والسلام، واتباعُ شريعته وسيرته. قال
البكري^(٤) في أثناء قصيدته التي أولها:

(١) الشيخ عبد الرحيم البرعي اليماني، ينسب إلى جبل برع باليمن، شاعر من مادحي
الرسول ﷺ، توفي سنة ٨٠٣هـ.

(٢) جمع مدرّس.

(٣) «الديوان» (٦٩).

(٤) هو الإمام أبو الحسن البكري، محمد بن محمد بن عبد الرحمن، الصديقي مولده
بالقاهرة سنة ٨٩٩هـ. وبها وفاته سنة ٩٥٢هـ. ينظر: «النور السافر».

* ما أَرْسَلَ الرَّحْمَنُ أَوْ يَرْسِلُ... إلخ * (١)

وَأَنْتَ بَابُ اللَّهِ أَيُّ أَمْرِيءَ أَنَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لَا يَدْخُلُ
وهي قصيدةٌ عجيبةٌ، انقلوها.
أو كما قال.

* * *

وقال عندَ قوله فيها: «كَأَحْمَدَ وَابْنِ إِدْرِيسَ وَبِشْرَ» (٢) إلخ، يعني:
أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ابْتُلِيَ بِلَاءٍ عَظِيمًا فِي أَنْ يَقُولَ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ
فَلَمْ يَقُلْ. وَصَبَرَ عَلَى الْأَذَى خَشِيَةَ هَلَاكِ الْأُمَّةِ.

□ وَرَأَى سَيِّدُنَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَهُ: بِشْرُ أَحْمَدَ
بَنَ حَنْبَلٍ بِالْجَنَّةِ عَلَى مُصِيبَةٍ تَصِيبُهُ. فَلَمَّا انْتَبَهَ سَيِّدُنَا الشَّافِعِيُّ أَرْسَلَ رَسُولًا
إِلَى سَيِّدِنَا أَحْمَدَ يُبَشِّرُهُ بِالرَّوْيَا، فَلَمَّا وَصَلَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ وَحَكَى لَهُ بِالرَّوْيَا
قَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. وَنَزَعَ لَهُ قَمِيصَهُ وَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ.

فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى سَيِّدِنَا الشَّافِعِيِّ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: مَا بَا
أَفْجَعَكَ، بَا أَقُولُ لَكَ هَاتَ لِي الْقَمِيصَ. وَلَكِنْ هَاتَ بَا أَغْسِلْهُ وَبَا أَتَغَسَّلْ
بَعَرَقَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. أَوْ كَمَا قَالَ. فَمَا وَقَعُوا أُثْمَةً إِلَّا بِالصَّبْرِ:

تِلْكَ الْأُثْمَةُ وَالِدَعَاةُ إِلَى الْهَدْيِ وَالْحَقُّ مِنْ أَهْلِ الْمَقَامِ الرَّابِعِ

(١) تمام البيت: * مِنْ رَحْمَةٍ تَضَعْدُ أَوْ تَنْزِلُ *

(٢) تمام البيت: كَأَحْمَدَ وَابْنِ إِدْرِيسَ وَبِشْرَ وَسَهْلَ وَالْجُنَيْدَ، وَكَمْ أَنَارُوا

وقد سمعته سابقاً يقول عندما ذكر صبر سيدنا أحمد بن حنبل على الأذى ولم يقل بخلق القرآن: لأن زلة العالم مضروب عليها الطبل، وزلة الجاهل يخفيها الجهل. ولقوله عليه الصلاة والسلام: «اتقوا زلة العالم»^(١) الحديث. ولأنه مقتدى به ويسري ضرره إلى الخلق كلهم، بل ينبغي جحدها، لأنه إذا زلّ حتى مبغضه يقتدي به في الفساد.

والعالم كالثوب الشاش، أدنى شي يكدره، والجاهل كالثوب الأسود، إذا وقعت فيه نقطة سوداء لا تظهر فيه. أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: إذا جالست القانع دام لك التوفيق، لأن لسان حاله يدعوك إلى ذلك، ولا قنع إلا لقوة يقينه بضمان ربّه في الآيات ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وإذا جالست الحريص خذلك، والخذلان ضدّ التوفيق، ولسان حاله يدعوك إلى الحرص، تجالسّه ولا بك شي، ساعه وقدك مثله ملهوف، ولا يحرص على الدنيا إلا ضعيف الإيمان، لما ضعف إيمانه في ضمانه الله، حرص على الدنيا.

يا ربّ هب لي منك حسن اليقين. وأوقية من أعمال القانع تعدل بهاراً من أعمال الحريص. أو كما قال.

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٥٧٥)، (٨٧١٥).

وقال رضي الله عنه: الإنفاق في وجوه الخير يدلُّ على الثقة بالله، وذلك عندما ذُكرَ أن بعض الملوك أنفقَ مالاً جزيلاً في زواج ابنته، ذَكَرَ ذلك صاحبُ «الرحيمية»^(١)، واستحسنَ همةَ الملك.

قال سيدي رضي الله عنه: كلامٌ مهمٌ هذا في رفعِ الهمم، ورفعِ الهمةِ الحقيقي هو فعلُ الدرويش الذي خطبَ ابنةَ بعض الملوك، فأجابته مستهزئاً به: عليك [ملء] القَدَحِ جواهر. فقال الدرويش: ومن أين الجواهر؟ قيل له: من البحر. فخرج إلى سيف البحر يريد أن يغرفه، فأوقع الله في قلوب الصيد الخوف من ذلك، فخرج كلُّ حوتٍ بجَوْهَرَةٍ في فيه، فملاً القَدَحَ الرجل وخلَّى الباقي... إلخ.

هذا رفعُ الهمة؛ لأن السخي الذي يجودُ بالشي من الشيء، وهذا جادٌ به كَلَّه. والزاهدُ أكرمُ من كلِّ كريم، لأنه زهدَ في الدنيا وما فيها.

□ خرج درويشٌ إلى حضرَموت أيام سيدنا أحمد بن زين، واجتمع به، ثم سارَ إلى المَخَا، فاتفقَ به بعضهم فسأله: مَنْ أكرمُ مَنْ رأيت؟ قال: السيد أحمد بن زين، لم تُذكرْ عنده الدنيا. قال سيدنا: لم يَذكرْ أهلُ المناصبِ والمطابخِ! أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: خوفُ الخاتمة خلَّى عيونَ العارفين بالله في

(١) يعني به كتاب: «الرحيمية في القيام بوظائف العبودية» تأليف العلامة حسن بن خليل الكاظمي الشافعي.

خَوَزَهُمْ^(١)، ما يدرون كيف باتقع المَخَارِجَةُ، والخاتمةُ علامةُ السابقة، وأما الوَسَطُ فلا عبرة به.

كم من شخصٍ طول عمره يعمل بالخير والطاعة، ولمّا قَدَّه عند الموت طحس والعياذُ بالله، مثل إبليسَ وبلَعَمَ بن باعورا.

وكم من شخصٍ يعمل بالمعاصي والمُخَالَفات، ولمّا كان عند الموت أدركته العناية، كَسَحَرَةِ فِرْعَوْنَ، في الحديث «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»^(٢).

والحقيقة تُظْهِرُ ما في الإنسانِ من خيرٍ أو شرٍّ، والأُمُورُ مفروغٌ منها. مثالُ الحقيقة: كالشَّمْسِ إذا أَشْرَقَتْ عَلَى طِينٍ أَخْضَرَ أَيْسَتْهُ، أو عَلَى سُكَّرٍ أو تَمَرٍ رَطَبَتْهُ، أو عَلَى خَوْرٍ أَظْهَرَتْ رِيحَهُ الْكَرِيهَةَ، أو عَلَى مِسْكِ نَفَحَ رِيحُهُ الطَّيِّبَ. عسى حُسنُ الخاتمة.

* * *

وقال رضي الله عنه: حَضَرَمُوتُ أَشْبَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَتَحَتْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَضَرَمُوتُ بَغَتْ دَعْوَةَ، وَمَعَاذَةَ الْهَمَةِ.

* * *

(١) الخَوْرُ: جمع خَوْرَةٍ، وهي مؤخرة الرأس وقفاه.

(٢) متفق عليه، البخاري (٦٢٢١)، مسلم (٢٦٤٢).

وقال رضي الله عنه :

سيدنا أبو مدين له هذه القصيدة :

* ما لذّة العيش إلا صُحبةُ الفقرا^(١) . . . إلخ *

تخرّج على يديه اثنا عشر ألف مُريد، منهم : سيدنا الفقيه المقدم، فهو شيخه بالمراسلة، لأن أبا مدين بالغرب.

وتُشبه قصته قصّة سيدنا يوسف بن عابد^(٢) مع سيدنا الشيخ أبي بكر ابن سالم، وهي : أن سيدنا يوسف بن عابد من أهل الغرب نشأ وجاء إلى مشايخ الغرب يريد الأخذ منهم، وكلّهم يقولون له : ليس شيخك من أهل الغرب، فرحل حتى أتى مصر، وجاء إلى عند الشيخ أبي الحسن البكري^(٣) يريد الأخذ عنه، فقال له : إني أرى مكتوباً في جبينك طابع الحسينيين ولستُ شيخك.

فخرج إلى اليمن، فسَمِعَ بذكر سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم، فخرج إلى حضرموت، فلما دخل على سيدنا الشيخ أبي بكر، قال له : يا يوسف، طوّلت وعَرَضْتَ، أما عَلِمْتَ أَنِي حاضِرٌ حينَ حَمَلْتُ بك أمّك؟

(١) تمام البيت : (همُ الملوكُ همُ الساداتُ والأُمراءُ)، وهذه القصيدة شهيرة، وعليها

عدد من الشروح، منها : «شرح» الإمام شهاب الدين ابن علان المكي المتوفى سنة

١٠٣١هـ، وشرح الإمام الشيخ علي باراس المتوفى سنة ١٠٩٣هـ.

(٢) مولده بالمغرب سنة ٩٦٥هـ، وخرج إلى حضرموت سنة ٩٩٢هـ، وتدير بلدة

(مريمة) وتوفي بها سنة ١٠٤٨هـ، وله ذرية بحضرموت.

(٣) توفي سنة ٩٧٣هـ. «النور السافر».

وأمره بالرجوع إلى الغرب فرجع. ثم بعد مدة خرج إلى حضرموت حتى توفي سيدنا الشيخ وهو على رجله أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: وهذا سيدنا يوسف بن عابد^(١) الأخير في زمن سيدنا أحمد ابن زين الحبشي من ذريته. كان الحبيب أحمد يُعظمه ويقول: إنه أكبر -حالا- من الأول. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: لما توفي أحمد بن بكار لعجم، قال والذي توفي ولا حد خير منه في البلد، وكان يجيء المدرس إلى عند الذي في مرضه الذي توفي فيه، فجاء يوماً وأراد النشيد، فطوّل النونان^(٢) فقال له الوالد:

* وَلِيَ الزمانُ وَلَّتِ الأيامُ *^(٣)

كأنه كشف له قُربُ وفاته، فأنشد بها: فما تحير^(٤) بعد ذلك.

(١) هو السيد الشريف يوسف بن عبد الله الحسني، من السادة الأجلاء العارفين، أخذ عنه العلامة الحبيب سقاف بن محمد السقاف، وله ترجمة مفيدة في «نشر محاسن الأوصاف» (١٢٤-١٢٨).

(٢) أي: صوت الحداء.

(٣) أي: كأنه قال له: أنشد بهذه الأبيات وهي للإمام الحداد، ومطلع القصيدة:

ولِيَ الزمانُ وَلَّتِ الأيامُ فعلى المنازلِ والتزيلِ سلامٌ

(٤) أي: لم يتأخر بعدها.

وجينا إلى عنده بعد الظهر نزوره، فجلس وقال: خرجت يوماً إلى عند الحبيب حسن بن عبد الله^(١) بعد زواج أخي عوض، فقلت له بذلك^(٢) فقال لي: أخوك تزوج وبايجونه عيال، وأنت باتتزوج وبايجون لك عيال. فكان كما قال.

وكان يقول له الوالد إذا أنشد بقصيدة سيدي الحبيب عبد الله الحداد:

* حَوَيْدِي الْمَطَايَا كَمْ تُقِيمُ مَعَ الصَّدِّ *^(٣)

... إلى متى تنشد بهذه الأبيات وأنت ما زرت المدينة؟ لأنه حجّ ولم يزُر، كأنه بَغَاه يموت حَسْرَان على الزيارة. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: باقول لكم كلمة ربّما تُنكرونها مِنِّي، إن أنكرتوها عفا الله عنكم: بغينا مِن كُلِّ إنسان جَفَلَةً^(٤) مِن شَقِّ القهوة التي تتقهوونها كلَّ يوم^(٥)، وينوي بها المعاونة على الدعوة إلى الله، شفوها إذا سَبَرَتْ^(٦) باتّقيم لنا والي، وباتّحيي لنا العلم، ما بانقول لكم: هاتوا كَمَا مَكَارِمِ الأوّلين، ما هم مَتَّهَوِمِينَ بشي.

(١) الحبيب حسن بن الإمام عبد الله الحداد، تقدم ذكره.

(٢) أي: بأمر الزواج.

(٣) تمام البيت: * وتسلو عن الأحباب بالعلم الفرد *

(٤) أي: حبة بُنّ، وتسمى جفلة إذا كانت في قشرتها.

(٥) أي: اقتطعوها من قهوتكم اليومية المعتادة.

(٦) أي: استمرت.

أهل الزمان ما عليهم إلا الجفلة، والباقي تُوفيه النية الصالحة: «درهم سبق ألف درهم»، ربما أن الجفلة يتصدق بها المُقل في الدعوة إلى الله تسبق عشرة قروش من آخر، فيتصدق بها في فضائل ثانية كبناء مسجد، «لو تصدق أحدكم بمثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(١)، يعني: الصحابة. أو كما ورد.

وما حصل من الجفلة في الشهر أو السنة يجعل له واحداً يتكفل به، لأن حضرموت اليوم مضطرة إلى الوالي على ما فيه. ما عاد معنا إلا التبصر تبصروا في ذلك. طرَحنا مكالف وأولاد في حضرموت، ينقلبون آه إذا ما شي أبو؟

والجفلة الذي قلنا لكم بها، يدخل فيها كل واحد، فقير أو غني، لأنها عامة كالحديث الدائم العام، ولا يدخلها رياء ولا سُمة ولا دَحَس. ربما تصدق الإنسان بشيء ارتكزت النفس.

ما عاد إلا إن بغيتوا محلة حضرموت، تبصروا لها، ولا شيء بايعي^(٢) في حضرموت، وفيها الخير لمن قنع وسار بسير السلف، ولكن ضبقوها علينا بهذه العوائد والتكلفات، ما عاد وسعتهم، تراهم مضيعين في الغرب مهذهذين، حد في جاوة، وحد في هند في طلب المُحال. رُدُّوا لنا سيرة أهلنا القرييين، أيام أحمد بن زين.

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٧٠)، مسلم (٢٥٤٠).

(٢) أي: لا شيء يكون لنا عوضاً عن حضرموت.

□ أخبرني محمد بن عبود باذيب^(١)، قال: كنتُ عندَ الحبيب جعفر ابن أحمد، فجاء إلى عنده الحبيب سقاف^(٢) ومعه نحوُ خمسة عشرَ نفراً، فقرَّبَ إليهم خميراً ورؤبةً، أو دُخْن.

□ وكذلك الحبيب عبد الرحمن بن سُمَيْط خرجَ إلى عنده ومعه ناس، فقرَّبَ إليهم كذلك وقال له: معنا بُرْب (يُفِل) ما حضرَ بحال الساعة.

فهذه أفعالُ السلف، مع أنَّ المذكورين أعيانٌ وقتهم، بَعَوْا غيرهم يقتدي بهم.

□ وجاء سيدنا الحبيب عمر حامد إلى عندِ الحبيب عبد الله بن علوي^(٣) صاحبِ (بور) فأكرمه بضيافة، لأنه كان صاحبَ كرم كبير، وحينَ حضرَ العشاء طَرَحُوا للحبيب عمر بن حامد لَحْمَ وافرٍ، شَلَّ منه فصل، وقال: ما أَكَلْ زَايدَ على هذا، وشَلَّ فَضْلَ آخر، وقال: هذا با أَجْبُرَكَ به، والباقي شِلُّهُ ما لي حاجة به. ما سَكَتَ على ذلك، لأن مرادهم نَشْرُ الدعوة.

□ كذلك جاء الحبيب عمر المذكور إلى (مَدْوَدَة) إلى عند الشيخ عبد الكبير باحميد^(٤) ومعَ الحبيب ناسٌ كثير، فلَمَّا جلسوا دَخَلَ عليهم

(١) المتوفى بشبام سنة ١٢٤٣هـ، وهو الجد الخامس لكاتب التعليقات.

(٢) هو الحبيب: سقاف بن محمد الصافي المتوفى سنة ١١٩٥هـ.

(٣) هو الحبيب عبد الله بن علوي العيّدروس، المتوفى ببور سنة ١١٤٥هـ، كان فاضلاً جليلاً، من أصحاب الإمام الحداد.

(٤) هو متأخر، لم أفق على ترجمته، أما الشيخ عبد الكبير الأول الذي عاش في القرن العاشر، فهو متقدم على هذا.

الشيخ وقال لهم: يا حبايب، حد معه طحين بغا نحن نصلحه له؟ ففرح الحبيب عمر بن حامد بذلك من الشيخ وعدم مراقبته وتكليفه.
لكنهم حلوا في حضر موت ما تغربوا، أو كما قال.

هيا مذاكرة مذاكرة إلى متى؟ دخل قصب وانذر حطب، آذان صقع!
عسى البركة في المذاكرة، ومتعجب منكم يوم تهوون مجلسي، معاذ شي يعجب!!

* * *

وقال رضي الله عنه: اعتنوا في المذاكرة في الطب، لأن الناس محتاجون إليه، بغينا طول العمر في طاعة الله، والنبى عليه السلام قد تطبب، وأصل الدواء: الحمية، وتقع الحمية في حق بعض فرضاً لثلا يقع سبباً في هلاك نفسه، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال بعضهم: زجرني الطبيب، ولكن لا خير فيمن لا ينزجر. كلمة عجيبة! وأنت ارتفع، اجعل الطبيب هو الله، ولا خير فيمن خالف ربه. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: مضوا باقي العمر في هذه الخصلتين: اتباع الرسول، وترك الفضول.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا قصر الأمل حسن العمل.

وقال رضي الله عنه: مَنْ أَرَادَ اللهُ يَسْتُرَ عِيوبَهُ فَلْيَسْتِرْ عِيوبَ عِبَادِهِ،
وَيَتَخَلَقْ بِهَذَا الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، لِأَنَّ الْآدَمِيَّ أَصْلُهُ: ضَعْفٌ، وَعَوْرَةٌ،
وَذَنْبٌ، وَخَطِيئَةٌ. كَمَا فِي الدَّعَاءِ: «إِنْ تَكَلَّنِي إِلَى نَفْسِي تَكَلَّنِي إِلَى ضَعْفٍ
وَعَوْرَةٍ»... إِلَى آخِرِهِ. هَذَا أَصْلُ الْآدَمِي، وَإِنْ كَانَ مَنْ كَانَ، إِلَّا مِنْ بَابِ
الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ، فَقَدْ يُجْلِبُ بَعْضَ عِبَادِهِ بِسَرِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: كَانَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ الْحَبْشِيِّ يُعَظِّمُ طَالِبَ
الْعِلْمِ وَيُجَلِّهِ وَيَنْعِشُهُ وَيَفْرَحُ بِهِ، وَيَذْهَبُ^(١) لَهُ كُلُّ صَاحِبِ رَسْمٍ^(٢) وَلَا
يَحْتَفِلُ بِهِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: لَا يُدْرِكُ الْعِلْمُ إِلَّا مَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ، فَإِنَّهُ
يَسْهُلُ عَلَيْهِ وَيَسْتَرِيحُ بِهِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الَّذِي أَنْفَقْتُهُ فِي دُهْنِ السَّرَاجِ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي شَرِبْتُهُ
مِنَ الْمَاءِ فِي عُمْرِي. وَلِهَذَا صَارُوا عُلَمَاءَ، وَمَشْرُوحُ الصُّدْرِ تَنَاطَتْ مِنْهُ أُمُورٌ
عَظِيمَةٌ فِي الْخَيْرِ، وَبِضَدِّهِ ضَيَّقُ الصُّدْرِ. اطْلُبُوا مِنَ اللهِ شَرْحَ الصُّدْرِ. أَوْ
كَمَا قَالَ.

* * *

(١) أي: يضايقه.

(٢) أي: ذو الهيئة والأبهة.

وقال رضي الله عنه عند قول سيدنا الحبيب طاهر بن حسين في خطبته: «واسلكوا واضحات سبلها». انظر قوله: «واضحات سبلها»: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

احذروا من الطرقات التي أحدثها أهل الزمان، احذروها، وسيروا على ما سار فيه سلفكم، زمان سيدنا أحمد بن زين، مثل محمد لعجم وأضرابه، واسألوا عن معاملتهم، وعاملوا بها. كيف؟ وقد ورد: «كنا نترك سبعين باباً من الحلال خشية الوقوع في الحرام». أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: أذية القبائل لكم تنية لكم على تعليمهم، لأنكم لما غفلتم عنهم نبهوكم، اشكروا النعمة، جعلكم مظلومين! وشكر النعمة: الدعاء لهم بالهداية، ودعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى.

يحكي أن سيدنا الإمام علي بن أبي بكر آذاه رجل من آل الرِّبَاع أذية كبيرة، فدعا له سيدنا الحبيب علي بن أبي بكر، فقال: اللهم أهده وإلا أرده. فسبقت له الهداية، فتاب إلى الله، وصار من الآخذين عن سيدنا الشيخ علي، واسمه حسن بالرِّبَاع. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: اتقوا الله في أولادكم وأهلكم، افطموهم عن هذه العوائد المخربة المغربة.

* * *

وقال رضي الله عنه: الطمعُ بليَّةٌ عظيمةٌ، وكلُّ إنسانٍ لا يبرأُ منه، يقلُّ يكثر.

كان بعضُ الجُنْدِ يصفُ لسيدنا محمد بن زين بن سُمَيْطٍ ما معه من الدنيا، فقال له الحبيبُ محمد: وعاذُك بغيت شي فوق ذلك؟ قال له: وعاذُنا بغيت مثل هذا الجبلُ ذهباً يعني: جبل الخَبَّة. فقال سيدنا الحبيبُ محمد: صدقَ رسولُ الله ﷺ: «لو كان لابنِ آدَمَ وادٍ من ذهبٍ»^(١).. الحديث إلخ.

* * *

وقال رضي الله عنه: التوفيقُ عزيز؛ ولكن اطلبِ العزيزَ من العزيز سبحانه وتعالى.

* * *

وقال رضي الله عنه: مُذَاكِرَةٌ عِنْدَ قِرَاءَةِ الحبيبِ عمرَ بنِ محمدٍ^(٢) عليه في كتاب «العوارف» عِنْدَ ذِكْرِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، (ومنها: العَفْوُ، وَكَظْمُ الغِيظِ)، وقال رضي الله عنه: وقد تصدَّرُ هذه الْأَخْلَاقُ الْعَظِيمَةُ مِمَّنْ لَا يُوبَهُ لَهُ، هِيَ إِلَّا مَوَاهِبٌ عَظِيمَةٌ وَخُصُوصِيَّاتٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَالصَّبْرَ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هو: الحبيب عمر بن محمد بن عمر بن زين بن سُمَيْطٍ، تربي في حجر عمه الحبيب أحمد بن عمر يتيماً لأن والده توفي في موسم حج عام ١٢١٨هـ فكفله الحبيب أحمد، وزوجه بإحدى بناته، وكان هو القائم بشؤون الدعوة والتذكير في شبام بعد عمه، رضي الله عنهم، وكانت وفاته بها سنة ١٢٨٥هـ.

الصبر! يوطّن نفسه الإنسان من حين يُصبح أنّه ما بايرى إلا ما يكرهه،
لا يحسب أنه بايرى ما يُفرّحه، حتى إذا نزلت عليه مصيبة معاذٍ اشتغل.
كما قيل:

يُمثّل ذو اللبّ في لبّه مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم ترعه لما كان في لبّه مثلاً

والأصل في الدنيا المكروهات ما الأصلُ المحبوبات. قال تعالى:
﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾
[البقرة: ٢١٦]، فإنه قدّم المكروه على المحبوب.

ومن له مسافرٌ غائب، إن قدر في نفسه أنه بايصل سالماً غانماً
فهو سفيه، وإن قدر غير ذلك معاذٍ افتجع إذا جاءت المصيبة. قال سيدنا
عبدُ الله الحداد:

نعم وعول في جميع الأمور ما دمت في الدنيا على الصبر^(١)
إلخ...

ثم قال: قال الفقيه عمر بامخرمة: كتاب «العوارف» أبوي، وكتابُ
«الرسالة» أُمّي. أو كما قال رحمه الله.

* * *

(١) من قصيدة للإمام مطلعها:

هون عليك مصائب الدهر يهن عليك كل ما يجري

«الديوان» (٢٨٤).

وقال رضي الله عنه: قليلٌ أن الزاهدَ يقع شيءٌ معه من الدنيا، لأن الزهدَ إذا جاء خَلَّتِ اليد.

ولما جاء الشيخُ عليُّ بن عبد الله باراس إلى (عينات) عند شيخه سيدنا الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم، ورأى ما عنده من الخيل ومظهر الدنيا، وقعَ في نفسه ذلك، فكاشفه سيدنا الحسين بن أبي بكر. قال له: يا شيخُ عليّ، ترى هذا لو فاتَ كُلُّه في ساعة لم يتغيَّرَ لي خاطر! أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: انظرِ الأدبَ في قوله تعالى حكايةً عن الخضر في قصته مع نبيِّ الله موسى عليه السلام: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، نَسَبَ الفعلَ إلى نفسه. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] نسبه إلى الحقِّ سبحانه وتعالى تأدياً «والخيرُ والشرُّ بمشيئةِ الله».

* * *

وقال رضي الله عنه: سُئِلَ بعضهم عن العلم النافع، فقال: هو الذي إذا جاء ملكُ الموت وأنت حاملُ الكتابِ لم تطرَحْه. قال بعضهم: ما أريدُ ملكَ الموتِ يأتيني وأنا أطلعُ في علمِ الآلات.

قال سيدي رضي الله عنه: وهو^(١) ميزانُ العلم، وكذلك العملُ والمجالس، انظرُ في ذلك، كلُّ ما تُحبُّ أن يأتِكَ الموتُ وأنت فيه فافعله، وإلا فاتركه. أو كما قال.

(١) أي: الموت.

وقال رضي الله عنه ونفع به مذاكرة عند قراءة «نظم الخطبة» عند قوله^(١):

فَصَدَّ عَنْهَا وَجْهَهُ مَمْتَنَعًا وقال: وَلَيْ وَتَنْحَى أَجْمَعًا^(٢)

قال سيدنا عبد الله الحداد نفع الله به: علمت أن بعضهم أهدى إلى شيخه مركباً فيه من كل شيء، فسألت الله أن يغرقه فغرق. قال سيدي: يشير إلى ذلك قوله رضي الله عنه:

تَنْحَى تَنْحَى، لا سلاماً ولا رضاءاً تُرِيدِينَ قَطْعِي عَنْ سَبِيلِ غَنَائِي^(٣)
أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: الخير كله في شرح الصدر، أكثرُوا من قول:
﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥-٢٦].

(١) يعني بهذا: «منظومة خطبة الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر»، التي نظمها الشيخ العلامة أحمد بن عمر بن سالم باذيب، تلميذ الحبيب أحمد بن عمر بن سميطة، وهذه «المنظومة» تقع في حوالي ألف بيت. وفي هذا دليل على أن هذه المنظومة قد قرئت على الحبيب أحمد بن عمر؛ لأنها نظمت بإشارة منه رحمه الله.

(٢) وهو ضمن الفصل الأخير المَعْنُون: «فصل في الحث على الاقتصاد وذكر بعض شمائل النبي ﷺ».

(٣) من قصيدته الهمزية التي مطلعها:

أَمُوتْ بِدَائِي وَالِدَّوَا فِي يَدَيْكُمْ
أَحَبَّةَ قَلْبِي أَنْعِمُوا بِدَوَائِي
«ديوان الإمام الحداد» (٥٤).

وقال رضي الله عنه: كلُّنا نعرفُ أنَّ ما مضى عليه السلفُ من سيرِهِمُ الحميدةِ حق، ولكن ما معنا اتِّباع.

اللهمَّ أرني الحقَّ حقاً وارزُقني اتِّباعه، طَلَبَ معرفةَ الحقِّ والتوفيقَ لاتباعه، فإنَّ كثيراً عَرَفَ الحقَّ ولا وُقِّقَ لاتباعه.

قال تعالى، حكايةً عن كفارِ مكة: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وكذلك قارونُ ما نفعه علمه. اللهمَّ انفعنا بما علَّمتنا، وعلَّمنا ما ينفعنا: ﴿رَبَّنَا لَا تُفِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، انظرْ إلى هذه المطالبِ الجزلة.

ورسُمُ السِّكَّةِ في الإنسان: الجهلُ والظلمُ، ﴿إِنَّمَا كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، هذا رسُمُ سِكَّةِ الضريبة، كما سِكَّةُ الدرهم، وإن شي توفيق هو إلا من الله ما هو بجهدك، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]؛ لأن الأنبياءَ عليهم السَّلامُ سبَّبَ الهداية. أو كما قال، أو ما هذا معناه.

* * *

وقال رضي الله عنه ونفع به عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤-٦] فإنَّهم ارتَقَوْا مِنْ

الْحَضِيضِ^(١) الْأَسْفَلَ إِلَى الْيَفَاعِ^(٢) الْعَالِي. وهذه صفةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ لَا يَزَالُ يَطْلُبُ الْكَمَالَ:

وَكُنْ طَالِباً نَيْلَ الْكَمَالَاتِ كُلِّهَا ومرتفعاً عما يَشِينُكَ، تَشْكُرُ

وكما قيل:

* كَمُلْ حَقِيقَتَكَ الَّتِي لَمْ تَكْمُلِ، إِنْخ *

* وَأَمَّا الْجِسْمُ أَلَّا طَعَمَ الدُّودَ *

أو كما قال:

* * *

وقال رضي الله عنه: الْأَوَّلِي، أَنْ يُقَالَ فِي تَرْتِيبِ الْفَاتِحَةِ: «إِلَى رُوحِ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ»، أَوَّلِي مِنْ: «إِلَى رُوحِ سَيِّدِنَا»؛ لِأَنَّ الْفَقْرَ وَصَفَتْ حَقِيقَتِي لِلْعَبْدِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، وَقَالَ حِكَايَةٌ عَنْ مُوسَى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، يُقَالُ: إِنَّهُ قَالَهَا وَخُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ صَفِيْقِ بَطْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَسَى اللَّهُ يُحَقِّقُنَا بِالْإِفْتِقَارِ وَالْإِنْكَسَارِ وَالْإِضْطِرَارِ، كَمَا فِي دَعَاءِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ.

قَعْ فَقِيرَ مَكَانِكَ، وَمَنْ أَيْنَ بَايَجِيَّتِكَ الْعَجَبِ وَالِدَعْوَى، وَهَذَا وَصْفُكَ؟ وَإِنْ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنَ الْكَمَالِ فَهُوَ عَارِيَّةٌ، إِنْ شَكَرْتَ عَلَى ذَلِكَ دَامَ لَكَ، وَإِلَّا سُلِبَ مِنْكَ كَمَا سُلِبَ مِنْ بَلْعَمَ بْنِ بَاعُورًا وَإِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ تَعَمَّرَ ثَمَانِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فِي الْعِبَادَةِ، وَلَمَّا دَخَلَهُ الْكِبَرُ عَنِ السَّجُودِ طُرِدَ وَسُلِبَ.

(١) الْحَضِيضُ: الْقَرَارُ مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ الْجَبَلِ.

(٢) الْيَفَاعُ: كُلُّ مَا ارْتَفَعَ عَنِ الْأَرْضِ.

ما لك حاجة، ادَّعِ النقصَ ولو أنتَ كامل، ومن ادَّعَى الكمال فهو ناقص. والمؤمن لا يزال يشهد النقص في جميع أحواله، ومن أين يجيء العُجب والدَّعوى؟ قد قبضت حُسن الخاتمة؟ يا الله بالسَّلامة.

الله يرحمَ جمعنا بفضلِهِ، ولا يُعاملنا بقسْطٍ عدْلِهِ، عسىٰ يعاملُ بالفضل، أمّا إن كان بايعامل بالعدل لا طاقة، عسىٰ سترُهُ. اللهم استرْ عوراتنا وآمن رُوَعَاتنا، لكّنك إن بغيتُهُ يعاملك بالسّتر تخلّق بالسّتر على عباده، إذا رأيت عورةً من أخيك استرّها عليه، كما أنك إذا رأيته نائماً مكشوفَ العورة، فإنك تردُّ الثوبَ على عورته. أو كما قال، وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضي الله عنه: المؤمنُ يكونُ في يومِهِ أحسنَ من أمسه في الطاعات، كما قال سيّدنا عبدُ الرحمن بنُ علي^(١):

وكنْ في اليومِ أحسنَ في الطاعاتِ من أمس

قدْ هو مستقيم بالأُمس، ثم زادَ على ذلك في يومِهِ.

وقال رضي الله عنه ونفعَ به: إلزمُوا الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر إن أردتُم النجاةَ في الدارين، وتشبَّهوا بمن ذكرَهُمُ الله في آية ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ [هود: ١١٦]، جاء في التفسير:

(١) هو السيد الجليل عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر السكران، كان من العلماء العاملين، كان يحفظ «الحاوي الصغير» للقزويني، موصوف بالورع والزهد، ولد بتريم سنة ٨٥٠ هـ، وبها توفي سنة ٩٢٣ هـ.

يعني أصحاب فضلٍ ودينٍ ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦] الآية، وفي آية ﴿الَّذِينَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، يعني: يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكر.

وتغافلوا وتعامموا عن كلام أهل الزمان، فإنَّ الألسنَ مطلقةٌ بكلام الخنا باغيرون^(١) علينا الصغار، ناس صُورٌ يتكلمون بكلام خنا في مجاز الجامع^(٢)، ما شي أدب، ما كأنهم في بيت الله، كلُّه عندهم سواء، لكنهم ما دروا بالدين ايش هو، وأنا أحذركم — خصوصاً الصغار — من الجلوس على المجاز مع ربشة الناس، شوه لاك، بايهوشونك، ملصه، رُحْ تَوْضَّ في بيتك واخرج إلى المسجد متوضئاً، وهو قدَّه سنَّة كما في الحديث: «طوبى لمن تَوْضَّأ في بيته وزارني في بيتي»، أو كما قال عليه السلام.

وإذا خرج الإنسان إلى المسجد يجعل في أذنيه عُطْب^(٣) حتى ما يسمع شيء، وكذلك إذا دخل السوق لحاجته، كما كان علي قُطْن الله يرحمه يفعل ذلك. وإن عاده جعل غُشْيوة^(٤) على رأسه كان أحسن، قدَّها تسمى عندهم خلوة مختصرة^(٥) وقد كان الشيخ معروفٌ يفعل ذلك.

(١) أي: سيفسدون.

(٢) أي: في أروقة المسجد الجامع، عند مواضع الوضوء.

(٣) أي: قُطْن.

(٤) أي: غُشْوَة صغيرة، كالطيلسان.

(٥) أو خلوة صغرى.

وكونوا كما قال أبو مُسلم الخولاني رضي الله عنه حين قيل^(١) له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قيل له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع؛ لأنها فتنة في الدين. عسى الله يُخرجنا من الدنيا سالمين غانمين.

* * *

قال رضي الله عنه عند قوله عليه السلام: «منهُومان لا يشبعان: طالب العلم وطالب الدنيا»^(٢)، وإنما طالب العلم محمود، وطالب الدنيا مذموم، لأن طالب العلم حملته ثقته بالله على الجوع في طلب العلم، وطالب الدنيا حمّله ضعف إيمانه على الحرص على الدنيا.

لو أُعطيَ الحريص الدنيا كلّها ما كفّته، وما أدري لو دخل الجنة، عادّه بغا شيء؟ وإنما يُنزَع الحرص من قلبه، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

والجنة المعجّلة إلا مع القانعين. كما قال إبراهيم بن أدهم: لو يعلمُ الملوك ما نحن فيه من الراحة لجالّدونا عليه بالسيف: لأنهم هم الملوك على الحقيقة. أو كما قال.

* * *

(١) الذي كان يسأله هو مسيلمة الكذاب.

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١: ٧٦) (١١٠٩٥)، و«الأوسط» (٥٦٧٠)، و«مجمع الزوائد» (١: ١٣٥).

وقال رضي الله عنه: قولُ سيدنا عبدِ الله الحداد:

* وَعُمُّ أَصُولًا وَالْفُرُوعُ بِرَحْمَةٍ ^(١)... إلخ *

يدخلُ في هذا البيتِ من آدمَ عليه السَّلامُ جميعُ الأصول، ما يخرج
إلاَّ المُشرك بالله. وفي البيت الثاني:

* وَسَائِرُ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ * ^(٢)

حتى الجنُّ يدخلون في هذا الدعاء، لأنهم مسلمون، ومن تحقق
بمعنى هذه الأبيات معاذٌ يدخله الغِلُّ على المسلمين، ولا يرتفع عليهم،
لأنه يدعو لهم، لأنه عرَفَ أصله، كما قيل:

إذا كان أصلي من ترابٍ فخلقُ الله طُرّاً أقاربي

والرفعةُ إلاَّ بالتقوى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ [الحجرات: ١٣]،

ما هو بالأنساب ونَهَرَ بعضُ الصحابة رضي الله عنهم بلالاً وقال له: يا ابنَ
الأمّة. ثم رجع، وقال له: ضَعُ رِجْلَكَ عَلَى خَدِّي، إني تَرَفَعْتُ عليك
بنسبي. أو كما قال عليه السَّلام: «إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ،
الْفَخْرَ بِالْأَنْسَابِ» ^(٣) أو كما قال.

* * *

(١) «ديوان الحداد»: (١١٩).

(٢) «ديوان الإمام الحداد»: (١١٩).

(٣) رواه أبو داود (٥١١٦).

وقال رضي الله عنه: اقطعوا الرِّيق بقوله: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ، فَكُنَّا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا»^(١)، واشكروا نعمة الله، فاذكروا آلاء الله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

«اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك»^(٢)، إلخ، وأكبر النعم: نعمة الإسلام:

نحن في رَوْحٍ وراحَةٍ وجُورٍ واستراحةٍ
نعمة الإسلامِ أعلى نعمة حَلَّتْ بساحة^(٣)

ولو أعطاك جميع النعم وأحرمك نعمة الإسلام فما ينفع من شيء، ولا تُسمَّى إِلَّا نِعْمَةً بفتح النون: ﴿أُولَى النِّعَمَةِ﴾ [المزمل: ١١]، وهي التي ما لها عاقبة في الأخرى، والشكرُ عزيزٌ جمٌّ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، بخلاف الصبر، قد يكون من ناسٍ جمٌّ صبر. والمؤمنُ أمرُهُ كُلُّهُ خيرٌ له، إن أصابته سراءٌ شكرَ وإن أصابته ضراءٌ صَبَرَ^(٤). والشكرُ صَبْرٌ على النعمة، كما قال سيدنا الحبيب محمد بن سُمَيْط:

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هذا جزء من الدعاء المأثور — من أذكار الصباح والمساء — رواه أبو داود (٥٠٧٣).

(٣) هذان البيتان للإمام الحدَّاد، «الديوان»: (١٤٦).

(٤) أخذاً من الحديث الذي رواه مسلم (٢٩٩٩) وطرفه: «عجباً لأمر المؤمن».

صَبَرُوا شُكْرًا وَشُكْرًا صَبَرُوا جَعَلُوا كُلَّ الْبَلَايَا نِعْمًا^(١)

أو كما قال رضي الله عنه .



وقال رضي الله عنه: الصالحُ: القائمُ بحقوقِ اللهِ وحقوقِ العبادِ، والذي لا يصلُّ إليه يَبْلُغُهُ بالنية، وكم باتعمَلُ؟ ولا تبلغ إلا بالنية إذا صَلَّحْتَ. وشأنُ المؤمنِ الإحكامُ والإحسانُ في كلِّ شيءٍ، ما تنفعُ الكثرةُ

(١) من قصيدة له طويلة، مطلعها:

يا نديمي، إنَّ دمعِي قد هَمَّا في خُدودي، جاريًا مُنْسِجِما

شرح هذا البيت:

قال العلامة المتفنن السيد أحمد بن أبي بكر بن سميطة المتوفى بزنجبار سنة ١٣٤٢هـ: (صبروا على الأعمال ووظائف العبادات وتوزيع الأوقات في الطاعات شكرًا، فهو منصوبٌ على الحالية بتأويله بالمشتق شاكرين، أي: باستفراغ الطاقة منهم بصرف الجوارح إلى ما خلقوا لأجله على طريق المتابعة، أو على المفعولية — وهو الأقرب — على حد قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وأما نوله: صبراً كما شكرًا، منصوبٌ على المفعولية له، أو الحالية، نظير ما تقدم. والمراد بالصبر هنا: هو الصبر على الآلام دون الأول، فإنه صبر على العبادات، فهما مختلفان من حيث المتعلق.

والمراد هنا: الشكر على البلاء، لما تقرر أنه يقع على النعم والبلايا، ومن ثم قال لسبب الشكر هنا، وهو في قوة التعليل: شهدوا كل البلايا نعمًا، فيحصل المعنى أنهم شكروا وصبروا على ما يصيبهم في الدنيا من البلايا، لأنهم شهدوا كل البلايا نعمًا، أي: نعمًا باطنة، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا﴾ [لقمان: ٢٠]. اهـ.

مع الْجَعَثَةِ^(١)، سواءً كان في صلاةٍ أو قراءةٍ أو غير ذلك، والله غنيٌّ عن جَعَثَتِكَ. وورد: إِنَّ اللَّهَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ مَلَكًا مِنْ يَوْمَ خَلَقَهُ اللَّهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ فِي سَجْدَةٍ وَاحِدَةٍ. فأين باتصل بعمَلِك؟! *

* * *

وقال عفا الله عنه: كَرَّمَ اللَّهُ فَائِضَ مَكَانِهِ، كما ورد «ما ليلةٌ أَمْطَرُ مِنْ لَيْلَةٍ»؛ ومناهلُ الحق سبحانه وتعالى موجودةٌ لِمَنْ تَأَهَّلَ لَهَا، ولكن ماشي أوعية، هي إِلَّا خُبْرٌ^(٢)، والخبرة ما تُمْسِكُ شَيْءٌ، كما قال سيدنا عمر بنُ سقافٍ رضيَ الله عنه: أَهْلُ الزَّمانِ يَقُولُونَ: معاذُ شَيْءٍ مَناهِلُ، والمناهل موجودة، إِلَى آخِرٍ ما قال؛ أو كما قال سيدنا رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]: ومن عداوته بغاك تدخُلُ في الكفر لو بايقع له. فإذا وَفَّقَ اللَّهُ الْعَبْدَ للإسلام يقولُ له: لا تصلي، فإذا وَفَّقَ اللَّهُ الْعَبْدَ^(٣) قال له: هي عماد الدين، ولا خيرَ في دينٍ لا ركوعَ فيه، يقول له: صلِّ واستعجل، إما

(١) أي: عدم إحسان العمل والإسراع فيه.

(٢) الخبرة: قدمنا معناها وهي تصنع من الخوص، فلذا لا تُمْسِكُ شَيْئًا من السوائل فيها.

(٣) أي: ألهمه الرد على الوسواس الخبيث.

في الوقتِ أو في الصلاة، فإذا وَفَّقَ اللهُ العبدَ وصَلَّى صلاةَ بَرَاةٍ^(١)، جاء له من قِبَلِ الرياء، يقولُ له: رائي بها الناس.

فإذا خَالَفَهُ، جاء له من طرفِ العُجب، وهو خامسُ عَقَبَةٍ، أشدُّهُنَّ، فإذا وَفَّقَ اللهُ العبدَ وثَبَّتَهُ بالقولِ الثابتِ شَهِدَ المنةَ لله عَزَّ وَجَلَّ، وقال له: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].



وقال رضي الله عنه: أهلُ الزمانِ معاذُ ميِّزوا شيء، كما قال سيدنا عبدُ الله الحِداد معاذُ ميِّزوا «خ» من «ت» كَلَّه سِوَاء، تَراهُم يَساْفرونَ إلى أَرْضِ الكُفْرِ مِثْلَ جاوهِ والهند، وأَرْضِ البدْعَةِ مِثْلَ مَسْكَتٍ وصنْعاء، يَتَصَبَّحُ كل يومٍ بوجهِ كذا كافر، أو بِدْعِي.

وهي إلا عَقُوبَةٌ؛ لأنَّ السَفرَ عَقُوبَةٌ، وزادَتْ عَقُوبَةٌ خَفِيَّةٌ: السَفرُ إلى أَرْضِ الكُفْرِ والبدْعَةِ؛ لأنَّ الطَّبْعَ يُسْرِقُ من الطَّبْعِ.

وما يَنفَعُ الجِرباءَ قُربُ سَليمةٍ منها، وَلَكِنَّ السَليمةَ تَجَرُّبُ

وسببُ العَقُوبَةِ المذكورة: تَضْيِيعُهُمْ حَقَّ الوِطَنِ، ما قاموا بِحقِّ اللهِ في أوطانِهِمْ، عاقَبَهُمُ اللهُ بِالْغُرْبِ، وَضَيَّعَهُمْ في الأَرْضِ البعيدة، وقد كان الأولونَ يَساْفرونَ وَلَكِنْ إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ والسواحل^(٢)، وأهلُ الزمانِ معاذُ شيءٍ تَمييزٍ ولا مَنقُودٍ.

(١) أي: باطمئنان.

(٢) لأنها قريبة من أرض اليمن، ولا يتغربون فيها مثل تلك.

□ أخبرني عبدُ الله حسنُ باعْشَرَه، قال: حكى لي والدُه أحمَدُ باعْشَرَه قال: خرجْتُ أنا وسالمُ محمدُ قَنْبُوع^(١)، نريدُ حضورَ زواجٍ عندَ بعضِ أهلِ الخلا^(٢)، فعارَضُ نحنُ سالمُ بنُ عبودِ باذِيب، فعرفَ نحنُ، وقال: إلى أين؟ فأخبرناه، فقبَضَ على لحيتهِ مُلَوِّمًا، قال: فرجعنا إلى البلادِ وخليْنَا الصغارَ يخرُجونَ، ونحنُ معادُ خَرَجْنَا.

هذا المنقود، ينقُدُ بعضهم على بعض؛ أما اليومَ كلُّه سَوا؛ وأعيانُ الناسِ في عالمٍ ثاني ما شكروا كونَهم أعيان. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ اللهُ عنه: ذكُرُ الصالحينَ مِن ذكْرِ اللهِ.

* * *

وقال أيضاً: قال والدي عمرُ رحمَه اللهُ: أخبرني علي باذِيب قال: تُذْبَحُ في البلادِ ثلاثةُ رؤوسِ غنمٍ، وجميعُ خوارِجِ شبام: مِنَ الغُرْفَةِ إلى البلادِ، لَحْمُهُم من شبام، وعادُه يَبُورُ اللحم^(٣)، وذلك مع وصولِ الحبايبِ آلِ سُمَيْطٍ من تَريمٍ إلى البلادِ^(٤).

(١) فرع من آل باذِيب، وقد قرضت هذه الأسرة ولم يبق منهم أحد، ولهم أوقاف على بعض أعمال الخير في شبام.

(٢) أي: الساكنين خارج بلد شبام.

(٣) أي: يفسد اللحم في محله لعدم المشترين له.

(٤) وذلك في منتصف القرن الثاني عشر، لأن دخولهم شبام كان في سنة ١١٣٥ هـ.

كان أهلُ شِباءَ خاصَّةً. أمورُهم على القناعة زائد على الناس، اعقلوا المذاكرة، واكتبوا ما تُسندُه لكم من سيرهم، عسى أحد من الحاضرين يفهم المذاكرة!

* * *

وقال رضي الله عنه: الخَيْرُ كُلُّهُ ثَمَرَةُ شَرْحِ الصَّدْرِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: مجالسةُ الدُّونِ تُعَوِّجُ المستقيم.

* * *

وقال رضي الله عنه: دليلُ صلاحِ القلب: صلاحُ اللسان، والكلامُ الطيب، والصمت. ودليلُ خرابه: ضدُّ ذلك. اعتنَّ بقلبك، شُفِّ مَدَارُ الإنسان، على القلب واللسان، الأصغرَيْن^(١)، واللسانُ عنوانُ الجنانِ كما قيل:

إِنَّ اللِّسَانَ لَعَنَوانُ الْجَنَانِ، فَمَنْ طَابَ جَنَانًا يَطِبَّ قَوْلًا لِكُلِّ نَجِي^(٢)

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا اجتمع الأخيارُ ينفعوا غيرهم، وإذا اجتمع

(١) الأصغران هما: القلب واللسان، كما ورد في الحديث.

(٢) «ديوان بن سميطة» (٣٨).

الأشرار ضَرُّوا غيرهم، مثل القَبَسَةِ والمَرُوءِ^(١)، ما تَظْهَرُ نارُ الأَشْرارِ إلَّا باجتماعِهم، ولا يَظْهَرُ نورُ الأخيارِ إلَّا باجتماعِهم.

واصْحَبِ الأخيارَ واعرف ما لَهم واهْجُرِ الأَشْرارَ واتْرُكْ قَالَهُم

وَإِذَا مَا حَصَلَتْ خَيْرٌ تَجَالِسُهُ طَالَعٌ فِي كِتَابٍ مِنْ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ حَدَادٍ، وَالْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ، يَا خَيْرَ جَلِيسٍ، هَذَا دَلِيلُ التَّوْفِيقِ، لِأَنَّ الْكِتَابَ نَصْفُ الْمَلَاقَةِ، تَجَالِسُ الْأَكَابِرُ وَقَدْهُمْ فِي قُبُورِهِمْ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَثَلُ الْوَالِي الْعَادِلِ إِذَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ، مَثَلُ السَّيْلِ الْكَبِيرِ، يَسْقِي جَمِيعَ الْأَرْضِ فِي سَاعَةٍ، تَتَمُّ بِهِ الْمَقَاصِدُ بِسَهَالَةٍ.

وَمَثَلُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ مَثَلُ السَّنَاوَةِ بِالْغَرْبِ^(٢)، تُمَضِي نَصْفَ النَّهَارِ فِي سَقْيِ نَخْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

اطْلُبُوا مِنَ اللَّهِ وَالْيَاسِيَّ مَا فِيهِ، وَإِنْ وَقَعَ عَادِلًا نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ، وَإِلَّا قَدْ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْهَمْلَةِ، كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَالْيَاسِيُّ غَشُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تَدُومُ. وَأَوَّلُ الْكَلَامِ مَا نَجِي بِهِ، مَا بِهِ فَرَحٌ، وَأَنْتُمْ أَفْهَمُوهُ، مَا نَجِي بِهِ إِلَّا لِلضَّرُورَةِ.

* * *

(١) الْقَبَسَةُ: مَا يَشْعَلُ فِيهِ الشَّرَارَةُ، وَالْمَرُوءُ: قِطْعَةُ قِمَاشٍ أَوْ خِيْطٌ يُقَرَّبُ مِنَ الْقَبَسَةِ لِتَشْتَعَلَ فِيهِ النَّارُ.

(٢) الْغَرْبُ: الدَّلُو الْكَبِيرُ.

وقال رضي الله عنه: ما أدري، لو عاد الحبيب طاهر بن حسين موجود بايقع هذا القبول «للخطبة» أم لا؟ لأن مشاهدة البشرية تحتاج إلى نورٍ وافر، واليوم قد بعدت شمسُه، معاذ نُعذر.

حتى أن كُتِبَ سيدنا عبد الله الحدادِ حصل بها انتفاعٌ عظيمٌ بعد موته رضي الله عنهم، والميتُ معاذُ فيه تهمة، وأما الحيُّ متهمٌ بسبب البشرية. ولكن ما عليك إلا التذكير، والهداية بيد الله. عسى الله يزكي النفوس ويصلحها.



وقال رضي الله عنه: قَوُّوا إيمانَ أولادكم وأهلكم، وعادهم صغار، حتى يُرَبُّوا على قوة الإيمان؛ لأنه لا ينفع في الآخرة إلا الإيمان، ولو ما شي أعمال، كسحرة فرعون، قالوا: آمنا برب العالمين، فقتلهم فرعون، فدخلوا الجنة بإيمانهم.

وإذا ما شي إيماناً ما تنفع الأعمال ولو هي صالحة في الصورة كأعمال المنافقين. وإذا قوي الإيمان صار يقيناً، معاذ يدخله الشك. وإذا عاده إلا إيمان فقط يدخله الشكوك والظنون، والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب؛ كما تشاهد غالب الناس في السعي في الرزق من شام إلى يمن، إلى جـاؤه إلى هند، سببه: عدم الثقة بالله.

□ كان الحاج أحمد باعقبة من الكبار^(١)، إذا دخل السوق يسمع

(١) أي: من كبار الصالحين.

آلاتِ المخازن تُسَبِّح، حجابٌ رقيق، وهو ممن أخذَ عن سيدنا الحبيب محمدِ ابنِ زين بن سُمَيْط.

□ رأى أحمدُ ابنَ بكار بن عوض لعَجَمَ بعدَ موته، فسأله: ما الذي يَنْفَعُ في الآخرة؟ فقال له: إيمان بالله، ثم انصرف وقال: قلّ للعيال لا يغفلون عن عمارة المال^(١)، وكان أولاده حينئذٍ غُرباءَ عن البلاد، أو كما قال، إذا انكسرتِ النفسُ تنوّرَ القلبُ.

* * *

وقال رضي الله عنه: هذا الجاري في (تريس) من الهَوْش^(٢) من آلِ كثير سببه: عدَمُ التذكير ودعوة القبائل، وربما نحنُ نشاركهم، يبات الإنسانُ راکعاً وساجداً وهو شريكٌ في قَتْلِ القاتل وهَوْشِهِ بسببِ سكوته. وأما في حقِّ المُهْتَاش^(٣) فهو: إمّا كفارةُ ذنوب أو رفعُ درجات «عَجَبَ رَبُّكَ من قومٍ يُساقون إلى الجنةِ بالسلاسل»^(٤)؛ لأن المصائب ما تخلو: إمّا أن تكونَ كفارة، أو رفعَ درجة.

وواجبٌ على أهلِ كلِّ بلدٍ يخرجُجونَ إليهم ويذكرونهم ويعرفونهم

(١) أي: أراضينا الزراعية.

(٢) أي: السرقات.

(٣) أي: المسلوب المال، المظلوم.

(٤) الحديث بهذا اللفظ أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١: ٢٥١)، وأصله في البخاري (٤٢٨١).

أنهم يركضون في طريق النار، وإلا يكتبون لهم خط، من كافة الناس ويسخطون حالتهم، حتى يدرون أنهم على ضلال.

وقد هتاشت قافلة في زمن الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه في (العجلانية)^(١)، فكتب لهم الحبيب عبد الرحمن خطاً خوفهم فيه وهذّدهم، وذكر لهم أن كل من له خيط له دعوة مستجابة. خرج من العذر رضي الله عنه، ولا عاش جم بعد الواقعة المذكورة، رحمه الله.

واسألوا من الله الكريم أن يئن بوال على ما فيه، وإن وقع عادلاً نعمة من الله، وإلا قدّه أهون الشرين، ومرادنا إلا خير الخيرين إذا قدر الله تعالى، وحالتنا مع عدم الوالي مئيّة إبليس، شفوه يضحك منا، يُكرِّر. التجّوا إلى الله في وال على ما فيه قدّه خير من الهمة.

وقد كان الولاة السابقون القريبون مؤمنين الأرض، قائمين بالحدود، يقتلون القاتل، ويقطعون السارق، وفيهم جور من مُطالبة الدنيا، ولكنهم يُسلمون الذّبن، ووقّعوا لك حذاء من النار. أو كما قال رضي الله عنه.



وقال رضي الله عنه: قال الحبيب عمر حامد لرجلٍ شاوره في السفر: لو قنعتم بالذرة والتمر ما سافرتُم.

ولما أراد القراءة سيدنا الحبيب محمد بن زين بن سُميط على سيدنا الحبيب عبد الله الحداد قال له: اقرأ في كتاب «رسالة المعاونة»، فكان

(١) بلدة معروفة بحضرموت، قريب من القطن.

أول كتاب قرأ فيه على سيدنا عبد الله . فأخبر بذلك الحبيب حامد بن عمر ، فقال له : ألا رأى فيك شي .

قال سيدي أحمد رضي الله عنه : لأن عادة سيدنا عبد الله يخلي المبتدي يقرأ في «عقيدة الغزالي» ونحوها من الكتب المختصرة . فأكثروا من مطالعتها بالخصوص ، يعني بذلك : سيدنا الحبيب أحمد بن زين بن محمد بن سميطة^(١) أو كما قال رضي الله عنه .



وقال رضي الله عنه : اطمعوا في الله سبحانه وتعالى ، فهو الواحد الماجد ، وخزائنه ملانة : «لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم»^(٢) . إلخ ، واطلبوا منه المطالب الجزلة ، وإن كنا ما نحن أهلاً .

نطلبه من باب الفضل والمنة يقيض للجهة والياً عدلاً تتم به جميع المطالب ، لأن غالب الناس ما يردهم إلا السلطان ، حد منّا يقول : يرّدنا إيماني^(٣) ، كلنا ما يرّد نحن إلا السلطان . عسى الله يمنّ به في عافية .

وعادك تطمع في ربك لاخرتك : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ

(١) السيد أحمد بن زين بن سميطة هو ابن ابن عم الحبيب أحمد بن عمر ، توفي بشبام سنة ١٢٨٠هـ ، كان من أهل الصلاح والعلم ، وهو والد الحبيب حسن بن أحمد المتوفى بشبام سنة ١٣٢٣هـ .

(٢) حديث قدسي ، رواه مسلم (٢٥٧٧) .

(٣) أي : هل منكم من أحد يقول : سيردّني إيماني ؟

الَّذِينَ ﴿الشعراء: ٨٢﴾، أما الدنيا ففانية، قُعُوا^(١)، في الطمَع مثل أشعَب^(٢)، وعادة قال: أطمعُ مني امرأتي، ما تَوَهَّمْتُه أنا تحَقَّقَتْهُ هي، وأطمعُ مِنَّا شاتنا، تتناول للتعنُّمة^(٣)، تحسبُها خُصرة^(٤).

* * *

وقال رضي الله عنه: اكتبوا هذا الكلام، وإن فهمته يا فلان وإلا اكتبه حتى تخرج من الكثم. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: وادَّعِ الفقرَ والفاقة حتى يعطونك، لا تدَّعِ الغنى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ [التوبة: ٦٠]، ونحن فقراءُ إلى توفيق الله وفضله وحفظه، وإلى وإلِ عَدَلِ، الذي به صلاحُ الأحوال وكمالها، فالجهةُ مضطرة إليه، وجميعُ الأشياءِ مُغَيَّرَةٌ^(٥)، ولا باتم إلا بالوالي، إذا مَنَّ اللهُ به في عافية، وما ذلك على الله بعزيز.

(١) أي: كنوا.

(٢) شخصية يضرب بها المثل في الطمع، وهو أشعب بن جبير، يقال له: ابن أم حميدة. من أهل المدينة، كان مولى لعبد الله بن الزبير، وروى الحديث، عاش عمراً دليلاً، أدرك عثمان رضي الله عنه، وقدم بغداد أيام المنصور العباسي، توفي بالمدينة سنة ١٥٤هـ.

(٣) التَّعْنُمَةُ عند أهل حضرموت: ألوان الطيف التي تظهر بعد المطر مع شروق الشمس، وقد ورد النهي عن تسميتها (قوس قزح).

(٤) أي: تحسب الألوان الخضراء التي في الهواء خضاراً فتتناول لأكلها.

(٥) أي: مبطلة.

وقال رضي الله عنه: يا حُسَيْن^(١)، تدري مَنْ السعيد؟ هو: الذي يُحسِّن الصلاة، والشقي: هو الذي يغيِّر الصلاة، له التعبُ والوزر، ولو هو يقومُ من آخر الليل ويصلي في أول صف.

اجتهدوا في التفقه، وفقهوا أهلكم حتى يصلون صلاة صحيحة، يا بخت من يعلم أهله، والمحك والاختبار إلاّ عنده، وعليه المدارُ والصّلاح؛ لأنهم إذا صلحوا أصلحوا مَنْ بعدهم وإلاّ بالعكس. قع «ذاهن»^(٢) بالنون، لا تقع «ذاهل»^(٣)، باللام.

قال سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه: حرّك بعبّك، وأذب جعاجعك.

* * *

وقال رضي الله عنه: خرّج حبيبي عبد الرحمن بارقة من شبام إلى الحوطة، وكان من أهل الكشف، فسمع طائراً مرّ عند أذنه وهو يقول: يا حدّاد القلوب! فسيّدنا عبد الله الحدادُ موهبةٌ لأهل الزمان التالي.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا حُسِنَتِ القراءةُ حُسِنَتِ الصلاة، وإذا تغيّرتِ القراءةُ تغيّرتِ الصلاة، ما الشأنُ وجودُ الصلاة والقراءة؛ الشأنُ كلّهُ في الإحكام.

(١) لعله يخاطب سبطه حسين بن عمر بن محمد بن سميّط.

(٢) من النباهة وتيقظ الذهن.

(٣) من الذهول أي: الغفلة.

وقال رضي الله عنه: تعلقُ التقوى بالتروكِ أكثر، والشأنُ كله إلا فيه، وكذلك الأفعال، وإنما قد تصدرُ من المنافقين الأفعال، بخلافِ التروك. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: الكبارُ من أهلِ الله يرقِّيهُم الله، ويقيِّضُ لَهُم مَن ينفي الإعجابَ عنهم، وذلك عندَ القراءةِ عليه قولُ أبي يزيدَ البسطامي، قال: ما غلبني أحدٌ ما غلبني شابٌ من أهلِ بلخ، حين سألَه عن الزُّهد، فأجابَه أبا يزيدَ بقوله: الزُّهدُ: إذا فقدنا صبرَنا، وإذا وجدنا شكرَنا. فقال له الشابُّ: هكذا عندنا كلابُ بلخ، أو كما قال^(١).

* * *

وقال رضي الله عنه: يقال: الكتابُ إذا لم يُقابَل، يُلقى على المزابل، ومن كلام سيدنا عبد الله بن علوي الحداد: قابِلوا الكتب، فإنَّا لا نُحبُّ اللحن. وقولوا: قُويلَ على فلان. أو كما قال.

* * *

وقال: الكتابُ كالمُكلَّف لا يَكُفُّ القلم عنه.

* * *

وقال: كان في الزمنِ السابقِ وعاد الأهواءُ مستقوية: مرزُن نساءً

(١) وتمام جواب ذلك الشاب: بل إذا فقدنا شكرنا، وإذا وجدنا أكثرنا.

تَحْتَ بَيْتِ إِنْسَانٍ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ وَهُوَ حِينَئِذٍ أَرْمَدُ. فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: لَوْ فُلَانٌ بَخِيرٌ لَكَانَ نَسَمَ عَلَيْنَا، فَسَمِعَ كَلَامَهَا، فَخَرَجَ فَدَعَا لَفْلُوفاً مِثْلَهُ وَفَعَلُوا مَا يَعْتَادُونَهُ^(١)، وَكَانَ الْبَاعِثُ لَهُوَاهُ كَلَامَهَا^(٢). أَوْ كَمَا قَالَ.



وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(٣)، جَدُّ سَيِّدِنَا طَاهِرِ بْنِ حُسَيْنٍ، كَثِيرَ التَّحَرِّيِّ وَالْوَرَعِ، قَالَ: تَعَجَّبْتُ مِنْ مَدْحِ الشَّيْخِ عَمْرِءَ بَامْخَرَمَةَ لِبَدْرِ بُو طَوِيرِقٍ، فَلَمَّا عَرَفْتُ قَدَرَ الْوَالِي قُلْتُ: فِي مَحَلِّهِ؛ أَوْ كَمَا قَالَ.

□ وَلِهَذَا صَبَرَ الشَّيْخُ مَعْرُوفٌ بِاجْتِمَالِ عَلَى أَذَى بَدْرِ الْمَذْكُورِ، وَكَانَ قَدْ قَدَّمَ ذَلِكَ لَهُ شَيْخُهُ الْأَخْضَرُ، حِينَ كُوشِفَ: أَنَّ السُّلْطَانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ^(٤) وَالِدَ بَدْرِ الْمَذْكُورِ اعْتَرَضَ عَلَى الشَّيْخِ الْأَخْضَرِ فِي شَلِّ عَرْضَةِ بَيْنَ بَعْضِ الْقَبَائِلِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَذْكُورُ كَلَاماً لَا يَلِيقُ بِحَالِ الشَّيْخِ، وَهُوَ حِينَئِذٍ بِنَدَرِ الشَّحْرِ، وَالشَّيْخُ الْأَخْضَرُ بِمَكَانِهِ بِدُوعِنَ، وَعِنْدَهُ الشَّيْخُ مَعْرُوفٌ وَالشَّيْخُ عَمْرُءُ بَامْخَرَمَةَ، فَمَدَّ إِصْبَعَهُ الشَّيْخُ الْأَخْضَرُ وَقَالَ:

(١) أي: من الغناء ونحو ذلك مما يفعله الصعاليك.

(٢) وفي هذا دلالة كبيرة على وجوب جلوس المرأة في بيتها، لأن خروجها فتنه وأي فتنه.

(٣) تقدم مثل هذا الكلام سابقاً.

(٤) كانت ولايته على حضرموت من سنة ٨٩٤ هـ، إلى سنة ٩١٠ هـ، وهي السنة التي توفي فيها.

رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ مَاتَ فِي وَسْطِ سَمْعُون
رحمةً شاملةً، والعفوُ مرْجُوٌّ ومسْهُونٌ

ثم قال للمذكورين^(١): وقعنا في عبدِ الله بن جعفر، ولكن حَمَلُوا
نحن أولادَه. مَنْ منكم بايتَحَمَلهم؟ فقال الشيخُ عمر: ما أَقْدِرُ على
الحمولة. وقال الشيخُ معروف: العَبْدُ في الطاعة. فقال له الشيخُ الأخضر:
سُفُّهُمُ بايأَذونك، فكان كما قال مِنْ أذاهُم له.

فصَبَرَ على ذلك لأجل ما تحمَّله^(٢)، وعَرَفَ ما يترتبُ على ذلك،
سُحِبَ رضيَ الله عنه في (سوقِ سَلُوم)^(٣) فكان يَضْحَكُ ويدعو لهم،
فقليل له: كيفَ تضحك؟ فقال لهم: نلتُ ثواباً ما نلتُهُ بصلاةٍ ولا بصيام،
وأدعو لهم لئلا يَقَعَ حظِّي منهمُ الثوابُ وحظُّهم مني العقاب. أو كما
قال... إلخ، وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الكَفَافُ ليسَ من الدنيا، ومأمونُ الغائِلة^(٤)، وأما
الزائدُ عليه خَطَرَ جَمٍّ.

(١) أي: قال الشيخُ الأخضرُ لبامخرمة وباجمّال.

(٢) أي: من العهد مع شيخه.

(٣) وهو سوقُ شبام المعروف.

(٤) أي: مأمونُ العاقبة، لأن ثوابه جزيل.

□ وقال رضي الله عنه: كان الشيبة عليّ بن محمد لعجم يخرج إلى (حَذِيَّة) ^(١)، إلى الشيبة عُمَرُ باهرمز، فإذا ذَكَرَ هذين البيتين ^(٢):

سألتُ الناسَ عن خِلٍّ وفيّ فقالوا: ما إلى هذا سبيلُ
تمسّكُ إن ظفرتُ بِوَدٍّ حرٍّ فإنَّ الحرَّ في الدنيا قليلُ

□ يقول باهرمز: تدري مَنِ الحرُّ اليوم؟ هو محمد بن زين بن سُمَيْط.

□ وكان الحبيبُ عُمَرُ البار رحمه الله يقول: إذا سار الحبيبُ محمد ابن سُمَيْطٍ إلى تَريم أحسُّ قلبي يوجعنا لأهل شبام.

□ وكان مشغان ^(٣) يقول للحبيب محمد بن سُمَيْطٍ إذا أخذَ شهرين في تَريم: يجوزُ لك تَبِت ^(٤) وتخلي الناس؟

قال سيدي: عسى الله يكثر المذكرين، ما الشأنُ إلّا في الدعوة إلى الله، وقوموا على أهل بيوتكم، فقَّهوه؛ فإنه أفضلُ القُرَبات، وثقيلُ على النفس، لأنه خالصٌ ومن الحقِّ الصَّرف، والحقُّ ثقيلٌ إلّا أنه مريء، والباطلُ خفيفٌ إلّا أنه وبيء، حتى تشكروا أنتم وهم يوم القيامة، يا بخت من اغتنم هذا الشَّور الصائب.

(١) قرية قريبة من شبام.

(٢) وهما للإمام أبي إسحاق الشيرازي.

(٣) هو الشيخ محمد مشغان، الأصقع، تقدم ذكره.

(٤) تَبِت أي: تذهب.

ونسَمِعَ عَنِ الْحَبِيبِ عَمَرَ الْعَطَاسِ يَقُولُ: إِنَّ أَهْلَ الزَّمَانِ كَالشَّنِّ^(١) الْيَابِسِ، إِنَّ مَا رَشَّشْتُهُ تَقْصَّفُ.

* * *

وَسَأَلَ مَنْ سَيَدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْضُ السَّادَةِ الدُّعَاءَ بِتَيْسِيرِ الْأُمُورِ، فَقَالَ لَهُ: حَسِّنْ ظَنَّاكَ بِرَبِّكَ وَالْأُمُورَ بِاتِّسَارٍ، وَاجْعَلْ سَفَرَكَ تَذْكِيراً.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ الْحَبِيبَ حَامِدَ بْنَ عَمْرٍ، أَوْ أَحَدًا أَخْبَرَنِي عَنِ الْحَبِيبِ حَامِدٍ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْحَبِيبَ شَيْخَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيِّ^(٢)، اجْتَمَعَ فِيهِ سُلُوكٌ وَنَسْكٌ وَلَوْعَةٌ.

قَالَ سَيِّدِي: كَانَ الْحَبِيبُ شَيْخَانُ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ مَسْتَهْتِراً.

وَكَانَ سَيَدُنَا الْحَبِيبُ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ يَقُولُ: إِنَّ حَدَّ شَيْخَانِ

(١) الشَّنُّ: هُوَ الْجِلْدُ الَّذِي يُصْنَعُ لِحِفْظِ الْمَاءِ، وَهُوَ الْقَرِيبَةُ إِذَا كَانَ بِهِ مَاءٌ، وَشَنُّ إِذَا خَلِيَ عَنِ الْمَاءِ.

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ: بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَلَعَلَّ الصُّوَابَ: بَنَ حُسَيْنٍ؛ لِأَنَّ الْحَبِيبَ شَيْخَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ لِحَبْشِيِّ الْمَتُوفِيِّ بِسَيُونِ سَنَةِ ١٣١٣ هـ مُتَأَخِّرَ الزَّمَانِ بِالْغُرْفَةِ. إِنَّمَا جَدُّهُ الْحَبِيبُ شَيْخَانُ بْنُ حُسَيْنٍ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيِّ هُوَ الَّذِي كَانَ مُعَاصِراً لِلْحَبِيبِ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ، تَوَفَّى الْحَبِيبُ شَيْخَانَ هَذَا بِالْعَصْلَةِ، وَلَمْ تُؤْرَخْ وَفَاتُهُ. وَالْمُصَلَّةُ هَذِهِ مَوْضِعَانِ: أَحَدُهُمَا جَبَلٌ قَرِيبٌ مِنْ بَرُومَ فِي السَّاحِلِ، وَالْآخَرُ: بَلَدَةٌ شَرْقِيَّةٌ زَنْجَبَارَ فِي سَاحِلِ أَيْبِنَ فِي مَدِيرِيَةِ خَنْفَرِ.

مَدْرَس^(١)، وإلا ما شي مَدْرَس، ونظرُهُ حَلَّ على الحبيب شيخان، ونظرُ
الأكابر إكسير ما يَخِيبُ مَنْ رآهم.

* * *

وقال رضي الله عنه: أشار سيدنا الحبيب عبد الله الحدادُ على الحبيب
محمد بن سُمَيْطٍ بمطالعة «الإحياء» وخاصةً منه: كتابُ ترتيب الأوراد.

وأنتم اغتنموا إشارة الحداد؛ وذكر فيه^(٢) أن أكثر الناس لا يصلحُ
لهم إلا توزيع الأوقات بوظائف العبادات.

قال سيدي: خرج أناسٌ منهم^(٣)، وأحسب أن في موضع آخر من
«الإحياء» ذكر: «أما المستهتر فلا لنا حكمٌ عليه» أو كما ذكر، والمستهتر^(٤):
ما ذكره الحبيب عبد الله الحداد في قوله:

شَغِفُوا بِهِ واستغرقوا في حُبِّهِ طولَ الزمانِ بكلِّ رُوحٍ طائر^(٥)

(١) أي: إذا كان موجوداً عقدنا المدرس وإلا فلا.

(٢) أي: الإمام الغزالي في هذا الكتاب.

(٣) أي: خرج من عموم هذا الكلام أناس مخصوصون لم يدخلوا فيه.

(٤) المستهتر بالشيء: المكثّر من ذكره، قال في «القاموس»: المستهتر بالشيء —
بالفتح — المولع به، لا يبالي بما فعل فيه وشم له.

(٥) من قصيدته التي مطلعها:

* الحمدُ لله الشهيد الحاضر *

في «ديوانه»: ص (٢٢١). وقد شرحها الحبيب أحمد بن زين بكتاب سماه:
«الروض الناضر».

□ وسيدنا الحبيب أحمد بن زين من المستهترين بذكر الله، قد يتفق مجلس واحد: من الشرق إلى الصفور^(١) في قراءة الكتب. وسئل الحبيب عبد الله الحداد عن حال الحبيب أحمد بن زين فقال: هو من أهل المقام العاشر^(٢)؛ وأهل المقام العاشر الذين ذكرهم في قوله:

خَصَّ اِرْجَالَ العَارِفِينَ بِقُرْبِهِ	وبأنسه أهل المقام العاشر
مِثْلَ الشَّرِيفِ السَّيِّدِ الغَوْثِ الَّذِي	يُسمَى إذا يُدعى بعبد القادر
وكذلك القطب المقدم في الوري	شيخ الشيوخ المستقيم الصابر
والحجة الغزالي أستاذ الملا	مُحيي علوم الدين كم من دائر
وابن الرفاعي أحمد الحبر الذي	قد كان كالبحر الخضم الزاخر
هذا وكم كم غيرهم من سادة	ممن تصوف في الزمان الغابر

فإنه ما حصرهم، بل قال: (وكم كم)، وعند ذكرهم تنزل الرحمة:

إلهي بحق القوم من بتوبة من الذنب تغسلنا بها أبلغ الغسل^(٣)



وقال رضي الله عنه: بذر الوالي العادل: أن تفقهوا أهليكم وأولادكم،

(١) أي: إلى الغروب.

(٢) والمقام العاشر: هو مقام الهداية، وهي يقين صافٍ، وكشف وشهود وافٍ وهو أحد مقامات اليقين، وهي: التوبة، فالصبر، فالشكر، ثم الخوف، والرجاء، فالزهد، فالتوكل، فالمحبة، والرضا، فالهداية.

(٣) للإمام الحداد في «ديوانه» (٣٩٩).

لأنكم إذا صَلَّحْتُمْ قَيَّضَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَقُومُ بِأُمُورِكُمْ، كما بَذَرَ الزَّرْعَ فِي الْأَرْضِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: يا فلان، تحفظُ «الخطبة»؟ قال: لا، قال له سيدي: رُحْتَ تتحفظُ «المولد» وخليت «الخطبة»، ما الأولى بالحفظ؟ قال: «الخطبة». فقال سيدي: ما تقول لو دخل النبي ﷺ ولحق ناساً يقرؤون «الخطبة» وناساً يقرؤون «مولده» عليه السلام، بايجلس مع من؟ قال: مع أهل «الخطبة». قال رضي الله عنه: هذا (مولد) وهذا (مورد)، تَضَلَّعُوا مِنْ هَذَا الْمَوْرِدِ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

* * *

وقال رضي الله عنه: كان أحمدُ بنُ بكارٍ لعَجَمٍ يقرأ لوالدته الكُتُبَ، حتى قالت له: سِرْ بي الحجَّ، وكررت عليه، فشكا إلى الحبيب محمد بن سُمَيْطٍ بأنه ما معه شيء للحج، وقال له: ربَّما تجي إلى عندكم، يعني: والدته، قولوا لها: اسمعي كلامَ أحمد، شوفيه ونعم^(١)، وأنا يا حبيب مانا ونعم، هو إلَّا لأجل تصدَّقنا فيما قلته! قال سيدي: انظرِ اعتناهم بأهلهم، وإلى صفاء قلبه فيما قاله.

□ قال سيدي: زرَّته في مرضه، فجلَّسَ ووقَّعتْ مذاكرة، من

(١) أي: ونعم الرجل.

جملتها^(١) قال: إِنِّي سِرْتُ إِلَى تَرِيمٍ إِلَى عِنْدَ الْحَبِيبِ حَسَنَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ، وَأَخْبَرْتُهُ بِزَوَاجِ أَخِي عَوْضَ بَكَارٍ، وَقُلْتُ: دُعُوا لَهُ. فَقَالَ: أَخُوكَ تَزَوَّجَ، وَبَايَجُونَهُ عِيَالٌ، وَأَنْتَ عَادَكَ تَتَزَوَّجُ وَبَايَجُونَكَ عِيَالٌ. قَالَ: فَتَزَوَّجْتُ بَعْدَ وَفَاةِ أُنْتِي، فَكَانَ كَمَا قَالَ، أَخِي جَاءُوا لَهُ عِيَالٌ، وَأَنَا كَذَلِكَ.

قال سيدي: فخرجنا من عنده، وفي يومه ذلك توفي؛ فأخبرتُ والدي بوفاته فقال: توفي اليوم ولا حدَّ مثله في شبام.

قال سيدي: هُوَ مَنْ الَّذِينَ يَحْيِيهِمُ اللَّهُ فِي عَافِيَةٍ وَيُمِيتُهُمْ فِي عَافِيَةٍ، «عليهم سلامُ الله إن كان قد مَضَوْا»^(٢). . . إلخ.



وقال رضي الله عنه: وَاحِدٌ مِنْ شَيَابَتِكُمْ^(٣)، وَسَمَّاهُ لِي، شَكَا إِلَى الْحَبِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ سُمَيْطَ نِسَاءَهُمْ فَقَالَ: عَاصِيَاتُ نَاصِيَاتِ^(٤)، يَخْرُجْنَ بِغَيْرِ رِضَانَا.

(١) تقدم مثل هذا في موضع سابق.

(٢) تمام البيت، وهو للإمام الحداد، وقد تقدم مراراً:

عليهم سلامُ الله إن كان قد مَضَوْا فذَكَرُوا لَهُمْ بَاقٍ وَقَدْ شَاعَ، بِالنَّقْلِ

«الديوان» ٣٩٩.

(٣) أي: من شياطة آل لعجم باذيب.

(٤) ناصيات: توكيد لفظي.

قال سيدي: وأنتم احمّدوا الله على هذه النعمة التي خصّكم الله بها من تعليم النساء؛ قال: وكُنَّ للمذكور بناتٌ منوّرات^(١).

* * *

وقال رضي الله عنه: من كلام سيدي عبد الله الحداد رضي الله عنه: ما يعرفُ قَدْرَ كلامنا إلّا الأموات^(٢)، وكذلك ما يعرفُ قَدْرَ تعليم النساء إلّا الأموات، لأنه نعمةٌ عظيمةٌ خصّكم الله بها.

* * *

وقرأتُ على سيدي «وصية الحبيب عبد الله الحداد للحبيب عيسى بن محمد الحبشي»^(٣) في أثناء قراءة. قال سيدي: الحبيب عيسى، هو جدُّ الحبيب محمد بن عيّدروس الحبشي^(٤).

قال سيدي: ووقعَتْ من سيدنا الحبيب عبد الله الحداد مذاكرةٌ بعدَ زيارته لمقبرة تريم، وذلك عندَ قبر سيدنا العيّدروس، فانجرتِ المذاكرةُ إلى

(١) أي: كُنَّ بناتٌ ذلك الرجل المشتكي منوّرات، ومع ذلك شكاهن إلى الحبيب، فكيف لو كانت حالتهن غير ذلك؟!

(٢) أما أموات النفوس، الذين بذلوا قلوبهم وأرواحهم للدين، أو: الأموات على الحقيقة، لما يروونه من عظيم الثواب والأجر من النفع الحاصل للناس، لأنهم كشفت عنهم الحجب بخلاف الأحياء. والله أعلم.

(٣) هو الحبيب العلامة الصالح عيسى بن محمد بن أحمد صاحب الشعب الحبشي، توفي بخنفر سنة ١١٢٥هـ.

(٤) تقدّم ذكره، وهو عم الإمام عيّدروس بن عمر الحبشي.

ذَكَرَ فَرْعُونُ، فَقَالَ الْحَبِيبُ عِيسَى الْمَذْكُورُ: فَرْعُونُ قَصِيرٌ، يَعْنِي قَامَتَهُ، قَالَ لَهُ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ: مَا أَدْرَاكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ. قَالَ سَيْدِي: فَاَنْظُرْ كَشْفَهُ لَذَلِكَ؛ وَوَصِيَّةُ سَيِّدِنَا عَبْدُ اللَّهِ لَهُ مَعَ كُبُرِ مَقَامِهِ تَعَرَّفُ هِمَّةُ الْأَكَابِرِ.

□ وَالْحَبِيبُ عِيسَى هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ شَيْخُهُ الْحَبِيبُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسُ بِالْجُلُوسِ فِي (وَادِي عَمْدٍ) لِلتَّذْكِيرِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى قَالَ لِشَيْخِهِ: طَرَحْنَا فِي مَكَانٍ مَا فِي أَهْلِهِ مِنَ الْخَيْرِ ضَرْبُهُ عَصَا، وَلَكِنْ بِهِمَّةِ الْحَبِيبِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَنَوَّرَ الْوَادِي بِدَعْوَتِهِ.

□ وَكَانَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بَارَاسُ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْعَى الْغَنَمَ عِنْدَ سَيِّدِنَا الْحَبِيبِ عَمْرِ الْعَطَّاسِ، فَقَالَ: عَلِّمُوا الرَّاعِيَ لَا تَخْلُونَهُ كَذَا. حَتَّى صَارَ مِنْ وَرْدِهِ رُبْعٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَهُوَ يَرْعَى الْغَنَمَ، ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى أَنْ صَارَ عَيْنَ زَمَانِهِ، فَأَقَامَهُ الْحَبِيبُ عَمْرٌ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ، أَوْ كَمَا قَالَ سَيْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السَّكْرَانُ أَوَّلَ أَمْرِهِ اعْتَنَى بِعِلْمِ الظَّاهِرِ، فَكَتَبَ لَهُ أَخُوهُ الْعَيْدَرُوسُ جُزْءًا مِنْ «الْإِحْيَاءِ» بِمَدَادٍ ذَهَبٍ أَوْ فَاِرَعَةٍ، لِأَجْلِ يَجْذِبُهُ إِلَى عِلْمِ الْبَاطِنِ، فَكَانَ كَذَلِكَ حَتَّى صَارَ شَيْخَ الْمَهْيَعِ^(٢).

(١) تقدم ذكره.

(٢) المهيع: الطريق الواضح. يشير إلى قول الإمام الحداد في «العينية».

والعيدروس القطب سلطان الملا وأخيه نور الدين شيخ المهيع
«الديوان»: ص ٣٦١، و«شرح العينية»: ص ١٩٥.

قال سيدي: وأُؤذي سيدنا عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، حتى قبضه بعض العياف^(١) وآذاه، فلما فكّه جاء الناس إليه يهتّونه، لأنهم اشتغلوا^(٢) من ذلك جمّ، فجعل الحبيب عبد الرحمن يذكر لهم ما وقع للسابقين من الأذى مثل سيدنا موسى الكاظم. فقال له ابن اخته: لا تقل كذا، يكفي ما قلته.

قال سيدي: يعني الأولين في طلب مُلك، وهذا إلّا كذا^(٣). وقصيدته التي أولها: «لَكَ الحمدُ يا مُحَمَّدٌ»... إلخ، تدلّ على أنه مغلوب. وشكوا^(٤) من قِلّ الوالي، ولكنه تكميلٌ لمقامهم رضي الله عنهم. أو كما قال سيدي رضي الله عنه.



وقال لي سيدي: تحفظ دُعَاء الحبيب عبد الله الحداد: «اللَّهُمَّ أَخْرِجْ من قلبي كلَّ قَدْرٍ للدنيا»... إلخ؟ فقلت: نعم. فقال: ادْعُ به في سَجُودِكَ. وذلك في مجلس خاص، نفع الله به ورضي عنه، آمين.



وقال رضي الله عنه ونفع به: كان حبيبي زين بن علوي بن سُميط

(١) أي: أهل السوء.

(٢) أي: تألموا.

(٣) أي: بدون وجه حق، أو سبب للحبس.

(٤) أي: السابقون.

رحمه الله في أول أمره له تعلق بالأسباب، ومع ذلك له نزوع كثير إلى التجريد، ثم وقعت آفة للمال، وخرج منه، وتجرّد في آخر عمره، وكان كثير الشفقة على أولاده.

□ مريض سيدنا محمد بن زين بن سميطة مريضاً شديداً والحبيب زين حيثئذ بتريم، ولم يعلموه بذلك، فرأى في المنام كأن معه بُستان نخيل في مسجد السقاف، ومنه نخلة عجيبة بقرب القبلة وهو مغتبط بها وفرحان، ثم مالت من مكانها ولم يرها، فحزن عليها على قدر فرحه بها؛ فانتبه. وأولها لنفسه.

وقال: هاتوا لي جمال إلى شبام ولو بقرش، وكان قبل ذلك لا يخطر له الخروج من تريم، فخرج حتى أتى إلى (خلع راشد)، عند الحبيب أحمد بن زين، فعلم بمريض الحبيب محمد.

وخرج من شبام عمي علي بن زين يعارض والده^(١)، وبايعجّله في المطلع، فلما وصل إلى عند الحبيب أحمد، قال له: بغينا الوالد يطلع؛ لأن الضنوء محمد شديد التشوق إليه، قال له: قد نحن بغيناه يطلع، فطلعوا.

واتفق أن بعض السادة معزوم عندهم للعشاء، فاستأذى الحبيب علي ابن زين من الحمى، فقال له الحبيب محمد: قم يا علي عازم^(٢) السادة، وتكلف الجلوس، شف الوالد ما يحمل اثنين، وثاني ليلة انطرح الحبيب علي، فدخل عليه والده زين، فعرف [أن] طرخته طرحة فناء.

(١) أي: يستقبله أثناء الطريق.

(٢) أي: خذ بخاطرهم.

وكان الحبيب زين يزور التربة بعد صلاة الصبح، فلما طلع قالوا له:
 إن عُمر البارح وُرِد^(١)، وإنه يغور^(٢)، فقال الحبيب محمد: إني سألت الله
 إن شي بايجري على عمر يقَع فيّ، وعِسّ جنبي قَدِ الحُمَى فيه.

فأما الحبيب عليّ فأخذَ نحوَ سبعةِ أيامٍ وتوفي^(٣)، رحمه الله؛ وأما
 الحبيب محمدٌ والحبيب عمرٌ شفاهما الله. وأما الحبيب زينٌ بعدَ أشهر
 توفيَ إلى رحمةِ الله^(٤). وسُنُّ والدي عمرَ حَيَّئذٍ عشرين سنة؛ لأن ميلاده
 سنة ١١٢٠، رضي الله عنهم ونفعنا بهم ونظّمنا في سلكهم ولا حرّمنا
 بركتهم، آمين.

* * *

وقال رحمه الله: التشبه بالسلفِ الصالحِ يورثُ التنبُّه.

* * *

وقال نفع الله به: محبةُ المالِ نَزْغَةٌ قارونية، وهو أشبهُ بالبهائم،
 ومحبةُ الجاهِ نَزْغَةٌ فِرْعَوْنِيَّة، وهو الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾
 [النازعات: ٢٤]، والعياذُ بالله.

* * *

(١) أي: أصابته حمى الورد.

(٢) أي: أن صحته تغور، وتدهور.

(٣) كانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ١١٤٠هـ.

(٤) كانت وفاته في ٤ شعبان سنة ١١٤٠هـ.

وقال رضي الله عنه: أصلُ الزهد: خروجُ حبِّ الدنيا من القلب، ومَظْهَرُهُ: خَفَةُ العلائق والأسباب، والتهوينُ في الطلب، ولا هُوَ بالقياس، كم من واحدٍ منكُمشٍ في نفسِه ما له أسبابٌ في الظاهر، وقلْبُه ملآنٌ من حبِّ الدنيا، وكم من واحدٍ في مَظْهَرٍ من الأسبابِ وقلْبُه خالي من محبةِ الدنيا.

□ جاء الشيخُ عليُّ بن عبدِ الله باراس يزورُ سيدنا الحبيبَ الحسينَ ابنَ أبي بكر بن سالم، فلَمَّا وُصِّلَ ورآى مَظْهَرَه تعجَّبَ من ذلك، وكاشَفَه الحبيبُ وقال له: لو فاتَ جميعُ ما ترى في ساعةٍ لم يتغيَّرَ لي خاطر، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: المعاصي الظاهرةُ مثلُ الزنا والسرقة، للإنسانِ أن يُبرِّىءَ نفسَه منها. يقول: ما فعلْتُها؛ وأما المعاصي الباطنةُ مثلُ الكِبَرِ والعُجْبِ والرياءِ ما أحدٌ يَقْدِرُ أن يبرِّىءَ نفسَه ولو كان ما كان، كيفَ والكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ يوسفُ عليه السلام قال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]؟ والأكابرُ يَتَهَمُونَ أَنفُسَهُمْ. انظرُ إلى كَلامِ سيدنا عبدِ الله الحدَّادِ في «ديوانه» مثل: «يا ويحَ نفسي الغويَّة»، وغيرها.

ولكن ما يتحقَّقُ ذلك إلَّا مِن نفسِكَ، وأمَّا غيرُكَ أحسِنِ الظَّنَّ به، وخَلِّهِ هو ربُّه؛ ما عليك إلَّا نفسُكَ. أو كما قال.

* * *

وأمر سيدي نفع الله به بكتابة مُذَكَّرَات^(١): «أُولَٰهِنَّ: «تتمة: يجبُ على النساء... إلخ؛ ثم كلامُ صاحب «التنوير»^(٢): «تنبيه؛ اعلم أنه يجبُ عليه... إلخ، ونظمُهُ للشيخ عبد الله بن سعد بن سُمَيْر^(٣)؛ ثم من «الخطبة» ثم: «إن للصلاة كثير... إلخ. وذلك إلى عند الحبيب هَادُون^(٤) أيامَ زيارة «الغيوار»^(٥).

ثم قال رضي الله عنه: اكتبوا له، ولو حصلتم مئين من هذه المذكورات، ويثوَّهن في الزَّوَّار؛ والخيرُ كُلُّه في قِصْرِ الأمل وشُهُودِ التقصير في التشمير في الدعوة إلى الله، والعمل.

اللهم لا تحرمنا خيرَ ما عندك لشرِّ ما عندنا فضلاً وإحساناً. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم؛ وادعوا لحضرموت بوالِ عدل.

* نشكو إلى الله مولانا عظيم الشأن *

والقصيدة قَدْها لا بُدَّ عندكم.

(١) أي: أمر بكتابة مجموعة من الرسائل تحتوي على تذكير ومناصحة.

(٢) يعني به: «التنوير في إسقاط التدبير» لابن عطاء الله السكندري.

(٣) العالم المفتي، توفي بالحوطة سنة ١٢٦٤هـ، «تاريخ الشعراء».

(٤) هو الحبيب هادون بن هود بن علي بن حسن العطاس، توفي بالمشهد سنة ١٢٦٠هـ.

(٥) الغيوار: هو الاسم القديم لبلدة المشهد؛ وفيها يقول محوَّطها ومؤسسها الحبيب علي بن حسن:

علي بن حسن حوَّط (الغيوار) وأمسي مزار

وأمسي يا الجحي جنة بعد ما كنت ناز

وقال رضي الله عنه مُذَاكِرَةٌ عِنْدَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ»^(١). إلخ: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ: أَنْ تَصِلَ الْقَاطِعَ، وَأَمَّا الْوَاصِلُ مِنْ بَابِ أَوْلَى. وقال بعضهم: أَنْ تَوَدِّي إِلَيْهِمْ مَا تَرَى لَهُمْ مِنْ حَقِّ عَلَيْكَ، وَلَا تَطْلُبُهُمْ بِمَا يَرَوْنَهُ لَكَ مِنْ حَقِّ عَلَيْهِمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَّاحَ وَأَسْتَرَّاحَ. أَوْ كَمَا قَالَ.



وقال رضي الله عنه: الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ بَخْرَقٍ فَحَلَّ مِنْ الْفُحُولِ، وَلَوْ حَدَّ يَتَمَنَّى عِيَالًا يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ هَذَا الْإِمَامِ، وَيَكْفِيهِ مِنَ الْمَدْحِ أَنْ كَتَبَهُ «الْحَدِيقَةُ» لَا يَزَالُ يُقْرَأُ عَلَى سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ إِمَامِ الْأُمَّةِ.

وَأَسْمُهُ بِخَرْقٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: بِخَرْقٍ رَقٍّ، يَعْنِي: يَنْتَفِعُ بِهِ جَمِيعُ النَّاسِ كَمَا يُنْتَفَعُ بِالْبَحْرِ الرَّقِيقِ. أَوْ بِخَرْقٍ يَعْنِي: الْبَحْرَ الْمُحِيطَ.

وَعَدَدُ آيَاتِ «الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ بَيْتًا كَمَا ذَكَرَهَا الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ بِالْجُمْلَةِ: (٤٥ = مَهْ) أَوْ (٤٥ = هِمَّ) يَعْنِي: مَهْ عَنْ الْمَنَاهِي، وَهَمَّ بِالْخَيْرَاتِ وَالْفَضَائِلِ.

كُلُّكُمْ اسْتَوْصُوا بِهَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، يَعْنِي: «الْحَدِيقَةُ» فَإِنَّهُ الْوَصِيَّةُ الْجَامِعَةُ التَّامَّةُ^(٢). أَوْ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبِزَارُ فِي «مُسْنَدِهِ». وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٩٠٩)، (٥٠٦٤)، (٥٥٦٧).

(٢) وَقَدْ طُبِعَتْ «الْحَدِيقَةُ الْأَيْقَةُ» مَرَّاتٍ.

وقال رضي الله عنه: يا فلان؛ جعلك الله في وظيفة شريفة اشكر الله، واستمد منه المعونة بالصبر يوم، جعلك الله في مقام الفضل، وكم من واحد يجعله في مقام العدل. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه - آخذاً من قوله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] -: إن أكرم الناس واتقاهم بعد الأنبياء عليهم السلام سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما في الآية الثانية ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: خرج ذرويش اسمه «فدا محمد» في زمن الحبيب أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه، وكان يقصد المقابر، ف قيل له: تعال شف معنا قبر يسير، يعني: الحبيب أحمد بن زين الحبشي.

فجاء إليه، وكانت به علة ضيق النفس، حتى أنه لا يسير إلا وهو جاعل عيذان^(١) مشدود بها صدره وجنوبه، فلما قدّم العيش في حضرة سيدنا أحمد بن زين نوى بالأكل منه الاستشفاء من علة، فشفاه الله تعالى.

ثم سار إلى (المخا) فاتفق بأناس من أهل تلك الجهة، فسألوه: من أكرم الناس فيما رأيت من أهل حضر موت؟ وحسبوه أنه بايقول: فلان، ممن يعرفونه من أهل المناصب وإكرام الضيف. فقال لهم: أكرم الناس:

(١) أي: أعواد.

السيد أحمد بن زين الحبشي، أخذت عنده ثمانية أيام لم تُذكر الدنيا في مجلسه. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: الإمام الغزالي نفع الله به، أبو آل باعلوي^(١)، أو ما تدري يا مُحَمَّد أنه أبوك؟ يا خير أبو سعدوا به وهو سعد بهم.

□ قال الوالد: حصل على الحبيب محمد بن شميطة مريض شديد وأنا بترميم، فخرج لي مكتب، فوصلت، فلما دخلت على الحبيب محمد قال: أما علمت أن سنّي خمس وخمسون سنة كسنّ الغزالي والعيدروس؟! وهؤلاء الاثنين أنا ميت عليهم، أنا ميت عليهم^(٢). أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان الحبيب أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه إذا جاء إليه أحد متشفّع من جور الجند يعتذر إليه، ويقول له: ما هو مأذون لي في الشفاعة، وكيفي الليب دعاؤنا له.

ويقول: من حين نسبر نكتب له خط بانقول: كذا وكذا، مدح لمن لا يستأهله. أو كما قال.

* * *

(١) جملة مبتدأة، أي: هو أبو آل باعلوي.

(٢) ولكنه رحمه الله مات سنة ١١٧٢هـ، عن اثنين وسبعين عاماً، وكلامه هذا بيان لشدة محبته لهما.

وقال رضي الله عنه: ليس العاقلُ مَنْ يميّزُ الخيرَ من الشرِّ، فإنَّ غالبَ الناسِ يميّزونَه، وإنما العاقلُ: الذي يميّزُ بينَ خَيْرِ الخيرينِ فيفعلُ أخيرَهُما، وبينَ شرِّ الشرينِ فيرتكبُ أهونَهُما.

مثالُه: عدَمُ وجودِ الوالي شرٌّ، ووجودُ الوالي الجائرِ شرٌّ لكنه أهونُ الشرينِ، قدّه خيرٌ من الهَمَلِ. كما قال سيدنا عمرو بنُ العاص: والي غشومٌ خيرٌ من فتنةٍ تدوم. وكما ورد: «جورٌ أربعينَ سنةً ولا رعيّةٌ مُهمَلَةٌ ساعةً واحدةً»^(١). أو كما ورد. ذكره شارح «دعاء أبي حُرّة». وإن بايَعَ لنا خَيْرُ الخيرينِ والي عدَلٌ فذلك فضلٌ من الله. أو كما قال رحمه الله.



وقال رضي الله عنه: تشييدُ المباني من الفتنِ العظيمةِ التي عمّت في حَضْرَموت، قال الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله في كتابه عجائب القلب من «الإحياء»: (ومن أبوابِ الشيطانِ العظيمةِ التي يدخلُ بها إلى قلبِ الإنسان: حُبُّ التزيّنِ للخلقِ في الأثاثِ والمراكبِ والدُّور... إلخ ما قال رضي الله عنه.

□ قال والدي عُمر: جاء بعضُ السادةِ من آلِ تريمٍ إلى حبيبي عمرَ حامد وهو في مَرَضٍ موته، فقال لهم: كُلُّها أموركُم مليحةٌ يا سادةِ إلّا تشييدَ المباني. فانظُرْ كيف نُصَحُّ الدعاةِ إلى الله.

(١) لم أجده.

كما ذُكِرَ عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه وقد دَعَاهُ بعضُهم لِيُريَهُ بيتاً بناه كَالْعُشْوَةِ، فقال له أبو الدرداء: بَنَيْتَ مَشِيداً، وَأَمَلْتَ بَعِيداً، وَتَمَوْتُ قَرِيباً.

وكذلك مرَّ بعضُ العلماءِ ومعه تلامذته على رجلٍ يَبْنِي داراً وقد زَوَّقَهَا؛ فقال لتلامذته: لَا تَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، فَلَوْ عَلِمَ أَنْكُمْ لَمْ تَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ مَا زَوَّقَهَا. أَوْ كَمَا قَالَ. وَالْغَالِبُ أَنَّ مَنْ زَهَلَقَ داراً لَمْ يَسْكُنْهُ وَلَمْ يَحِلَّهُ.

□ كَانَ الْوَالِدُ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَالِساً فِي الرَّيِّمِ^(١) فِي الشَّرْقِ فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ، فَقَالَ: الْغَالِبُ أَنَّ مَنْ تَكَلَّفَ فِي بِنَاءِ دَارٍ، مَعَادُ يَحِلُّهُ. فَلَمَّا خَرَجُوا الْجَمَاعَةُ مِنَ الدَّارِ سَمِعُوا قَرْحَةً بِنْدُقٍ، فَقِيلَ: فُلَانٌ مِنَ الْجُنْدِ قُتِلَ فِي الْمَصْوَغَةِ! وَكَانَ قَدْ تَمَّ بِنَاءُ دَارِهِ وَلَا حَلَّه. فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ بَكَّارٍ مَعَاشِر^(٢): شَفَتُوا كَشَفَ الْحَبِيبِ عَمْرُ! أَوْ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قِيلَ: إِنْ قَرَأَةَ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَحَدِيثٍ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَيْتٍ شَعْرٍ؛ إِذَا قَرَأَهُنَّ مَغْمُومٌ فَرَّجَ اللَّهُ غَمَّهُ، فَلَا آيَةَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، وَالْحَدِيثُ: هُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا

(١) أَعْلَى الْبَيْتِ.

(٢) مِنَ الصَّالِحِينَ، مُعَاوِرٌ لِلْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنَ عَمْرٍ، وَلَدَ سَنَةِ ١٢٣٢ هـ، وَتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ١٢٩٠ هـ.

قُدِّرَ لَكَ فِسيَّاتِكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وما لَمْ يُقَدَّرْ لَكَ فَلَنْ تَنَالَهُ بِقُوَّتِكَ^(١). أو
كما قال عليه السَّلام، وَبِيتُ الشَّعْرِ هو:

مَنْ حَظَّ ثِقْلَ أُمُورِهِ بِيَابِ مالِكِهِ أَسْتراحا
إِنَّ السَّلامَةَ كُلَّهَا حَصَلَتْ لِمَنْ أَلْقَى السَّلاحا

* * *

وقال رضي الله عنه: المِدارُ كُلُّهُ في المِشْهَدِ، عسى الله يصفِّي المِشْهَدَ
لأَجْلِ يحصل الانتفاع.

وأنتم غالبُكم رأى الحبيب طاهر بن حسين نفع الله به، كان بعضهم
راكباً فَمَرَّ به رَجُلٌ رأى الجُنَيْدَ رضي الله عنه، فخرَجَ الراكبُ وقال للرجل:
اركب، أنت رأيتَ الجُنَيْدَ وأنا ما رأيتُ الجُنَيْدَ^(٢) ويكرِّر ذلك.

□ وجاء بعضُ السادة من آل البَار عندَ الوالد، فلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ
إلى مكانٍ آخَرَ قال السيّد المذكور: أَمَّا الآنَ إِنِّ بايجي الموتُ يجيء، قد
رأيتُ عُمَرَ بنَ سُمَيْطٍ، رضي الله عنهم.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) كما يروى مثل ذلك عن شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، انه كان راكباً على
راحلة، وأثناء السير جرى ذكر للإمام النووي، فتحدث السائق وقال: إنه رآه،
فما كان من شيخ الإسلام إلا أن نزل عن الراحلة وأمر السائق أن يركب ليسوق
هو، تعظيماً لجناب الإمام النووي وإجلالاً له، وهو القائل فيه:

وفي دارِ الحديثِ لطيفٌ معني على بُسْطٍ لها أصبو وآوي
عسى أني أَمْسُ بِحُرٍّ وجهي مكاناً مَسَّه قَدَمُ النَّواوي

وسَمِعْتُهُ مَرَّةً يَقُولُ: عَزِيمَةُ الْحُمَّى إِذَا قَدِ الْوَرْدُ بَاتَتْ^(١)، تَقْرَأُ هَذِهِ
الْأَبْيَاتِ:

زَارَتْ مُكْفَرَةُ الذُّنُوبِ وَوَدَّعَتْ تَبَّأَ لَهَا مِنْ زَائِرٍ وَمَوَدَّعٍ
بَاتَتْ مُضَاجِعَتِي وَبْتُ ضَجِيعَهَا وَزَفِيرُهَا وَلَهْيُهَا فِي أَضْلُعِي
قَالَتْ وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى تَرْحَالِهَا: مَاذَا تَرِيدُ؟ فَقُلْتُ: أَنْ لَا تَرْجِعِي!
وَيَكْرُرُ: «أَنْ لَا تَرْجِعِي» سَبْعًا.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَقَلَ الْحَبِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ سُمَيْطٍ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ عَنِ
الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْهِنْدَوَانِ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَطَالُعُ «تَحْفَةَ ابْنِ حَجْرٍ»
وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ أَوْ أَقَلَّ، وَأَحْفَظُ مِنْهَا إِلَى كِتَابِ الصَّلَاةِ.

هَذِهِ سِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَعِنُونَهُمْ بِتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِمْ؛ وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ سِيرَتِهِمْ؟
شَوْ نَحْنُ عَلَى خِلَافِ مَا هُمْ عَلَيْهِ. أَوْ كَمَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَلَا بَعْضُهُمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ
أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: أَنْتُمْ
تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى غَيْرِ مَعْنَاهَا، فَإِنَّهَا مُقَيَّدَةٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ: «إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَبَعًا، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ

(١) أي: عند زوال حرارة الحمى.

برأيه، فعليك بخَوِصَّةِ نَفْسِكَ، ودَعْ عَنْكَ الْعَوَامَ»^(١)؛ لأنهم في الزمانِ الأول يجدونَ أَعْوَاناً عَلَى الْخَيْرِ، وأما اليومَ معاذُ تُجِدُ مُعِيناً، ففي هذا الحديثِ تَفْرِيجٌ وَتَسْلِيَةٌ، كَرَّرَهُ مِرَاراً. وإنما الدَّعْوَةُ تَبْلِيغٌ وَخُرُوجٌ مِنَ الْعُذْرِ. كما قال تعالى: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قال الوالدُ رضيَ اللهُ عنه: قُلْتُ لِلْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْهَنْدَوَانِ^(٢)، فِي شَأْنِ الزَّمَانِ: وَعَلَيْكَ بِخَوِصَّةِ نَفْسِكَ. فَقَالَ: وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامَكَ^(٣) يَسْمَى مِنَ الْخَوِصَّةِ وَيَدْخُلُ فِيهَا. أَوْ كَمَا قَالَ.



وَقَالَ رَضِيََ اللهُ عَنْهُ: وَكَانَ يَقْرَأُ لِي سَعْدُ بْنُ سُمَيْرٍ^(٤)، فِي كِتَابِ «الْحَدِيثِ الْأَيْقِيَّةِ» وَنَحْنُ فِي الْمَرْكَبِ مَعَ سَفَرِنَا الشَّامَ^(٥)، مَعَ سَكُونِ الرِّيحِ، وَيَقُولُ:

مَا كُلُّ مَنْ تَلَقَّى أَخٌ مِنْصِفٌ وَلَا اللَّيَالِي كُلُّهَا تُسْعِفُ
انْتِفَ مِنَ الدَّهْرِ وَلَوْ رِيثَةً فَإِنَّمَا حَظُّكَ مَا تَنْتِفُ
إِشَارَةً إِلَى الْاِغْتِنَامِ.

(١) الحديث تقدم تخريجه.

(٢) هو السيد العالم العامل عبد الله بن أحمد بن عمر الهندوان، تقدم ذكر والده وكان من أصحاب الإمام الحداد، توفي يوم الجمعة في ذي الحجة سنة ١١٧٣هـ.

(٣) يسمع كلامك: يأتمر بأمرك.

(٤) لعله والد الشيخ عبد الله بن سعد. لم أقف على ترجمته.

(٥) أي: جهة الشام، والمراد الحجاز.

وقال رضي الله عنه: كان الحبيب سقاف إذا جاء عند الوالد يقول: نُودِّي كل يوم نجي للالتماس بكم. فيقول له الوالد: لا تَغُرُّونا، هو ألا السيل يجي إلى الجِزْبِه.

□ وزار الوالدُ تَريمَ أيامَ الحبيبِ حامدِ بنِ عمرَ والحبيبِ عمرَ حامد، فذكرَ تلكَ الزيارةَ يوماً، ثم أتى بأبياتِ التائيةِ لسيدنا الحبيبِ عبد الله: وإخوانُ صِدْقٍ أَوْحَشَ القلبَ بَعْدَهُمْ فَلِلَّهِ مَا لاقَيْتُ مِنْ حَرٍّ فُرْقَةٍ^(١) . . . إلخ. فاعتبر وبكى رضي الله عنهم. وأين إخوانُ الصِّدْقِ اليوم؟ أو كما قال.

* * *

وقال: رأى بعضُ الصالحين أن اسمَ اللهِ الأعظمَ في سورةِ القَصَصِ، ثم عبَّرَ رؤياه بأن اسمَ اللهِ الأعظمَ في هذه الآية: ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخِرَةِ يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصاص: ٨٣]، قال سيدي: التقوى هي اسمُ اللهِ الأعظم؛ أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: الإمامُ الغزاليُّ قُطِبُ العلوم، وسيدنا أبو يزيدَ البُسْطامي^(٢) قُطِبُ الأحوال، وسيدنا عبدُ القادرِ الجيلانيُّ قُطِبُ المقامات،

(١) «ديوان الحداد»: ص ١٠٥، من تائيته التي مطلعها:

بعثتُ لجيرانِ العَقِيقِ تحيَّتي وأودعتها ريحَ الصَّبَا حينَ هَبَّتْ

(٢) اسمه: عيسى بن طيفور، من كبار العارفين ولد ببسطام سنة ١٨٨هـ، وبها توفي

سنة ٢٦١هـ.

وكلُّهم أهلُ علومٍ وأحوالٍ ومقاماتٍ، وإنما هذا الاسمُ غلبَ عليهم. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: أهمُّ ما كان اليوم: التذكيرُ في شأنِ الوالي في كلِّ مدرِّس ومجلس، خصوصاً أهلُ البيت، لأنَّ الناسَ لهم تبعٌ، والناس مشاوفين^(١) أهل البيت، متى ما قاموا في هذا الشأن تبعوهم الناس.

□ في قصة البدوي الذي دخل والخطيب يخطبُ على المنبر، فخشعَ الناسُ وبكوا وهو لم يبك ولم يخشع. فقال له رجل: فلان! شَفْ جميع الناس خشعوا، وأنت، تَبَاكَ إذا ما بكُ بكاء. قال له: ما معك مني كلام دون، إذا شَفْتُ الخطيب قطفتُ^(٢) عينه بالدُماع كسرتُ النَّخْطَه^(٣). والناسُ هكذا، إذا قطفتُ عين أهل البيت شَفْ جميع الناس بايكسرون النَّخْطَه، وإن ما شي ما شي، أو كما قال.

* * *

وقال نفع الله به مُذاكَرَةً على قراءة سيدي عمر بن محمد قصيدة سيدنا عبد الله الحداد: «فيمَ الركون»^(٤). . . إلخ: قال الحبيب عمر بن

(١) أي: ناظرون إليهم.

(٢) أي: فاضت.

(٣) أي: نُحِتُ بالبكاء.

(٤) تمام البيت:

سَقَافٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

رَكَنُوا إِلَى دَارِ الْغُرُورِ وَغَرَّهُمْ فِيهَا الْغُرُورُ، وَقَادَهُمْ بِجَبَائِلِ^(١)
 * وَقَالَ عِنْدَ قَوْلِهِ: «كَالطِّيفِ» أَي: الْحُلُمِ. قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: أَوْ
 كَمَا رَأَيْتَهُ فِي مَنَامِكَ يَا عَمْرُ.

عَلَّمُوا الصَّغَارَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ^(٢) فِي الْعُلْمَةِ قَبْلَ الْقُرْآنِ، حَتَّى يَعْرِفُوا
 حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَمَقْصُودَ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ نَحْوُ ثُلُثِ الْقُرْآنِ تَزْهِيدٌ فِي الدُّنْيَا وَتَرْغِيبٌ
 فِي الْآخِرَةِ، وَإِلَّا صَارَ الْقُرْآنُ خَصْمَهُ، فَخَطُّوا^(٣) الصَّغَارَ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ،
 فَهِيَ فُخْطَةٌ، قَبْلَ لَا يَسْبِقُ (مَاءُ عُقْرَانٍ) إِلَى قُلُوبِهِمْ، يَعْنِي: مُحَبَّةَ الدُّنْيَا،
 (مَاءُ سِرٍّ) يَعْنِي: مُحَبَّةَ الْآخِرَةِ، لِأَنَّ أَصْلَ التَّرْبِيَةِ تَصْغِيرُ أَمْرِ الدُّنْيَا فِي قَلْبِ
 الصَّبِيِّ وَتَعْظِيمُ أَمْرِ اللَّهِ، وَإِلَّا انْعَكَسَ الْحَالُ.

ثُمَّ قَالَ لِلْحَبِيبِ عَمْرٍ: أَعِدِ الْقَصِيدَةَ، وَقَدِّمْ قَبْلَهَا أَيْتَاتِ النُّوْيِ: «إِنَّ
 لِلَّهِ عِبَادًا فُطُنًا»^(٤)... إلخ.

= فِيمَ الرُّكُونِ إِلَى دَارِ حَقِيقَتِهَا كَالطِّيفِ فِي سَنَةِ وَالظَّلِّ مِنْ مُزْنٍ
 «الديوان» (٥٠٥).

(١) مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا:

حَدِّدَا لَمَنْ قَدْ خَصَّنَا بِفَضَائِلٍ وَهَبَاتٍ عِلْمٍ تَلْتَقِي بِفَوَاضِلٍ
 «ديوان الحبيب عمر» (١٧٧).

(٢) أَي: قَصِيدَةُ الْإِمَامِ الْحَدَّادِ.

(٣) مِنَ الْفُخْطَةِ: وَهُوَ اللَّقَاحُ لِلزَّرْعِ قَبْلَ النَّبَاتِ وَالْإِثْمَارِ.

(٤) وَهِيَ:

* وقال عند قوله: «وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ»: وَمِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ: الوالي، إِذَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ.

* وقال عند قوله: «دَارَ الْغُرُورِ»... إلخ: الدنيا معدنُ البلايا والمحن، وأنت تطلبُ الراحةَ فيها يا سفيه. أيُّ نبيٍّ أخبرك أَنَّ الراحةَ فيها؟ قال عليه السلام: «الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر»^(١)، وعلامةُ الإيمان: الامتحان، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

* وقال عند قوله: «رَقُّوا مَنَايِبَهَا»^(٢)... إلخ: ماذا قال أخوك يا سيّدُ عمر؟ — يعني الحبيب عمر بن زين الحبشي وكان حاضراً — فقال: أخبرني أخي عبدُ الله بن زين الحبشي^(٣) قال: كنتُ في صنعاء، فخرج

=
 إن لله عباداً فُطِنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
 نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطَنَا
 جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنَا
 (١) الحديث أخرجه مسلم (٢٩٥٦).

(٢) تمامه وما بعده:

رَقُّوا مَنَايِبَهَا قَادُوا عَسَاكِرَهَا بِقُوَّةٍ، وَأَبْتَنُوا الْأَمْصَارَ وَالْمُدُنَ
 وَعَبَدُوا النَّاسَ حَتَّى أَصْبَحُوا ذُلًّا لِأَمْرِهِمْ بَيْنَ مَغْلُوبٍ وَمُتَمَتِّهِنَ
 وَجَمَعُوا الْمَالَ وَأَسْتَصَفَّوْا نَفَائِسَهُ لِمُتَعَةِ النَّفْسِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَنِ
 حَتَّى إِذَا امْتَلَأُوا بِشَرًّا بِمَا ظَفَرُوا وَمُكِّنُوا مِنْ غُلَاهَا أَبْلَغَ الْمُكْنِ
 نَادَاهُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ فَافْتَحَمُوا سُبُلَ الْمَمَاتِ، فَأَضْحَوْا عِبْرَةَ الْفَطَنِ
 إِلَى آخِرِهَا... وفيها مواضع تهز القلوب.

(٣) كان سيّداً فاضلاً شديد الورع، صاحب كرامات، توفي سنة ١٢٤٢هـ.

الإمام^(١) في جُمعٍ عظيمٍ إلى خارجِ البلدِ ومعَه حاشيتهُ ومعهم خيولٌ كثيرةٌ، وخرجتُ معهم، فلَمَّا رأيتُ الجُمعَ والعساكرَ جعلتُ أتمثلُ بهذا البيتِ «رَقُوا منابِرَها قادوا عساكرَها»... إلخ، فسمِعَني رجلٌ من بيتِ الإمامِ راكِبٌ على خيلٍ، فسألَني: من أينَ أنت؟ وفي أيِّ مكانٍ؟ فأخبرتهُ. فلَمَّا انتهى الجُمعُ جاء إلى بيتي، وسألَني عن القصيدةِ، وهي لَمَن؟ فناولتهُ الديوانَ فنقَها. فكانت سببَ إنايته إلى الله تعالى، رأيته بعدُ في مكة، وأعطاه هديةً جزلةً، وأخبره أنها من الزكاةِ وأنها تصحُّ في العلويينَ على قولٍ، فامتَنَعَ الحبيبُ عبدُ الله بن زينٍ من قبولِها، وقال له: اصرفها أنتَ فيما أردتَ. أو كما قال.

فقال سيدي أحمد: ما هو كلامُ حدادِ القلوب^(٢).

* * *

* وقال رضي الله عنه عندَ قوله: «بعدَ التشهي وأكلِ الطيبات»^(٣)

(١) أي: حاكم اليمن في ذلك الوقت، وهو: إمَّا المنصور بالله علي بن العباس المتوفى بصنعاء سنة ١٢٢٤هـ.

أو ابنه المتوكل على الله أحمد بن علي بن عباس، المتوفى سنة ١٢٣١هـ.

أو ابنه المهدي عبد الله بن أحمد بن علي، المتوفى سنة ١٢٤٥هـ.

(٢) أي: أليس هو كلام حداد القلوب!

(٣) تمامه:

يَأْكُلُهُمُ الدَّودُ تَحْتَ الثَّرْبِ وَاللِّينِ

مَحَاسِنُ الْوَجْهِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْوَجْنِ

بَعْدَ التَّشْهِي وَأَكْلِ الطَّيِّبَاتِ غَدَا

تَغَيَّرَتْ مِنْهُمْ الْأَلْوَانُ وَانْمَحَقَّتْ

أَلخ: ينبغي ذكُرُ هذا البيت إذا حضرت ضيافة؛ أذكرُ كيف يصيرُ حالُك بعد الموت، تصيرُ دوداً، ثم الدودُ يأكلُ بعضُه بعضاً، حتى تبقى حواتان فيتصارعان، ثم يغلبُ أحدهما الآخرَ فيأكلُه، ثم يموتُ من الجوع، فيصيرُ تراباً. هذا آخرُ أمرِك يا ابنَ آدم، ولكن أينَ العقول؟ علّموا الصغار هذا الكلام وما زالَه ينفعُ فيهم، وأما الكبارُ فهمُ في عالمٍ آخر، وإلا فلا يكفيهم كلامُ عبدِ الله حداد، لكنهم يقرونه أمانِي؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

* * *

* وقال نفع الله به عند قوله: «ولا تجملت بالأرياش»^(١) يعني: الثياب، هذه الخرق.

* وعند قوله: «يكفي اللبيب كتابُ الله»^(٢)... إلخ. قال الوالدُ عند قراءة هذا البيت: اذكرُ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، هذه الآية تكفي من كتاب الله. أو كما قال.

= خَلْتُ مساكنَهُم عنهم وأسلمَهُم مَنْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ

(١) تمامه مع ما قبله:

فلو مرزت بها واليومُ تندُبُها فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لَمْ تَلْتَدَّ بِالْوَسَنِ
ولا تجملت بالأرياشِ مُفتخِراً وَلَا افْتَنَّتْ بِحَبِّ الْأَهْلِ وَالسَّكَنِ

(٢) تمامه:

يكفي اللبيب كتابُ اللهِ موعظةً كما أتى في حديثِ السيدِ الحسَنِ

واستعاد القصيدة (ثلاثاً)، ثم بعد المغرب استعادها، وأمر أن تُتلى قبلها هذه الآية ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٨٣]، وهذه الآيات ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الزخرف: ٢٣].

متى نشوف عيال القبائل وبناتهم يحفظون هذه القصيدة؟ متى متى؟ أو ما يصلح أنهم يهتدون؟ ويقال: استحالت الصِّهَاءُ، تصير الخمر خلاً، والنجس طاهراً، إذا تمت المعاونة، ما هو بعيد، ما حد يحكم عليه تعالى؛ وما زال الإنسان في الحياة اطمع فيه. أو كما قال.



وقال رضي الله عنه عند قول سيدنا عبد الله الحداد: «ياحيا علوم الدين تحيا قلوبنا»^(١). إلخ؛ اكتب يا عمر هذا المصراع: «بعدل ولاة الأمر تحيا ربوعنا». لعل عبد الله بن سعد يثمتها قصيدة تنشط الناس في طلب الوالي، حتى نصير في ظل عدله.

□ سمعت الحبيب جعفر بن أحمد في مجلس الوالد رضي الله عنهم يقول: خرج المأمون يوماً ومعه نحو ثلاثين ألفاً من حاشيته، يتطمش في الخلوات، فجاءوا به إلى زراع، فقال لهم: يا خليفة، اليوم نكرم جيشك، فأخرج لهم فراشاً واحداً ممثلاً بالذهب، وسع جميع القوم، وأقبل غلمانُه

(١) تمامه، وهو مطلع قصيدة:

«ياحيا علوم الدين تحيا قلوبنا ويكشف عنا غمنا وكروبنا

«ديوان الحداد»: ص ٤٩٧.

خمير أعطوه إياه، وإلَّا اغْسِلُوا الوعاء وأعطوه ذلك؛ فحين أعطوه سُفِي. رضي الله عنه ورزقنا الأدب معهم.

وكذلك كان سيدنا أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه، لا يتكلف بالضيف، بل ما اتفق قَدَمُه، قد يكون أحد ما يتراقب فيتفق له بُرٌّ ولَحْمٌ، ويكونون أولادَ شيخه ويحضر خميرٌ ودجرٌ فيقدمه لهم. هذا في حال الضيف، وهو الذي يأتي على غفله، وأما الطلابُ فيفعلُ حسب الحال والزمان من غير تكلف.

قال الحكماء: إذا ما طُرِفَتْ فما حَضَرَ، وإذا طَلَبَتْ فلا تُبَقِّ ولا تَذَر؛ يعني: حسب حالِك، كما تقدم. أو كما قال سيدنا، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.



وقبيحٌ بالمُضيف أن يستحقِرَ ما يقدمه لضيفه وإن كان يسيراً، وبالضيف أن يستحقِرَ ما قدَّم إليه، فهما سواءٌ في ذلك.

وقدَّم بعضهم لضيفه خُبْزاً فقال: لو كان عنده زَعْتَرٌ إني أُحِبُّه. ومع المُضيف مطهرة، يعني: إناءً لطهوره، فرهَنَه في قيمة الزَعْتَرِ وقَدَمَه لضيفه، فلما فرَغَ من الأكل قال الضيف: الحمد لله الذي أشبعني وقنَّعني بما رزقني. فقال له المُضيف: ما قنَّعْتَ بما يرزُقُك، وإلَّا لَمَا مطهرتي مرهونة في ثَمَنِ الزَعْتَرِ. فينبغي للإنسان أن لا يكلَّف ولا يتكلَّف حتى يفرَحَ بالأضياف.

وقال عفا الله عنه ونفعنا به: الداعي إلى الله يُصلح ذات البين: يُصلح بين الله وبين خلقه، ويُصلح بين الخلق.



وقال رضي الله عنه: رأى السيد عبد الله بن زين الحبشي رحمه الله والدي يقول له: ما تقولون لو وقع السيد محمد بن عقيل^(١) صاحب ظفار والياً على حضر موت؟ فقال له الوالد في الرؤيا: ما يصلح. فقال له: وفلان؟ يعني: التميمي^(٢) صاحب قسَم، قال له: إن كان معاد با يتكلم فينا. أو كما قال.

□ ورأى الوالد رحمه الله كأن بعض الخلفاء السابقين، مثل المأمون أو الأمين، في البيت عندنا.

□ وأخبرني المرحوم طيّب بن عوض^(٣) قال: رأيت في المنام الحبيب عمر بن سُميط بعد وفاته، كأني جيت من ورائه وقبضت زُنوده وقلت له: وراكم غفلتوا عن السلطان. قال له الوالد: السلطان جعفر

(١) هو السيد محمد بن عقيل بن عبد الله بن عقيل من آل علوي بن أحمد بن أبي بكر السكران، كان ذا ثروة كبيرة، تولى الحكم في ظفار وأقام فيه سنتين، قتل ظلماً سنة ١٢٣٨هـ.

(٢) هو المقدم عبد الله بن أحمد بن يمان، ينظر للمزيد من خبره كتاب «إدام القوت».

(٣) هو باني مسجد طيّب في سحيل شبام، كانت وفاته بالشحر في ١٨ شوال من سنة ١٢٥٩هـ، وابنه الشيخ محمد طيب من العلماء الأفاضل، توفي بالشحر أيضاً سنة ١٣١٣هـ.

بإخراج. وكان ذلك قبل خروج السلطان جعفر بن علي^(١) بمدة. قال سيدي: ثم خرج، وأظن أن نيته الصّلاح، ثم إنهم أشاروا عليه بالمسير إلى حذراء، وشدهوه. فكان ما أراد الله تعالى.

□ وناول سيدنا أحمد رضي الله عنه السيد أحمد جُنيد قصائد فيما يتعلّق بالوالي، وقال له: أشيعوها وذكّروا بها، ويفعل الله ما يشاء، عليك إلا إقامة السبب:

ألم تر أن الله قال لمريم وهُزِّي إليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء تجني التمر من غير هزّه جنّته، ولكن كل شيء له سبب

ودعوة عيال القبائل أولى من غيرهم؛ لأن دعوة الغير جلب مصلحة فقط، ودعوتهم جلب مصلحة ودفع مضرة؛ والناس الآساء، كالجوابي، مختلطات بعضهن ببعض، وكالبُنيان يشد بعضه بعضاً، كما قال بامخرمة نفع الله به:

إن هُدِمَ ساس مَبْنَاهُمْ، هُدِمَ ساس مَبْنائِي
أَوْ تَكَدَّرَ صَفَا مَاهُمْ، تَكَدَّرَ صَفَا مَايِي

* * *

وقال نفع الله به: برّ الولد على الوالد واجب: بتعليمه، وتربيته

والشارع^(١) عليه السَّلامُ لم يُرَغَّبْ كثيراً في برِّ الأبناء؛ لأنه استكفى بالوازع الطبيعي، وهو أقوى من الوازع الشرعي^(٢)؛ بخلاف برِّ الوالدين، على الأبناء فإنه رَغِبَ فيه كثيراً، وهُما في الوجوبِ سواء.

□ كان حبيبي زينُ بن علوي بن سُميطة كثيرَ الشفقةِ على أولاده جدّاً؛ مَرَضَ والدي عمرُ مرضاً شديداً، فخرَجَ الحبيبُ زينٌ إلى (جرب هَيْصَم) لزيارة، ثم طلع، فقال للحبيب محمد بن سُميطة: كيف بيَّت البارح عمر؟ قال له: إنه معَه إقلاع البارح. فقال الحبيبُ زين: عمرُ أُلْعَ وأنا الورْد في جنبي؛ الْمَسْ جَنَّبِي، إني سألتُ الله إن شي بآيَجري على عمر يقع فيّ؛ ثم انطرح الحبيبُ زينٌ وتوفي من مرضه رضيَ الله عنه؛ وكان ممَّن له اعتناءٌ جمٌّ في تربية أولاده، يخدمهم بنفسه، رضيَ الله عن الجميع ونفعَ بهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مِنْ علامةِ حُسْنِ الظَّنِّ بالله: الاجتهادُ في الطاعة، وطلبُ العلم، والمعاونةُ في الدعوةِ إلى الله؛ وإلاَّ ما ينفعُ القولُ باللسان: إن ظنِّي بالله حسنٌ؛ ما أقبحَ دعوى بلا شاهد. وكما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: السببُ متعيَّنٌ في آخرِ الزمان، وإنما هو مع

(١) أي: النبي ﷺ.

(٢) والوازع الطبيعي: هو الرحمة والشفقة المودعة في قلوب الآباء.

التهوين، وإذا سافر [إلى] مكانٍ قريبٍ لا يطوّل الغُربة، لأن السفرَ كما قالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها: حين قيل لها: «السفرُ قطعةٌ من العذاب». قالت: «بل العذابُ قطعةٌ من السفر». لكن بعض الناس يفرحُ به ويستعذبه، ولا هو داري أنها نعمةٌ وعقوبة، لعدم اعتناهِ بأهل بيته، وتقصيره في تأديبهم وتعليمهم، وإلا إن كان الله قدفَ في قلبه نورَ القناعة، ورأى القليلَ كثيراً، وتكفَى به، كما قال سيدنا عبدُ الله: «تبَلَّغْ بالقليل من القليل»... إلخ، وقيل شعراً:

وما كَسَبُ المعيشَةِ بالتمني ولكن أَلْقِ دَلُوكَ في الدَّلَاءِ
يجيءُ بِمِلْئه طَوْرًا، وطَوْرًا يجيءُ بِحَمَاءِ وقليلِ ماءٍ
أو كما قال رحمه الله .

* * *

وقال رضي الله عنه: كلامُ سيدنا عبدِ الله الحدادِ في قوله:

تَنَافَسُوها وَأَعْطَوْها قَوَالِبَهُم مَعَ القلوبِ، فِيا لِلهِ مِنْ عَجَبٍ^(١)
مَحَقُّ في آلِ حَضْرَموتِ، أَعْطَوْا الدنيا قلوبَهُم وأجسامَهُم، ونحن
منهم، أنا ما أَعَاتَبُ على شيءٍ إلا وأنا أَشْهَدُهُ من نَفْسي؛ ما بانعابَ أهل
(المخا) ولا أهلَ (الحديدة)^(٢).

(١) «ديوان الحداد» (٨٢).

(٢) لأن (المخا) و(الحديدة) كانتا مزدهرتين بالتجارة آنذاك.

نحن أولى بذلك. عاتبوا أنفسكم حتى تقرُّبوا من ربكم؛ فإنَّ الإنسان إذا سَخِطَ على نفسه رضي عليه ربُّه. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: الوالي شأنٌ عظيم يُقال: إن بعضَ السلاطين سمعَ باكيةً بالليل، فأرسلَ إليها: لِمَ هذا البكاء؟ هل شي ظُلامة؟ قالت: لا، ولكن غيْثُ الخريفِ عبَّر، ولمْ غيْثُ الخريفِ عبَّر ولمْ نُسَقَ فيه وهو أبُو^(١) فلَمَّا أخْبَرَه الرسولُ قال له: ما شي غيره؟ فدعا الله تعالى، وقال للرامي: كَوِّرْمْ، فثارت سحابة، فاتسعت وأكرم الله بالسُّقيا بركةٍ دعاءِ الوالي.

* * *

وقال رضي الله عنه: جاء الحبيبُ سقافُ بن محمدٍ إلى الوالدِ رَحِمَهُم الله وذلك أيامَ الرِّصَاصِ؛ وغالبُ الناس فرحوا به، فقال للحبيب عمر: عندكم الطريقُ أنتم وحامدُ بن عمر، جميعُ الناس فرحوا بالرِّصَاصِ وأنتم ما أظهرتُم الفرح. فقال له الوالد: ما معنا كلام، تكفيه المنابر، إن كانه مصلح أو مُفسد. يعني: الدعاء: «اللهم أصلحْ مَنْ في صلاحِه صلاحٌ للمسلمين»... إلخ.

وبعد أيام معاد صار شيء من أمر الرِّصَاصِ، جاء الحبيبُ سقافُ إلى الوالدِ واعتذَرَ إليه وقال: نستغفرُ الله في حقِّكم. قال له الوالد: شُفْتَ الورَمَ حِسْبَتِهِ شَحْمَ.

(١) أي: أبكي لأن موسم المطر مرَّ ولم نُسَقَ فيه وفيما السلطان الذي هو أبونا.

□ وطلب الرصاص من الحبيب حامد بن عمر أن يزور به تريم، فزار به سيدنا الفقيه وأهل المقبرة؛ ثم كتب إلى الحبيب سقاف: والرجل ما هو على ظاهره. فكان كما قال.

□ قال الوالد: من الذي خرج بالرصاص حتى يقع مسموح؟ لأن الماء على مسقيته، ما خرجوا به إلا ناس لهم مقاصد هابطة، حتى أن الذي طلع لأجله قال له العولقي^(١): أنا باخرج معك إلى حضرموت. قال له: ما لي حاجة بك، لأنه ما بايجي في يده، بغا الذي يقع حلقة في يده، مثل البدوي الذي خرج به. وقد عبروا الجميع، الله يعفو عنا وعنهم، ربنا كريم سبحانه، لا يقع حظنا الثواب وحظهم العقاب، وأنتم اطلبوا كريم، وأعظموا المسألة، فالله واجد ماجد. أو كما قال.

* * *

وقال رحمه الله: الظلم من شيمة الإنسان. قال الحبيب شيخ الجفري^(٢)، كان تاريخ زيارتي لدوعن: «قل كل ظلوم» = سنة ١١٥٦.

* * *

(١) هو الجمعدار الأمير علي بن عبد الله العولقي، كان حاكماً في منطقة (الحزم وصداع) قرب الشحر، مات بالهند سنة ١٢٨٤هـ.

(٢) هو العلامة الجليل صاحب مليار، مؤلف كتاب «كنز البراهين»، توفي سنة ١٢٢٢هـ.

وقال رضي الله عنه: دَخَلَ والدي عمرُ رضي الله عنه بعضَ المساجد بترميم بعدَ عمارته، وكان فيه تزويق^(١)، فلَمَّا أرادَ أن يُحرِمَ بالصلاةِ قال: حَسَيْتُ خاطري تَكْثَفَ مِن هذا التزويق، فهِمَّيْتُ بالخروج منه، فلَمَّا وصلتُ قَرِيبَ البابِ ذَكَرْتُ الروضةَ الشريفةَ وما فيها من التزويق، فقلت: هذا شيء موعودٌ به في آخرِ الزمان: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].



وقال رضي الله عنه: إِذَا رَأَيْتُمْ ما لا يَلِيقُ من هَؤُلَاءِ الضعفاءِ، مثلَ الشَّرْحِ في المنادر، والأشياء التي تَدُلُّ على البَطَرِ، وتَقَرِّعُ^(٢) للبلاءِ، ذَكِّرُوهم واجْمَعُوهم، وقولوا لهم: هذا شيء لا يَلِيقُ. وإلَّا رَجَعَ في أولادِكُم، يرجعون مثلهم، يَسْري إليهم، وَإِذَا ذَكَّرْتُمُوهم بايِسْمَعُونَ لا محالة.



وقال رضي الله عنه: الْمُؤْمِنُونَ يتَوَاصَوْنَ بالحقِّ والصبر. قال سيدنا الشافعي رحمه الله: النَّاسُ في غَفْلَةٍ عَنِ هذه السورة، يعني: سورة العَصْرِ، وكان السَّفْهُ لا يَتَفَارِقُونَ عن مجلسٍ حتَّى يَقْرَأَ بَعْضُهُمْ على بعضِ سورة العَصْرِ، اتَرَوْهَا كُلُّكُمْ، فَقَرُّوْهَا.

ثم قال: أَوْصُونَا وَأَوْصِيكُمْ، وَأَوَّلُ الوصية: أَنْ تُقْبِلُوا على أَهْلِيكُمْ

(١) أي: زينة وزخرفة.

(٢) أي: تؤذِن بوقوع البلاء.

وأولادكم، فقَهُوهُم وَعَلِّمُوهُمْ، فإذا عَلِمْتُوا أَنَّهُمْ عَرَفُوا، ارجِعُوا إِلَى أَرْحَامِكُمْ، ثُمَّ جِيرَانِكُمْ، ثُمَّ أَهْلَ مَحَلَّتِكُمْ، ثُمَّ أَهْلَ بَلَدِكُمْ، ثُمَّ سَوَادِ الْبَلَدِ، مِثْلَ: (جُوجِهْ) و(جَعِيمَة) ^(١). وهذا لازم [على] كُلِّ إِنْسَانٍ، فإذا تَمَّ هَذَا رَجَوْنَا اللَّهَ يُكْرِمُنَا بِوَالٍ عَدْلٍ تَقَرُّ بِهِ الْعَيْنُ، لَكِنَّهُ ثَمَرَةٌ ذَلِكَ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وأول ما تَعَلَّمُونَ أَهْلِيَكُمْ: الْقَنَاعَةُ وَالْاِقْتِصَادُ، يَقْنَعُونَ بِصِيْمِ التَّمْرِ الصَّبَحِ، وَالْحُجَيْفِ فِي اللَّيْلِ. وَتَقُولُونَ لَهُمْ: هَذَا الَّذِي عَبَرُوا عَلَيْهِ سَلَفُنَا حَتَّى أَنَّهُمْ تَفَرَّغُوا لِلْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، وَنَحْنُ لَمَّا أَضَعْنَا ذَلِكَ، تَرَى نَحْنُ مَطْرَدِينَ فِي هَذَا وَحَيْدَرُ عِبَادٍ ^(٢):

مَشَتَّتُونَ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ عَلَى رَغِمِ الْأَنْوَفِ، كَمَا تَهْوَاهُ حُسَّادُ

وَرَأْسِ الْحُسَّادِ إِبْلِيسَ، فَرِحَانٌ بِحَالَتِنَا هَذِهِ، يَقُولُ: ظَفِرْتُ بِهِمْ، هَذِهِ هَذَتْ بِهِمْ فِي الْغُرْبِ، وَهَذَا الْكَلَامُ، مَا مِنْهُ مَانِعٌ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى جَمْعِيَّةٍ، كُلُّ إِنْسَانٍ يَبْطِشُ فِي بَيْتِهِ، مَا حَدَّ بَايْخَرُّجُهُ مِنَ الْبِلَادِ إِذَا رَجَعَ إِلَى طَرِيقَةِ سَلْفِهِ، إِلَّا إِنْ كَانَ أَهْلُ الدَّارِ بَايَنْكِرُونَ عَلَيْهِ وَبَايْلِقُونُ شِقَاقَ. تَعَاوَنُوا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ وَخَلُّوا السَّيْرَةَ وَاحِدَةً، حَتَّى يَتِمَّ الْمَقْصُودُ.

وَأَهْلُ شَبَامِ أَحَقُّ بِالْقَنَاعَةِ وَالْاِقْتِصَادِ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّ أَهْلَهُمُ السَّابِقِينَ كَانُوا أَهْلَ وَرَعٍ وَتَقْوَى حَتَّى ظَهَرَتِ الْبَرَكَةُ فِي أَمْوَالِهِمْ، رَبُّهُمْ مَخْشٍ ^(٣) لَهُمْ

(١) قَرْيٌ قَرْيَةً مِنْ شَبَامِ.

(٢) أَي: حَيْدَرُ أَبَادِ.

(٣) أَي: كَثَرُ.

بِرَّكَ، وكانت لهم مكارم، ولا احتاجوا إلى الحِيلِ والمعاملاتِ الفاسدة؛
ولصاحبِ الحيلةِ فَوْشَةٌ^(١)، تَغُرُّ، وبعد تَخْفِشٍ مَرَّةً، كما البول، يفوش
يفوش ثم يَخْفِش. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: مَنْ عَرَفَ اعترف، ورَأْسُ العارفينَ سيدُّنا محمدٌ
ﷺ. قال في سيد الاستغفار: «أَبُوؤْ بذَنْبِي فَأَغْفِرْ لِي، فإنه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
إِلَّا أَنْتَ».

* * *

وقال رحمه الله: مَنْ لم يَبْذُلِ النصيحةَ للخاصِّ والعامِّ ما أفرَحَ به
يجي عندي مجلسي، ما هو سهل، ولو وَفَّقَ الله أهلَ شبام للمعاونةِ على
الدعوةِ إن كانوا كلُّهم تنوَّروا، حتَّى الخوادم، مع كثرةِ التذكير، ولكن
التوفيقَ عزيز، يظفرُّ به العبدُ ولا يظفرُّ به سيِّدُه، وتظفرُّ به المرأةُ ولا يظفرُّ
به الرجل.

من أراد أن يتهنَّأَ محلَّةَ هذه البلادِ المباركة يحافظ على حُضورِ تكبيرةِ
الإحرامِ مع الإمام، اشكروا النعمة. اللهم هُنَّا عَطَاكَ ولا تَكْشِفْ عَنَا
غَطَاكَ.

وَمَنْ دَخَلَ المسجدَ منكم يَنْبَئُهُ إخوانه المؤمنينَ للصَّلَاةِ، كَانَ الحَبِيبُ
حَسَنُ بْنُ سَالِحٍ البحرُ يَدْخُلُ بنفسِهِ وَقْتُ الصَّلَاةِ لِأَجْلِ يَدْخُلُونَ لَهَا، شَيْ

(١) أي: مظهر وبهرج كاذب.

قَصَرَ مِنْهُ أَوْ زَادَ، تَرَاهُ زَادَ، وَأَنْتُمْ أَحْبَبْتُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا تَحِبُّونَ لَأَنْفُسِكُمْ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

قَالَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُمَيْطٍ: هَذَا الْخُلُقُ مَا تَحَقَّقَتْهُ إِلَّا فِي بَكَارِ بْنِ عَوْضٍ لَعَجَمٍ، يَقُومُ إِلَيَّ فِي الْمَدْرَسِ وَيَقُولُ لِي: ذَاكِرُ فِي خَصْلَةٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ النَّاسَ وَاقِعُونَ فِيهَا. وَفِي رَجُلٍ مِنَ السَّادَةِ آلِ الْحَبَشِيِّ آلِ ثَبِيِّ^(٢)، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْنٍ، فِي هَؤُلَاءِ الرَّجُلِينَ.

وَأَنْتُمْ سَلَفُوا الْخَيْرَ لِأَوْلَادِكُمْ حَتَّى يَنْشَأُونَ عَلَى الْخَيْرِ، وَيَسَارِعُونَ إِلَيْهِ، مَا زَالَ عَادُهُمْ قَابِلِينَ، فَإِنَّ الصَّغِيرَ مِثْلَهُ مِثَالُ الْغُصْنِ الرَّطْبِ، إِذَا أُرِدَتْ تَقِيمُهُ اسْتَقَامَ بِسَهُولَةٍ، وَأَمَّا الْكَبِيرُ مِثْلُ الْعِظَمِ الْأَعْوَجِ مَعَاذَ تَسَمُّحٍ، إِذَا أُرِدَتْ أَنْ تَقِيمَهُ كَسَرَتْهُ. كَمَا وَرَدَ: «النِّسَاءُ كَالضَّلَعِ الْأَعْوَجِ»^(٣). . . إلخ. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا حَدَّثَ أَمْرٌ غَيْرَ لَاقِئٍ بِغَايَةِ الْإِنْكَارِ وَمُلَافَاةٍ^(٤) قَبْلَ

(١) متفق عليه: البخاري (١٣)، مسلم (٤٥).

(٢) قرية بقرب تريم.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه...» الحديث. «كنز العمال» (٤٤٩٧٧).

(٤) أي: تدارك.

لا يتمكن، مثل السبئية من النخل، تُتَقَرُّ، في ساعة، وإذا تمكَّنت صارت
نَخْلَةً وَيَعْسُرُ قَلْعُهَا، كَمِثْلِ الْقَهْوَةِ وما ضاهاها من العوائد قد تمكَّنت؛ إذا
أَجْتَمَعَتِ الْقُلُوبُ حَصَلَ الْمَطْلُوبُ، إذا قَصُرَ الْأَمَلُ حَسُنَ الْعَمَلُ، كما قال
سيدنا عبد الله الحداد: وفي قُصْرِ الْأَمَلِ الْخَيْرُ كُلُّهُ.

ومجالسُ الصوفية تَفْتِنُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ، وتَسْخَطُ عَلَيْهَا، وتَقُومُ
وأنت فزعانُ خائفٍ مِنْ نَفْسِكَ.

دَخَلَ الْإِمَامُ الشَّعْرَاوِيُّ عَلَى شَيْخِهِ عَلِيِّ الْخَوَّاصِ، فرأى في جبهة
الشيخ مكتوباً جميعَ عيوبِهِ، فَزِعَ جَمًّا مِنْ ذَلِكَ. فقال له الشيخ: لا تَفْزَعْ
يا ولدي، هذا من عنايةِ الله بك. وكان الشيخ الخَوَّاصُ المذكورُ أُمِّيًّا يَعْمَلُ
بِالشُّطْفَةِ، والشَّعْرَاوِيُّ إِمَامٌ كَبِيرٌ جَمًّا وَلَهُ تَصَانِيفٌ عَظِيمَةٌ، وَكَلَامُهُ كُلُّهُ نُورٌ،
وَدَوَاءٌ، مَنْ تَنَوَّرَتْ بَصِيرَتُهُ أَبْصَرَ جَمِيعَ عِيُوبِ نَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ مَا شَافَ
عيوبه.

وَالْكَرَامَةُ الظَّاهِرَةُ مِثْلُ طَيِّ الْمَسَافَةِ لِلْكَبَارِ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَلَكِنْ قَدْ
تَكُونُ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْبَرَاهِمَةِ^(١)، وَالْمُخَالَفِينَ.

وَالْكَرَامَةُ الْبَاطِنَةُ أَنْ يَمَكِّنَكَ اللَّهُ مِنْ قَهْرِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ، وَتَهْتِمَهُمَا،
وَالْوَرْدُ اللَّازِمُ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى، كَمَا قَالَ صَاحِبُ «الْبُرْدَةِ»:

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ السُّبْحَ فَاتِّهِمِ
كَانَ سَبَبُ زُهْدِ سَيِّدِنَا دَاوُدَ الطَّائِي: أَنَّهُ مَرَّ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فرأى

(١) البراهمة: طائفة من مجوس الهند.

الناس يوسعون الطريق، فقال: لَمَنْ توسعون الطريق؟ قالوا: لِحُمَيْدِ الطُّوسِيِّ اليهودي. كان صاحبَ سَعَةٍ في المال. فلَمَّا رآه سيدنا داودُ قال لنفسه: أَفَّ لَدُنْيا سَبَقَكَ إِلَيْها حُمَيْدٌ؛ لَأَنه كان شَتِيمًا^(١) المنظر، فكان ذلك سببَ زهده في الدنيا.

وَمَنْ قَصَرَ أَمْلُهُ لو بايسافر أو بايدخل في أمرٍ معادَ خَلَّتْه نفسه لِقَصَرَ أَمْلِهِ، قَصَّروا آمالَكم في الدنيا.

□ كان المرحومُ عقيلُ بن عوض يقول: أَعْطونا كتابَ يُرَقِّقَ قلبي، أَحْسَ قلبي قاسي.

وكان رحمه الله صاحبَ قلب وفيه دُعابة. قال لي: وَدَّي سَافِرٌ إِلَى جَاوَةٍ. قال له سيدي: لماذا؟ قال: شفت الناس إذا حَدَّ دَخَلَ في المجلس وهو صاحبُ نَسَمٍ في الدنيا يقولون لَهُ: هِنَيَّا هِنَيَّا في المكان، وأنا بَغَيْتَ كما هم؛ لَكِنْ يا حبيب شاقُّ عليّ ابن مَطَّار يَجْرَجِرُ أَذَانُهُ عِنْدَ المنبر: الصَّلَاةُ عَلَى المَيِّتِ الغائبِ عقيلُ بن عوض.

قال سيدنا: لما قَصَرَ أَمْلُهُ رأى أَجَلَهُ قريب.

□ وقال لي يوماً لناس ماتوا من أَهْلِ البلد: حبيب، شَفُّهُمْ جَاهُْم الموت ولا هم خَلِيَّينَ له. يومَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِمُ الدنيا شلهم الموت.

وقال سيدنا: مرَّادُه الاعتبار، فَإِنَّ الدنيا إذا أَقْبَلَتْ عَلَى أَحَدٍ شَفُّها عَيْنُها به. وقال بعضُ السلف: إِذَا سَمَنْتِ الدنيا أَحَدًا فَإِنَّها تريدُ ذَبْحَه!

(١) أي: قبيح.

□ وكان عوض عقيل، والدّه، من الزيان، توفي وهو يتلو هذه الآية:
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، يعني: أيام الصوم.
وقال سيدي: وقد أدركناهم كلّهم.

عليهم سلام الله إن كان قد مضوا فذكر لهم باقي وقد شاع بالنقل
والدنيا يُعطيها الله مَنْ يحبُّ وَمَنْ لا يحب، لِهَوَانِهَا عليه. وأمّا
الآخرة فلا يُعطيها الله إِلَّا مَنْ يحب؛ وإذا وُجدت، زوالها منك خيرٌ من
زوالك منها. وأحسنُ منه: يوم تشرد هي منك خيرٌ من أن تشرد منها،
كالعدو إذا أنت خائفٌ منه، هَرَبُهُ منك خيرٌ من هَرَبِكَ منه، لأن هَرَبَكَ فيه
تعب. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا ضاع الشاب ضاع العمرُ كُلُّهُ، والخيرُ في
الصَّغَرِ، كما قال القائل:

مَنْ ضَيَّعَ الْعِلْمَ وَالْآدَابَ فِي الصَّغَرِ بكى عليه ولم يُدركه في الكِبَرِ
وقيل:

لَذَّةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فإذا وَلَّىا عَنِ الْمَرْءِ وَلَّى
وقيل:

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمَا عَيْنَايَ حَتَّى يُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لم يُلْغِ الْمِعْشَارَ مِنْ حَقِّيهِمَا فَقَدْ الشَّبَابِ، وَفِرْقَةُ الْأَحْبَابِ

وإذا حصل التوجُّهُ حصل الفتوح، عسى الله يوجّه القلوب.

وقال رضي الله عنه: تعلّموا الحِلْمَ، ولا يصلحُ لمجلسي إلّا حليمٌ رحيمٌ، شؤا بغض الكلام يحصل معي كثفٌ منه بالليل، وانقلوا ما يُروى عن أهل الحِلْمِ حتّى تتخلّقوا بالحِلْمِ.

قال تعالى في وصف إسماعيل: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] وفي وصف إسحاق ﴿عَلِيمٍ﴾ وصفه بالعلم. وإذا اجتمع العلم والحِلْمُ كان أحسن؛ وقد يكون حليم بغض الناس وهو لا يؤبه له؛ هي إلّا خصوصيات من الله.

يروى عن المأمون أنه قرأ الحديث قوله: «سَدَادٌ مِنْ عِوَزٍ» بفتح السين أو كسرهما^(١)، فردّ عليه بعض الحاضرين. فقال المأمون: أنت تلحّثني؟ قال لا، ولكن الذي علّمك لحانةً، وأخبره بالصواب في ذلك، فأجازه بخمسين ألف درهم أو دينارٍ على بعض وزرائه، فلمّا جاء إلى الوزير قال له: لِمَ هذه الإجازة؟ فأخبره بذلك. فأعطاه من عنده فوق الخمسين ثلاثين، فصارت ثمانين ألف، على ردّ الكسرة أو الفتحة. وقال سيّدنا: انظروا إلى حِلْمِهِم وتَعْظِيمِهِم للشيعة: «ولو عَظَّمُوهُ فِي الصُّدُورِ تَعْظُمًا»^(٢)... إلخ.

(١) السَدَاد من العِوَز بكسر السين، لما يسد به الخلّة، والسَدَاد بالفتح: تقويم الشيء وتصويبه.

(٢) من قصيدة الإمام الجرجانيّ التي مطلعها:

يقولون لي: فيك انقباضٌ، وإنما رأوا رجلاً عن موقف الدلّ أحجما

وتمام البيت:

وقال له بعضهم: الله يتولّاك. قال له سيدي: فلان؛ هذه الدعوة بنية، أو عادة كما الناس؟ فإن كانت لها نية فهي مطلب كبير. «وكن لنا متولياً في جميع الأمور»، عسى الله يتولانا بحفظه في الدارين بما تولّى به عباده الصالحين.

كان والذي يقول لي: الزم عمك زين، يعني الحبيب زين بن محمد ابن سميط^(١)؛ وأنتم يا محمد وحسين^(٢): الزموا أبوكم، إذا خرج مكان اخرجوا معه يذكركم، الحق الصّرف الخالص ثقيل على النفس، بخلاف الذي للنفس فيه حظ. والخالص مثل: تعليم الأهل ونحوهم، وغيره مثل: تعليم باقي الناس، وكل ما ثقل على النفس ثقل في الميزان.

□ يُحكى عن بعضهم: أنه حجّ مراراً كثيرة ماشياً، ثم طلبت أمّه شربة ماء، فقام إليها ولم يجد النشاط الذي في مسير الحجّ، بل حصل معه تلكؤ فاتهم نفسه في حجاته وقال: ما هذا إلا أن النفس لها حظ في ذلك، بخلاف ما كان لأمه. فانظروا كيف محاسبتهم لأنفسهم!

* * *

= ولو أنّ أهل العلم صائبوه صائبهم ولو عظموه في النفوس تعظّموا ويروى: في الصدور.

(١) هو الحبيب زين بن الإمام محمد بن زين بن سميط، كان من السادة الأخيار، توفي بجدة قاصداً الحج سنة ١٢٠٩ هـ.

(٢) المخاطبان هما سبطا الحبيب أحمد: محمد وحسين ابنا عمر بن محمد بن عمر ابن زين بن سميط...

وقال رضي الله عنه: يومَ الأحدِ ثامنَ عشرَ رجب، سنةَ ١٢٥٤، مذاكرةً على قراءةِ «كتابِ أسرارِ الحجِّ» من «الإحياء»: كان سيدنا أحمدُ بن زينَ الحبشيُّ رضي الله عنه، يذاكرُ في الحجِّ ويحقِّقُ^(١)، وفي المجلسِ واحدٌ من آلِ مَشْغَان، فخطرَ له: كيفَ يحقِّقُ الحبيبُ أحمدُ وهو لم يحجَّ؟ فالتفتَ إليه الحبيبُ أحمدُ وقال: اللهُ رجالٌ تطوفُ بهمُ الكعبةُ^(٢). وكان سيدنا الحبيب محمدُ بن سُمَيْط جالساً، فقال للمَشْغَان: شي خطرٌ ببالك؟ قال: نعم. فأخبره بالخاطر.



وقال سيدنا رضي الله عنه: عزَمَ الشيخُ عبد القادر باسراحيل^(٣) رضي الله عنه إلى الحج، فكتبَ إلى سيدنا عبد الله الحدادِ يُعَلِّمُه بذلك، فوصلَ إلى سيدنا عبد الله فجَوَّبَ عليه: «وذكرتوا عزَمَكم إلى الحج، فاعلموا أن عزَمَكم ليس إلى الحجِّ وإنما هو إلى البرزخ، فسَلِّمُ منَّا على رسولِ الله ﷺ وعلى والدك محمدٍ والسلام».

فلَمَّا وصلَ الخطُّ طَرَحَه في قفصِه ولم يُعَلِّم به أحداً، فانظرَ إلى حفظِ السر، فسار، وخرجَ معه ناسٌ يودِّعونه إلى مكانِ الحَزْم قبل لا يُبْنَى^(٤)،

(١) أي: يحقق مسأله، ويوضحها بصورة جلية.

(٢) هذه المقولة يراد بها المبالغة في تعظيم أهل العلم، وفي الحديث: «لهدم الكعبة أهون على الله من قتل...».

(٣) لعله الأشرم، من تلامذة الإمام الحداد، ترجمته في «بهجة الزمان».

(٤) أي: إلى الموضع المعروف اليوم بالحزم، وكانت عمارته على يد الحبيب عمر بن=

وبات بالغُريب^(١)، وثارت عليه بطنه، فتوفي في ليلته، فخرج الذين يودُّونَه يعارضون جنازته. ثم إنهم فكُّوا قفصَه فوجدوا الخطَّ المذكور.

□ وكان سيدنا عبدُ الله الحدادُ يسمي الشيخَ عبدَ القادر «ضرغامَ الضراغم». خرج بعضُ آلِ باسَراحيل من أهلِ البلاد يزورُ التربةَ بالليل، فلما وصلَ الجُرب^(٢) إذا بصورة إنسانٍ من نورٍ يتدخَّرُ وراءه، ففزعَ الرجلُ منه، فلما سارَ إلى تريمٍ أخبرَ بذلك سيدنا الحبيبَ عبدَ الله الحدادَ فقال له: ذاك ابنُ عمِّك عبدُ القادر، فقال الرجل: ابنُ عمِّي يُفزعُنا؟ قال له سيدنا عبدُ الله: خشيَ عليك أن يظهرَ عليك شي يغيِّرُ قلبك.

* * *

□ وقال سيدنا أحمدُ رضيَ الله عنه: والشيخُ عبدُ القادر المذكورُ هو الذي بشرَ بسيدنا أحمدَ بنِ زين الحبشي وعادُه في بطنِ أمه. وذلك: أنه أرادَ دخولَ (الغُرفة)، فوجدَ الحبيبَ زين^(٣) والدَ سيدنا أحمدَ بنِ زين خارجاً منها، وكان تُوفي عليه ولدٌ اسمه سالم، واستوجدَ عليه كثيراً، حتى أنه همَّ بالخروج باينبشُ عليه القبر، فعرفَه الشيخُ وقال له: بَغَيْتَ فين؟

= أحمد بن محمد العيدروس، المتوفى سنة ١١٩٩هـ.

(١) الغريب: هو بلاد آل شراحيل، ويسمى سحيل الفقراء، وهو بوادي ابن علي، ينظر لمعرفة «إدام القوت».

(٢) أي: جرب هيصم، مقبرة شبام.

(٣) توفي السيد زين سنة ١١٠٠هـ، له ذكر في «بهجة الفؤاد».

ارجع ارجع، شف في شُوا^(١) حُبَابَتِي واحد لو تَدْرِي به! فكان سيدنا أحمدَ ابن زين.

* * *

وقال سيدي: وكان أولُ أمرِ الشيخ عبد القادر ما معه توجُّه، حتى الزِّي مُغَيَّر، مِلْقِي حُبوس^(٢) في يديه، فَاتَّفَقَ به بعضُ السادة بني علوي في تَريم، فسأله: مَنْ أنت؟ فقال الشيخ عبد القادر: أنا ابنُ محمد باسَراحيل. فنَهَرَه السيّد وقال له: حَشَا على محمد باسَراحيل منك. فوقَعَ القَوْلُ في قلبِ الشيخ من تلكَ الساعة، فجاء إلى مسجدِ حارث^(٣)، وآلى على نفسه أن لا يخرج من المسجد إلّا وقد ختم القرآن، وجاء له بمعلّم؛ فكان من أمره ما كان. «إلهي بحقّ القومِ مُنَّ بتوبة». . . إلخ.

* * *

وقال رضي الله عنه: الخوفُ من طهارة القلوب، إذا طَهَرَ القلبُ من الذنوب خافَ من مولاه، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، والذنوبُ تَقْسِي القلب، اللهم اقسِمَ لنا مِن خَشْيَتِكَ ما تحوّلُ به بيننا وبين معاصيك. . . إلخ، ادعوا بها في السجود.

ثم ختمَ المجلسَ بهذه الأبيات:

(١) الشُّوا: البطن.

(٢) شيء يضعه البادية والعوام في أيديهم كالزينة.

(٣) هو الشيخ حارث باسَراحيل، الذي ينسب إليه آل باسَراحيل كافة، له مسجد معروف في المكان المسمّى «سحيل الفقراء» بقرب (جِفْل).

لبستُ ثوبَ الرجا والناسُ قد رقدوا وبِئْ أشكو إلى مولاي ما أجْدُ
وقلتُ: يا أملي في كلِّ نائبةٍ ومَنْ عليه لِكشفِ الضُرِّ أَعْتَمِدُ
أشكو إليك أموراً أنت تعلمُها ما لي على حَمْلِها صبرٌ ولا جَلْدُ
وقد مددتُ يدي بالضعفِ مُفْتَقِراً إليك يا خيرَ مَنْ مُدَّتْ إليه يَدُ
فلا تُردِّدْها يا ربَّ خائبةً فَبَحْرُ جُودِكَ يروي كُلَّ مَنْ يَرِدُ

* * *

وقال رضي الله عنه عند قوله:

وبارك ربنا للداعي منا وللمدعو إحساناً ومنا ووفّقنا لحسن الارتداد^(١)
وكرّرَ هذا البيتَ وأغرقَ فيه؛ يُروى عن الربِّ تبارك وتعالى: «إذا
أطاعني عبدي رضيْتُ، وإذا رضيْتُ بَارَكْتُ، وبركتي ما لها نهاية. وإذا
عصاني غَضِبْتُ، وإذا غَضِبْتُ محقَّتُ، وغَضِبِي يلحقُ السابعَ من الولد»^(٢).
أو كما ورد.

وقال عند قوله: «لصنعاء أو لمسكت»^(٣)... إلخ: السفرُ إلى صنعاء

(١) البيت للحبيب أحمد بن عمر بن سميط، من تذييله على منظومة «العروة الوثيقة»
للشيخ الإمام محمد بحرق، «ديوان ابن سميط» (٥٩).

(٢) الحديث لم أجده.

(٣) من بيت للحبيب أحمد في تتمته على «العروة» لبحرق وتماه مع ما قبله:

ورضُ الكلِّ منا ما قَسَمْنَا وقنَّعنا الجميعَ بما رزَقْنَا

وحقَّق للقناعة باقتصاد

وَمَسَكَتَ وَكُلَّ أَرْضٍ فِيهَا بَدْعَةٌ خَطَرٌ، وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ الطَّبْعَ يُسْرِقُ
 مِنَ الطَّبْعِ. يُرَوَّى أَنَّ بَعْضَهُمْ هَجَرَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ سَنَةً لِأَنَّهُ جَالَسَ بِدْعِيًّا.
 الْحَذَرُ يَرُدُّ بِكُمْ الْمَعَاشَ، تَدْخُلُونَ إِلَى أَرْضِ الْبِدْعِ. الْحُجُّ عَرَفَةٌ، وَبَاقِي
 الْمَنَاسِكِ مَقَدِّمَاتٌ وَمُتَمِّمَاتٌ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَيْتُ الْقَصِيدِ فِي: «أَقُومُ بِفَرْضِ الْعَامِرِيَّةِ وَالْثَّقَلِ»
 هُوَ قَوْلُهُ:

وَأَحْمَلُ نَفْسِي مَا اسْتَطَعْتُ عَلَى أَقْتَفَا سَبِيلِهِمْ، حَتَّى أَوْسَدَ فِي الرَّمْلِ

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمَرْأَةُ لِلرَّجُلِ بِمَنْزِلَةِ الْأَمِيرِ لِلْمَلِكِ، نِعَمَ الْوَزِيرُ
 إِذَا صَلَحَتْ، وَبُشْسَ الْوَزِيرُ إِذَا لَمْ تَصْلُحْ. وَإِذَا صَلَحَتِ الْمَرْأَةُ صَلَحُوا
 أَوْلَادُهَا وَبَنَاتُهَا وَإِلَّا فَسَدُوا. وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ الْفَسَادُ إِلَّا مِنَ الْوُزَرَاءِ.

□ كَمَا يُحْكِي فِي آلِ عَثْمَانَ السَّابِقِينَ، نِظَامَ الْمُلِكِ فِي بَيْتِ السَّلَامِ
 بَغْدَادَ، حَصَلَ فِسَادٌ كَبِيرٌ وَلَمْ يَطْلُعْ عَلَيْهِ الْمَلِكُ، لِأَنَّ الْوُزَرَاءَ لَمْ يُبْلَغُوهُ
 ذَلِكَ لِفَسَادِهِمْ، فَتَيَسَّرَ لِلَّهِ بَغْضُ السُّنُودِ^(١)، فَطَلَعَ الْمِنْبَرُ، فَخَطَبَ وَذَكَرَ

= لنَسْلَمَ مِنْ مُعَانَاةِ الْجَوَاءِ وَطَوَّلِ الْمُكْثِ فِي وَطَنِ السَّوَاءِ

وَنَظَفَرُ بِالْحَلَالِ بَلَا عِتْيَادِ

لَصَنَعْنَا أَوْ تَمَسَكْنَا أَوْ لَهْنَدِ وَجَاوِدَ الَّتِي امْتَازَتْ بِبُعْدِ

وَأَهْوَالِ شَدِيدَاتِ النَّكَادِ

(١) أَي: مِنْ أَهْلِ السُّنْدِ.

الفسادَ جميعه، فلما خَرَجَ المَلِكُ سأل: هل شيءٌ واقعٌ مما ذكره السُّنْدِي؟
قالوا له: كُلُّهُ واقع. فطلب جميعَ الوزراء - وكانوا أربعين - فقتَلَهُم.

والدُّرَّةُ للرجلِ بمنزلةِ الوزير، وتعليمُ البناتِ وهُنَّ صغارٌ من
إحكامِ مبادي الأمور، التي إذا صَلَحَتْ صَلَحَتِ النهايات؛ لأنها أولُ ما
تربِّي بناتِها وأولادَها.

* * *

وقال في وَصْفِ المَعْلَمِ عبدِ الله بنِ سعدِ بنِ سمير: عسى الله يمتِّع به
وأمثاله. عاد نَحْنُ نداعي بهم، وعادُه ممن حَضَرَ القِسْمَةَ. وإذا خَرَجْتُوا
لِحَضْرَةِ الحبيبِ أحمد بنِ زينِ شَلُّو كَتَبْكُمْ واقْرؤُوا ما تيسَّر ولو قَلَّ، ولو
ثلاثَ مسائل.

□ شكا بعضُ السادة من آلِ الحَدَّادِ إلى الحبيبِ عليِّ بنِ عبدِ الله
السَّقَافِ ذُنُوكَ المَعاش، فقال له الحبيبُ علي: اجلسْ في (الحاوي)^(١)
وشِلْ كِتَابَكَ، واقْرأْ على عَمِّكَ حَسَنِ بنِ عبدِ الله الحَدَّادِ، شُفْ يومَ تَسْمَحُ
لك الأحوال. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اقتدوا بالسلفِ في عَدَمِ التَكَلُّفِ للضيفِ حتَّى
يسهَّلَ عليكم الخير، ولو على تمر، وإذا لم يتفقَ لَحْمٌ يقعَ بِلَحْمٍ (بالخاء
المعجمة).

(١) محل سكني السادة آل الحداد، من ضواحي تريم.

□ جاء الحبيب علي بن عبد الله السقاف إلى (الغرفة) في أيام الحبيب أحمد بن زين الحبشي، فطلبه ابن حُسين للعشاء، فقال له الحبيب أحمد بن زين: بشرطِ تفعل له لَحْم، وإلا ما هو عندك، فقال ابن حُسين: نحن أهل جَدَه^(١)، وهذا علي بن عبد الله، بأنكرمه. قال له: هذا الكلام؛ فامتثل ما قاله له الحبيب أحمد، فقال ابن حُسين لأهله: صَلُّوا العشاء وبَالِغُوا في تحسِينِه وكَثْرَتِه. فلَمَّا دَخَلَ به على الحبيب علي بن عبد الله أَخْبَرَه بما قال له الحبيب أحمد بن زين، وأنه ما يَقْدِر يخالِفُه. فقال له الحبيب علي: قال لك هكذا؟ قال: نَعَمْ! فقال له: قُمْ وَخَلْنَا. ثم قَلَدَ المَنْزِلَ وأَكَلَ الجمیع الذي قَدَّموه له، وهو شيءٌ كثيرٌ جَم، شاهدَ في ذلك شيء ثاني!! أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: ذكروا، واستعملوا الرِّفق. قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَنَّا﴾ [طه: ٤٤]، والقبولُ موجود، واليأسُ حرام، حرام، ومن كبار الذنوب. وقد كانت حَضَرَمَوْتُ مشحونة بالأخيار، كما قال ولد علوي^(٢):

قد كنت يا وادي الأنوار مشحون بالخير والأخيار

□ كانوا السلف صِفَة ثانية، خُصَّ أهل شبام. كان أحمد صَلْعَان^(٣)

(١) أي: سعة، وحال طيب.

(٢) أي: الإمام الحداد.

(٣) هو: الشيخ الصالح أحمد بن عوض صَلْعَان، من صالحِي أهل شبام، أخذ عن =

— ممن ترجَمَ له الحبيبُ محمد بن سُمَيْط — مَضَى وقته وهو في بَسْطَةٍ بسببٍ خفيف، وعليه دار وديرة، مع راحةٍ بلا حقارةٍ في المَعاش، وكان مُنْشِداً.

□ كذلك محمد صَلَّعَان^(١)، قال الوالد: كثيراً ما يستشهد «بِحَكَمِ ابْنِ عطاءِ الله» يكادُ يحفظُها، صَاحِبُ مذاكرة. كَانَتْ مَعَهُ نخلة، فأذاه بعضُ الناس من طَرَفِها، فقال لولده سالم: بِعْها بما يقولُ المشتري، ما أَحَبُّ شيءٍ يَشْغِلُ قلبي.

ثم قال سيدنا: قال الشيخُ عمر بامخرمة:

* يا سليمان، عادَ الله يردّ العوايد *

يروى أن الشيخَ عمرَ مَرَّ على يهوديٍّ فكأنَّه لحظه فأسلمَ اليهوديُّ من يومه؛ فعَلِمَ به الشيخُ عمرُ فقال:

يا ابنَ الأسباطِ مَرَّ السيلُ في قاعِ غَبْرا
مَرَّ فيها الضُّحى وامتَّت معَ العصرِ خَضْرا

* * *

وقال رضيَ الله عنه: سُئِلَ بعضهم عن تفسيرِ قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فتَحَيَّرَ فيها، فظَهَرَ له الخَضِرُ عليه السَّلام فقال له: شؤنٌ يُبْدِيها لا يَبْتَدِيها. أي: يُظْهِرُها إلى عَالَمِ الدنيا، وإِلَّا فقد خُلِقَتْ

= الإمام الحداد.

(١) أخو أحمد سابق الذكر.

في علمه تعالى. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، أي: نُظِّهَرَهَا.

فهو سبحانه وتعالى، كلَّ يومٍ هو في شأنٍ في خلقه: يُحيي ويميت، ويُعزِّز ويذل، ويُغني ويُفقر، ويُصِحِّح ويُسَقِّم، وهذا يفتحُ كلَّ بابِ الرجاء في الله سبحانه وتعالى، ويُغلقُ بابَ الأمنِ من مكره.

* * *

وقال رضي الله عنه: سئل سيدنا عبدُ الله الحدادُ عن حالِ سيدنا أحمدَ بن زينِ الحبشي. فقال: هو من أهلِ المقامِ العاشر^(١)، وهم الذين ذكَّروهم في قصيدته:

* الحمدُ للهِ الشهيدِ الحاضرِ *

في قوله: «خَصَّ الرجالَ العارفينَ»^(٢)... إلخ، مثل الغزالي وسيدنا الفقيه وأحمدَ الرفاعي وسيدنا عبدِ القادر:

* شَغِفُوا بِهِ وَاسْتَغْرَقُوا فِي حُبِّهِ^(٣) *

حتى كان آخرَ وقتِ سيدنا أحمدَ بن زينِ الحبشي إذا دخلَ في الصَّلَاةِ معاد يذرى كم ركعاتٍ صَلَّى! وقد يلتفتُ إلى بعضِ المأمومين مراده

(١) قدمنا شرح هذا فيما مضى.

(٢) تمامه: خَصَّ الرجالَ العارفينَ بقُربِهِ وبأنسِهِ أهلَ المقامِ العاشرِ

(٣) الذي في «ديوان الإمام الحداد» (٢٢٢):

شَغِفُوا بِهِ وَاسْتَغْرَقُوا فِي ذِكْرِهِ طُولَ الزمانِ بكلِّ رُوحٍ طائرٍ

يُشيرونَ إليه بقيامٍ أو قعودٍ من شدةِ استغراقِهِ بالله، كما كان سيدنا عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه كذلك.

وكان إذا أرادَ الدخولَ في الصَّلَاةِ، فخطرَ له خاطرٌ وقُدَّه بأيُّحرم بالصَّلَاةِ طَرَبٌ^(١) على بعضِ المأمومين وكَلَّمَهُ بذلكِ الخاطر، حتى ما تتشَوَّشَ عليه صلاتُهُ.

□ وسأله أحمد بكار لعجم: كيف يكونُ حُسْنُ الظَّنِّ بجميع المسلمين؟ لأنه كانت له عنايةٌ بصَلَحِ قلبِهِ. فقال له الحبيب: أَحْمَدُ بكار! طَهَّرْ قلبَكَ، فالقلبُ إذا طَهَّرُ ما يرى أَنَّ أحداً يعصي رَبَّهُ. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه لبعضِ السادة حينَ صافَحَهُ، واسمُهُ جعفرُ بن محمد: واسمُ سيدنا جعفرٍ الصادق كذلك: كُنْ حَسْبَ الظنِّ، لا تُفارقِ الكتاب، واجتهدْ في طلبِ العلم، ما يعذُرُكَ من ذلكِ إلَّا الموت، خلَّ الاسمَ يوافق المسمَّى، وإلَّا تَبَصَّرْ في اسمِكَ إذا ما بتجتهد.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان والدي إذا ما أعجبه شيء في أيَّام الصَّغَرِ يقول: ذنوبي ذنوبي! وربما يبكي. وأنت يا مُحَمَّد، ما مَعَكَ عَشَقَةٌ، أخذَ القراءةَ عليك فلان، مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ!

(١) أي: نادى.

وقال رضي الله عنه: حُثُوا أولادكم وأهليكم على الحياء، فالخير كله في الحياء، خصوصاً في مضايق شبام، ودِّي الصغار يفعلون غشوة على رؤوسهم في الشارع^(١)، قدما تسمى عند الصوفية (خلوة مختصرة).

* * *

وقال عفا الله عنه: روي عن الحق تعالى أنه قال: «خفني كما تخاف السبع الضاري»^(٢)، ولا يخاف الله إلا العالم به: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

* وما عالم إلا من الله خائف *

مثال ذلك: كاسد أقبل على كبار وأطفال، فالكبير يخاف الأسد لعلمه بأنه ضاري، والطفل لا يخافه لعدم علمه به.

قال سيدنا علي بن عبد الله السقاف لما راح بصرة: إني فرحت بذلك. نظيره قول سيدنا سعيد بن المسيب: ما شيء أخوف عندي من النساء. وسنه حيثنذ أربع وثمانون سنة. فانظر إلى خوف الكبار في كلامهم، وإنما يعبرون به عن أحوالهم.

* * *

وقال رضي الله عنه في إحياء ليلة النصف من شعبان سنة ١٢٥٤ عند قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، حاكياً عن

(١) لأنهم بذلك يحترزون من رؤية البطالين ومن لا خلاق لهم.

(٢) لم أجده.

نبيّ الله موسى عليه السّلام: انظر قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾، لم يقل: بعلمي ولا بعلمي، مع أنه نبيّ، بل قال: ﴿فِي رَحْمَتِكَ﴾.

وقال: بانقرأ «يس» بنية صلاح الأحوال ظاهر وباطن، وأن الله يصلح نحن ويصلح جهتنا صلاحاً تاماً، أديروا القراءة، كل واحد يقرأ ما تيسر. فقرأوها.



ثم قال: أنت يا فلان، أخذت نحواً من شهرين مربوش جمّ، والآن حصلت العافية، اسأل عن شكرها، ماذا؟ كان السلف يسألون: ما شكرُ نعمة كذا؟

يحكي: أن بعض الدّولة ختم «الإحياء» على ابن سراج باجمال^(١) فقال له: ما شكرُ ذلك عليّ؟ فقال له: قال الله تعالى: ﴿لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فقال له: أحبُّ ما كان عندي، عبي جَوْهر، هو عتيق وأولاده لله تعالى. فصدرت من العبد المذكور أفعالٌ خيريّة، حتى بنى مسجدين بسيئون ببركة نيّة سيّده.

وأنت اشكرُ نعمة العافية، وشكرها: أن تُقبلَ على أهلِكَ وأولادِكَ بالتعليم، تبدّلُ جهدك في ذلك، ما شي خلاف هذا. أنت تتغائمهم وهم يتغائمونك، لأن الموت أقربُ كلِّ غائبٍ يُنتظر.

(١) هو العلامة الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال، توفي سنة

وقال عند قوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، قال بعضهم: لو أخذ الناس بهذه الآية ما احتاجوا إلى الطبيب، لأن الشَّبْعَ منبُع كلِّ علّة، وتتولّد العِلَلُ من الثُّخْمَةِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: تذاكرَ سيدنا عبدُ الله بن علوي الحدادُ والشيخُ علي بن عبدِ الله باراس في شأنِ الصلاة، وقالوا: أجمَعَ العلماءُ على أنَّ الإنسانَ لو حصَلَتْ له في عمرِه صلاةٌ من صلاةِ أهلِ القُربِ لكفَتْه إلى الأبد. أو كما قال، ولكنَّ صَلَّ واستغفِرُ وتبَّ، «سبيلُك أن تستغفِرَ اللهَ بعدها». كان بعضهم يقول: إني أنصرفُ مِنْ صَلَاتِي حياءً من الله كَمَنْ ينصرفُ مِنَ الزنا^(١).

* * *

وقال رضي الله عنه: «حديقةُ الإمام بحرق» هديةٌ من الله تعالى للمسلمين، وأودَّ أنها في كلِّ بيت، ويحفظُها كلُّ قلب، لأنها دعوةٌ إلى الله خالصة، وهي زُبْدَةُ الزبدة، وعمدة. اكتبوا منها نسخاً واهدوها إلى الحرمين، واكتبوا:

ومن عَجَبٍ إهداءُ تَمَرٍ لخيرٍ وتعليمُ زيدٍ بغُصٍّ علَمِ الفرائضِ

(١) أي: خوفاً من الوقوع في التقصير أو عدم قبول العمل، وهذا الخوف والوجل مطلوب، لأن الفرح بالأعمال قد يحبطها.

ابنُ عثمان يُهدي دراهم، وأنتم يا آلَ حَضْرَمَوْتَ اهدوا «الحديقة» كُلُّ على قَدَرِهِ، ونعمَ الهديةُ الباقية، اهدوها إلى مكةَ والمدينة.

□ يقال: إن بعضَ الألباءِ أهدى إلى بعضِ الخلفاءِ كيسَ ملحٍ وكيسَ أَشْنانٍ، وكتبَ له: إني خَشِيتُ أن تُطَوِّى صُحُفُ الكرامِ ولم أَذْكَرْ فيها فأهديتُ إليك أولَ ما يُبدَأُ به لصَحَّتِهِ وبرَكَّتِهِ، وآخرُ ما يُخْتَمُ به لِطِيبِهِ ونِظَافَتِهِ. وفرحَ به المَلِكُ أَكْثَرَ ممَّا أهداه إليه باقي الناسِ، وملا الكيسينِ له دنانير. وأنتم لعلَّ اللهَ يملِي لكم القلوبَ هداية. أو كما قال.

* * *

وذكرَ رضيَ الله عنه بعضَ أهلِ البلادِ مِنَ الأخيارِ ممن كانوا كَثْرَةً، منهم رجالٌ ونساء، فماتوا إلَّا القليل، فقال رضيَ الله عنه: هذا فعلُ الدنيا بالأخيار، فكيف بالأشرار؟ شعر:

أينَ الذي الهَرَمَانِ مِن بُنيانِهِ ما يومُهُ ما قومُهُ ما المَرَبْعُ؟

تتخَفُ الآثارُ عن أَرْبابِها حيناً، فيلَحِقُها الفَناءُ فتَتَبَعُ

لعله مِن «ربيع الأبرار» والهَرَمَانِ: بناءٌ بِمِصْرَ بناه بعضُ الملوكِ السابقين. عسى اللهُ يَرُدُّ العوائدَ ويُحيي السُّنن.

كان ساداتنا آلَ باعلوي إذا زاروا نبيَّ الله هوداً يأخذونَ الضَّحايا^(١) من عندِ النَّبيِّ، ويعِلِفُونها رَمَضانَ وشوالاً وذا القَعْدَةِ.

(١) أي: أغنام الأضاحي.

وقال: «سبحان الله ويحمده، سبحان الله العظيم»، آخرُ حديثٍ في «صحيح البخاري»^(١) وهي آخرُ كلامٍ تكَلَّمَ به سيدنا عبدُ الله الحدادُ عندَ الموت، رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: استولَى العجزُ، ادعوا لي بالشفاءِ، العافيةِ الحسيَّةِ والمعنويةِ، والمذكَّراتُ للإنسانِ تُعرِّفُه عجزُه وضَعْفُه ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وفي الحقيقةِ هي عافيةٌ، لأن الإنسانَ لو صِفَتْ له الأيامُ لقالَ مثلَ ما قالَ فرعونُ ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، مسكينُ ابنُ آدمَ، سخيْفٌ ضعيفٌ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: «حَلِيَّةُ الإمامِ أبي نُعَيْمٍ»^(٢) أملاها من حفظه وسُئِلَ ثمانين سنة^(٣). انظُرْ إلى هذه الكرامةِ الكبيرةِ، وفي الحقيقةِ إنها معجزةٌ للنبيِّ ﷺ، ويقال: إنها بيعتُ بآلفِ دينار.

(١) «صحيح البخاري»: (٧١٢٤).

(٢) «حلية الأولياء» للإمام الحافظ أبي نُعَيْمٍ الأصفهاني، واسمه: أحمد بن عبد الله، المولود سنة ٣٣٦هـ على الأصح، والمتوفى سنة ٤٣٠هـ. مطبوع في (١٠) مجلدات.

(٣) لم أفق على من ذكر هذا. ولكن المشهور: أن الذي أملى كتاباً من حفظه هو الإمام شمس الدين السرخسي الحنفي، صاحب كتاب «المبسوط» في فقه الحنفية، المتوفى سنة ٤٨٣هـ، يقع كتابه هذا في (٣٠) ثلاثين جزءاً، أملاه وهو سجين في جُبِّ بأوزجند بلاد فرغانة.

وقال نفَعنا الله به: الصحابةُ رضيَ الله عنهم اشتغلوا بالأهَمِّ، حتَّى أنْهم إذا سُئِلوا عن مسألةٍ قالوا: هل وقعت؟ فإن قيل: لا. قالوا: حتَّى تَقَعَ ونَبَحَتْ عنها، لأنْهم لم يشتغلوا بالفروعِ النادرة، كِمِثْلِ مَنْ خُلِقَ له رَأْسَانِ أو يَدَانِ. نَعْرِفُ بِذلك أَنَّ الترتيبَ مطلوبَ في كُلِّ شيءٍ، وأنَّ الفُضُولَ ليس في الكلامِ فقط، بل في الكساءِ والقُوتِ، بل حتَّى في العِلْمِ إذا اشْتَغَلْتَ بشيءٍ وعادَ أَهَمُّ منه، و «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المرءِ تَرْكُهُ ما لا يعنيه» يعني: من كُلِّ شيءٍ.



وقال رضيَ الله عنه: سِرُّ الله في خَلْقِ اللهِ مستور. ما هي بالألوان، وَشَ دَرَاكَ؟ كَمْ مِنْ واحدٍ لا يُؤْبَهُ له وهو الخَضِرُ!

□ يقولون: إن سُوْقَ شِبابٍ كُلَّ لَيْلَةٍ يَتَسَوَّقُونَ فيه أربعين وليٍّ. كان السَيِّدُ أَحَدُ باعقيلٍ مِنَ المتقدمينَ سَمِعَ بهذا، فجلسَ بَعْدَ العَصْرِ في السُوقِ وَمَعَهُ السَّبِيحَةُ، فَكُلُّ مَنْ تَوَسَّمَ فيه الخَيْرَ عَدَّهُ. فَأَقْبَلَ رَجُلٌ في يَدَيْهِ صِبَاغٌ يَعْمَلُ الجُوبَةَ، وعليه كِساءٌ وهَيْئَةُ زِينَةٍ، فقال السَيِّدُ في نَفْسِهِ: ليس هو مِنَ المعدودينَ، فَكَاشَفَهُ الرَّجُلُ وقال له: حَبِيبَ اطَّرَحَ حَبَّةً. فقال السَيِّدُ: كَيْفَ؟ صارَ ما هي بالألوان. فقام وَتَرَكَ العِدَادَ. قال سَيِّدِي: حَدِّثْ بَحْرَفَةٍ، وَحَدِّثْ كَذَا، وَحَدِّثْ كَذَا. أو كما قال.



وقال، رضيَ الله عنه: مِطَالَعَةُ سِيرِ السَلَفِ وَمُنَاقِبِهِمْ تَنْفِي مِنْكَ العُجْبَ، وَتُزِيلُكَ قَدَرَ نَفْسِكَ، وَمِجَالَسَةُ أَهْلِ الزَّمانِ تُثِيرُ مِنْكَ العُجْبَ وَرُؤْيَا النَفْسِ،

وعزیزٌ مَنْ یَعْرِفُ قَدَرَ نَفْسِهِ، وكلامُ الکبارِ من أولیاءِ الله شرح الكتاب والسنة، کرّروه وانقلّوه واعقلّوه:

إلهي بحقّ القومِ مُنَّ بتوبةٍ من الذنبِ تغسلنا بها أبلغَ الغسلِ
وذلك عندَ قراءةِ الحبيبِ عمرَ بن محمدٍ عليه في «لَبَّ الألبابِ
مختصر مجمَعِ الأحبابِ» لسيدنا الإمامِ محمدِ بن سُمَيْطٍ عَلَوِي نَفَعَ اللهُ به
في شهرِ رمضانَ سنةَ ١٢٥٤.

وقال رضيَ اللهُ عنه: أَلْ حَضَرَمَوْتَ ضَيَّعُوا كُلَّ شَيْءٍ، وادَّعَوْا كُلَّ شَيْءٍ، وفاتَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ، ما هم جُؤَيْدِينَ، بغوا إلّا والي جميعَهُمْ^(١)، اتركَهُمْ، ظلموا الشريعةَ، ذنبُهُم كبيرٌ، وهو: تركُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، حتّى عَمَّتَهُمُ العقوباتُ، الصالحُ مع الطالحِ. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، يعني: تَعَمُّ، واتقاءُ الفتنةَ، بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ لا غير.

* * *

وقال رضيَ اللهُ عنه: حَقَّقُوا قَوْلَكُمْ: «السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ»؛ ببذلِ النصيحةِ، والمعاونةِ على البرِّ والتقوى، وإلّا لا معنى لقولكم: «السَّلامُ عليكم» وكذلك: «رَضِيتُ باللهِ ربّاً وبالإسلامِ ديناً» إلخ. ما ينفعُ مجرد القولِ بعدّةِ اللسان^(٢)، والأفعالُ مخالفةٌ، اجتهدوا فيما يُنْعَشُ

(١) أي: كل واحد منهم يريد أن يكون هو الوالي.

(٢) أي: بطرف اللسان.

الإسلام وينشر الدعوة إلى الله، وإلا غبتوا أولادكم ومكالفكم وأنفسكم.
أو كما قال، عصر الثلوث، ثلاث في شهر شوال سنة ١٢٥٤هـ.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان حبيبي عبد الرحمن بارقة ممن يسمع الهواتف. دخل يوماً حمّام (مسجد ابن أحمد) وهو مُغتَمِّمٌ، فسمع هاتفاً يقول: اطرح القيود، وابدأ الودود، واحفظ الحدود.

وأثنى عليه سيدنا الحبيب عبد الله الحداد فقال: جميع «الإحياء» في زاوية من صدر عبد الرحمن بارقة.

* * *

وقال رضي الله عنه: حَجَّينا في سنة خمس عشرة ومئتين وألف، وجينا إلى (بيت الفقيه)^(١) نسأل عن دار واحد من الدواعن، فوافقنا عبد فقال: أنت السيد أحمد بن سُميط؟ فقلت: نعم. فقال: بسم الله، هذا البيت. . . ذكاء في العبد، لو توجه إلى العلم ما بايخيب. وأنتم كل من معه عبد ينوي فيه أنه يخليه لطلب العلم ويكون داعي إلى الله، سر الله في خلقه.

* * *

وقال رضي الله عنه: كانت طريقة سيدنا أحمد بن زين في تسميته المولود: إن كان معهم اسمين أقرع بينهما، وإن كان واحد رتب الفاتحة عليه من غير قرعة.

(١) مدينة بنهامة اليمن، تنسب إلى الإمام الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل.

وكان سيدي رضي الله عنه كثيراً - في غالبِ الصَّلوات - يَقتُ بهذا الدعاء: «اللهمَّ الطُّفُّ بنا والمسلمين، وعافنا والمسلمين، واكفنا وإياهم أجمعين شرَّ مصائب الدنيا والدِّين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم».

* * *

وقال رضي الله عنه: حُسْنُ اليقينِ قمينٌ^(١) بغفرانِ الذنوب، كما قيل: من كانت سجيته اليقينَ لم تضرَّه الذنوب. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ولهذا لم تضرَّ الصحابة الهناتُ التي يَقعونَ فيها، لأنَّ غريزَتَهُمُ اليقين. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: اتَّبِعُوا المنقولَ واتركوا المعقول، واقتدوا بالرسولِ عليه السلام، وبالسلفِ الماضين، مثلَ محمدٍ لعجم، اسألوا عن سيرِهِم. وأخبرُكم بأنمُودِجٍ من ذلك: أخبرني والدي، قال: كان محمدٌ لعجم إذا جاءه مولودٌ يذُبِحُ رأسَ غنمٍ ويفرِّقُه على المساكين الذين ما منهم مكافأةٌ فقط، وغيرُه في ذلك الزمانِ أوسعُ منه في المال، ما حد يذبح شيء، وإنما القياسُ ما يخلُون سُنَّةَ العقيقة، وإنما هو على حالٍ ثاني، رفقاً بالناسِ حتَّى ما ينصبُّون على غيرهم، لكنَّهم أهلُ قلوبٍ رحيمة.

(١) أي: ضامن.

أولى الناس بالاقتصاد أهل شبام، لأن بلادهم ثقيلة في كل شيء، حتى أفقاشهم يُقش خلاف باقي البلدان.

□ كان عبود بن أحمد جرهم صاحب بيتنا هذا من سابق — يعني: بيت سيدنا البحري — قال له ناس من آل بافضل أهل حدراء: بأنجل شبام، قال لهم: حلوا عندي بلا كراء، عليكم تصلحون لي قريص الصبح، وقريص عشيّة، وفنجان القهوة قبل ذلك، لأنه ما معه مرأة ولا حد له، فحلوا عنده نحو شهرين، ثم رجعوا إلى حدراء، وقالوا: ما تصلح لنا شبام، خير لنا مكاننا. احفظوا المذاكرة وافهموا المقصود.

□ قال والدي رضي الله عنه: أخبرني عبود بن أحمد باذيب والد سالم بن عبود باذيب، أنه رأى المعلم محمد بن عقبة سديس كأنه عند الفاضلة حق الجامع، فسأله: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه، وقال: اقرأ المفصل والمقّم.

فقال له الوالد: أما المفصل فهو من «الحجرات» إلى آخر القرآن، وأما المقّم إن كانه مواعظ القرآن؟

□ قال سيدي: وكان محمد بن عقبة المذكور معجون القرآن فيه، وكان من الصالحين. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: وصل خط من الصنو بو بكر بن عمر^(١)، أيام

(١) يعني: أخاه السيد أبا بكر بن عمر بن زين بن سميط، توفي بعمان في حياة والده، قبل سنة ١٢٠٧هـ.

وصوله من جاوة، فقلت للوالد: نجوِّب عليه بماذا؟ فقال: اكْتُبْ له:

الْبِدَارَ الْبِدَارَ قَبْلَ الْفَوَاتِ إِنَّمَا أَنْتَ عُرْضَةُ الْآفَاتِ^(١)

فكُتِبَتْهَا وَلَا أُدْرِي أَنَهَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ. وتوفي في (مَسَكْتُ)، رحمه الله،
فلَمَّا جَاءَ خَبْرُ وفاته، قال الوالدُ رحمه الله: قد غَسَلْتُ خَاطِرِي مِنَ الْعِيَالِ
كُلِّهِمْ. نظيره: قولُ سيدنا الْفُضَيْلِ بن عِيَاضٍ لَمَّا تَوَفَّى وَلَدُهُ عَلِي، قال: قد
أَخْرَجْتُهُ مِنْ قَلْبِي حِينَ وُلِدَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: كُلُّ مَنْ مَعَهُ عَيْنَيْنِ يَجِيءُ بِكِتَابِهِ مَعَ الْمُذَاكِرَةِ،
اشْكُرُوا نِعْمَةَ الْبَصَرِ، يَكُونُ مَنْ كَانَ. أَقِيمُوا الشُّعَارَ حَتَّى يَحْيَا الدِّينُ وَيَعْظُمَ
فِي الصُّدُورِ: «وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي الصُّدُورِ تَعْظُمًا».

* * *

وقال رضي الله عنه: فِي الْوَقْتِ قَبُولُ جَمٍّ، وَلَوْ نَحْنُ نُعَالِقُهُ فِي
الظَّاهِرِ، فَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مَمْدُوحٌ، تَغَانَمُوا التَّذْكِيرَ وَنَشَرَ الدَّعْوَةَ، لَا تَخْلُونَهُ
يَفُوتُكُمْ. طَوَّلُ الْغُرْبَةِ إِمَّا قِسَاوَةً أَوْ غِبَاوَةً، إِنْ أَحْسَنَّا الظَّنَّ قَلْنَا: غِبَاوَةً. كَمَا
قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ: «فَالْحَرِيصُ غَبِيٌّ» وَإِنْ قَلْنَا: قِسَاوَةً، فَهُوَ خَطَرٌ
جَمٌّ.

* * *

(١) البيت للإمام الحداد، «الديوان»: ٩٥.

وقال رضي الله عنه: إذا ترتبت الأعمال ظهرت البركة فيها. مثال ذلك: كالوضوء، إذا غسلت اليدين قبل الوجه لم تحسب اليدين، وكمثل من يعلم الناس وعاد أهل بيته جهال. وفي مثال آل حصرموت: ما حد يلقى سقاية وأهل بيته ظماء^(١).

□ كان سيدنا الإمام أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه يقول لأهل بيته: إذا زاد شيء من القوت اعرضوه على الخادمة حليئون، إن بغته، وإلا أعطوه السائل. أنظر إلى أفعال الكبار وافكر فيها.

وكذلك كان رضي الله عنه لا يتكلف شيء، لأنهم ما يرون ولا يعاملون إلا الله. اتفق أن أولاد شيخه آل الحداد جاءوا إلى عنده ولا شيء موجود إلا الخمير، ففعلوا لهم جفنة. وقال للحبيب محمد بن سميطة: إذا بعد المغرب سرت أنت والحبايب إلى الدار وتعيشوا لأنه رضي الله عنه ما يأكل الخمير، فيه مثل الرياح، يشق عليه ذلك. فسار الحبيب محمد والحبايب إلى الدار، فخرجت لهم الخادمة حليئون بمكيل إلى الضيقة^(٢)، وتعيشوا وساروا.

واتفق ثاني يوم جاء عنده الحبيب علوي الجفري^(٣)، من آل الحاوي، جاء من السفر، مع وصول رأس غنم وبر للحبيب أحمد من بعض الناس.

(١) من بيت، من القصيدة البائية، تمامه:

وهي التي صغرث قدراً وما وزنت عند الإله جناحاً فالحريص غبي

(٢) أي: فراش من الخوص يجلسون عليه عند مدخل الدار.

(٣) تقدم ذكره وذكر هذه الواقعة في موضع سابق.

فقال لهم: لَقَّوْهُ كُلَّهُ للحبيب علوي، وقال له: إن نحن مجرِّبين إذا جيت عندنا تيسر لك الإكرام. فانظروا إلى عدم تكلفه رضي الله عنه، ما قال: با أتكلف لأولادٍ شيخي، لأنَّ الكبارَ يعاملون الله بالصدقِ الصَّرفِ. رضي الله عنه.

* * *

وقال رضي الله عنه: الوهمُ حجابُ الفهم، مَنْ قوِيَ إيمانه زادَ امتحانه، من لا عُزلةَ له لا عِزَّ له.

□ كان في أولِ أمرِ سيدنا محمد بن سُميْط من ورده كلَّ يوم جزءٌ من «الإحياء» وقرأ «الإحياء» سيدنا الحسن بن عبد الله الحدَّاد نحوَ سبعين مرة، فهذه طريقةُ ساداتنا آل أبي علوي، إلزموها، فهي الطريقةُ المُثلى. وقد كان بالوادي، وبالربيع والحِمى رجالٌ مصاييحُ الوجوه نجوم^(١) إلى آخره.

* * *

وقال رضي الله عنه عند قول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه: «من قال سبعَ مرَّات: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، كفاه الله ما أهمه من أمرٍ آخرته ودينه صادقاً بها أو كاذباً»، يعني بقوله: «صادقاً» أي: أنها حالٌ له، أو كاذباً بأنَّ لم يكن حالاً له، لأنه ليس أحدٌ مكذباً بذلك. أو كما قال.

(١) «ديوان الحداد» (٤٧٦).

وقال رضي الله عنه: كان رجلٌ يصلي إماماً بسيِّدنا الحبيب عبد الله الحدّاد وعادته بالهجرة^(١) فتوفي، فرآه والدي عمر في المنام وهو خارج من ضرك الجبّانة بتريم، فاتخذ له أنه ميّت، فقبضه بقوة، لأن الميت إذا حدّ عرفه يهرّب منه. فقال له: أخبرني بأحوال البرزخ ولا تُفزعنا. فقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

فقال له الوالد: أحوال الأحياء مكشوفة للأموات، فما الذي يوصون به الأحياء لو أوصوهم به؟ فقال: عمارة المال^(٢). فلما انتبه الوالد قال: فكرت في قوله: (عمارة المال)، فعرفت أن الأسفار أخطارٌ والأموال اشتبهت، ومن معه مالٌ من أجداده يكون حلالاً، فينبغي أن يعتني بعمارته. أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: نوصيكم بأربعة كتب الرّموها:

- ١ - كتاب «الحديقة الأنيقة» للشيخ الإمام محمد بخرق.
- ٢ - وكتاب «مقال الناصحين» للشيخ محمد باجمّال^(٣). وهذان الكتابان لا

(١) مسجد بتريم، كان الإمام الحداد لزم العبادة فيه من رمضان سنة ١٠٦١هـ، إلى أن انتقل إلى الحاوي سنة ١٠٩٩هـ، (٣٨) سنة.

(٢) أي: الأموال الزراعية.

(٣) «مقال الناصحين بحفظ شعائر الدين» مطبوع، ومؤلفه الإمام العلامة محمد بن عمر بن عبد الله باجمّال، مولده بشبام، ووفاته بدوعن ببلدة (بضة) حيث هاجر شيخه لشيخ معروف، سنة ٩٥٩هـ.

تزال تُقرأ في مجلس الحبيب عبد الله الحداد، إذا تمّ شي منها سَبَر فيه الثاني.

٣- وكتاب «الدرّ الثمين» للحبيب عبد القادر بن شيخ^(١) الذي وصفه الحبيب عبد الله الحداد في «العينية» [بقوله: عبد القادر المتصلّع^(٢)]. والكتاب المذكور مقتضب من كُتُب الشيخ بحرق، وهو عجيب.

٤- والرابع «إتحاف النبيل»^(٣) لسيدنا الإمام طاهر بن حسين نفع الله به، ولطاهر مزيّة على جدّه طاهر بن محمد بن هاشم بتصنيف «إتحاف النبيل».



وقال رضي الله عنه: الطُّبُّ يَزِيدُ في العقل، والعَقْلُ آلَةُ الدِّين. ومفهومُه: أن عَدَمَ التَّطَيُّبِ يُضَعِّفُ العَقْلَ، فإذا ضَعُفَ ضَعُفَ الدِّينُ، ولا عاد يُدْرِكُ فهمَ العلم. وكيفيك أن وَبِصَ المسك^(٤) [كان] يُرَى في مَفْرِقِ

(١) «الدرّ الثمين في المهمّ من علوم الدين»، تأليف السيد الجليل عبد القادر بن شيخ العيّدروس المتوفى بالهند سنة ١٠٣٨هـ، صاحب «النور السافر».

(٢) وتمام البيت:

وسليله ذاك العفيف وصنوه
ألحبر عبد القادر المتصلّع
والعفيف المذكور في البيت الأول هو أخوه عبد الله بن شيخ (الأوسط) المتوفى
بترميم سنة ١٠١٩هـ.

(٣) هو كتاب «إتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل» مطبوع بسنغافورة.

(٤) أي: بريقه ولمعانه عندما يضعه ﷺ في مفرق رأسه.

رسول الله ﷺ مع طيب جَسَدِهِ الشريف، تشريعاً لأُمَّتِهِ ورحمةً بهم. التزموا الطيب أنتم يا الكبار، وأما الصَّغارُ: طيبُهُمُ الغُسْلُ وتغسيلُ الثيابِ من الروائحِ الكريهة، لأن الطيب عَادَةٌ ما هو لهم^(١).

* * *

وقال رضي الله عنه مذاكرةً عندَ قولِ الإمام الغزاليّ في «أسرار الحج»^(٢): «ينبغي أن يذكُرَ بكلِّ عملٍ من أعمالِ الحجِّ عملاً من أعمالِ الآخرة». أو كما ذكر.

قال سيدي: وكذلك إذا خرَجَ الإنسانُ من بيته يريدُ المسجدَ أو غيره، يذكُرُ ما ينأتُ له من هذه الأحوال، فإذا استودَعَ أهله رُبَّما يذكُرُ ربما أنه لا يعودُ إليهم. كما أن والدتك يا فلان خرجتْ إلى مكانٍ فما رجعتْ إلَّا قاضيةً ماضية. وقدَّرَ أن المجلسَ الذي تروحُ إليه بايجيُ الموتُ وأنتَ فيه. فإنَّ كانكَ تفرِّحَ بذلك فهو خير، وهكذا في كلِّ شيء، اجعلْ ذكْرَ الموتِ ميزاناً له.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا قرِئَ على والدي رضي الله عنه قولُ رسولِ الله ﷺ: «رِعاءُ الشَّاءِ يتناولونَ في البُنيانِ»^(٣) يقول: يافع وآل كثير كانوا رِعيانَ غنمٍ في أماكِنهم، تراهم يُشيدونَ المباني.

(١) بل هو قبيح فيهم؛ لأنهم ينشأون على التمتع والترفة، وهو خصلة قبيحة مذمومة.

(٢) أي: «الإحياء» (١: ٢٣٩) وما بعدها.

(٣) من حديث جبريل الشهير في «صحيح مسلم» برقم (٨).

وقال رضي الله عنه عند قوله عليه السلام: «الدنيا حُلوةٌ خَصِرَةٌ»^(١)
يعني: عند القاصرين، وإلا فهي جيفةٌ قذرةٌ عند العارفين.

قال سيدنا عبدُ الله الحدَّادُ في «حِكْمِهِ»: مَنْ نظَرَ إلى الدنيا بعَيْنِي
رَأْسِهِ رأى غُرُوراً وَزُوراً، وَمَنْ نظَرَ إليها بعَيْنِي قلبه، رأى هَبَاءً مَنُثُوراً.

إِن لِلّهِ عِبَاداً فُطِنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنُنَا

اللهم أرني الدنيا كما أَرَيْتَهَا عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

وَالْمَنْغُصَاتُ هَذِهِ يَا سَيِّدَ عَمَرَ — يعني الحبيبَ عمرَ بنَ زَيْنِ الحَبْشِيِّ —
التي عِنْدَكُمْ. مِنْ بَابِ قَوْلِ صَاحِبِ «الْحِكْمِ»: ذَوْقُكَ مِنْ ذَوَائِقِهَا مَا يَهْوُنُ
عَلَيْكَ وَجُودَ فِرَاقِهَا، لِأَنَّ مَعَ النَّاسِ إِقْبَالَ كَبِيرٍ عَلَى الدُّنْيَا، جَاءَتْهُمْ
الْمَنْغُصَاتُ رَحْمَةً بِهِمْ، مَا أُدْرِي لَوْ تَسَمَّحَتْ لَهُمْ:

* كَمْ نَعَمَ طَيِّ الْمَصَائِبِ ^(٢) *

* * *

هُوَ الدُّنْيَا لَتَهْنَأَ الْعِيشُ فِيهَا:

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم (٢٧٤٢)، وفي البخاري بلفظ: «وإن هذا المال حلوة خصرة» (١٣٩٦).

(٢) من قصيدة للإمام الحداد.

هَوْنٌ عَلَيْكَ نَوَائِبَ الدَّهْرِ يَهْنُ عَلَيْكَ كُلُّ مَا يَجْرِي^(١)
إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ.

* قَالَ الْوَالِدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْصَى سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ بِهَا
الْحَبِيبَ زَيْنَ الْعَابِدِينَ^(٢)، وَكَانَ يُعَظِّمُهُ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ، وَيَقُولُ لَهُ:
قِرَاءَتُكَ أَنْتَ وَالسَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ إِلَّا تَبَرُّكَ، وَإِلَّا الْمَاشِيَةَ إِذَا دَرَّتْ [مَا]
لَهَا إِلَّا الْحَلَبُ. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ
الْمَسَاكِينِ»^(٣): يَكْفِيهِمْ فَخْرًا لَوْ قَالَ: (وَاحْشُرْهُمْ فِي زُمْرَتِي). انْظُرْ إِلَى
أَدَبِهِ الْعَظِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَنْتَ لَوْ حَدَّ قَالَ لَكَ: يَا مَسْكِينُ! ارْتَكَزَتْ
النَّفْسُ، الزَّمُوا الْمَسْكِنَةَ وَالْخُمُولَ.

* مِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا عَمَرَ الْعَطَّاسِ: الدَّفْنُ الدَّفْنُ، الْخُمُولُ الْخُمُولُ!
مَا عَادَ شَيْءٌ خَالِصًا لِلَّهِ. وَكَانَ حَالُهُ الْخُمُولُ، وَيَحُثُّ سَيِّدَنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ

(١) لِلْإِمَامِ الْحَدَّادِ، «الْدَيَّوَانُ» (٢٨٤).

(٢) هُوَ السَّيِّدُ الْعَالِمُ الْفَاضِلُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَصْطَفَى بْنِ زَيْنِ الْعِيدَرُوسِ،
كَانَ مَثْرِيًّا بِالْهِنْدِ، تَوَفَّى بِتَرْيَمِ سَنَةِ ١١٣٦ هـ.

وَسَبَبَ نَظْمَ الْإِمَامِ الْحَدَّادِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لَهُ: أَنَّهُ خَرَجَ فَارًّا مِنْ تَرْيَمٍ بِسَبَبِ
تَكَثُّرِهِ مِمَّا حَصَلَ فِيهَا مِنْ حَوَادِثٍ وَأُمُورٍ لَمْ يَطِقِ الصَّبْرَ عَلَيْهَا، فَرَحَلَ إِلَى دَوْعَنْ،
فَأَرْسَلَ لَهُ الْإِمَامُ الْحَدَّادُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ضَمَّنَ مَكَاتِبَةً، فَعَادَ حَالًا.

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣٥٢).

على الخمول. وضدّه الحبيب محمد بن علوي^(١) نزيل مكة شيخ سيدنا عبد الله الحداد، حاله الظهور، ويحث سيدنا عبد الله على الخمول لأنه تعب من الظهور.

وسئل سيدنا عبد الله الحداد عن قوله في «التائية»: (ومنهم، ومنهم): من المنعوت والمشار إليه، من هم؟ فقال:

ومنهم رجالٌ ظاهرُونَ بأمرِهِ لإرشادِ هذا الخلقِ نهجَ الطريقةِ

لأن الدنيا دارٌ صبر، وأما الآخرة دارٌ شكر، صفةٌ أخرى.

* قيلَ لمسكينة الدارمية في رؤيا: يا مسكينة، قالت: ذهبَت المسكنةُ وجاء العزُّ الأكبر.

* وكذلك الذي سئل: ما هذه المشية؟ قال: هذه مشية الخُدام في دارِ السلام.

* * *

وقال رضي الله عنه: قيل لسيدنا الحبيب أحمد بن زين الحبشي: قد فعلت المساجد والمدارس والتصانيف، وعادك تداحن^(٢) في السبيل؟

(١) هو السيد الجليل محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن علوي بن أحمد بن أبي بكر السكران، الشهير بصاحب مكة، ولد بالشحر سنة ١٠٠٢هـ، وتوفي بمكة سنة ١٠٧١هـ، ترجمته في «الجواهر والدرر» للشلي.

(٢) أي: تراحم.

يعني: سبيل الماء في شبام. فقال: يا ولد أمك، تاجرُ الآخرة كما تاجر الدنيا، لو بايحصِّل فائدة في حبال أخذهنّ، وتاجرُ الآخرة مثل ذلك.

□ يقال: إن باصباح سبب تجارتِه في ملح، أخذه رخيص، وبعد وقع زمن، وغلي الملح حتى كان يبيعه بوزنه سمن.

قال سيدي: لأن المقصودَ القبول، والإخلاص يتأتى في الشيء الحقير ما لا يتأتى في غيره من الكثير، أو ما هذا معناه. وأنتم لا تستحقرون شي في المعاونة على الدعوة، ولو بجفلة، لا تخلون الكعدة تأخذه كله.



وقال رضي الله عنه: كان الحبيب عمرُ البار من الآخذين عن سيدنا عبد الله الحداد، كان يقول له: يا بار؛ شيخ دع عن. وبعد وفاة سيدنا عبد الله أخذ نحوَ عشرين سنة في دع عن، ثم جاء للزيارة إلى عند الحبيب جعفر بن أحمد، فخرج الحبيب محمد بن سميّط إليه بغاه يطلع البلاد^(١) ولم يقدر يقول له بحضرة الحبيب جعفر، فعصّب كُمه بكُمه، فلما قام رأى ذلك الحبيب جعفر فقال له: اطلعوا للعشاء عند السيد محمد.

فبقِيَ الحبيب عمرُ البار يتخبرُ الحبيبَ محمد عن ماء البلاد: حلو أو قار؟ فقال له: قار! فقال الحبيب عمر: ما حلو في البلاد إلا أنت، حصل المطلوب.

ثم طلع وتعرّشوا، وخرجوا للزيارة إلى الجرب. فعلموا الناس،

(١) أي: شبام.

فخرجوا للزيارة معهم، فلما رأى كثرة الناس الحبيب عمر ضاق منهم،
لأنه وحشي وحاله الخمول، قال للحبيب محمد بن سميطة: يا سيد محمد،
نقرأ الفاتحة من هنا للأمم، هم أرواح أخف منا وجعل يقول: الخلق ما
ركبوا ظهراً إلا ادبروه، ولا جواداً إلا عقروه، ولا قلباً إلا خربوه، يكرّر
هذا ثلاثاً، فقرأوا الفاتحة عند سقاية التربة، ومعاد دخل (الجرب)،
وانصرفوا.

وكان يؤثر الخمول، يخرج للزيارة مع الشيخ عمر بن عبد القادر
العمودي^(١) رضي الله عن الجميع، ونفع بهم، آمين.



وقال رضي الله عنه: الكبار مثل الحبيب عمر حامد وأضرابه في زمن
الحبيب عبد الله ما يزورون هود، متغابمين الحبيب عبد الله الحداد^(٢).

وهم يتعارفون؛ كان الحبيب علي بن عبد الله العيذروس^(٣)، صاحب
(سورة) يتكلم عند أصحابه بسورة، ثم قال: السيد عبد الله الحداد
يسمع كلامي، ويتبسّم منه، ورأى سيدنا عبد الله الحداد في المنام أن القطب
انتقل، فلما انتبه سمع أن بعض السادة من أهل تريم توفي، فقال لمن عنده
بالرؤيا: ولكني ما أراه هذا السيد، وإنما هو السيد علي بن عبد الله

(١) من كبار فقهاء دوعن، وأحد تلامذة الإمام الحداد، توفي بقيدون سنة ١١٤٧هـ.

(٢) هذه فائدة نفيسة.

(٣) المتوفى بسورة بالهند سنة ١١٣١هـ.

صاحب (سُورَت) واكْتُم. فكان كما رأى، حتى في بعض مُكاتباته، فلمّا فشا خبره بتريم — يعني: خَبَرَ السَّيِّدِ عَلِيٍّ — أَشْعَرَ بِذَلِكَ. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: ينبغي الرُّدُّ على قارئ القرآن أولاً بما يُفهِمُ أنه غَلَطَ، من غير لفظ كما عادة أهل شِباب.

كان الحبيبُ أحمدُ بن زَيْنِ الحَبَشِيِّ يقولُ لأهل (مسجدِ باعلوي) بتريم: رَدُّكُمْ هذا على القارئِ حَرَامٌ، لأنهم يَخْجِفُونَهُ^(١).

□ كان بعضُ السادة ركيك^(٢) الحفظ، يقرأ في (باعلوي) إذا حضر الحبيبُ علوي حامد أخو الحبيبِ عمرَ حامد يفرح، لأنه يقدّم له في القراءة، فاتفق أن الحبيبَ علوي قام والسيدُ يقرأ في (المُرسلات)، فحينَ قامَ رَدَّ عليه الحاضرونَ على عادتهم، فما صدّق أنه يُتَمُّ المَقْرَأُ، ثم قام إلى تحتِ المسجد، فليحَقَّ الحبيبُ عمر حامد وقال له: أخوك قامَ وسَيَّبنا في ويل وِيل^(٣)، فقال: هُوَ الْأَحَدُ طَرَبَ عليه. فقال: لا، هو الّا سيّد خبيث خبيث.

□ وكان علوي المذكورُ قَوِيَّ الحفظِ للقرآن، توفي في مكة، فحينَ حضُرَتْ جنازَتُهُ عندَ الكعبة، قال رجلٌ من أهل الكشف: هذا الفقيهُ المقدمُ دَخَلَ بايصلِّي على السيد، رضي الله عنهم.

(١) أي: يربكونه.

(٢) أي: ضعيف.

(٣) أي: في آيات ﴿وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات.

وقال رضي الله عنه: كان السيدُ مشيخٌ من آل مولى الدَّويلة، يجي عند سيدنا محمد بن سُميط، يأخذ أيام في البيت عنده، إذا خَرَجُوا له بَغْدَاه قرص خَمِير، يرد نصفه، ويقول: هذا أعطوه مسكين، والنصفُ يأكله.

* * *

وقال رضي الله عنه: هذه المذاكرةُ بعدَ كلِّ صلاةٍ في كلِّ مسجدٍ في العِلْمِ الواجب، إن دامتْ يظهرُ لها أثرٌ كبير، ولو هو مجلسُ ساعة، لكن الدوامُ يؤثر.

ولو كان من زمانِ القضاةِ العلماءِ، مثلِ القاضي أحمدَ باعشرة، كان الناسُ اليومَ فقهاء، وأنتَ يا فلان، قُلْ للحبايبِ أهلٍ (سيوُن) يفعلون مثلَ ذلك في كلِّ مسجد، بَلَّغُوا الدعوة، ولا أرى أحداً مُعوِّلَ على ما تُذاكِرُ فيه إلاَّ السيدَ محسن بن علوي^(١)، مُعوِّلَ على الوالي وعلى سيرةِ السلف، انظروا منظومته^(٢) تدل على ذلك.

* * *

(١) الحبيب العلامة محسن بن علوي السقاف، توفي بسيون سنة ١٢٩١ هـ.

(٢) وهي التي مطلعها:

نبا والي — على ما فيه — يظهرُ بهذا الصقِّعِ والوادي المنوَّرُ
ينظر: «ديوانه» (١٨٥).

وقال رضي الله عنه: سيدنا محمد ابن الحنفية^(١) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أمته غير سيدتنا فاطمة.

ومن كلامه^(٢) رضي الله عنه: ليس بحكيم من لم يُعاشِرَ بالمعروفِ مَنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ مُعَاشِرَتِهِ بُدًّا، حتّى يجعلَ الله له فرجاً ومخرجاً.

وقيل له: إنّ أباك يَصْنُ بالحسن والحسين، ويقدمُك للجهاد. فقال: الحسن والحسين بمثابة عينيه، وأنا بمثابة يديه، فهو يتقي عينيه بيديه! فانظر إلى عظم عقله رضي الله عنه ونفعنا به.

* * *

وقال رضي الله عنه عند قوله عليه السلام: «ما من يوم يُصْبِحُ العبادُ فيه إلّا وملكان يُناديان» إلى قوله: «وأعطِ مُمسكاً تلفاً»؛ قال بعض العلماء: إنّ الملائكة لا تدعو بشرّ، وإنما معناه: وفقه لإتلافه في وجوه الخير. أو ما هذا معناه.

وعند قوله عليه السلام: «ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك» إلخ، الفضل الزائد، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩]، يعني: الزائد على الكفاية.

* * *

(١) هو محمد الأكبر، أمه: خولة بنت إياس بن جعفر الحنفية، نسبة لبني حنيفة، وقيل: بل هي من سبي الحنفية أهل اليمامة. توفي رضي الله عنه سنة ٨١هـ.

(٢) القائل ذو: ابن الحنفية رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه: عظموا الإمام الغزالي، لأنه أبو آل باعلوي. تَدْرُونَ مَنْ أَبُو آلِ باعلوي؟ هو: الإمام الغزالي، يُنسَبُونَ إليه.

قِيلَ للعيندروس: لِمَ لَا تُصَنِّفُ فِي الغزالي؟ قال: «كلامي» فِي الغزاليّ تصنيف. وَضَمِنَ لِمَنْ كَتَبَ «الإحياء» فِي أَرْبَعِينَ مَجْلَدًا بِالْجَنَّةِ. فَكَتَبَهَا تَلْمِيزُهُ بَاكْثِير^(١) وَزَادَ عَلَى مَا قَالَهُ لِكُلِّ جُزْءٍ عِلَاقَةً كَالْخَرِيطَةِ، فَقَالَ: إِنِّي زَيْدَتِ، فَأَرَاهُ الْجَنَّةَ عِيَانًا. وَقَالَ لَهُ: سَافِرُ، مَعَادُ تَسْعَكَ حَضْرَمُوت. فَسَارَ إِلَى مَكَّةَ. أَوْ كَمَا قَالَ.

وَيُقَالُ: إِنَّ سِرَّ «الإحياء» فِي خُطْبِهِ^(٢)، فَمَنْ عَجَزَ عَنْ تَحْصِيلِهِ كُلَّهُ يَحْصُلُ الْخُطْبَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: استشار سيدنا عبد الله الحداد تلميذه باغريب، فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ. فَقَالَ لَهُ: إِذَا بَنَيْتَهُ، لَوْ انْتَسَبَ بِنَاؤُهُ إِلَى غَيْرِكَ خَاطِرُكَ طَيِّبٌ؟ شَفَ نَفْسُكَ. فَقَالَ: لَا خَاطِرِي مَا بِأَيْطِيبَ. قَالَ لَهُ: اتْرُكْ عِمَارَتَهُ. أَوْ كَمَا قَالَ.

قال سيدي: بايعلّمه صحّة النية.

* * *

(١) هو الشيخ العارف عبد الله بن أحمد بن محمد بن عمر باكثير، المولود سنة ٨٤٦هـ، والمتوفى بمكة سنة ٩٢٥هـ، ترجم له الحافظ السخاوي في «الضوء اللامع».

(٢) أي: افتتاحات.

وقال رضي الله عنه: إذا دام التذكير في ستر العورة بالسراويل والخفَّ يحصل - إن شاء الله - ما بين بطاة وسُرعة، كما القحيف معاذ لهُ ذكر قط، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وكلُّها هكذا أمورُ الباطل، إذا جاء الحقُّ ذهبَتْ في سُرعة، واشتاتَ إلا للحق.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا قرئت «فصولُ الختم»^(١) - المنسوبةُ لسيدنا عليّ بن الحسين - عندَ الوالد رَحِمَهُمُ الله يقول: ما فيها شكُّ أنها لسيدنا عليّ بن الحسين، ويعجبه كثيراً فصل: «أترك تغلُّ إلى الأعناقِ أكفأ تضرعتُ إليك»^(٢)... إلخ.

* * *

وقال رضي الله عنه: يقال: إن غنيمةَ الصادق غفلة الناس عنه. □ كان الوالد رضي الله عنه إذا جاء السيلُ يفرح، لأن غالبَ الناس يخرجون يشوفون وهو مشغول بربِّه والذي عليه، في فرضِ الحقيقة والشرع المصنوع.

يقال: مَنْ صفا صُفِّيَ له. والفهمُ من أعظمِ المواهب، وإذا جاء الفهمُ جاءتِ العشقة والإرادة.

(١) أي: دناء ختم القرآن الكريم المعروف بـ (الفصول).

(٢) وهو الفصل قبل الأخير.

وقال رضي الله عنه: كان سيدنا الحبيب محمد بن سميّط يجيه ضارب^(١) شديد جمّ جمّ، يأخذ به نصف شهر. فدخل يوماً على سيدنا عبد الله الحداد فسأله عن الضارب. فقال: بي بي الآن! فقال: فيم تطالعون بالليل من الكتب؟ فقال له: في كتاب «سبيل الرشاد» لبازرعة «شرح الإرشاد»، فقال له سيدنا عبد الله: السهر بارد يابس، والفقه بارد يابس، طالع في «فتح الجواد»، واقصّدوا الله بالعلم لئلا تكونوا حطب النار. وطالع في «الإحياء»، لأن التصوّف بارد رطب، وخُصّ كتاب «ترتيب الأوراد» من «الإحياء». أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: من كلام سيدنا محمد بن زين بن سميّط: أكثر ما يعجبني من مناقب سيدنا عبد الله الحداد (الباب السادس)^(٢). وأمّا الكرامات فنحفظُ له شيئاً كثيراً، وقد قال له الحبيب أحمد بن زين الحبشي: لعل تجتمعون ما تكلم به سيدنا عبد الله خاصة، فجمع ذلك. أو كما قال.



(١) أي: صَدَاع.

(٢) أي: من أبواب كتاب: «غاية القصد والمراد». وهو الباب المحتوي على أوراد الإمام وترتيبه لها، وذكر عباداته وما إلى ذلك، وقد أفرد في عدة مجاميع، منها: «ذخيرة العباد إلى زاد المعاد» وهو مطبوع، و«الطريقة السهلة»، وغير ذلك. وللعلامة الحبيب طه بن عمر بن علوي الحداد: «إرشاد المجالس إلى المقصود بالباب السادس» مخطوط بالأحفاف بترميم.

وقال رضي الله عنه، عند قراءة الحبيب عمر بن محمد في كتاب ترتيب الأوراد من «الإحياء»: الإمام الغزالي رشيدٌ في الأوقات، ارضوا به رشيداً، ومثله سيدنا عبدُ الله الحداد، والعارفين بالله استرشدوهم.

□ قال بعضهم لسيدنا الحبيب محمد بن سُميط: إذا باتطرح الدُّخون في المدخنة بلُّهُ لأنه يُمدي، فجَوَّبَ عليه بعضُ أهل البلاد: أنت غزاليُّ الدنيا، يعني: أن الغزاليَّ رشيدُ الآخرة.

وأنت يا عُمَرُ اعْتَنِ بالعيال. علَّقَ هِمَّتَكَ بهم، فإنه إذا حُفِظَ الصَّغَرُ حُفِظَ الكِبَرُ، ووزَّعَ لَهُمُ الوقت، ولا يكونَ لَهُمُ لعبٌ إلَّا بإذْنِكَ؛ كما قال صاحبُ «رياضة الصبيان»:

وراحةُ الصَّبِيانِ بعدَ المكتَبِ أنْ يَأْذَنَ الوليُّ لَهُمُ باللَّعِبِ^(١)

ولا يصلُحُ يجالسونَ كلَّ الناس. قلْ لَهُم: جالِسُوا مثْلَ فلانٍ وفلان، لأنَّ الطَّبِيعَ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبِيعِ، وإنْ أبى الطَّبِيعُ. كما قال عليه الصَّلَاةُ والسلام: «المرءُ على دينِ خليلِهِ».

□ قال سيدنا أحمدُ بن زين: أنا لِعِيَالِي كالسَّلْحَفَاةِ، أُرَبِّيهِم بِحُسَنِ النَّظَرِ، لأنها تعيشُ في البحرِ وأولادُها في البرِّ، تحضنُهُم بالنظرِ، لأنَّ سَيِّدَنَا أحمدَ بنَ زين بخلعَ راشدٍ وأولادُهُ بالغُرْفَةِ.

□ وانظروا أولادَ الحبيبِ سقافِ بن محمد، كُلُّهُم أئمة: عبدُ الرحمن

(١) البيت رقم (٤٠) من «الرياضة».

ابن سقاف^(١)، توفي صغير، حتى أنا ما أُنقِنُهُ، كان علامة، والحبيب عمرُ ابن سقاف، حَدَّ يَنْقِنُهُ منكم أو كلُّكم صغار؟ توفي سنة ١٢١٦. والحبيب علويُّ بن سقاف^(٢)، ومحمدُ بن سقاف^(٣)، والحبيبُ حسنُ بن سقاف^(٤)، وأولادُهُم الآنَ متفقُّهين، والسببُ: حِفْظُ الصَّغَرِ.

وأنت يا عمر: إذا اعتنيت بالعيالِ أصبحوا ناس، وأحسبهم جوهر حتى تحفظَ عليهم، لا تحسبهم خرزُ فيضيعون، أو كما قال وأستغفرُ الله.



(١) توفي سنة ١١٧١هـ، بسيون، في حياة والده.

(٢) توفي سنة ١٢٣٥هـ، تولى القضاء.

(٣) توفي سنة ١٢٢٢هـ، تولى القضاء.

(٤) توفي سنة ١٢١٠هـ.

وقال رضي الله عنه بعد صلاة العصر يوم الربوع خمس وعشرين شهر
الحجة سنة ١٢٥٤ هـ: اللهم سدّد لساني واسلّل سخيمة^(١) قلبي، (مرتين).
القلب إذا تنوّر اهتدى بنور البصيرة إلى ما يصلحه من أمور دينه
ودنياه، والله سبحانه وتعالى خصّ الإنسان بالعقل المهتدي.

وهذا الفقير المتوفّي - يعني: محمد بن سالم بن عوض بلفقيه
اليتيم^(٢) غير مكلف، ما بأيخاطب بشيء مما نحن مخاطبون به، اشكروا
نعمة العقل واعرفوا شكر العقل. ما جعلك الله جماد ولا بهيمة، شرّفك
بالعقل وكرّمك، عاونوا على ما يُنعش الدعوة إن كان فيكم عقل، والله جلّ
وعلا خاطب أولي الألباب. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي
الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وإلا صرنا في حيّز البهائم إذا ما تعاونّا على نصر
الشرعية، كما قيل:

أراك وقد أضاء لك النهار عن النهج القويم لك ازورار
وما لك لا تفيق ولا جنون فيعذرُك النصيح ولا حمار

واتركوا التصيقاع والتسيباه، ما لكم حاجة به، دوروا لكم والي
تصلح به أمور الدين والدنيا، ما تُعذرون منه، ونحن ما بانيأس ولو أنتم
تتصيقعون، نرجو من الله يفتح بصائرنا وأبصارنا، آمين.

* * *

(١) السخيمة: ما يقع في القلب من حقد ونحوه.

(٢) آل اليتيم بلفقيه، كانوا بشبام، وقرض نسلهم.

وقال رضي الله عنه: نزهوا مضاربَ الجوابي، واغسلوهنَّ بأشنانٍ أو نحوه مما يقطعُ الرائحةَ الكريهة، فإنه من تعظيمِ حُرُمَاتِ الله. وطيبوا المسجِدَ بالدُّخُونِ الجاوي، حتَّى يَعْظُمَ في صَدْرِ الجاهلِ والعَامِّي والصغير، يستأهلُ ذلك، أمّا هو بيتُ الله؟



وقال رضي الله عنه في مَدْرَسِ الجمعة بعدَ قراءة «وَرَدَ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادُ» اللطيف، بعدَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، إِلَى قَوْلِهِ: «بِلا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»، جمعاً جَهْراً. وبعدَ قراءةِ: الْكَهْفِ إِدَارَةً، وَمِنْ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ.

و«أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومَ غَفَّارَ الذُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، تَوْبَةَ عَبْدٍ ظَالِمٍ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضُرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً» (مرة) بيدِ الجَمْعِ.

وكذلك: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» إِلَى آخِرِ «الْوَرْدِ الْكَبِيرِ» (مرة)، وفي بعضِ الأحيان (ثلاثاً أو سبْعاً).

ثم: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، أَفْضَلَ وَأَتَمَّ وَأَدْوَمَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى

أحدٍ من ملائكتِكَ المقرَّبينَ وأنبياءِكَ المرسلينَ وعبادِكَ الصالحينَ، وعلينا معهم وفيهم، برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ» (مرة).

«الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿رَبَّنَا لَقَبَلْنَا مِنْكَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، رَبَّنَا زِدْنَا علماً، وإيماناً و يقيناً وعوناً، و﴿لَا تُغْ فُؤُونَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ، ونعوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ» (مرة).

ثم يُلَقِّنُ بعضَ الحاضرينَ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، محمدٌ رسولُ اللهِ الصَّادِقُ الْأَمِينُ» (ثلاثاً)، ويردُّون عليه، ثم: «سبحانَ الله وبحمده، سبحانَ الله العظيم، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» (ثلاثاً). ويردُّون كذلك.

ثم يدعو سيّدنا بالدعاء بعد ذلك: «اللهمَّ ثَبِّتْ عِلْمَهَا فِي قَلْبِي، وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، و﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩]، اللهمَّ كُنْ بِنَا رَوْفًا، وَعَلَيْنَا عَطُوفًا، وَخُذْ بَأْيَدِنَا إِلَيْكَ، أَخُذْ الْكَرَامَ عَلَيْكَ. قَوْمُنَا إِذَا اِعْوَجَجْنَا، وَأَعْنَا إِذَا اسْتَقَمْنَا، وَخُذْ بَأْيَدِنَا إِذَا عَثَرْنَا. اللهمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ. اللهمَّ اجْعَلْ مُجْتَمَعَنَا مُجْتَمَعًا مَرْحُومًا، وَتَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَجْعَلِ اللَّهُمَّ فِينَا وَلَا مِثْلَنَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا. اللهمَّ لَا تَحْرِمْنا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدَنَا، اللهمَّ ارْفَعْ الْقَحْطَ وَالْغَلَاءَ، وَالْجُورَ وَالْفِتْنَ

والوباء، وجميع أنواع البلاء، من بلادنا وجهتنا خاصة، وسائر بلدان المسلمين وجهاتهم عامة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

هذا ترتيبه في مدرّس الجمعة غالباً. وقد كان يقرأ (المنجيات) ويدعو كثيراً، وبعد اقتصر على ما ذكر إلى الآن، نفع الله به، ثم يقرأ القارئ في الكتاب.

* * *

فذاكر رضي الله عنه على قراءة قوله في «الحديقة»: «وصل واسمح»^(١) . . . إلخ.

فقال رضي الله عنه: وقعت المذاكرة في مجلس الوالد رحمه الله فيما يتعلق بصلّة الرّحم وقطعها، وفي المجلس المرحوم عبد الله بن أحمد باذيب^(٢) وفي ذلك الوقت كانوا من أهل البلاد ناس متقاطعين، فسار إليهم، وأصلح بينهم، ولا وقع صلاة الجمعة إلا وقد سدّ بينهم وأصلح.

وأنتم كونوا كذلك، احزروا ما قلت لكم، إن حد بينه وبين قريبه أو جاره مقاطعة اغذّلوه، وأصلحوا بينهم، وإن أبى قولوا له: لا أنت لنا ولا

(١) وهو (باب الثلاثة):

وصل واسمح لمن أولاك قطعاً تفز بمكارم الأخلاق جمعاً
وثالثها اعف عن ظلم المبادي

(٢) هو الشيخ الفاضل عبد الله بن أحمد بن محمد باذيب الشبامي، توفي حدود سنة ١٢٠٠هـ.

نحنُ لك . كما قال عليه السَّلامُ في المُتَهاجِرَيْنِ : «دَعُوهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(١) ،
تعاونوا على ذلك . خلُّوا هذه البلادَ تصلُّح وتكون منورَةً مباركةً ، لأنَّ
الهُوى يَغْطِي صاحِبَه ، وأنتم نَبَّهوه وذكَّروه : ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
[الذاريات : ٥٥] ، ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق : ٤٥] .

فقال الحبيبُ حَسَنُ بْنُ صَالِحٍ لِسَيِّدِنَا : خَاطِرُكُمْ^(٢) ، بانْجَمَعَ القَبائلُ
آل كثير ، بانْذَكَّرْهُمْ ، لأنَّه حَصَلَ مِنْهُمْ تَعَدِّي وقَتْل للمساكين ، مَعَ أَنَّهُ
رِخاء ، ما شِئَ يَأْزِيهِمْ على ذلك .

فقال له سَيِّدُنَا : بِهِمَّتِكُمْ تَصْلُحُ جَمِيعُ الْأُمُورِ ، وَلَعَلَّ يَقَعُ تَذَكِيرٌ فِي
تَعْلِيمِ أَوْلَادِهِمْ ، الْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ ، لَأَنَّهُمْ قَابِلِينَ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ : «كُلُّ
مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»^(٣) إلخ ، وَيَرْجِعُ الصَّغِيرُ يَرُدُّ الْكَبِيرَ .

* ثُمَّ أَمَرَ سَيِّدُنَا بِقِرَاءَةِ : «إِذَا شِئْتَ تَحِيَا سَعِيداً مُعَاناً»^(٤) . . . إلخ ،
لَعَلَّ حَدَّ يَشْرَحُ مِنْ قَوْلِهِ : «إِذَا شِئْتَ» إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
الْمَوْجُودِينَ .

* * *

(١) لم أجد .

(٢) كلمة تقال للاستئذان .

(٣) متفق عليه ، البخاري (١٢٩٢) ، مسلم (٢٦٥٨) .

(٤) هي النونية الكبرى المسماة : «عَقْدُ الذَّرَرِ وَالْجَمَانِ» تقع في (٥٧) صفحة في
«ديوان الحبيب أحمد» (١٤٠-١٩٧) ، نظمها هو وجملة من معاصريه .

[التحذير من شرب الدخان]

وسمِعْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَابِقاً يَقُولُ: «التُّبَاكَ مُنَافِي لِلسَّوَاكِ. وَلَا نَقُولُ: يَحْرُمُ، بَلْ نَقُولُ: يُحْرَمُ مَجَالِسَ الْخَيْرِ.

* * *

ووجدت بخطه رضي الله عنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وبه الاستعانة وعليه التكلان؛

هذه فائدة جليّة منقولة من «مجالس الحبيب عبد الله الحداد» علوي، الذي جمعه الشيخ أحمد بن عبد الكريم الشجّار الأحسائي، أحد خواصّ سيدنا عبد الله الحداد، من كلام سيّدنا عبد الله الذي تكلم به في مجالسه، وهي ما حكاه الشيخ أحمد المذكور في «مجموعه» المذكور، فقال:

(ذكر سيدنا عبد الله الحداد التُّبَاكَ يوماً، فقال: إِنَّ عَفُوَّ اللَّهِ عَنِ الْعَبْدِ إِلَى حَدٍّ مَحْدُودٍ، فَإِذَا بَلَغَهُ يَقُولُ لَهُ: رُحْ، مَا عَادَ أَغْفِرُ لَكَ وَلَا أَعْفُو عَنْكَ، فَيَقْطَعُهُ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، لِأَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ.

ثم قال: إِنَّهُ إِذَا تَعَوَّدَهُ الْإِنْسَانُ صَارَتْ طَبِيعَتُهُ عَلَيْهِ، فَيَتَغَيَّرُ طَبْعُهُ وَعَقْلُهُ. وَالْأَصَحُّ: أَنَّهُ يَحْرُمُ، لِأَنَّهُ يَزِيلُ الْعَقْلَ، وَذَكَرَ شَيْئاً مِنْ حِكَايَاتِ مَنْ خَفَّ عَقْلُهُ بِسَبِيهِ.

ثم قال: وَمَنْ لَمْ يُحَرِّمْهُ يَقُول: إنه إذا لم يَرِدْ فيه نصٌّ بالتحريم، فإنه حادث.

ومثله (الأفيون)؛ فمن تسبَّب في إتلاف عقله مختاراً فإنه تجري عليه أحكام التكليف ومخاطب بها ولا يُعذَّر فيها، سواء أزاله بخمرٍ أو غيره، ومن ادَّعى — مَن يستعملُ التَّنَبَّك — أنه لا يزيلُ العقل، وطلب الجواز لذلك، فنقول: إنه من شأنه أنه يُزيله. وما ثبت مع تناوله له إلا بعد أن أزاله مراراً فلا يُعذَّر فيه. أو كما قال. انتهى كلام سيدنا عبد الله.



قال الشيخ أحمد المذكور بعد أن نقل كلام سيدنا عبد الله هذا: (أقول: رأيت نقلاً يقول ناقله: منقول من «تفسير المقنع»^(١) قال: كان هذا الدخان في زمن رسول الله ﷺ، حتى انقطعت المياه ويبست الزروع والأشجار، ومات الناس من الجوع والعطش، وصلَّوا صلاة الاستسقاء مع النبي ﷺ، ولم يقبل الله صلاتهم ودُعائهم، وسأل النبي ﷺ ربه: «لِمَ لم تقبل صلاتنا ودُعائنا؟ فقال الله تعالى: «لا أمطرُ المطر، ولا أنبتُ الزرع حتى تقطعوا هذا الدخان»، وطلب الناس كلُّهم نبت الزرع والأشجار، ونبت الماء والأنهار، أي: تركوه لطلب ذلك فانقطع، حتى لم يكن يُعرف بعد ذلك، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، يأتي أقوام، في آخر الزمان يداومون هذا الدخان وهم يقولون: نحن من أمة محمد، وليسوا من أمتي، ولا أقول لهم: أمة، لكنهم من الشوم».

(١) لم نقف عليه.

قال أبو هريرة: وسألت رسول الله ﷺ: كيف نبت يا رسول الله؟ قال: «إن الله خلق آدم وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، فسجد الملائكة كلهم ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، قال الله تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ . قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . قَالَ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٥-٧٨]، فعند ذلك خاف إبليس فبال من الخوف، فنبت هذا الدخان من بول إبليس، فهل يستوي الإيمان في قلبه من شرب بول الشيطان، ولعن من غرسها وفعلها وباعها. قال عليه السلام: «يُدْخِلُهُمُ النَّارَ»، وإنها شجرة خبيثة^(١). انتهى ما نقلته من ذلك النقل المذكور استشهاداً بما فيه من الوعيد الشديد والتهديد، على قول سيدنا: الأصح أنه يحرم.



وسمعه يقول: إن تاريخ حدوثه (بغْي) يعني: سنة ١٠١٢هـ، يعني:

(١) هذا الحديث لا يصح البتة، بل هو موضوع. والتفسير الذي نقل عنه الشيخ الأحسائي بالواسطة غير معروف، والله أعلم.

ولم يذكر أحد من العلماء المحققين أن الدخان كان يوجد على عهد رسول الله ﷺ مطلقاً، بل الكل أجمعوا على أن حدوثه كان سنة ١٠١٢هـ، كما نقل ذلك عن الإمام الحداد وغيره. وأما كونها شجرة خبيثة. فهذا مما لا شك فيه. وقد صنف العلماء في حكم الدخان وشربه كتباً كثيرة، من أجمعها: كتاب «إعلان الحجة وإقامة البرهان على منع ما عمّ وفشا من استعمال عشبة الدخان» تأليف الإمام محمد بن جعفر الكتان الحسني المغربي، المتوفى سنة ١٣٤٥هـ، وقد طبع محققاً.

تاريخ ظهوره بعد ما اندرس على ما تقدّم من ذلك النقل، ورأيت ما صورته: سؤال في التّن، سئل عنه الشّهاب القليوبي^(١):

ماذا يقول الإمام العالم العَلَمُ في شُرْبِ قومٍ دُخَانًا هل هُمُ أَثْمُوا
به، وهل هُوَ حَرَامٌ، أم يُبَاحُ لَهُمْ ما الحُكْمُ فيه، أَفِيدونا فترتَحِمُوا
الجواب:

بالحمدِ أبدأ، بالتسليم استلمُ أرضي لطالبه الإفضالُ والنَّعمُ
اسمَعْ جوابَكَ يا مَنْ جاء يسألنا عن شُرْبِ نارٍ، غداً في النارِ يَتَحِمُ
فَيَحْرُمُ الشُّرْبُ للدُّخَانِ أَجْمَعِهِ أيضاً، وفيه خِصَالٌ كُلُّهَا نَقَمُ
فِيَشْغَلُ القلبَ عن تَسْبِيحِ خالقنا يَسْوُدُ الدَّمْعُ، والأموالُ تنصرمُ
يَنُوحُ شاربُهُ يومَ الحسابِ إذا جاءتْ صحائفُهُ مسوَدَّةً عَدَمُ
ما قال: هذا حلالٌ، عَالِمٌ أبدأ قَطُّ مِنَ الإنسِ، لا عُزْبٌ ولا عَجَمُ
من قال: هذا حلالٌ، جاهِلٌ أبدأ أو قال: هذا مُباحٌ لم يَصِرْ حَكَمُ
مَنْ رَدَّ قولِي هذا ضَلَّ عن طُرُقِ أيضاً، عَنِ الحَقِّ في آذَانِهِ صَمَمُ
فَنَسَأَلُ اللهَ رَبَّ العَرْشِ مُوجِدَنَا بِالْخَيْرِ يُبْدِي وبالإيمانِ يَخْتِمُ

تم ذلك؛ وإنما أطلنا الكلامَ في ذلك: لكونه انتشرَ مِنَ الخلقِ وطارَ

(١) هو العلامة الفقيه أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي المصري الشافعي، توفي سنة

كُلَّ مَطَارٍ، لَعَلَّ إِنْسَانًا إِذَا سَمِعَ قَوْلَ سَيِّدِنَا وَمَا فِي ذَلِكَ النُّقْلَ، وَمَا أَفْتَى بِهِ
الْحَبْرُ الشَّهَابُ الْقَلْيُوبِيُّ^(١) أَنْ يَرْعُوِيَ قَلْبُهُ عَنْهُ وَيَتْرُكَهُ.

* وَمِمَّنْ أَفْتَى بِحُرْمَتِهِ أَيْضًا: سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ عَمَرَ الْهِنْدَوَانِ
وَكَانَ يَشْنَعُ عَلَى شَارِبِهِ، وَيَكْفِيهِ هَؤُلَاءِ الشُّهُودُ الْعَدُولُ عَنْ تَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ
لَهُ بِشْرِبِهِ.

انتهى ما نقله الشيخ أحمد المذكور عن الحبيب عبد الله الحداد، عن
المنقول الذي يقول ناقله: إنه منقول من تفسير «المقنع» الكبير، وفتوى
شهاب الدين القليوبي. انتهى.

* * *

قال الشيخ أحمد المذكور «في مجموعته» المذكور: وأوصى سيدينا
عبد الله الحداد رضي الله عنه بعض المسافرين، فقال: (الله الله في الطاعة
والهمة، وطلب الدين والآخرة، فإن من سعى في طلب الدين والآخرة
يسر الله له دنياه وآخرته، ومن سعى في طلب الدنيا وترك دينه وآخرته فاتته
الدنيا والآخرة).

وقد انقلبتم همم الناس إلى ما لا يهتم له، واستغرقوا فيما لا
يُستغرق فيه، لأن كل واحد إنما يستغرق فيما يهتمه خاصة، وكل يهتم ما
لا يهتم غيره، على مقتضى غرضه، قل ذلك أو كثر. وقد جعلوا الآن
همهم همًا واحدًا، وهو طلب الدنيا، حتى استغرقوا في ذلك عن أمر

(١) وينظر «حاشية القليوبي: على شرح المحلي على منهاج الطالبين» باب النجاسة.

دينهم وأخرتهم، ولولا أن مَنْ على الناس بالحِزْبِ^(١) لذهب بهم استغراقهم حتى لا يعرفوا يوم الجمعة، انتهى.

* * *

وقال الحبيب عمرُ بنُ زين بن سُميط: معنى حبِّ الدنيا المذموم: حُبُّ طُولِ البقاء فيها. ويدلُّ عليه قوله عليه السَّلامُ في الدعاء: «اللَّهُمَّ لا تجعل الدنيا أكبرَ همِّي». انظرُ قوله عليه السلام: «أكبرَ همِّي» ولم يقل: لا تهمني، لأنه قد يهتمُّ بها لإصلاح دينه، فإذا اهتمَّ بها لذلك يسيراً صارت كالخِدامةِ للدين، فيقنعُ بالكفاية، فإذا حصلها تفرَّغَ للآخرة، وهي التي طلبها عليه السَّلامُ لأهل بيته في قوله عليه السَّلام: «اللَّهُمَّ ارزُق آلَ مُحَمَّدٍ قُوتاً [كفافاً]»^(٢) يعني به الكفاية، والكفاية ما هي من الدنيا، لأنها تُعينُ على الآخرة.

* * *

وذكرَ سيدنا قصةً، وهي: أن بعضَ الناس كان لا يتركُ حضورَ مجلس سيدنا الحبيب أحمدَ بن زين الحبشي، فلما كان بعضُ السنين انقطعَ مَنْ المجيء إليه، فقال له لما عاد إليه بعدَ عام: لماذا انقطعتَ من المجيء إلينا؟ فقال له: ما سبَّبَ انقطاعي عنك إلا أنني كلَّ سنةٍ تحضُّلُ معي كفايةً من التمر: فلما كان العامُ الماضي ما حصلتُ شيء، فتشتتُ لذلك، فلما

(١) لعله يعني: حزب القرآن الذي يعقد في مساجد حضرموت فيما بين العشاءين.

(٢) رواه مسلم (١٠٥٥).

كان هذه السنّة رَزَمْتُ زِيْرًا مَنَ التمر، على قامتي طُوْلُهُ، فإذا أَرَدْتُ أَنْ أَجِيءَ المَجْلِسَ عِنْدَكُمْ ضَرَبْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ، وَقُلْتُ لَهُ: يَا عِمَادَ الدِّينِ، فَأَعْجِبَ بِذَلِكَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ. انتهى.

* * *

وقال سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ: الْجُهَّالُ صِغَارُ الْعُقُولِ، لَا تَخَالِطُهُمْ، فَإِنَّهُمْ كَالنَّارِ، وَلَا تَجِي طَرِيقَتَهُمْ، وَتَنَحَّ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا تَنَحَّى النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَبِي جَهْلٍ وَأَمْثَالِهِ، إِلَّا أَنَّ أَوْلَئِكَ كَفَّارٌ، وَالْجَاهِلُ مَا يَرْجِعُ مِنْ شَيْءٍ.

* * *

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ السُّوءُ وَأَعْمَالُ السُّوءِ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ، لِثَلَا يَتَحَكَّمُ فَيُغْسَرُ إِذَا ذَاكَ تَرَكُهَا. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكَ عَلَى نَفْسِكَ بَصِيرَةً، وَجَعَلَ لَغَيْرِكَ مِنْ أَوْلِيَايَايَا بَصَائِرٍ عَلَيْكَ بَصِيرَةً، حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَى الْعُلَمَاءِ، ثُمَّ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. ثُمَّ تَكَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الثُّنْبَاكِ، فَقَالَ: الْأَصَحُّ أَنَّهُ يَحْرُمُ.

* * *

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الزَّقُّ بِالْأَرْضِ تَوَاضَعًا، فَإِنَّ اللَّهَ مَا خَلَقَ الْخُلُقَ إِلَّا لِيَتَوَاضَعُوا لِعَظَمَتِهِ، وَإِلَّا فَخَزَائِنُهُ مَمْلُوءَةٌ عَمَلًا، وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَى الْمُتَوَاضِعِ، وَمَا يَجِدُ الْمُعْتَرِضُ^(١).

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ.

وقال: الترفعُ على لسانِ الحالِ ولسانِ المقالِ مذمومٌ جدًّا، ولا بدَّ لمن ترفعَ من الضَّعة، ولا بدَّ للمتواضعِ من الرِّفعة، كما قيل:

تواضعُ تكنُ كالنجمِ في أفقِ العُلا يَرى طبقاتِ الأرضِ وهو رفيعُ
ولا تَكُ كالدخانِ يرفعُ نفسه إلى طبقاتِ الجوّ وهو ضيعُ
انتهتِ الفوائدُ التي طُلبتْ مني أن أنقلها، وأنت خلٌّ حدّ ينقلها بخطّ
مليح، وأضيفها إلى الكتابِ المجموع الذي معك، «الحلية» و«البداية»
و«أبي شجاع».

* * *

وقال سيدنا عبدُ الله الحداد: المسافرُ مُعان، سواءً كان سفره في برٍّ أو بحر، إلّا أن عليه أن يحرّرَ النيةَ، لئلا يضيعَ سعيه، فإنَّ المسافرَ سفرًا مُباحًا سعيه ضائع، وكذا المسافرُ لزيارةٍ أو حجٍّ، إذا لم تصحَّ النيةُ سعيه ضائع، ومعلوم أن من حجَّ أو جاهدَ مُرائيًا أن سعيه ضائع، والرياءُ هو: الفعلُ بالقصد، إذ الخواطرُ التي تخطرُ من غيرِ اختيار، فإنَّ قلوبَ الضعفاءِ تكثُرُ فيها الخواطرُ من هذا الجنس، حتّى ينجلي القلبُ وقليلُ خطورها في قلوبِ المتقين، فإذا خطرَ فيها خاطرٌ نادرٌ بادِرٌ إلى الرجوع. وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وذلك لِحَتَّى يتخلّى القلبُ وينخلعُ عن كلِّ ما سوى الله، وذلك هو الكبريتُ الأحمرُ الذي يعزُّ وجوده ويُحدِّثُ به ولا يوجد.

انتهى كلامُ سيدنا عبدِ الله الحداد.

* * *

قال سيدنا محمد بن سُمَيْطٍ في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾، أي: تذكروا العقوبة، وإلا المثوبة، وهو ذكر القلب. مثاله: إذا أراد أن يغش أحداً تذكَّر العقوبة من الله، فمَنَعَه ذلك من الظلم أو الغش، فهذا داخلٌ في الذكر، انتهى ما وجدته بخط سيدي^(١)، رضي الله عنه ونفع به.

* * *

(١) القائل: هو الشيخ دحمان لعجم باذيب، رحمه الله.

وقال رضي الله عنه: لَمَّا أَرَدْتُ قِرَاءَةَ «نظم مقدمة الدَّعْوَةِ التَّامَةِ»^(١)
 للشيخ عبد الله بن سعد بن سُمَيْرٍ — وكان ذلك النظم بإشارته رضي الله
 عنه — قال: بانقرأ الفاتحة أولاً أَنَّ الله يمتَّعُ بالمعلِّم عبد الله، هو من
 معاونين على الدعوة، ويسمى قُرَّةَ عين. هَيَّا إِنْ كَانَ فِيكُمْ هَمَّةٌ، فَضِلُّ
 الله مَبْذُولٌ، وَكَرَّمَهُ وَاسِعٌ لِمَنْ طَلَبَ، مَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِحَدِّ.
 الفاتحةُ أَنَّ الله يُعَافِيهِ وَيُسَلِّمُهُ، وَيَنْفَعُنَا بِالزِّيَانِ؛ وَبَعْدَ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ
 دَعَا بِهَذَا الدَّعَاءِ: «اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِخِيَارِنَا، وَأَعِنَّا عَلَى شِرَارِنَا، وَاجْعَلْنَا خِيَارًا
 كُلَّنَا».



(١) من هذه المنظومة عدة نسخ في شبام، ومنها نسخة بترميم بمكتبة الأحقاف رقمها
 (٢٩٤٧).

وقال رضي الله عنه: أخشى — من دخول القهوة المسجد — سوء الأدب، لأنها تظهر النفوس عند ذلك، والتلويث للمسجد.



وقال رضي الله عنه: من أقرب أسباب الفرج: أن يفعل مدرّس بعد كلّ صلاة في كلّ مسجد في كلّ بلد في العلم الواجب، ولو ما طال. أقرب أسباب الفرج ودفع تسلط الظلمة هذا، لأن ما سبب كل مخالفة إلا الجهل، وإذا وقع التذكير كلّ تذكّر وذكّر. وأنشد:

إذا كان دائي أصله البعدُ عنكم فإنّ دوائي قرْبكم، وشِفائي

الجهلُ أصلُ كلّ فساد، وبالعلم تنوّر البصائر، عسى التوبة والرجوع. وإذا علمتم مقاطعة بين قرابة وجيران، أصلحوا بينهم بكلّ ممكن، ولا تخلّون لحدّ كلام، وإذا ما طاعوا اتركوهم كلّهم حتى يسدّون.

□ وكان الأولون كلام آخر، جاء بعضهم إلى الوالد رضي الله عنه وقال له: إنّ فلاناً بينه وبين قرابته وخشّة، لعل وترسل له وتردّه. فقال الوالد: إنّ ما بيني وبينه مخالطة. فاتفق مدرّس وحضر الرجل المذكور، ووقعت المذاكرة في ذكر صلة الرّحم، فلمّا خرج الرجل المذكور قال لولده: شلّ دبر والحقنا إلى عند آل فلان، يعني المتقاطع هو وإياهم. تأثّر بالتذكير بحال الساعة ببركة نية المذكّر.

والآن أهل الزمان بينهم تقاطع وتنافر، وقست القلوب وانتزعت الرحمة. زمان شرّ ونميمة، لأجل هذا، ما قام لهم والي يصلح أمور دينهم

ودنياهم، لأن: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

والأصل ضياع التربية، وأنت يا معلّم محمد^(١)، علّم الصغار الأحاديث التي تتعلق بالصّلة، وإذا جاءت آية مثل قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فسّرّها لهم، هذه الآداب القرآنية والأخلاق التي فاز بها الرجال الكمل، والصغير عادة قابل خلاف الكبير قدّه باج، معاذ شي ينفع فيه، أحكموا مبادي الأمور، كما قال أحمدُ باذيب^(٢):

وَمَنْ رَامَ إِصْلَاحًا لِعَاقِبِ أَمْرِهِ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يُصْلِحَنَّ الْمَبَادِيَا^(٣)
 هذا البيت عليه مدارٌ كبيرٌ في كلّ شيء، خلّوا الصغار ينشأون متأدّبين متواصلين، يسبقُ إلى قلوبهم (ماء سرّ) قبل (ماء عُقران) كما قيل:
 أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكّنا
 وانظروا كتاب «أسنى المطالب في صلة الأرحام والأقارب»^(٤) للشيخ

(١) يعني به الشيخ محمد أحمد عبدون شراحيل.

(٢) هو تلميذ الحبيب أحمد. . قدمنا ذكره عند ذكر «نظم الخطبة» في موضع سابق.

(٣) من القصيدة الياثية التي مطلعها:

ألا ما لسبل الحق أضحت عوافيا وما لمشيّد الدّين قد صار واهيا
 وهي طويلة، تقع في (٩٦) بيتاً.

(٤) وهو مطبوع.

الإمام أحمد بن حجر، صَنَّفَه في واقعة، وهي: أن بعضَ المنطُورين^(١) في (مكة) وقعتَ بينهم شحنةٌ واتسعَ الخرقُ، فقام الشيخُ في ذلك وأصلَحَ بينهم، وبعدَ ذلك صَنَّفَ الكتابَ المذكورَ.

وودَّيت أنَّ المعلمَ عبدَ الله يختصرُه في نحوِ كُرَّاسين أو زائد، لأنَّه كتابٌ كبيرٌ وسَّعَ فيه الشيخُ، وإذا اختَصِرَ حَصَلَ به التذكيرُ في الجموع^(٢).



وقال رضيَ الله عنه: اعرضوا كلامنا الذي نذاكر به على «الإحياء»، إن خالفَه قولوا لي كما قال القائل: أَبَيْتُ أن تسمَعَه إلَّا من الجُنيد، شوكم خالفتوا «الإحياء»، بل خالفتوا النبيَّ عليه السَّلام في كلامه، والقرآنَ العظيمَ تتلونَه، والناسُ في رقاب الأعيان، حَسْبُهُمُ الله يومَ باينكرون الشمسَ بأفعالِهِم، ولو قالوا حق بأقوالِهِم، لكنَّ أفعالَهُم مخالفةٌ لأقوالِهِم، وذلك في شأنِ سَتَرِ أرجلِ الخوادم والحرفَّين بالخف^(٣).

(١) أي: الأعيان الذين عليهم النظر.

(٢) وقد قام الشيخ عبد الله بن سعد باختصاره حسب إشارة الحبيب أحمد، وسماه: «كافي الطالب في اختصار أسنى المطالب». منه نسختان بمكتبة الأحقاف بتريم، إحداهما برقم (٢٦٠٢)، والأخرى برقم (٢٧٨٦).

(٣) وقد كان الإمام أحمد بن عمر رحمه الله يأمر معلم المسجد الجامع أن يأتي بهذه الأبيات إذا نادى للصلاة في الثلث الأخير من الليل، وهي قوله:

كل من يتقي مولاه ظاهر وخافي يعمل أخفاف لاهله والخوادم ضوافي
أو خرق طُبِّقَت من تحت سرموج ضافي حكم ذا عام بين أهل الطرر والكوافي

وأنتم يا أهل شبام إذا عملتوا بذلك عملوا به باقي آل حضر موت، لا تقعون كما الحصاة في فم الوادي، لا هي شربت الماء، ولا تركته يخرج يسقي الناس، كما قاله الحبيب عبد الله الحداد في «الدعوة».

وكلامي هذا حد يستمحلُه، وحد يستملحُه: يرى أنه مليح. ومن لا له رغبة في المعاونة وفيما نذكرُ به، ويرى أنه ثقیلٌ عليه لا يُكثِرُ الاختلاف عليّ، يكذب عليّ وأكذب عليه، إن شيء معاونة حيّا به، ولو ما جاء أرسلتُ له، وبانلقية على الرأس، وإن هي إلا صُحبة كذب، وصُحبة حمارة، خلّوا لكلّ حاله، ما لكم حاجةً بمجلسي، كلامي ثقیلٌ ثقیلٌ، عسى الله يشرح الصدور، آمين.

وتعلّموا البكاء، كما قال عليه السلام: «إن لم تبكوا فتباكوا»^(١)، «أملكك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابنك على خطيئتك»^(٢). أمرك بالبكاء عليه السلام، ابنك خيراً لك، ولا تفرّح بالدنيا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].



والحرّف والسواد والبوادي الجلاف

ينظر: «تقريب الشاسع في ترتيب وظيفة الجامع» للشيخ المعلم محمد بن عوض عقبه سديس، المطبوع بذيّل هذا المجموع.

(١) رواه ابن ماجه (١٣٣٧).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»: (٩: ١٠٢) (٨٥٣٦).

وقال رضي الله عنه: إذا شرب الإنسان القهوة وغيرها من الأمور العادية، ينوي هذه النيات التي ذكرها سيدنا عبد الله الحداد، في قوله:

واجعلْ إلهي هذا عوناً على كلِّ خير^(١)

إلى آخر الأبيات: لعل نور هذه النية تطفىء ظلمة الشهوة من هذه القهوة وغيرها.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا اجتمع جهلٌ وجاه، نعوذُ بالله، يبذلُ ماله في تمام كلمته، ما بغاها تقصّر، عادَ حبُّ الجاه أعظم من حبِّ الدنيا، يهلك ويهلك، ويذهب دينه ودنياه، وحبُّ الدنيا يُذهب دينه فقط.

كما قال سيدنا عبد الله الحداد في «الحكم»: (حبُّ الدنيا يُذهب الدين، وحبُّ الجاه يُذهب الدين والدنيا)، وقال عليه السلام: «ما ذُبانِ جائعانِ أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حبِّ الشرف والمال في دين المسلم^(٢)»، أو كما قال عليه السلام، اطلبوا من الله الحفظ.

* * *

وقال رضي الله عنه: الوادي الميمون، يعني: المبارك، كما قال سيدنا عبد الله إلى أن أتى الوادي المبارك^(٣). إلخ، وبعض الناس

(١) «ديوان الحداد» (٢٨٩).

(٢) الحديث عند الطبراني في «الكبير»: (١٠: ٣١٩) (١٠٧٧٨)، و«الأوسط» (٧٧٢).

=

(٣) تمامه:

الأغبياء يَقلِبُ أَسْمَ (حَضَرَمَوْت) بِكَلِمَةٍ زِعْلَةٍ، يَقُولُ: (ضَرَطُطُوط!) نَعُوذُ بِاللَّهِ، لَكِنْ مَنْ يَقُولُ كَذَا يَمُوتُ فِي الْغَرَبَةِ، جَاوَةً أَوْ غَيْرَهَا، مَا تَسْعُهُ حَضَرَمَوْت، تَنْفِيهِ؛ عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْآدَابَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ الْوَالِدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ عَوْضٍ لَعَجَمَ قَالَ: سَرْتُ أَنَا وَوَالِدِي مُحَمَّدٌ لَعَجَمَ لَزِيَارَةِ هُودٍ مَعَ الْحَبِيبِ عَلِيِّ^(١) (صَاحِبِ عَيْنَاتٍ)، بَعْدَ كِتَابٍ وَصَلَ لَنَا مِنْهُ، فَجِئْنَا إِلَى تَرِيمٍ إِلَى عِنْدِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ، فَأَنْكَرَ مَجِيءَ الْوَالِدِ مُحَمَّدٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لِأَنَّهُ مَا هُوَ حُلٌّ مَجِيئِهِ. فَقَالَ لَهُ: لِمَ جِئْتُمْ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَتَبَ لَهُ السَّيِّدُ عَلِيُّ لَزِيَارَةِ هُودٍ. وَجَعَلَ يَحْكِي لَهُ، وَالْحَبِيبُ يَرُدُّ عَلَيْهِ بِصَوْتٍ لَمْ يُفْهَمَ. حَكَاهُ لَنَا سَيِّدِي.

= إِلَى أَنْ أَتَى الْوَادِي الْمُبَارَكُ فَارْتَضَى وَمَدَّ بِهِ أَطْنَابَهُ لَخِيَامِ
«الديوان» (٤٦١).

وادي ابن راشد مني قلبي	وراحة الروح والخاطر
لا زال مظلول بالسحب	مطلول من صيب الماطر
مخضر بالزرع والعشب	يروق للنفس والناظر
معمور بالعلم والآداب	والعدل والبر والشكر

(١) هو الحبيب المنصب الجليل علي بن أحمد بن علي بن سالم المهاجر بن الشيخ أبي بكر بن سالم، كان سيِّداً جليلاً عظيم المقدار، أخذ عن الإمام الحداد، توفي بعينات سنة ١١٤٢هـ.

فلَمَّا تَمَّ كَلَامُهُ، قَالَ لَهُ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ: الزَّيَارَةُ هُنَا، وَإِلَّا وَقَعَ لَكَ لَا أَنْتَ مِنْ حُورَةٍ وَلَا الزَّعَانِينِ، فَجَلَسَ وَالِدِي وَامْتَثَلَ، حَتَّى رَجَعُوا مِنْ زِيَارَةِ هُودٍ. وَكَانُوا مَعَ رَجُوعِهِمْ يَفْعَلُونَ مَذْخَلَ فِي زَفٍّ إِلَى عَيْنَاتٍ. قَالَ لَهُ: اخْرُجْ وَاحْضُرْ مَذْخَلَهُمْ. فَخَرَجَ وَحَضَرَ. وَالْحَبِيبُ عَلَي الْمَذْكُورِ تَجِيهِ حَالَةَ خَوْفٍ، فَجَاءَتْهُ وَلَمْ يَشْعُرْ بِمَنْ جَاءَ لِلزَّيَارَةِ وَمَنْ لَمْ يَجِءْ.

قَالَ سَيِّدِي أَحْمَدُ: انْظُرْ اندراجَه فِي الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ، امْتَثَلَ أَمْرَهُ، وَلَمْ يُبَالِ بِعِتَابٍ وَلَا غَيْرِهِ.

ثُمَّ قَالَ: وَكَيْفَ قَوْلُهُمْ: (لَا أَنْتَ مِنْ حُورَةٍ وَلَا الزَّعَانِينِ)؛ قِيلَ: إِنْ كَلَبًا تَحَيَّرَ عَلَيْهِ وَقْتُ الْغَدَاءِ فِي حُورَةٍ، فَذَهَبَ إِلَى الزَّعَانِينِ لِيَحْضُرَ غَدَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ وَجَدَهُمْ قَدْ تَغَدَّوْا، فَرَجَعَ إِلَى حُورَةٍ، فَوَجَدَهُمْ تَغَدَّوْا، فَاتَهُ ذَا وَذَا. فَصَارَ مِثْلًا يُضْرَبُ.

* * *

قَالَ سَيِّدِي: وَكَانَ مُحَمَّدٌ لُعْجَمُ الْمَذْكُورِ أَوْدَعَهُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ «كِتَابَ الْبَخَارِيِّ» مَعَ سَفَرِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ لِيُجَلِّدَهُ، وَكَانَ مُحَمَّدُ الْمَذْكُورُ مَعَ سَفَرِهِ يَعْبُرُ تَرِيمَ، وَمَعَ رَجُوعِهِ كَذَلِكَ، فَلَمَّا رَجَعَ وَجَاءَ بِـ«الْبَخَارِيِّ» مُجَلَّدًا، قَالَ لَهُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ: يَا مُحَمَّدُ، لَوْ جِئْتَ لِي بِمَرْكَبٍ شَاحِنٍ مِنْ كُلِّ غَالِيٍّ، مَا فَرَحْتُ بِهِ كَمِثْلِ «الْبَخَارِيِّ»، أَوْ كَمَا قَالَ.

فَانْظُرْ تَعْظِيمَهُ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا بَعْدَ كَلَامِ اللَّهِ إِلَّا كَلَامُ رَسُولِهِ، فَأَكْثَرُوا مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: ذو النفسِ الكريمةِ أولَ ما يعاتبُ نفسه قبلَ غيره.

قال الشاعر:

ما عاتبَ المرءُ الكريمُ كنفسِهِ والمرءُ يُصلحُهُ القرينُ الصالحُ

فالمَدَارُ كُلُّهُ علىَ القرينِ الصالحِ. قال عليه السَّلام: «المرءُ من جليسه»،
و«المرءُ على دينِ خليله، فليَنظُرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ»، والأمرُ للوجوب.

أذهنُ بولدك من مجالسةِ الدُّونِ، واختَرُ له الأمَّ الصالحةَ من منبِتِ
حَسَن. قال عليه السَّلام: «إياكم وخضراءِ الدَّمَنِ، المرأةُ الحسناءُ في
المنبِتِ السُّوءِ»^(١).

طَلَبَ رجلٌ سيدَنَا عليَّ بنَ الحسينِ أَنْ يَأْتِيَ له بماءٍ يتوضأُ به، وهو
لم يعرفه، ظَنَّهُ عبداً لأنه أَسْوَدُ اللونِ. فجاء به، فقليلَ له: إِنَّ هذا عليُّ بنُ
الحسينِ. فاستَحْيَا الرجلُ واعتَذَرَ إليه. فقال له: لا بأسَ عليك، إنما هو
عليٌّ مَن وَضَعَ ماءَهُ في امرأةٍ سوداءَ^(٢) — أو كما قال — ولم يضرَّه

(١) رواه الدارقطني في الأفراد والرائهمزئي والعسكري في «الأمثال» وابن عدي في
«الكامل» والقضاعي في «المسند»، «كشف الخفاء» (١: ٣١٩).

(٢) كانت أم زين العابدين عليه السلام من بنات كسرى يزدجرد، من سبي الروم،
واسمها (غزالة) أو (شهربانو).

وهي إحدى ثلاث أخوات سباهن المسلمون أيام خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، قوَّمنَ في سوق المدينة، فاشترهن الإمام علي كرم الله وجهه،
فأعطى واحدة لعبد الله بن عمر بن الخطاب فولدت له سالماً، والأخرى لابنة
الحسين فأولدها زين العابدين هذا، وهو الأصغر، والثالثة لمحمد بن أبي بكر =

السوادُ شيئاً، ما ضَرَّهم ما أصابَهم في الدنيا، جَبَرَ اللهُ لهم كلَّ مصيبةٍ بالجنة.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا ماتَ عالمٌ ظهرَ بدَلُه ظالمٌ نصفُ للعالمِ، وإذا خربَ مسجدٌ من المساجدِ بُنيَ حِصْنٌ للمَجْبَى والظلم للمَجْبَى.

وبعضُ الناسِ يدخلُ في الصلاةِ وهو خائفٌ من ظالمٍ، وبعضهم خائفٌ من الفقرِ، هذه المصيبةُ الكبيرة، خوفُ الفقرِ سَكَنَ غالبَ قلوبِ الخلقِ، صدَّقوا الشيطانَ ولا صدَّقوا الرحمنَ. قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]، يعني رزقاً. ينبغي للإنسانِ إذا قرأ ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ﴾ يستحضرُ عندَ قوله: ﴿وَأَمْنُهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾: خوف الفقر.

قال الشيخُ أحمدُ الحساويُّ تلميذُ سيدنا عبدِ الله الحداد: كنتُ جالساً في مدرّس الحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ الهندوان، فقال: يا حساوي، ما الفقرُ الذي استعاذَ منه رسولُ الله ﷺ يعني في قوله: «اللهمَّ إني أعوذُ بك من الكُفرِ والفقرِ»؟ فأجبتُه بما سمعتهُ من مُذاكرةِ سيدي عبدِ الله أنه: الذي يكونُ معه الهلعُ والجزعُ والشكوى. فقال: لا، ما هو كذا. اسألُ عنه حبيبك، يعني: الحبيبَ عبدَ الله.

= الصديق فأولدها القاسم بن محمد، فهؤلاء الثلاثة أبناء خالة: وأنهم بهم، وأكرم بأصولهم، عليهم رضوانُ الله. «المشرع الروي» (١: ٨٨).

فلما خرجتُ من عنده جئتُ إلى سيدي عبدِ الله، فلما دخلتُ عليه قال لي ابتداءً كشفاً منه: ما بدا سألك الحبيبُ أحمدُ الهندوان عن شيءٍ؟ فقلتُ له: نعم، هذا اليومَ سألني: ما الفقرُ الذي استعاذَ منه النبيُّ صلى الله عليه وسلم؟ فأجبتُهُ بما أسمعُهُ من مُذاكرتكم. فقال له: إذا سألك لا تُجيبه، قن: الله أعلم، أفيدونا. ولم يقلْ لي شيئاً. فلما كان المدرسُ الثاني سرتُ إلى عندِ الحبيبِ أحمدَ الهندوان، فأعادَ عليَّ السؤالَ المذكور. فقلت: الله أعلم. فقال: هو خوفُ الفقر، أو كما قال. وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا قرأتُم هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، كرّروها ثلاثاً، لأنَّ علامةَ الإيمان: الامتحان، وهذا حقٌّ كلُّ مؤمنٍ في الأصل. «يا دُنْيَا تَكْدِرِي وَتَمَرَّرِي عَلَيَّ أُولَيَائِي»^(١). . . إلخ، وإذا شيءٌ قَصَرَ عليك من أمورِ الدنيا فافْرَحْ. وإذا رَأَيْتَ الْغِنَى مُقْبِلاً فَقُلْ: ذَنْبٌ عَجَّلْتَ عِقَابَهُ، وإذا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلاً فَقُلْ: مَرْحَباً بِشُعَارِ الصَّالِحِينَ. ما تَصَفَى الدُّنْيَا إِلَّا لِلْعِيَاثِ:

عَتَبْتُ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ، فَأَبْدَتْ لِي الْعُذْرَا
بَنُو الْجَهْلِ أَبْنَائِي، وَأَمَّا ذَوُو الشُّهَى فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الْأُخْرَى

(١) القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٥٣)، ومثله عند الطبراني في «الكبير» (١٩: ١١).

وقال رضي الله عنه: أُمُورُ الشريعةِ كُلُّها سُنَنٌ بالمعنى الأعمّ، وفيها مندوبٌ ومفروض. ومن السُّنَنِ المفروضة: الوالي، واطلُّوا من الجوادِ الكريم أن يكون فقيهاً عالماً عادلاً يتولّى رقابنا، ما بَغينا غيره، كَبِّروا الهمةَ وأعظِّموا المسألة، تطلبون كريم، لا تَقَعُ الهمةُ دنيّةً، كالذي طلبَ ثليّةً من الغنم.

كما قال بعضهم: كُنْ مِثْلَ عَجُوزِ موسى حينَ طلبَ منها أن تدلّه على عظامِ يوسف^(١) قالت له: بشرط أن لا تنزل منزلاً في الجنةِ إلّا وأنا معك، أو كما قال.

ولو كُنَّ النساءُ كَمِثْلِ هذِي لَفُضِّلَتِ النساءُ على الرجالِ
تطلبون واجداً ماجداً خزانته ملانة.

والحدّزْ تدعُونَ على الظالم، فإنّك إذا دعوتَ عليه يقولُ لك الحقُّ تعالى: وأنتَ فيك ظلمٌ، استجبتُ لك واستجبتُ فيك. فإذا كان الأمرُ كذلك فلا حاجةَ للدعاءِ عليهم، بل ادعُوا لهم واعفُوا عنهم. وقد ندبَ العفوُ عن قاتلِ ابنك أو أخيك، فإن لم يكن عفوٌ فعلى الدية، وقدّر أنّك الظالم، بماذا تريدُ أن يعاملوكم؟

واحمد الله تعالى على عدم القدرة^(٢)، إذ جعلَ يدَكَ أقصرَ من أذُنِكَ؛

(١) كذا بالأصل، ولعل المراد موضع قبره، لأن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

(٢) أي: قدرة السلطة والتسلط على الناس.

أَذْهَنْ يَا ثور، لو قَدَرْتَ كما هُمْ^(١) لَفَعَلْتَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ، وَلَقَّيْتَ الْفِرَا، كُلُّنا
أَوْلَادُ آدَمَ وَحَوَاءَ. مَا أَنْتَ مَلَكٌ مَعْصُومٌ وَلَا نَبِيٌّ مَعْصُومٌ، بَلْ أَنْتَ آدَمِيٌّ
مَعْجُونٌ بِذَا وَذَا. عَسَى الْحَفْظُ، وَكُلُّهُ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَعَدْلٌ، وَإِلَّا الْعُودُ
قُطِبَ مِنْ عِلْبٍ وَاحِدٍ، فَجُعِلَ هَذَا مِنْبَرٌ، وَهَذَا مَنْفَرٌ. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَ بِهِ: لَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ (تَرْيَمَ) وَ (وَسِيُونَ)
(وَشَبَامَ) وَتَشَاوَرُوا كَيْفَ صِلَاحُ الْجَهَةِ، وَكَتَبُوا خَطًّا مِنْهُمْ جَمِيعًا، مَا هُوَ
مِنْ وَاحِدٍ مَخْصُوصٍ، إِلَى ابْنِ عَثْمَانَ^(٢) وَيَكُونُ أَوَّلًا إِلَى عِلْمَاءِ مَكَّةَ
يُنْفَذُونَهُ إِلَى ابْنِ عَثْمَانَ، وَيَشْكُونَ إِلَيْهِ غِيَارَ الْجَهَةِ^(٣)، وَأَنْهَا دَيْمٌ خَابِلٌ^(٤)،
وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ مَدَدَ فِيمَا يَقِيمُ وَالِي عَدْلٍ عَالِمٍ، سَيِّدٌ أَوْ غَيْرُهُ، يَكُونُ مِنَ
الْجَهَةِ بِنَفْسِهَا وَفِيهَا، يَقِيمُ مَدَارِسَ فِي الْمَسَاجِدِ، فَإِنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ مَا بَايَرَجَعَ
لَهُمْ مِنْ شَفِّ يَبْذُلُونَ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَيَرْفَعُونَ حَاجَتَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا إِلَّا
سَبَبٌ:

(١) أي: كالولاية والسلطين.

(٢) يعني: الدولة العثمانية. وكان الخليفة أيام الحبيب أحمد بن عمر هو: السلطان
الغازي محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان الأول، ولد سنة ١١٩٩هـ،
وتولى الخلافة سنة ١٢٢٣هـ، ومات سنة ١٢٥٥هـ، وهو السلطان الثاني والثلاثون
من سلاطين آل عثمان.

(٣) أي: تعطل الجهة الحضرمية لعدم وجود الوالي.

(٤) الديم: الجلد.

حاجة في النفس يا رب فاقضها يا خير قاضي
... إلخ.

فإن قد ظفرنا بمطلوبنا بفضل من الله رب العباد
وإن قد فقدنا، فحال الزمان زمان البلى كثير النكاد

... إلخ، ولكن يغناهم ذلك، ولو قدرنا أن أحداً بآبني مسجد فإن شيء
شور، المساجد كثيرة في حضر موت، ينفقه على مدرس يحيي به العلم
الذي هو الأصل، رُحنا قفا الطرف وخَلينا المطروف، أَعْمُر به عُمَار
المساجد. أو كما قال.

وقال: الربا نية؛ بدليل قوله تعالى: ﴿لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾
[الروم: ٣٩] والورع كذلك.

وأول من عامل بالكيل بعض السادة أهل تريم من المتفعين، في
زمان الحبيب أحمد باجحدب^(١) وهو في ذلك الوقت نقيب آل باعلوي،
وتولى القطبية ولم يتزوج قط. لم يزل معتكفاً في مسجد (باعلوي) بتريم.
وطلب السيد المذكور الحبيب أحمد باجحدب في وليمة عنده، فامتنع من
المجيء وقال له: أنت تعامل بالكيل. فأخبره أنه لم يفعله إلا لأجل أنهم
يردّون ما أخذوه منه بالقرضة، لأنهم يعزّون الوفاء عليهم.

وأخبره أنه لم يأخذه منهم. فقال: أنت معك هذه النية، وغيرك معاد

(١) أي: في القرن العاشر الهجري، وقد تقدم مثل هذا الكلام سابقاً، وتقدمت ترجمة
السيد باجحدب النقيب.

يفعل مثلك. فكان كما قال، اتخذوها حيلة، ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] ونصحوهم العلماء، مثل الحبيب حامد بن عمر، فلم يقبلوا، ومن بعدهم جاءت العقوبات لمخالفتهم.

وكذلك أهل شبام، هذه اللُجْمَةُ عندكم، ويعلم الله أيُّهما أكبر: الكيلُ أو اللُجْمَةُ، وأصلُها: كانوا ينكسرونَ جَمَ من أهل البلاد في جُملة ديون^(١)، وبعض المتصيين للقضاء عنده شيء من أموال الأيتام، إذا أعطى أحداً شيئاً من مال اليتيم فعلَ اللُجْمَةَ في بيته^(٢) لأجل حفظ مال اليتيم، ولا عادَ مؤر فيها. جاء من بعده وقالوا: كلُّنا أيتام وتحيلوا على الله. حتى أن الحبيب محمد بن سميطة لم يرَضَ بها، ومشغولٌ منها، تراها وقعتَ لهم نسخة، بنَلْتَهُمْ إلى الغرب: جاوة، وهند.

اذهنوا بأولادكم من الكذب، والسبب كله: ضياع الاقتصاد والقناعة، آزاهم ذلك على الشبهة والحيل والحرام.

وإذا اشتبه عليك المال، هل هو حرامٌ أو حلال! فانظر في مخرجه، فإن خرج في حرام فهو حرام، أو في شبهة فهو كذلك، أو في حلال فهو حلال، لأن المال قالوا: كالحية، لها خلص^(٣) واحد، تخرج من حيث تدخل، والمال كذلك. والمنافق كالجرذ، له خلصين يدخل من أحدهما

(١) أي: يحصل إفلاس لبعض التجار بسبب الديون.

(٢) وكأنَّ اللُجْمَةَ — من هذا الكلام — عملٌ يقوم به أولياء أمور الأيتام، فيخلطون من أموال اليتامى في أموالهم، والله أعلم بحقيقتها.

(٣) الخُلَص: الجحر.

ويخرجُ من الآخر. ويعلمُ الله أيُّهما أعظمُ عندَ الله، الذي يُربي رباً صريحاً، أو الذي يَحْتَالُ بهذه الحيل؟ هذا عصيُ الله وهو معترفٌ بأنه عاصٍ، وهذا يعصي الله وهو يدّعي أنه متقي. أو كما قال.

ثم ذاكِرَ رضيَ الله عنه فيما حدّث من العوائد، كزُخرفة المساجد، والتأثُّن في البناء، وشلّ الدُّيُور، والتكلف في الولائم والضيافات، ثم قال رحمه الله: مِثْلُ الْفَقِيرِ (يعني نفسه) لَا هُوَ عَالِمٌ وَلَا فَاقِهٌ، وَلَا يَقُولُ: حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. وَإِنَّمَا نَقُولُ: مَا بِهَا فَرَحٌ. لَأَنَّا إِن قُلْنَا: إِنَّهَا حَرَامٌ فَهُوَ خَطَرٌ، وَإِن قُلْنَا: حَلَالٌ فَهُوَ خَطَرٌ، نَقُولُ: مَا بِهَا فَرَحٌ، أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إِذَا اسْتَفَدْتَ فَائِدَةً فَأَفِذْهَا غَيْرَكَ، وَقُلْ لَهُ يَفِيدُ غَيْرَهُ، حَتَّى يَزِيدَكَ اللَّهُ، وَقِيلَ شِعْرًا:

أَفِيدُوا جَهُولًا مَا عَلِمْتُوهُ دُونَهُ أَفَادَكُمْ الرَّحْمَنُ مَا تَجْهَلُونَهُ

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اكْتُبْ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْمُبَشِّرَةَ، وَاحْكُوا بِهَا لِأَهْلِ الْبُيُوتِ، وَهِيَ: رَأَتْ بَعْضُ النِّسَاءِ الْمَرْحُومَ مُحَمَّدَ بْنَ دُحْمَانَ بْنِ عَبْدِوَنَ بِلَفَقِيَّهِ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ: مَا نَتَحَسَّرُ إِلَّا عَلَى اجْتِمَاعِنَا فِي الدُّنْيَا نَحْنُ وَأَهْلُونَا وَلَمْ نَعْلَمْهُمْ «حَلِيَّةَ الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ»^(١)، أَوْ كَمَا رَأَتْ. أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ.

(١) اسم كتاب للشيخ محمد عمر بحرق.

قال سيدي: وحليّة البنات والبنين: العِلْم. فانظر اعتناء الأموات بأيّ شيء.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا جاء في المذاكرة شيء من سير السلف اكتبوه، لا تستسهلونه، إذا ما انتفعتُم به أنتم انتفع به غيركم، لا تقعون رثوث^(١)، وقد وصفوكم بالريثة سلفكم، في عدم نقلكم سير سلفكم، بخلاف أهل اليمن وغيرهم، تراهم دَوَّنوا سير سلفهم. وقد قيل:

تموتُ الخبايا في الزوايا، وما لها من الناس بين الناس في الناسِ ذاكرُ
تفوتُ كراماتُ الرجالِ شوارداً إذا لم تُقيِّدْها علينا الدفاترُ

* * *

وقال رضي الله عنه: ما عافيةٌ إلّا وقد تقدّمتها عفو، إذا عفا سبحانه وتعالى عافى: ﴿فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، اطلب العفو حتى تتبعه العافية، عسى العفو.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان المرحوم محمد بن أحمد بايوسف^(٢)، جدّ

(١) أي: أهل كسل وتهاون، من الريثة.

(٢) هو الشيخ الصالح الفاضل محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بايوسف، الشبامي، توفي أول القرن الثالث عشر، وتوفي ابنه الشيخ عمر سنة ١٢٤٤هـ، وظهر من ذريته عدد من العلماء الأفاضل.

آل بايوسف، من الصالحين، يصلي في المسجد جماعة، ثم يصلي بأهل بيته جماعة. وكان قانعاً، سببه: الحظوة، ويكتفي بها.

وكذلك والدّه أحمد من الصالحين، شوا الأولين غير.. غير، سيرهم مناقب.

* عليهم سلام الله إن كان قد مضوا... إلخ *

* * *

وقال رضي الله عنه يوم السبت: ١٥ شهرِ عاشور (محرم) سنة ١٢٥٠ هـ
ونحن بخباية: كان في وقتِ جدِّكم محمَّد لعَجَم بعضُ الناس فعلَ سِقَايةٍ
للماء، فجاء بعضُ الناس إلى محمَّد لعَجَم وقال له: أنتم فعلتُم السِّقَاية؟
فقال: لا، نحن نروحُ لسقايا البيوت، أرامِلَ وأيتام، ونخلِّي السقايا للبخلاء.
قال سيدي: انظُرُوا التَّريبةَ المُسمَّحة^(١)، ولو هو كلُّه خير. ولو كان
محمَّد لعَجَم موجود لاَتَّخذناه منَ المشايخ، ولكنهم:

راحرا إلى الله، نِعَمَ الرَّبِّ، نِعَمَ الوكيل

وليس في الناسِ بعدَ القومِ منهم بَدِيل^(٢)

إلى آخرِ الأبياتِ.

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به: الدُّعابةُ من خِفَّةِ الرُّوحِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: من كلام سيدنا عبدِ الله الحداد: لأهلِ حَضَرَموتَ
ضَراوة^(٣) في نَشْرِ مثالبِ أهلِ المناصب^(٤)، ولأهلِ شَبامَ شَهوةٌ في كثرةِ
الْقِيلِ والقِل، وكثرةُ كلامهم من ضيقِ صدورهم، وضيقِ صدورهم من
ضيقِ مَعَايشهم. أو كما قال.

(١) أي: السُّوية.

(٢) «ديوان الحداد» (٤٤٩).

(٣) أي: نهمة وهمة وسعي.

(٤) أرباب المقامات المعروفة.

ومن كلام سيدنا الحبيب محمد بن سميّط رضي الله عنه: جميعُ أعمالِي الظاهرةُ للخلق ما أَحْسَنُ لها وَقَع. أو ما هذا معناه.

ومن كلامه عند وفاته: الذنوبُ كثيرة، وحسُنُ ظنّي بربي كبير. أو كما قال. قال والذي عمرُ رضي الله عنه: فرحتُ له بذلك، وبهذا الكلام في هذا الموطن.



وقال رضي الله عنه: هذه مبشرة، وهي: أَنْ مَنْ لَهُ سَلَفٌ صَالِحِينَ يَقَعُ لَهُ فُتُوحٌ سَمَحٌ^(١)، وَأَنْتَ يَا (فُلَان) لَكَ سَلَفٌ صَالِحٌ، الْحَقُّ بِهِ فِي الْمَعَاوَنَةِ عَلَى نَشْرِ الدَّعْوَةِ.

يقال: مِثَالُ مَنْ لَهُ سَلَفٌ صَالِحٌ كَمَنْ يَبْحَثُ بَثْرَ فِي مِسْيَالٍ، فَإِنَّهُ يَظْهَرُ لَهُ الْمَاءُ سَمَحٌ، وَكَمَنْ يَبْحَثُ بَبَثْرٍ قَدْهَا مَبْحُوثةً، وَإِنَّمَا وَقَعَ فِيهَا طِينٌ وَحَصَى مَنْعَ الْمَاءِ، فَإِنَّهُ يَظْهَرُ لَهُ الْمَاءُ سَمَحٌ. وَأَمَّا مَنْ لَا لَهُ سَلَفٌ كَمَنْ يَبْحَثُ بَثْرَ فِي أَرْضِ خِرْمَةٍ، بِالْبَخْتِ وَالنَّصِيبِ، إِمَّا ظَهَرَ الْمَاءُ وَإِمَّا عَرَضَتْ لَهُ حَصَاةٌ. أَوْ كَمَا قَالَ، أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ. وَأَنْتَ قَعٌ سَلَفٌ لِأَوْلَادِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الصَّبَا، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُهُ الْخُكْمَ صَبِيحًا﴾ [مريم: ١٢]، إِشَارَةٌ وَبَشَارَةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَهُ فِي مَعْرِضِ الْإِمْتِنَانِ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَجَمِيعُ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ عَدَمِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ سَبَبُهُ: ضِيَاعُ الصَّغَرِ اجْتَهَدُوا مِنَ الْيَوْمِ، كُلُّ مَا مَعَكُمْ مِنْ مَهْمَاتِ الدِّينِ عَلِّمُوهُمْ ذَلِكَ

(١) أي: مبكر.

في العُلَمة، وهذه الأمورُ الرَّثَّةُ، والحِيلُ، والتَّفَتُّفَةُ التي يتعاطاها بعضُ الناسِ، عَرَّفُوهم بها في الصَّغَرِ حتَّى يَعْرِفُونَ الحَقَّ مِنَ الباطلِ.

□ قال والدي رضيَ اللهُ عنه: كان ناسٌ مساكين جيراننا في أيامِ كُتَّا بنويدرة تَرَبَّم يُعَامِلُونَ بالربا في بيعِ بقر، ولم يُنَبِّهُوا عن ذلك، فجاءتِ الفتنُ عَمَّتِ الصَّالِحَ مَعَ الطَّالِحِ، من ذلك اليومِ إلى الآنِ يَتَنَكَّسُونَ في الفتنِ. وَغَايَتُهُ: إِنَّ وَقَعَ تَذْكِيرٌ في كُلِّ مَدْرَسٍ، ما شِئِ تَبْلِيغٌ كما يَنْبَغِي.

□ قال والدي أيضاً: كان عِنْدَنَا خَدَّامٌ من آلِ تَمِيمٍ في تلكِ الأَيَّامِ بِتَرِيمٍ، كانت له خَيْرِيَّةٌ جَمٌّ، وإِنما هو مَقْصُرٌ في الصَّلَاةِ، وكلما أَمْرُوهُ ما طاعَ لهم. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ جَاءَهُ رَمَدٌ، فَجَلَسَ في الدارِ بسببِ ذلك، فَطَلَعُوا عَلَيْهِ العَسْكَرَ إلى الدارِ فَقَتَلُوهُ، يَعْلَمُ اللهُ ذَبْحَ أَوْ غَيْرِهِ.

قال الوالد: جَاءَنَا لَهُ رَجَاءٌ، قلت: لعله لَمَّا كان مَقْصِراً في الصَّلَاةِ وَحَدُّهُ القَتْلُ وَقَعَ لَهُ ذلك، لأنَّهُ يُقال: إِذَا خَمَدَ سُلْطَانُ الشَّرِيعَةِ ظَهَرَ سُلْطَانُ الحَقِيقَةِ. أَوْ كَمَا قال.



وقال رضيَ اللهُ عنه: لو وَقَعَتِ القِراءَةُ في «مَهَمَّاتِ الدِّينِ» بَدَلَ قِراءَةِ «تَفْسِيرِ البَغَوِيِّ» وَغَيْرِهِ، تَشَاوَرُوا في ذلك، لا تَأْخُذُونَ بِكَلَامِي حتَّى تَرْفَعُوا سِوَالاً إلى أَهْلِ العِلْمِ، إِمَّا دَوَعْنَ أَوْ حَدَرَأَ^(١) لَأَنَّ غَالِبَ مَنْ يَحْضُرُ قِراءَةَ

(١) كان الحبيب أحمد رحمه الله ورضيَ عنه مُثَبِّتاً في جميع أموره، فكان إذا أراد أن يقيم سُنَّةً أو ينهي عن عادة يأمر تلامذته أو يطلب من أهل البلاد أن يكتبوا سِوَالاً =

«التفسير» عوامٌ يحتاجون للمهمات، وغايته: يحفظ قصةً من قصص التفسير، ولا يصلح «البغوي» للكل، بل قالوا: مَنْ بايَطَالُهُ يحتاج إلى سبعة علوم من علوم الآلة. لو كُل مَنْ جاء نَجَرٌ، ما بقي في الوادي شجر. والذي ندعو إليه مثله كمثل سائر العورة، ومثل القوت: تمر وطعام، ما جينا حول التأثق، لا عِمامة ولا رداء، والمهمات كذلك. الواجب الواجب قَدِّمُوهُ.



وفي مكاتبة سيدنا عبد الله الحداد لسيدنا أحمد بن زين الحبشي ما يشير إلى تقديم الأهم، وذلك: أَنَّ سيدنا أحمد بن زين الحبشي تكلم على الفاتحة بكلام عجيب^(١)، وأرسله إلى سيدنا عبد الله الحداد فاستحسنه، وجوّب عليه بالمكاتبة المذكورة. وقال فيها: (لو كان كلامكم فيما هو أهم من ذلك لكان أولى، سل مَنْ تَسْتَنْجِبُهُ عن مواضع تشديدات الفاتحة على البديهة)، أو كما ذكر.

ويكفي نحن قراءة سيدنا عبد الله في مجالسهِ دواماً «للحديقة الأنيقة» وكتاب «مقال الناصحين»، لا تزال القراءة في ذلك، قَدِّمُوا الأهم. وكذلك: كان بعض أهل الفضل يتكلم مع العامة بكلام دقيق في

= إلى علماء تريم أو دوعن في واقعة الحال. فإذا جاء الرد عملوا به، ورحمة الله على أهل الإنصاف.

(١) في كتابه الموسوم «المقاصد الصالحة في شرح شيء من علوم الفاتحة».

كُتِبَ القومُ، فقال له الحبيبُ عمرُ البار: تتكلَّمون بهذا الكلامِ الزين؟ ولمَّ كان السلف لا يتكلمون في ذلك؟ فقال: لما فيه من المضرة للعامة، فقال الحبيبُ عمر: الله أكبر! لقد أنصفت، معك إلا حَمِيرُ بَغْتِ قَضْبٍ وقَضْبٍ، طَرَحَتْ لَهَا جَوَاهِرَ دَحَقَتِهَا. فلم يتكلَّم المذكورُ بعدَ ذلك في الكلامِ الدقيق، أخذَه الحبيبُ بنيَّه. وأنتم افهموا المقصودَ والإشارة.

* * *

وقال رضي الله عنه: إن بغيتوا الفرَج: اسقُطوا على كُتِبِ الحبيب عبد الله الحدادِ بالقِشِرِ والعسل، وانشُروها حتى تنحلَّ العُقْدُ، ويهتدون هؤلاءِ القبائلُ الذين يأذونكم، واجعلوا «مقدمة الدعوة»^(١) من أورادكم، كلُّ يكتبُ نسخةً منها يجعلُها عند «الدلائل» والأوراد، يذكُرُ بها، ويطلب نفسه بها ذكره فيها.

* وكان الحبيب بو بكر الهندوان^(٢) يقولُ للحبايبِ إذا اجتمعوا عنده: بني وبينكم ما ذكره الحبيبُ في مقدِّمة «الدعوة». وأنتم لا تُخلُّون كل مَدْرَسٍ من قراءتها، ولو صافِحَةً^(٣) منها يكون كالورْد.

(١) أي: مقدمة كتاب «الدعوة التامة» للإمام الحداد، وتقدم معنا أن جماعة من أهل الفضل والعلم نظموا بإشارة الحبيب أحمد.

(٢) توفي بتريم سنة ١٢٤٨هـ، وهو حفيد العلامة أحمد بن عمر الهندوان المتقدم الذكر.

(٣) أي: صفحة.

وقال رضي الله عنه: كان الوالد رحمه الله يستشهد عند قراءة هذا البيت لسيدنا عبد الله الحداد من أثناء: «فيم الركون»: وهو قوله:

يكفي اللبيب كتابُ اللهِ موعظةً كما أتى في حديثِ السيّدِ الحَسَنِ
بهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾
[الحشر: ١٨].

* * *

وقال رضي الله عنه: اطلبوا العلمَ لأنفسِكُم وتقرّبوا إلى الله بعدواةِ النفس، فإنها أعدى الأعداء كما في الحديث. واعتزّقِفْ بالشرِّ من جهتها، وأفضّلْ المجالس: مَجْلِسُ تَوْبِخِ نَفْسِكَ فيه، واجعلْ لك وِرداً من توبيخ النفس.

□ كان سيدنا أحمدُ بن زين الحبشي نفع الله به جالساً للتدريس، وعنده بعضُ الطلبة، فجاء بعضُ الناس وأذاه حتى أنه ضربَ الدَّرْسَةَ، فلَمَّا ذهب، قال بعضهم لسيدنا أحمدَ لَمَّا رآه اشتغل: أتريدُ أن أُبلِغَ والي الأمر بفعل هذا الرجل؟ قال له: لا يا فلان، أنا ما اشتغلتُ منه، إنما اشتغلتُ مِن نفسي، لو صَلَحَتْ نيتي ما سُلِّطَ عليّ هذا!

فانظرْ إلى الأكابر! ما يرجعون باللَّومِ إلّا على أنفُسِهِم، كما قال سيدنا عيسى ابنُ مريمَ في دُعائه: «ولا تسلِّطْ عليّ بذنبي مَنْ لا يرحمُنِي»؛ ارجع على نفسك من سَمَح.

وقال رضي الله عنه: تقربوا إلى الله بتخريب هذه العوائد التي أظهرها هذه القهوة وما ضاهاها من كل ما يُفضي إلى غربة أفلها سنة أو سنتان، ونرجو — إن تهذمت العوائد تصبح بيوت الجهل بيوت علم، وإن استمرت بالعكس، تصير بيوت العلم بيوت جهل. فاهتموا ما قلت لكم! أو كما قال.



وقال رضي الله عنه: اكتب هذه المسألة وأسألوا فيها أهل العلم، وهي: ما قولكم في رجل أراد السفر إلى حج بيت الله الحرام، وله أهل لم يعرفوا العلم الواجب عليهم، هل له أن يجلس لتعليمهم العلم الواجب لأنه مُضَيِّقٌ عليه، ويترك الحج، لأنه على التراخي، أم لا؟ ومن استشاره ماذا يقول له؟ اجلس لتعليمهم أم سافر؟ وما الأهم تقديمه؟ وكذلك، كل مسألة تجيء فيها مُذَاكِرَة، اكتبوا صورة المسألة، واسألوا فيها حتى يتضح الحق ويعظم في صدور الجهال، وتدرّون بالأحكام، لا تكتمون الحق، لأن ثمرة الكتمان اللعنة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].



وقال رضي الله عنه: علّموا أولادكم الوطأ وكسر النفس حتى يركبهم السَّيْلُ، لأن الماء ما يطلع الرفوع^(١) ما يجي إلا المَواطى^(٢)، والوطأ عطا.

(١) أي: المكان العالي.

(٢) أي: المكان المنخفض.

□ كان صِنُوي أبو بكر رحمَه الله له مذخَلٌ في كل شيء، حتى أنه في السفر يعرَّبُ العَصِيدَ لأهل عِبْرَتِهِ. وأنتم، كونوا كذلك، عاونوا أهلَكُم في مهنة البيت، إن بغيتوا حلالَ حُضْرَموت. ويكفي قدوة المصطفى عليه السَّلام، وكان يخدمُ أهله، إلى آخر ما ذُكِرَ عنه. اتركوا الرُّكْزة، ما تحتها خَيْر ولا خَبَر.

□ وكان ساداتنا آلُ أبي علوي كذلك، كانوا يَسْنُونُ مثْلَ الحبيب محمد بن سهل يَسْنِي وهو إمامٌ فاضل، قال وَلَدُهُ عمر: كان أبي يكتبُ لي لَوْحِي من «الإرشاد» في الشَّرِيم، وكانوا على قناعة. وإذا طَالَ المجلسُ عنده يَشِيرُ على وَلَدِهِ عمر، يقول له: عمر، لاه تَقَعْ كذا؟ معك إلا عُطِيفَيْنِ تمر، اطلَعْ كُلَّهُنَّ واندُر.

وكان إذا رَزَمَ جَحْلَتَيْنِ تمر يتكفَّون بها السنة. قال. نجعل عندها جَحْلَتَيْنِ قناعة. وهو إمامٌ فاضلٌ، بل قد شاعَ الخَبَرُ بأنه تولى القضاء، ونُقلت بذلك خطوط، فبلغ الحبيبَ محمدَ بن سميطة الخَبَرُ بأنه تولى القضاء فقال: لم يصحَّ عندي ذلك، لأنه لم يشربِ القهوة في داره، فكان كما قال رضيَ الله عنه، منعَ نفسه من القضاء، نظيرَ قصَّةِ سيدنا محمد بن واسع، الذي قال فيه سيدنا عبدُ الله الحداد:

ومحمدٍ أعني ابنَ واسعٍ، قارئَ الرَّحْمَنِ، لُذُّ بالزاهدِ المتقنِّع^(١)

(١) ومعنى قول الإمام الحداد: قارئ الرحمن، إشارة إلى قول الإمام مالك بن دينار: القراء ثلاثة: قارئ للرحمن، وقارئ للعالم، وقارئ للملوك، ومحمد بن واسع من قراء الرحمن. أفاده في «شرح العينية» (٣١).

لأنه طُلِبَ للقضاءِ فامتنع، فقالت له امرأته: لو تولَّيتَ إنْ كان عِشْنَا في سَعَةٍ، لأنهم كانوا في ضيقٍ من العيش. فقال لها: يا هذه، ما زِلْتُ تَرِينَنَّا أَقْنَعُ بالخلِّ والبقل، فلا تَطْمَعِي في ذلك مِنِّي. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: العافية الحقيقية إذا قَدْ أَهْلَكَ يطالبونك بتعليمهم، ويخنفون عليك، ويشكونك إلى الغير في عدم التعليم، هذه هي العافية الصَّديقة، وما زال عادك إلا أنت تقول لهم: بأَعْلَمُكم، وتكذِّبهم، ما أبعدُ شيء عافية. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان بعضُ الصالحينَ مَمَّنْ سَلِمَ له حاله، إذا جاء أحدٌ إليه خرجَ إلى الضَّيِّقَةِ وينظرُ من شِقِّ الباب، فإن رأى معه شيئاً له كَلَمَه، وهَنَ لا شيءَ معه له رَدَّه، فقليل له في ذلك، فقال: نعم، الناسُ أعزُّ ما كان عليهم دُنياهم، فمَن بَدَلَ لنا شيئاً من عَزِيزِهِ، بذَلْتُ له من عزيزي، وأنا أعزُّ ما كان عليَّ وقتي، أو كما قال.

والسجالس معاذ لها حاجة يضيع بها الوقت لاش. أو كما قال. مَن اعْتَنَى: اعْتَنَى واقْتَنَى.

* * *

وقال رضي الله عنه: لا تراقبون الناس ولا تُناظرونهم بعدم التذكير، كلُّ واحدٍ بغا الآخرَ يتكلم، لأن الناس بائِحِرْمُونَكُم الجنة والسعادة بسكوتهُم على التذكير.

مثال ذلك: إذا جاء سيلٌ كبيرٌ وأنت في بطنِ المسيل، عادك تتوقف إلى أن يجون الناس أو ترفع بنفسك؟ هيّا: ترفع بنفسك وإلا شلّك السيل، لكن عليك تقول: اشتل يا مُطَرِّف، وارفع به صوتك. والمذكّر كذلك يفعل، ويتكلّم بما معه، مثل ما يقول: اشتل يا مُطَرِّف.

□ كان في (تريم) رجلٌ مجذوب، خرج يوماً إلى بعضِ الخلوات في أيام الخريف، فجاء إلى بعضِ السادة وهو يقطعون، فأعطوه وجب تمر^(١)، فطلع به، فمرّ على بعض من عبيد يمانى وهم جلوس على قهوة في مكان. فلما رأوه قالوا له: فلان! قدّم للقهوة ولا أعذروه، فجلس عندهم وأكرموه، فلما أراد أن يقوم وعرف أنّ مقصودهم التمر أعطاهم الوجب، وقال لهم: تباركوا به.

فلما كان اليوم الثاني خرج ولّف وجب من بعَر الرّكاب، وحمله ومرّ بهم في المكان المذكور. فدعوه للقهوة وهم يرُمقون الوجب، فلما أكرموه وأراد القيام، قال لهم: هاكم الوجب تباركوا، فلما ذهب وأرادوا قسمته لحقوه بعراً!

□ وكان مع السّادة مطلع في بعض الشعاب، فخرج إلى عندهم، فأعطاه كَأُور وكَرْفَلَة^(٢) فخرج قبلهم، وجاء إلى بعض المساجد قريب الشعب، وجعل الكور والكرفلة في ثوب، وطرحهن في القبلة. فلما أقبل

(١) أي: شوالاً من تمر.

(٢) الكرفلة: الأحشاء.

السَّادَةُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُمْ: طُفَيْلٌ فِي الْقَبْلَةِ أَجْرَكُمُ اللَّهُ، فَدَخَلَ السَّادَةُ وَصَلُّوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ لَهُمْ: صَلَّيْتُمْ عَلَى كَوْرٍ وَكَرْفَلَةٍ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ مَوْلِدِ الْحَبِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ سُمَيْطٍ فِي التَّرْبَةِ^(١):
تَعَاوَنُوا يَا آلَ حَضْرَمَوْتَ عَلَى وَالِي عَدْلٍ، وَابْذُلُوا الْغَالِي فِي طَلْبِهِ، وَإِلَّا
غَبَّتُوا أَوْلَادَكُمْ وَمَكَالَفَكُمْ، شَوْ ذَا الْكَلَامِ يَعْزَاكُمْ، وَوَاجِبَ عَلَيْكُمْ،
دَوَّرُوا لَهُ وَابْكُوا إِذَا مَا حَصَلْتُمُوهُ، وَنَضُّبُوا مِنْ بَيْنِكُمْ دَاعِي إِلَى اللَّهِ، يَدْعُو
أَهْلَ الْخَلَوَاتِ، سَوَادَ الْبِلَادِ، مِثْلَ: (جُوجِه) وَ (جَعِيمَة) وَالْوَادِي، وَكَذَلِكَ
كُلُّ أَهْلِ بَلَدٍ يَلْزَمُهُمْ ذَلِكَ، وَتَعْلِيمُ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَتَعْلِيمُ أَوْلَادِهِمْ:
الْبَنَاتِ وَالْأَوْلَادِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَرْحَلُ إِلَى الْبَوَادِي، هَذَا الْكَلَامُ يَلْزَمُكُمْ. وَهَذِهِ
الْدِّيُورُ عَطَّلُوهَا، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ، وَشَيَّدُوا بِهَا مَبَانِيَ الدِّينِ، تَبَتْ الْأَمْوَالُ
فِي حَفْنَةٍ، فِي شَيْءٍ مَا لَهُ حَقِيقَةٌ، شَوْ الْحُجَّةَ ثَابِتَةً عَلَيْنَا. أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا مَنَّ اللَّهُ بِالْوَالِي يَرْجِعُونَ الْأَشْرَارَ أَخْيَارَ،
وَبِالْعَكْسِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، يَرْجِعُونَ الْأَخْيَارَ أَشْرَارَ.

* * *

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ الْحَبِيبُ عَمْرُ بْنُ سَقَافٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا
قَامَ أَوْ قَعَدَ يَقُولُ: اللَّهُ، لَا شَرِيكَ مَعَ اللَّهِ، لِأَنَّ الْأَكَابِرَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِخَالِصِ

(١) يعقد هذا المولد يوم ١٥ من شهر ربيع الأول كل عام.

التوحيد: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، قال ذلك رضي الله عنه عند قراءة هذه الآية.

احذروا من هذه اللسان، فأكثر الآفات منها، وقد عدَّ الغزالي عشرين آفةً للسان، وعقد كتاباً من «الإحياء» في آفات اللسان^(١) قال الوالد رحمه الله يقول لبعض الناس: إنَّ كُلَّهَا في بلادكم.

* * *

وقال رضي الله عنه: من النساء خطايا، ومنهنَّ عطايا وخبايا، وإذا أراد الإنسان أن يتزوج: يترجّل ويتشرط قبل الزواج، ما كان أوله شرط كان آخره سلامة. والشرط هو أن يقول: بشرط أن تكون مُعِينَةً لي على ديني، ومربيةً لأولادي، لأن المرأة للرجل نِعَمَ الوزير إذا كانت صالحة.

ألا ترى إلى خديجة الكبرى! نعم الوزير للنبي عليه السلام، أو فاطمة الزهراء لسيّدنا علي! ولو استشارك أحد في الزواج تقول له: أنت أعرف بنفسك لأن هذه الأزمان...^(٢).

* * *

(١) «الإحياء»: (٣: ٩٢).

(٢) كذا! بياض في الأصول.

وقال رضي الله عنه بعدَ العصر يومَ الأحد ربيع الأول سنة ١٢٥٥هـ
 بعدما صلى على الفقير أحمد بن سالم بن أمبارك رحمه الله: لسانُ حالِ
 المَرْحُومِ هذا تقولُ لكم: تغانموا مجالسَ المذاكرة، وما زالَ عاذكم في
 الحياة، لأن الميِّتَ خرَجَ الأمرُ عن اختياره، لو بايَقَ له يحضُرُ مجلسَ عِلْمٍ
 وإلاَّ يسبِّحُ الله تسبيحاً معاذُ وقع له، ولا يعرفون قدرَ هذا الكلام إلاَّ
 الأموات، أما الأحياءُ فهم في وادي، تغانموا العُمَرَ الفاني، واذكروا أنكم
 صائرون مثْلهم.

* * *

وقال رضي الله عنه: قَطْرَةٌ مِنَ الْهَوَى تُكَدِّرُ بَحْرًا مِنَ الْعِلْمِ. قال
 عليه السَّلامُ لعائشة رضي الله عنها حينَ قالت: حُسْبُكَ مِنْ صَفِيَّة، تعني
 أنها قصيرة: «قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»^(١).

يعني: لو قَدَّرْنَا أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ جِسْمٌ وَالْبَحْرُ عَذْبٌ، ثُمَّ طُرِحَتْ فِيهِ،
 لَغَيَّرَتْ طَعْمَهُ وَلَوْنَهُ وَرِيحَهُ مِنْ خُبِّهَا. وفيه إشارة إلى أن سيدتنا عائشة
 رضي الله عنها بحرٌ مِنَ الْعِلْمِ. وفي الجيمية:

وَكَمْ مَقَالَةٍ قَالَ لَوْ مُزِجَتْ بِهَا بَحْرًا مِنَ الْمَاءِ عَذْبًا صَارَ ذَا خَمَجٍ^(٢)
 وهذا من بابِ تَجَسُّمِ الْمَعَانِي.

* * *

(١) رواه اترمذي (٢٥٠٢)، وأبو داود (٤٨٧٥).

(٢) «ديوان، بن سميطة» (٣٧).

وقال رضي الله عنه: مَنْ أَبْغَضَ الدُّنْيَا شَافَ عِيُوبَهَا، وَمَنْ أَحَبَّهَا تَغَطَّتْ عَنْهُ عِيُوبُهَا وَلَمْ يَذَرِ أَنْ أُمُومَتَهَا يُتَمَّ.

* * *

وقال نفع الله به: اعْتَقِدُوا أَنَّ جَمِيعَ مَا تَرَوْنَهُ مِنْ تَسَلُّطِ الظُّلْمَةِ وَتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ سَبَبُهُ: التَّقْصِيرُ فِي الْمَعَاوَنَةِ عَلَى الدَّعْوَةِ، «وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ بِذُنُوبِي مَنْ لَا يَرْحَمُنِي». قَدْ هُ خَيْرٌ لَكَ تَلُومُ نَفْسِكَ، وَمَنْ لَا يَلُومُ نَفْسَهُ فَهُوَ مُعْجَبٌ.

والداعي إلى الله يوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى عَدَمِ قَبُولِ كَلَامِهِ، وَأَنَّهُمْ بَايَقُولُونَ لَهُ: نَخْزِيكَ نَخْزِيكَ نَخْزِيكَ، حَتَّى إِذَا صَدَرَ مِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ فَرِحَ مِنْهُمْ. وَإِنْ قَدَّرَ أَنَّهُمْ بَايَقُولُونَ لَهُ: مَرْحَباً، ثُمَّ صَدَرَ مِنْهُمْ خِلَافُ ذَلِكَ الْكَلَامِ كَبُرَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ، وَضَاقَ صَدْرُهُ، وَإِنَّمَا لِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ لَهُمْ: ﴿لَا تُزِيدُنَا مِنْكُمْ جَزَاءَ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، بَلْ يَطْلُبُ الْجَزَاءَ مِنَ اللَّهِ، أَمَّا إِنْ كَانَ بَايَطُوكَ مِنْهُمْ الْجَزَاءَ، مَا مَعَهُ حُجَّةٌ. وَيُصْلِحُ نِيَّتَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، عَسَى اللَّهُ يُصْلِحَ النِّيَّاتِ وَالْمَقَاصِدَ، وَلَا تَخَيَّبُ يَا كَرِيمُ قَاصِدٌ؛ قَالَ سَيِّدُنَا الْعَدَنِيُّ:

إِذَا صَفَتِ الْعِبُودِيَّةُ وَصَحَّ الْقَصْدُ وَالنِّيَّةُ
وَفَنَيْتُ كُلَّ بَشَرِيَّةٍ فَحِينَئِذٍ فَهَيُّونِي

وَيَسْتَحْضِرُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ هَذَا الْبَيْتَ:

رُبَّ رَامٍ لِي بِأَحْجَارِ الْأَذَى لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ الْعَطْفِ عَلَيْهِ

وَإِذَا صَحَّتْ نِيَّتُهُ يُثَبِّتُهُ اللَّهُ تَعَالَى، كَصَاحِبِ الْكُتَيْبِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمَّا عَلِمَ اللَّهُ صِدْقَ نِيَّتِهِ قَبْلَ مِنْهُ، وَذَاكَ فِي قُوتِ الْأَجْسَامِ، وَهَذَا فِي قُوتِ

الأوراح. ولو لم يستجب له في الزمن الطويل، إلا العددُ القليل، قال تعالى في وصف نوح عليه السلام: ﴿وَمَاءَ أَمْنٍ مَعَهُ، إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، كانوا نحوَ ثمانينَ نفرًا، وإنما هم كثيرٌ في المعنى. ولَبِثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً.

* * *

وقال رضي الله عنه: لا يكْمُلُ الانتفاعُ بالعلمِ حتى يصيرَ إيماناً و يقيناً.

* * *

وقال رضي الله عنه: هذين البيتين للجُنَيْدِيِّ نقلَهُنَّ الوالدُ عمرُ من تاريخ ابن خُلِّكان، توصَّوا بهن:

لقاءُ الناسِ ليس يفيدُ شيئاً سوى الهَذيانِ من قيلٍ وقالٍ
فأقلِّلْ مَنْ لقاءِ الناسِ إلَّا لأخذِ العلمِ أو لصَلاحِ حالٍ
وقد زاد سيدي قبلَهُما بيتاً، وهو:

أقولُ للنساءِ وللرجالِ أصيخوا السمعَ واضغوا للمقالِ

* * *

وقال: كان حالُ الوالدِ العُزلةَ والانقباضَ عن الناسِ، بخلافِ الحبيبِ محمدِ بنِ سُمَيْطٍ، حالٌ ثاني، حتى أن الحبيبَ محمدَ إذا أرادَ الروحةَ في مكانٍ يقولُ للوالد، فيقولُ له: أَقْدُمُوا، إن ساقَتنا هِمَّةٌ لِحِقَّتكم، فيرمي له بالسبحة.

وكان الوالدُ رحمَه الله يقول: ما أفرحُ بأحدٍ يَجيءُ عندي، إلّا مَنْ
جاء إلى بيتِه معاذُ منه عُذر.



وقال رضي الله عنه يوم الاثنين شهر جماد الأول سنة ١٢٥٥، مع خروجه إلى (خُباية) وهو راكبٌ على دابته: يا محمد، هل خرجتُم بقَصَبٍ للدابة؟ فقل: نعم، فقال: تستاهل، هي خيرٌ مِنّا، ما هي مخاطبةٌ لا بحسابٍ ولا عقاب، وأنت يا ابن آدم خُلِقْتَ لتُبْتَلَى، ولهذا قال بعضُ السلف: لِيَتَنِي مِثْلَكَ يا طائر.

وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: لِيَتَنِي كُنْتُ كَبَشَ أَهْلِي، سَمَّنُونِي فَذَبْحُونِي وأخرجوني عذرة ولم أَلَقِ الحساب.

وقال الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه: لِيَتَنِي شَجَرَةٌ تُعَصَّد.

عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ هَذَا، حَتَّى يَنْشَوْنَ مَهْمُومِينَ بِآخِرَتِهِمْ، مَا يَنْشَوْنَ مَبْهُوتِينَ بِالدُّنْيَا، وَحَذَرُوهُمْ مِنَ الْإِخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ، فَإِنَّهُمْ مَا رَكِبُوا ظَهْرًا إِلَّا أَدْبَرُوهُ، وَلَا جَوَادًا إِلَّا عَقَرُوهُ، وَلَا قَلْبًا إِلَّا خَرَّبُوهُ. وَعَلِّمُوهُمْ الْآيَاتِ هَذِهِ:

أَخَصُّ النَّاسِ بِالْإِيمَانِ عَبْدٌ	خَفِيفُ الْحَاذِ مَسْكَنُهُ الْفِقَارُ
لَهُ بِاللَّيْلِ وَرَدٌّ مِنْ صَلَاةٍ	وَمِنْ صَوْمٍ إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ
وَفِيهِ عَفَّةٌ وَبِهِ خُمُولٌ	إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ لَا يُشَارُ

الْأَخْيَارُ يَقُولُونَ: هِيََا نَصُومُ قَبْلَ أَنْ نَمُوتَ، وَالْأَشْرَارُ يَقُولُونَ: هِيََا نَأْكُلُ قَبْلَ أَنْ نَمُوتَ، لَا تُنَافِسُونَ إِلَّا فِي الْمَعَاوَنَةِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَأَمَّا التَّعَاوُنُ عَلَى الْمَنْدَرِ وَالْفُسْحَةِ كُلِّ يَشَوْرَ لَهُ، خَلُّوْهَا صُحْبَةً لِلَّهِ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ صُحْبَةَ الْفَقِيرِ كُلُّ يَبْذُلُ جَهْدَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَيَرَى أَنَّهُ مُقَصِّرٌ، كَمَا قِيلَ: لَيْسَ الشَّأْنُ شَهُودَ التَّقْصِيرِ فِي التَّقْصِيرِ، وَإِنَّمَا الشَّأْنُ شَهُودُ التَّقْصِيرِ

في التشمير، وإلا شُفوها صُحْبَةً كَذِب، خَلُّوا الوادي يتَنَوَّرُ وقبائله يهتدون إذا عاونتم. وقصّروا أملككم في الدنيا حتى تسهّل عليكم المعاونة.

□ كان رجلٌ شَيْبَةً من آلِ شاووش خادم آلِ علي الحَاج، في أَيَّامِ والدي عمرَ رضيَ الله عنه، إذا جاء الوالدُ من تَريمٍ وأتفقَ به قال له: يا سيد عمر، جيئت من تَريمٍ من عندِ أخيك محمد؟ يعني الحبيبَ مُحَمَّدَ بنِ سُمَيْط. فقال له الوالد: نعم. قال: كَثُرَ الاجتماعُ أنت وأخوك، فإنّ الدارَ دارُ فِراق، يقولُ له في كل مجي من تَريم. وكان الوالدُ في تلك الأَيَّامِ يأخذُ في تَريمَ نحوَ ستَةِ أشهر. قال الوالد: يَعْظُنِي كُلَّ وَقْتٍ بكلامه.

قال سيدي: وأنتَ خُذِ الموعظةَ لِنَفْسِكَ ممَّن كان، ولو كان كافراً.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: حَسُنُ الظَّنُّ في كُلِّ مُسْلِمٍ متعيّن، ولو هو مُخَلَّط، لأنّ الخاتمة ما حَدَّ يَعْلَمُ بها، يَعْلَمُ الله ماذا تكونُ الخاتمةُ عندَ الموت.

□ رأيتُ الوالدَ عمرَ رَحِمَهُ الله كأنه في مجلسٍ ويذكرُ رجلاً ممَّن قد ماتَ من المُخَلَّطِينَ، ما بأقول لكم به، لأنّ حالته زِعْلُهُ، فقال الوالد في الرؤيا: خَتَمَ اللهُ له بالإحسان، أو كما قال سيدي. حتى أنكم تُحْسِنُونَ الظَّنَّ بكلِّ المسلمين في الباطن.

ومن بابِ الأمرِ والنهي: أَعْطِ الظَّاهِرَ حُكْمَهُ، قال سيدنا عبدُ الله الحداد:

وأحْسِنِ الظَّنَّ بالمسلم ولو كان نافي واحذرَ الفاسقين أهلِ الرِّيبِ والنفاق^(١)

وقال رضي الله عنه: تأهبوا لمواهب الله حتى تقع لكم، فمواهب الله سبحانه عريضة، وحكمته تقضي أن لا توضع الموهبة في من يدنسها بالبول والغائط، بوضعها في غير محلها وأهلها، وإن كان كرمه تعالى يعطي من يستأهل وسن لا يستأهل.

كما أن من معه خلعة فاخرة، فإن حكمته تقضي أن لا يعطيها طفلاً صغيراً يدنسها بالبول والغائط، بل يعطيها من يتحفظ عليها.

وكذلك الوالي العادل، نرجو من الله أنكم إذا أقبلتم على أهليكم وعلمتوهم العلم الواجب واستقمتم، أن يكرم نحن الله بوال عادل، لكن إذا تأهلنا للموهبة، لأنه من مواهب الله تعالى.



وقال رضي الله عنه يوم الأحد ٢٢، اثنين وعشرين جماد الأول سنة ١٢٥٦: الحلال كثيرٌ بالنسبة للقانع، وقليلٌ بالنسبة للمتوسّع، يضيقُ عليه الحلال، الزموا القناعة والاقتصاد حتى تطيب لكم المعيشة.

وسأل بعض السادة الواصلين من (تريم) عن الحبايب أهل الفضل: الحبيب عبد الله بن حسين^(١)، والحبيب عمر بن زين الحبشي^(٢)، والحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى^(٣)، والحبيب عبد الله بن علي بن شهاب^(٤)، فأخبره أنهم بعافية إلا السيد فلان معه رياح، قال: الله يقوي ما ضعفت منا ومنهم (ثلاث مرات)، والله يبارك لنا فيهم.



وقال رضي الله عنه مذاكرةً على قراءة الحبيب عمر بن محمد في «الإحياء» في كتاب الصُّحبة من «الإحياء» هذا البيت:

إنّ الكرام إذا ما أيسرُوا ذكروا من كان يألُفُهُم في المنزلِ الخَشِنِ^(٥)
وقد أبدلَ قافيةَ هذا البيت سيدنا رضي الله عنه في الجيمية بقوله:
(في المنزلِ الحَرَجِ)^(٦)، كان الحبيب محمد بن سُميطٍ إذا كَتَبَ للحبيبِ

(١) هو الحبيب الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر، المتوفى بالمسيلة سنة ١٢٧٢هـ.

(٢) تقدم ذكره مرات.

(٣) مفتي حضرموت والعلامة الفقيه، توفي بالمسيلة سنة ١٢٦٤هـ.

(٤) علامة فقيه جليل، توفي بتريم سنة ١٢٦٥هـ.

(٥) من قصيدة لشاعر آل البيت: دعبل الخزاعي.

(٦) «الديوان» (٤٥).

عمرَ حامدَ كتابَ مكاتبةٍ يكتبُ هذا البيتَ، والإمامُ الغزاليُّ أبو آلِ باعلوي
وينتسبونَ إليه، انظروا كلامَ العيْدروسِ في مدحه ومدح كتبه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: من أهمُّ إصلاحِ ذاتِ البين: إقامةُ الوالي
العاقل، والسعيُّ فيه، ولا نَحْنُ شيءٌ ولا على شيءٍ إلا إذا قُمنَا فيه، ما
تنقضي حاجةُ ساكت. أو كما قال.

* * *

صَلَّيْتُ الصَّبْحَ خَلْفَ سَيِّدِي يَوْمَ الْأَحَدِ سَلَخَ جُمَادَى الْأُولَى فَقَرَأَ فِي
الْأُولَى: ﴿وَالضُّحَى﴾، والثانية: ﴿الَّذِي نَشْرَحُ﴾، وَقَفْتُ فِي الثَّانِيَةِ، وَجَهَرَ
بِالْثَّنَاءِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

* * *

وقال رضي الله عنه في مدرّس الجُمُعَةِ فاتحةَ جمادى الآخرة سنة ١٢٥٦هـ، مذاكرةً على قراءة الحبيب عمر بن محمد في «الحديقة» مقالة سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ...) إلى آخر المقالة: هذه المقالة عظيمة، احفظوها وكرّروها، واطلبوا من الله التوفيق لذلك، ولا يقدر على الحلال من بايتأنق في المعيشة، يضيق عليه، ومن قنع بالدُّون في العيش، وبالدُّون في الكساء، قدّر عليه، وعبر الدنيا في راحة، أو كما قال.

* * *

وسأله رضي الله عنه عن قوله عليه السلام في الدعاء الوارد في الخروج إلى المسجد: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سُمعة، بل خرجتُ اتقاءَ سخطك وابتغاءَ مرضاتك»^(١). إلخ، ينوي به الإنسان الدُّعاء، لأن فيه شائبة التحدُّث؟ فقال: ينوي متابعة الرسول عليه السلام، وحقيقته إلا شكرُ نعمة الإسلام، وأتى بقصة الشيخ الذي مرَّ مع خروجه إلى المسجد هو وتلامذته على نصرانيٍّ مع جماعته يريدون الكنيسة، وقد مرَّت في هذا «المجموع».

* * *

قال رضي الله عنه ليلةَ الربوعِ آخرَ رجبِ سنة ١٢٥٦هـ مُذاكرةً عند قول الإمام الغزالي في «البداية»: (ولا تظنَّ أنها تسلمُ لك نيةٌ صالحةٌ في طلبِ العلم وفي قلبك شيء من الحسدِ والرياءِ والعُجب...) إلخ.

(١) رواه ابن السني (٨٤) في «عمل اليوم والليلة».

قال رضي الله عنه: استنصحووا هذا الإمام، واحفظوا هذه الكلمة، فإنها خبرٌ داخٍ؛ لأنه رضي الله عنه قد شاهدَ جميعَ ذلك في أول أمره، حتى أنه صنَّفَ كتاباً سماه «المنقذ من الضلال»^(١) تحدَّثَ فيه بالنعمة، يقول فيه: (قد وقعنا في كذا، وقد وقعنا في كذا)، فتداركه الله، وتداركه به الأمة المحمدية حتى صار حُجَّةَ الإسلام رضي الله عنه ونفع به، آمين.



وفي رُوحَةِ لَيْلَةِ الثَلَاثَاءِ آخِرَ شَهْرِ الْحِجَّةِ مِنْ آخِرِ سَنَةِ ١٢٥٦ هـ، كان رضي الله عنه جالساً في مسجدِ الجامع بين الساريتين نجدِيَّ المنبر، فقرأ آخرَ أبياتِ «العروة الوثيقة» حتى وصلَ إلى قوله: «وصلَّ على الرسولِ بغيرِ لبسٍ»^(٢)... إلخ.

(١) كتاب شهير، مطبوع.

(٢) وهي:

فيا مَنْ مَنْ بالصفحِ الجميلِ أدمَ كرمًا وسامحًا بالقَبُولِ
لأعمالٍ روائِحَ أو غَوادي
إلهي، اغفِرِ الذنْبَ العظيمَا بفضلكَ، واهدِنَا السَّنَنَ القَوِيما
وَلَا تُشِمِتْ بنا يَوْمَ التَّنَادِي
وأصلِحْ ذاتَ بينِ المسلمينا وصيِّرْ قُطْرَنَا بلدًا أَمِينا
وعُمَّ الأمنَ في كلِّ البلادِ
وصلَّ على الرسولِ بغيرِ لبسٍ إلى الثقلينِ من جنٍّ وإنسٍ
صلاةً لا تؤوِّلُ إلى نَفَادِ
أجلَّ الرسلِ منزلةً وقدرا ورحمةً ربِّنا دنيا وأخرى

فقال: رأيتُ النبي ﷺ جالساً في مكاني هذا، فشكوتُ إليه عدمَ شَوْفِ عيوني، فقال عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام: بالكَلْيَةِ بالكَلْيَةِ؟ فقلت: بالكَلْيَةِ بالكَلْيَةِ. وأخذَ سيدي رضي الله عنه لياليَ يجلس للزَّوْحَةِ في ذلك المكان، والله أعلم.

* * *

وقد انتهى ما يَسَرَّ الله جمعه من كلام سيدنا، والله أعلم وأحكم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين^(١).

لِكُلِّ الْعَالَمِينَ بِلَا عِنَادٍ

=

وَكُلِّ الْأَلِ وَالصَّحْبِ الْكَرَامِ فَشَرَّفَ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ
وَكُلُّ مُهْتَدٍ مِنْهُمْ وَهَادٍ

(١) جاء في نسخة (شباب):

«وكان الفراغ من كتابته ضَحْوَةَ الثَّلَاثِ وعشرٍ خلت من ربيع الأول، سنة ١٣١٢ خلت من الهجرة، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم». اهـ.
وجاء في نسخة (تريم):

«وكان الفراغ من كتابته ليلةَ الربوع في شهر القعدة سنة ١٣٥٢هـ، بقلم الفقير إلى ربه المتين: محمد بن علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب الدين، تَمَّ بترميم». اهـ.

* * *

يقول العبد الضعيف، المفتقر إلى رحمة مولاه الخبير اللطيف، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن سالم باذيب، الشبامي الحَضْرَمِي، المتشرف بجوار السيد الإمام أحمد بن عمر صاحب هذا الكلام، في المدينة المحروسة شبام، والراجي=

ملحق

ومن كلامه^(١) رضي الله عنه، من خَطَّ مَنْ نَقَلَهُ: سيدنا الحبيب مصطفى بن عبد الرحمن بن محمد بن سُمَيْط^(٢) رضي الله عنهم:

قال رضي الله عنه ونفعنا به: إني سمعتُ رجلاً يقرأ «ورد الحبيب عبد الله الحداد الكبير» ورثيتُ له، لو أنه يقرأ «الورد اللطيف» ويتدبره أحسن له، ومثلُ هذا من يُهْذِرُ الأذكار، كما القطعةُ التي يدخلُها الماءُ ويخرجُ.

* * *

وقال رضي الله عنه: الدِّيور خَلَّتِ الناسَ طيور.

* * *

وقال رضي الله عنه: العلمُ سُنبُوق^(٣)، والقرآنُ مركَّبٌ، ولا يصلُ [إلى] المركَّبِ إلَّا بالسُّنبُوق.

= من كرم مولاه أن يحشره في معيهم تحت لواء سيد المرسلين ﷺ في يوم الدين: إني قد فرغت من وضع هذه التعليقات ضخوة الثلاثاء، ٢٩ من محرم الحرام من شهور عام ١٤٢٤هـ، جعلها الله سنة نصر وظفر للإسلام والمسلمين، أمين. جعل الله ذلك خالصاً لوجهه الكريم، ومقرباً إلى جنات النعيم. والحمد لله رب العالمين.

(١) هذه الزيادة في نسخة تريم.

(٢) توفي -ندود ١٢٦٠هـ، ولم يُعَقَّب.

(٣) السنبوق - كعصفور -: زورق صغير.

وقال رضي الله عنه: إذا سَلِمَ العُود، الخيرُ يُعود، والعُود: الدِّين.

* * *

وقال رضي الله عنه: القهوة بهوة، آفةٌ على الفقراء والمساكين، وعلى أهل الدين، لأنهم اتَّخَذُوها في اللهو والغفلة، والسلفُ [ما] يمدحونها إلَّا لمعونتها على الطاعة، لأن للوسائل حُكْمَ المقاصد.

* * *

وقال رضي الله عنه: يوم حضر موت أرض مباركة حسدهم إبليس، راحوا تغرَّبوا.

* * *

وقال رضي الله عنه: الدنيا بحر، ما ينجو منها إلَّا القانع.

* * *

وقال رضي الله عنه: ما سببُ خرابِ الدِّينِ إلَّا السكوتُ عن النصيحة، ولو تناصَّحوا كان صلحوا الناس.

* * *

وقال رضي الله عنه عشرَ ظفرِ سنةٍ ١٢٤٢ ونحن طالعين من (خُبَاية) من مسجدِ والدِه وهو يذكرُ المعاونةَ على الخيرِ من الذين لا يُؤْبَهُ إليهم، وإلَّا المنظورين ما مِنْهُمْ معاونة.

* * *

وقال رضي الله عنه: مَنْ لَا يَسَاعِدُ عَلَى تَعْلِيمِ الصَّغَارِ أَمَرَ دِينَهُمْ قَبْلَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ لَا يَمْدَحُ الْعُلَمَاءَ وَلَا يَذُمُّ الْعَاصِي، وَلَا هُوَ شَيْءٌ وَلَا بَعْضُ شَيْءٍ، وَطَرِيقَةُ أَهْلِهِ أَقْدَمُ عَلَى طَرِيقَةِ رَبِّهِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: أَهْلُ حَضْرَمَوْتَ حَاجَّتُهُمْ إِلَى الْعِلْمِ وَافِرَةٌ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ سَفَرٍ، يَحْتَاجُونَ إِلَى التَّيَمُّمِ وَالْقَصْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: الْأَوَّلِينَ مَدَحُوا الصَّلَاةَ بِأَفْعَالِهِمْ، وَبَنَوْا مَسَاجِدَ، وَتَصَدَّقُوا عَلَيْهَا بِأَمْوَالِهِمْ، وَقَالُوا: لَا نَغْبِطُ الْحَيَّ إِنَّمَا نَغْبِطُ الْمَيِّتَ، وَعَظَّمِ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ تَعْظِيمِهِمْ لِرَبِّهِمْ.

* * *

وقال: شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ فِيهِ وَجْهَانِ: وَجْهُ لِدُنْيَا وَوَجْهُ لِلْآخِرَةِ، هَذَا الَّذِي يُسَاعِدُونَهُ عَلَيْهِ النَّاسُ، مِثَالُهُ: مَنْكَرٌ فِي بَيْتِكَ تَشَاهِدُهُ: تَهَاوَنٌ بِالصَّلَاةِ، وَإِذَا شُفَّتْ فِي الْغَيْرِ شَيْءٌ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ أَنْكَرَتْ عَلَيْهِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: الْأَوَّلِينَ حَقُّهُمْ لَهُمْ، تَصَدَّقُوا بِهِ وَبَنَوْا بِهِ مَسَاجِدَ، قَدَّمُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ، وَحَقُّنَا مَا هُوَ لَنَا، هُوَ إِلَّا لِلْوَارِثِ، إِمَّا يَسْعَدُ بِهِ، أَوْ يَشْقَى بِهِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: مِنْ حَقِّ الْقُرْآنِ: تَعْلُمُ النُّحُو.

* * *

وقال رضي الله عنه: يَنْبَغِي لِلرِّجَالِ أَنْ يَذْكُرُوا النِّسَاءَ بِالْحَجِّ، وَيَعْظُمُونَهُ، لِأَجْلِ يَمْتَنُّ وَهُنَّ حَسَارَى عَلَى الْحَجِّ.

* * *

وقال رضي الله عنه: الْجَاهِلِيَّةُ دَفَنُوا بَنَاتِهِمْ حَيَّاتٍ، وَنَحْنُ دَفَنَّا أَوْلَادَنَا بِالْجَهْلِ.

* * *

وقال رضي الله عنه: السَّبَاقُ السَّبَاقُ إِلَى نَعْشَةِ الدِّينِ، اخْدُمُوا الْعِلْمَ، مَا مَنْ يَعْلَمُ عِيَالَهُ إِلَّا يَرْبِحَ، وَعَلَّمُوهُمْ الْقِنَاعَةَ حَتَّى يَصَلُّوا صَلَاةَ مَسْمُوحَةٍ، الْقَانِعُ صَلَاتُهُ رَاجِحَةٌ.

* * *

وقال رضي الله عنه: إِذَا شَفَتَ طَالِبُ الْعِلْمِ اخْدُمَهُ لِأَجْلِ يَعْظُمُ الدِّينُ عِنْدَ أَهْلِكَ، السَّبَاقُ السَّبَاقُ، اللَّحَاقُ اللَّحَاقُ!

* * *

وقال رضي الله عنه: تَبَصَّرُوا لِدِينِكُمْ إِنْ بَغَيْتُوهُ يُنْعَشَ.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا احتفلتوا بكلام الحبيب عبد الله الحداد
احتفل بكم الزمان.

* * *

وقال رضي الله عنه: الزَّيَّان يقولون: هيا نُصَلِّيْ قبلُ نموت، والعِياف
يقولون: هيا نَأْكُلْ قبلُ نموت، وإذا عَرَضَتْ فائدةٌ انقلوها واعقلوها، وكان
يُنْشِدُ كثيراً هذين البيتين:

فَخَفَ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُمْ كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَبَاتِ^(١)
وَجَالِسَهُمْ وَزَايِلَهُمْ حِذَاراً وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ إِذَا لُمِسْتَا

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا ما عَرَفْتَ مجلس هل يُفِيدُكَ حضوره أم لا؟
قَدِّرِ المَوْتَ بايجيك وأنت فيه، فإن كنتَ تَرْضَى فِسْرَ إليه، ومثله: العلوم،
والكُتُبُ، والحاصل: اعْرِضُوا جميعَ أفعالِكم على الصَّيرَفِيِّ وهو الموت،
لأنه ميزان، زِنُوا جميعَ أفعالِكم وأقوالِكم عليه.

* * *

وقال رضي الله عنه: لو أدركَ بحرقِ الحبيبِ عبد الله لكان يستشهدُ
بكلامِ الحبيبِ عبد الله.

* * *

(١) السبنت: كل ذي ناب.

وقال: ما جهتنا إلا زينة، طعامها خيرُ الطعام وتمرها كذلك، عسى الشكر.

* * *

وقال: الحسرة على الخير أعظم من فعل الخير.

* * *

وقال: لا حدّ يئأس من كرم الله، والله يعطي التالين ما أعطاه الأولين، ما حدّ يحكم عليه.

* * *

وقال: من لا تأدّب في الصغر ما تأدّب في الكبر.

* * *

وقال: من العمل بالعلم: تعلّم أهل دارك، ومن قلّ العمل بالعلم: قلّ تعلّمك لأهل بيتك، فعلموا أهلكم.

* * *

وقال: لسان حال النساء ومن ضاههنّ يقولون لصاحب البيت، إذا أراد أن يخرج إلى زيارة وليّ أو مجلس علم غير واجب، فضلاً عن مجالس قال وقيل: هل يسوغ لك أن تخرج ونحن جاهلون شرائع الإسلام ولا تجلس تعلّمنا ذلك؟ وما يُدريك؟ لعل الموت ينزل فجأة بنا أو بك، فموت أو تموت ونحن جهّال نتعلّق بك يوم القيامة نختصم إلى الله، ونقول: يا ربّنا، خذ لنا حقنا منه، فإنه ظلّمنا، ما علّمنا شرائع الإسلام؟

وقال: المطلوب من كلِّ إنسان أن يُقبل بمكتبته على تعليم أهله العلم الواجب مدى شهر زمان، يتعلّمونه ويذكرون غيرهم في ذلك.

* * *

وقال: أهلُ الشحرِ يُغَطُّونَ بسببِ ابنِ بُريكَ^(١)، لأنَّ قَدَهُ رأسُ يعاون، الله يزيدهم، عليهم إلّا يشكرون.

انتهى. من «سفينة» من نقلها من مجلسه سماعاً.

* * *

سمِعْتُهُ يوماً في الجامع يقول: حَصِّلُوا شَيْءَ مِنْ لَا شَيْءٍ، يعني: الدنيا لا شيء، إنها فُوت ومُوت، كُلُّهَا مُصَائِبٌ، واليوم بَتُّوا لطلبِ الدنيا مَقَارِبَ الصَّينِ، والمطلوب إلّا الدِّين ولو إلى الصَّينِ، عَكَّسُوا فَعَكَّسُوا.

وَزَمَانٍ عُكِّسَتْ أَحْوَالُهُ صَارَ فِيهِ الْوَجْهُ فِي حَدِّ الْقَفَا

مَنْ يَسَافِرُ يَنْوِي التَّعَلَّمَ والتعليم، ولو إلى الحج، لأنه ما يَصَحُّ إلّا بالعلم، قَدَّمُوا الشَّرْطَ قَبْلَ الْمَشْرُوطِ، كُلُّ مَنْ مَعَهُ عَيْنِينَ يَتَغَانَمُ: يقرأ، وإلّا يَسْتَمِعُ، ولا يَطْرَحُ الْكِتَابَ إلّا إذا جَاءَ عِزْرَائِيلُ.

* * *

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ حَبِيبِي زَيْنَ رَأَى أَحَدًا — بَعْدَ مَوْتِهِ فِي طَرِيقِ

(١) يعني به السلطان ناجي بن علي بن بريك المتوفى سنة ١٢٤٢هـ.

هودٍ — كأنه راكب، وقال له: أَغْبِطُكَ عَلَى مَوْتِ الْغُرْبَةِ، يعني: بشبام،
ويوم ولدك محمد!

* * *

قال رضي الله عنه: الْفَخْرُ إِلَّا هَكَذَا بِالْأَوْلَادِ، عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ
وَاعْتَنُوا بِهِمْ يَكُونُوا قَرَّةَ عَيْنٍ لَكُمْ، أو كما قال.

اعْتَنُوا بِحِفْظِ الْإِسْلَامِ وَاشْكُرُوا عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، أعطاك إياها يا
هَبِيلَه سهلة، وأَحْرَمَهَا أَبُو نَبِيٍّ وَعَمَّ نَبِيٍّ وَوَلَدَ نَبِيٍّ، يعني: إبراهيم، وعمَّ
النَّبِيَّ ﷺ، وولدَ نَبِيٍّ اللهُ نوح.

إنما مثَلُنَا: مثَلُ صَبِيٍّ لَبَسُوهُ خَلْعَةً فَآخِرَةً عَظِيمَةً، راح يبول فيها، ما
يعرفُ قَدْرَهَا، وأين مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ؟ قال اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَلِيلٌ
مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

* * *

وقال عندَ ذِكْرِ الْقَنَاعَةِ: مَصِيبَتَانِ عَلَى الْحَرِيصِ، يعني عندَ المَوْتِ،
إنهم يأخذونه عليه كلُّه، ويحاسبونه عليه كله، يعني المال.

* * *

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: هُمُّوا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِالْهَمِّ الْعَالِيَةِ، لا بِالرَّمِّ الْبَالِيَةِ.

* * *

إذا قَوِيَ الْإِيمَانُ كَثُرَ الْامْتِحَانُ.

* * *

لَطْفُوا المعاش، واقْتَعُوا بتمرِ الصَبْحِ وَخُبْزِ اللَّيْلِ.. وجم ممن يَطْلُبُ
الحلال.

* * *

مثالُ الحلالِ إلا: كَمَنْ بایشربَ - اليوم - من ماءٍ كَدِرٍ جَمٍّ، يفعلُ
على الإناءِ خرقةً ويمضُ الماءَ مصّاً، حتى يشربَ الصافي.
هذا الزمانُ الذي عمَّ الحرامُ بهِ والظُّلمُ من غيرِ ما شكُّ ولا جدلٍ^(١)

* * *

وقال: افعلوا طاسةً ويبرقُ وبُندق، يُضربُ لوقتِ الصلاةِ كنهارِ
الجمعة. إعلام، لأجلِ يحضرون تكبيرةَ الإحرام والمذاكرة، لأن العلمَ
شرطُ الصلاة^(٢).

* * *

كونوا قدوةً لأهلِ الجهة: غُرفةً وسيون وغيرهما، وأسسوا الخيرَ
لعيالكم من بعدكم، وهُمُّوا بهذا الأمرِ^(٣)، يكرمكم اللهُ بوالِ عدلٍ، إذا علمَ
صدقكم.

(١) البيت للإمام الحداد. «الديوان» (٤١٥-٤١٧).

(٢) أي: كالذي يُفعل أيامَ الزيارات المعروفة في حضرموت، وأيامَ الأحوال، والجمعة
وغيرها مما يستخدم كوسيلة للإعلام وتنبيه الناس على ذلك، فهو يرى أن فعل
ذلك للصلاة لكي يتنبه الناس ويأتوا مبكرين؛ لأن الناس صاروا يتأخرون عن
التبكير، وهذا فعل عم في غالب بلاد الإسلام، في الجمعة وغيرها.

(٣) أي: أمر الدعوة إلى الله تعالى.

كفاكمُ الوالي عنِ المطلوبِ الجميعِ وقام به، أو كما قال.
 يقولون: الفرنجي أخذ عدن؛ من قِلِّ التذكير^(١).
 انتهى، من «سفينة» المنور عبد الله بن أحمد باذيب^(٢).



[خاتمة الملحق]:

هذا ما اتفق من نقلِ كلامِ سيدنا وشيخنا وعمدتنا وغوثنا وناصحنا
 في الله ورسوله وداعينا إلى ما فيه صلاحنا، البركة الشاملة للكون،
 والرحمة العامة للجميع، الحبيب الشهاب أحمد بن سيدنا شجاع الدين
 عمر بن الحبيب زين بن علوي بن سُميط، نفع الله به، آمين.



وكان الفراغُ من كتابة هذه النسخة، يومَ الجمعة، أربعَ عشرةَ خلَّتْ
 من شهرِ صفرِ سنة ١٣٥٤، بقلمِ الفقيرِ إلى الملكِ الوهابِ عبدِ الرحمن بنِ

(١) أي: ما سبب دخول الاستعمار واحتلاله بلاد المسلمين إلا بسبب الغفلة عن ذكر
 الله وعن التذكير بالواجبات، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا
 كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾. ويقصد بالفرنجي: الإنجليز عندما احتلوا عدن
 بعد توقيع معاهدة الصداقة بين سلطان لحج وشركة الهند الشرقية، في ١٨
 حزيران ١٨٩٦م، وتفصيل ذلك يطول.

(٢) لعله الشيخ عبد الله بن أحمد باذيب لعجم، كان من العلماء الصالحين، توفي
 أوائل القرن الرابع عشر، تنظر ترجمته في كتابي «بغية الأريب».

عَيْدَرُوسَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ شَهَابِ الدِّينِ، عفا اللهُ عنه وعن والديه، وعن جميع المسلمين، آمِينَ اللَّهُمَّ آمِينَ، والحمدُ لله ربَّ العالمين، في بندرٍ باكلنقانٍ جاوِه^(١).



(١) وكان الفراغ من وضع التعليقات على هذا الكلام المبارك النافع، ضحوة الثلاثاء تاسع عشري محرم الحرام من عام ١٤٢٤هـ، أربعة وعشرين وأربعمئة وألف، ثم كانت مراجعته والنظر فيه في شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٢٥هـ وتمت ليلة الاثنين ٦ من شهر رجب الحرام من نفس العام، وقد شاركني في تصحيحه وقراءته أستاذنا الفاضل أحمد بن محمد بن عمر بركات الشبامي جزاه الله خيراً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، كتبه العاجز الضعيف محمد بن أبي بكر ابن عبد الله بن سالم باذيب عفا الله عنه وعن والديه وشيوخه أجمعين، آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نَقِيرُ الشَّيْءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَقْدُ رِثَاةِ الشَّيْخِ فِي تَرْتِيبِ طَنَفَةِ الْجَامِعِ

رسالة تبين

ترتيب وظائف الصلوات والأذكار في جامع شبام حضرموت
الذي رتبته الإمام أحمد بن عمر بن سميطة رضي الله عنه

جمعها

المُعَلِّمُ الْفَقِيهُ الشَّيْخُ عَوَظُ بْنُ مُحَمَّدٍ سُدَيْسُ عَقْبَةِ الشَّيْبَانِي

المتوفى بشبام سنة ١٢٩٩ هـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

اعتنى بها

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ



مكتبة دار الحديث في الرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

الحمد لله على ما وفق وألهم، وسدد وهدى وأرشد وقوم، وصلى الله على خيرته من خلقه، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فيسعدني أن أقدم للإخوة القراء الكرام هذه الرسالة الموجزة المفيدة، من مؤلفات علماء شبام الأفاضل، طريفة في موضوعها، مفيدة في بابها، وهي من نواذر المؤلفات، ومن الطُرف والتحف المستجادات.

دبجتها يراعة عالم فقيه صالح، تولّى إمامة المسجد الجامع في مدينة شبام بحضرموت مدة تقرب من الخمسين عاماً أو تزيد، عاش حياته كلها في أجواء القرن الثالث عشر الهجري.

وتكمن أهميتها في: أنها لم يؤلف مثلها في بابها أحد من علماء حضرموت فيما أعلم، وفي أنها تصوّر لنا الحياة والبيئة العلمية في شبام في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، وتوضح منهجاً وأسلوباً في ترتيب الوظائف المقامة في مسجد جامع شهير في حضرموت، وهو: جامع شبام، أحد أشهر وأقدم مساجد ذلك الوادي المبارك.

وتفيدنا هذه الرسالة في بيان اهتمام أهل ذلك الوقت بشعائر الدين الإسلامي الحنيف، وحرص الدعاة إلى الله — من أكابر العلماء — على دعوة

العامّة، وتقريب مسائل الدين إلى أفهامهم، واتخاذ أسلوب هو في الحقيقة من أنفع الأساليب لتلقين مسائل الدين، وحفظها، وهو أسلوب التلقين الجماعي . وقد نجحت تجربة الدعاة إلى الله في العمل بهذا الأسلوب، وأثمرت جهودهم تمسك العامة بالدين، وحفظهم للمسائل الضرورية والفروض العينية التي يتحتّم عليهم معرفتها، وهذا أمرٌ مشاهدٌ للعيان، رآه من قبلنا، ولا زلنا نلمس أثره إلى اليوم .

ولكن المصيبة الكبرى هي في التنكّب عن أعمال السلف الصالح، والوقوف أمامها موقف الاعتراض والإنكار، وتلقيها بنوع من الجفاء والتعالي .

وكأن أولئك السلف ابتدعوا شيئاً جديداً في الدين ! والحقيقة إنهم نظروا - بسديد فكرهم - إلى المقاصد، وسهّلوا السبل والوسائل لسلوكها، فسلكها من سلك، وتخلّف عنها من تخلّف .

ينبغي لنا - معاشر الإخوة - أن ننظر بعين الاعتبار إلى سلفنا، وألا نحكم آراءنا العجلى برميهم بما يشين، ما لم يكن منكراً حقاً، أو فعلاً يخالفه الشرع بالتأكيد .

وختاماً، أهدي هذه الرسالة وما قمتُ به من جهد متواضع في تحقيقها والتعليق عليها، ووضع بعض المقدمات المفيدة والنافعة بين يديها، إلى كل محب للعلم والمعرفة، وراغب في التعرف على ما كتبه الأوائل .

وإلى كل الإخوة الباحثين، وإخواننا الشّباميين، وكل من أحب هذه الدّمنة الصفراء العالية، شبام حضرموت :

بلاذُ بها نيطتُ عليّ تمائمي وأولُ أرضٍ مسَّ جلدي تراؤها
 وأسألُ اللهَ أن يوفّقني للاستمرار في إحياءِ تراث هذه البلدة العتيقة،
 وبعثِ ما دوّنهُ علماؤها الأجلاء، وفقهاؤها الأتقياء، وكلُّ ما يُمثُّ إليها بصلةِ
 العلم والدين، دَعَكَ من التغني بها وبتراثها وعراقتها، فإن البلاد لا تحيا إلا
 بإحياء مآثرها العلمية، ومآثر أهلها الصالحين، أما المباني فإنها أعراضُ زائلة،
 وهي عُرضة للزوال اليوم أو غداً، على أن الحفاظَ عليها واجبٌ لا محيصَ
 عنه.

وإذا نظرتَ إلى البلادِ رأيتها تشقى كما يشقى الرجالُ وتسعدُ
 إند نعلي شبابَ العلم، شبابَ الدعوة إلى الله، شبابَ التقوى والصلاح.
 هذه هي شبام التي نعرفها، ويعرفها أهلها الذين صنعوا مجدها وتاريخها،
 ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

واللهُ وليُّ التوفيقِ والسداد

وكتب حامداً ومصلياً
 محمدُ بنُ أبي بكرٍ بن عبد الله بن سالم باذيب
 الشبامي الحضرمي، عفا الله عنه

جَنَّة
 في ١٣ محرم الحرام ١٤٢٤هـ

جامعُ شِباب^(١)

قال العلامةُ الجليل الإمامُ المحدثُ الفقيه عبدُ الرحمن بنُ أبي بكرٍ باسْرَاحيل^(٢) الشَّبامي، المتوفى سنة ٨٨٨هـ، في كتابه «مِفْتَاحُ السُّنَّةِ»^(٣): (وفي سنة ٢١٥هـ بُنيَ جامعُ شِباب، وهو كالقُطب الذي تدورُ عليه غالبُ شعائر الدِّين بِشِباب). انتهى^(٤).

(١) كتبت عن المسجد الجامع مقالة نشرت في مجلة شهرية تصدر في (تريم) تسمّى (المنير) في العدد الرابع من السنة الأولى، في ربيع الأول ١٤١٩هـ / يوليو ١٩٩٨. كما كتب أخي عمر مقالاً واسعاً - في صحيفة (٢٦ سبتمبر) اليمنية - عن شِباب، وتطرق إلى ذكر الجامع.

(٢) ترجمته في كتاب «قلادة النحر» للإمام المؤرخ الطيب بامخرمة (المتوفى بعدن سنة ٩٧٢هـ)، وسماه العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: محمد بن عبد الرحمن، والصواب ما ذكرناه هنا.

يقال: إنه أدرك الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد الشبامي المتوفى سنة ٨٠١هـ، فيكون مولده في أواخر القرن الثامن، لكنه - يقيناً - أخذ عن الإمام يحيى العامري الحرّضي مؤلف «بهجة المحافل» وقرأ عليه علم الحديث، ثم أقام ببلدة (الحمراء) بلحج عند السيد الشريف عمر بن عبد الرحمن باعلوي، وبها كانت وفاته في التاريخ المذكور، وصلى عليه إماماً الإمامُ العلامةُ المفتي عبد الله بن أحمد بامخرمة الذي توفي بعدن سنة ٩٠٣هـ.

(٣) ينظر كلام السيد عبد الله الحبشي عن هذا الكتاب في مقدمة «تاريخ شنبل»: (ص ٧).

(٤) هذا لنقل اعتمدته من كتاب «إدام القوت» لابن عبيد الله السقاف.

وله أوقافٌ تُنسبُ إلى الخليفة هارون الرشيد الذي توفي سنة ١٩٣ هـ، وهذا شاهدٌ على أن بناءه كان متقدماً على هذا التاريخ الذي ذكره باسراحيل .

ولا شك أن أصل الجامع قديم، وإنما توالى عليه العمارات والتجديدات في عهود وأزمنة مختلفة ومتباعدة .

وقد أجمع المؤرخون أن الصحابي زياد بن ليلى البياضي الأنصاري، عامل رسول الله ﷺ على الزكاة بحضرموت، كان يُقيم متردداً بين شبام وتريم، أشهر بلدين في وادي حضرموت .

ومن البعيد عقلاً وشرعاً أن لا يوجد مسجدٌ يجمع المسلمين في بلدة شهيرة كمدينة شبام، ومع وجود أحد صحابة رسول الله ﷺ بين أظهرهم، هذا أمرٌ بعيد .

ومما لا شك فيه، أن أصل المسجد الجامع كان موجوداً من عهد النبوة، وكان الصحابي زياد المذكور رضي الله عنه يجمع أهل شبام فيه، إذ لا يتصور أن يتقدم أحد عليه، فكان ذلك هو أصل جامع شبام، المشهور بالبركة والروحانية وانسراح الصدر فيه .

جامع هارون الرشيد :

اشتهر المسجد بين المتقدمين والمتأخرين بنسبته لهارون الرشيد الخليفة العباسي الشهير، وما ذلك إلا لأن الخليفة هارون رحمه الله كان قد أمر واليه على حضرموت بتجديد عمارة هذا المسجد المأثور، وبعيد أن يأمر الخليفة بذلك إلا وللمسجد ذكرٌ وشهرة في أيامه، مما يزيدنا ثقةً وتأكيداً بوجوده منذ عهد النبوة، مثله في ذلك مثل مسجد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (المعروف بمسجد الأشاعر) بزبيد، ومسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه ببلدة (الجند) قرب تعز، رضي الله عنهم أجمعين .

وإنما لم يُشتهر جامعُ شِبابٍ باسمِ الصحابيِّ زيادِ بْنِ ليبيدٍ رضي الله عنه كما اشتهرت غيره من المساجد بأسماء الصحابة — كمن ذكرنا — لأن الاحتمال قائم أنه لم يَقم هو ببناؤه ؛ لأنه من المعلوم أن أهل حضرموت إنما أسلموا طواعيةً ، ودخلوا في دين الله أفواجاً ، وكان قد وفدَ ملكُهم وائلُ بْنُ حُجْرٍ الحضرميُّ رضي الله عنه على رسول الله ﷺ في قصته المعروفة .

فكان قدومُ الصحابيِّ زيادِ بْنِ ليبيدٍ رضي الله عنه إلى شِبابٍ بعد أن أقام الأهالي لهم مسجداً يصلُّون فيه الصلوات الخمس ، ويقيمون شعائر الدين من جمعة وجماعة . فلذلك لم يُنسب المسجد إليه .

عِمَارَاتُ الْمَسْجِدِ :

عُمِرَ المسجدُ مرَّاتٍ متعدِّدةً ، منها : سنة ٢١٥هـ كما قدَّمنا النقلَ عن العلامةِ بأشراحيل ، وذلك في ظلِّ الدولة العباسية .

ثم عُمِرَ أخرى سنة ٥٣٢هـ ، في أيام حُكمِ الدولةِ الرُّسُولِيَّةِ على بلاد اليمن وحضرموت ، وهي المرةُ الثانيةُ في تاريخِ حضرموت التي تُحكَّمُ هيَ واليمنُ عموماً تحت ظلِّ حاكمٍ واحدٍ ؛ وهو الملكُ المنصورُ عمرُ بْنُ عليٍّ الرُّسُولِي .

وكان الذي عُمِرَ من الجامع هو قبلته (مقدَّمه) ، قام بها والي شِبابٍ جميلُ بْنُ نصَّارٍ السَّعْدِي ، بأمرٍ من السلطانِ عبد الرحمنِ بْنِ راشدٍ ، سلطانٍ تريمٍ وشبَمَ لذلك العهد . فبان أن تلك العِمارةَ لم تشملِ الجامعَ كلَّه .

وفي أواسطِ القرنِ الثالثِ عشر :

قام بعضُ أهل الخيرِ من الأهالي بعِمَارَاتٍ متعدِّدةً ، وجدَّدوا السَّاسَ مراتٍ ، ولم نجدْ تواريخَ وإثباتاتٍ نذكرُها هنا لتلك العِمَارَاتِ ، سوى ما قام

الإمامُ الجليل الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُمَيْطَ بهِ مِنْ زِيَادَاتٍ فِي الْجَامِعِ،
يَشْتَمِلُ عَلَى الْبَرَكَةِ التَّجْدِيدِ وَالشَّرْقِيَّةِ، وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالْمَغْمَسِ .

فَقَدْ وَجَدْتُ بِخَطِّ بَعْضِ أَفَاضِلِ أَهْلِ شِبَامَ مَا نَصَّهُ : (تَارِيخُ عِمَارَةِ الْبَرَكَةِ
الْقِبْلِيَّةِ بِجَامِعِ شِبَامَ فِي سَنَةِ ١٢٤٣ ، بِإِشَارَةِ مَنْ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بْنِ
سُمَيْطَ ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ وَلَايَةِ عَمَرَ بْنِ جَعْفَرٍ . وَعِمَارَةُ الْبَرَكَةِ الشَّرْقِيَّةِ بِالْمَسْجِدِ
الْمَذْكُورِ سَنَةَ ١٢٤٥) . انْتَهَى .

عِمَارَةُ السَّاسِ عَامَ ١٣٤١ هـ :

وَوَجَدْتُ بِخَطُوطِ بَعْضِ أَفَاضِلِ آلِ بَاذِيبَ مَا نَصَّهُ : (عَمَرُوا الْعُصْبِيَّ حَقَّ
الْجَامِعِ الْقِبْلِيِّ فِي رَبِيعِ ثَانِي سَنَةِ ١٣٤١ ، وَبَحَثُوا فِي الْقَاعِ قَدَرَ قَامَةٍ ، وَوَجَدُوا
فِي بَعْضِ الْحَصِيِّ حَقَّ السَّاسِ (تَارِيخُ ٢٢٤) ^(١) ، وَفِي بَعْضِ الْحَصِيِّ كِتَابٌ مِثْلُ
الْعِبْرَانِيِّ ^(٢) . انْتَهَى .

وَمِنْ عِمَارَاتِهِ الْأَخِيرَةِ : عِمَارَةُ سَنَةِ ١٣٦٠ هـ :

وَتَمَّتْ عَلَى نَفَقَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ شِبَامَ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُمْ لَمَّا حَفَرُوا فِي
أَصْلِ الْمَنَارَةِ وَجَدُوا (عَضَادًا) مِنْ ذَهَبٍ ، أَيْ : شَيْئًا يُشَبِّهُ الْأَسُورَةَ ، فَقَوَّموه ،
فَوَجَدُوهُ يَفِي بِتَكْلِفَةِ بِنَاءِ الْمَنَارَةِ مِنْ جَدِيدٍ ، فَبَاعُوهُ وَبَنَوْهَا بِقِيمَتِهِ ، أَخْبَرَنِي

(١) وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى قَدَمِ سَاسِ الْجَامِعِ ، وَيَعُضِّدُ مَا قَدَمْنَاهُ مِنْ نَقُولٍ عَنْ ثِقَاتِ الْمُؤَرِّخِينَ .

(٢) لَعَلَّهُ يَقْصِدُ الْكِتَابَةَ الْمَسْمَارِيَّةَ (خَطَّ الْمَسْنَدِ) ، وَهِيَ كِتَابَةٌ كَانَتْ مُمْتَدَّةً فِي جَنُوبِ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَى عَصْرِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ ، وَهِيَ لُغَةٌ قَوْمِ سَبَأَ وَحِمَيْرَ ، وَلَهَا رَمُوزٌ خَاصَّةٌ
بِهَا ، وَتَنْتَشِرُ فِي حَضْرَمَوْتِ عَمُومًا ، وَفِي شِبَامَ وَنَوَاحِيهَا — كَجُوجَةٍ وَجَعِيمَةٍ — مِثْلُ
هَذِهِ الْكِتَابَاتِ . وَقَدْ كَانَ فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ فِي الضَّاحِي وَعِنْدَ السَّوَارِي
أَحْجَارٌ عَلَيْهَا كِتَابَةٌ كَهَذِهِ ، ثُمَّ اخْتَفَتْ بَعْدَ عِمَارَةِ سَنَةِ ١٣٦٠ هـ كَمَا يَقُولُ عَدَدٌ مِنْ
أَهْلِ شِبَامَ مِمَّنْ حَضَرُوا تِلْكَ الْعِمَارَةَ ، وَمِنْهُمْ : سَيِّدِي الْوَالِدُ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

بذلك سيدي الوالد.

ولما كَمَلْتُ عِمَارَةَ المِنَارَةِ سَنَةَ ١٣٦١ هـ أَرَّخَهَا الشَّيْخُ الأَدِيبُ أَحْمَدُ بْنُ
عمر شَمَاحِ الذي توفِّي في تلك السَّنَةِ بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

عِمَادُ التَّقَى العَمَلُ الخَالِدُ	بِفَوْزٍ مُقَارِنِهِ عَائِدُ
كِعْمَرَانِ آثَارِ بَيْتِ الإِلَهِ	لِإِرْتَاكِ فِيهِ الْفَتَى السَّاجِدُ
وهَذِي مَنَارَةٌ جَامِعِنَا	لَهَا فِي الْبِنَاءِ الْمَثَلُ الْوَاحِدُ
كَنْجِمٍ تَلَالُأً فِي بُرْجِهِ	فَمَنْظَرُهَا مُفْرَدٌ سَائِدُ
تَسَنَّى لِتَشْيِيدِهَا نُخْبَةٌ	زَكَا مِنْهُمْ الْفَرْعُ وَالْوَالِدُ
فَتَارِيخُهَا نَادٍ: (يَا مَأْثَرًا	بِفَنِّ مُؤَسَّسِهِ شَاهِدُ)
سَنَةِ ١٣٦١ = ١١ ٧٤٢	١٣٢ ١٦٦ ٣١٠

وكان المُشْرِفُ عَلَى تلكِ العِمَارَةِ الشَّيْخُ المَكْرَمُ مُحَمَّدُ بْنُ عبدِ اللَّهِ
دَحْمَانٍ بِلَفْقِيهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

ووجدتُ بخطَّ المرحومِ الشَّيْخِ عبدِ الرحمنِ قَطْنَ المتوفى سَنَةَ ١٣٩٧ هـ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ما نَصُّهُ: (وكانت عِمَارَةُ الضَّاحِي والرُّوَّاقِ في جُمَادَى الآخِرَةِ
من سَنَةِ ١٣٦٥، وهو حصَى مَرَبُوعٍ [مَرَبَّعٍ] الشَّكْلِ ملَحَّمٌ بالثُّورَةِ.

وعُمِرَتِ الجَوَابِي القِبْلِيَّاتِ وعدُّهَا (٨) ثمانِ جَوَابِي في شهرِ شعبانِ سَنَةِ
١٣٦٩. ثُمَّ صَبُّوا إِسْمَنْتَ عَلَى الحَصَى المَرَبُوعِ المذكورِ أعلاه على جميعِ
القاعِ حقِ المسجدِ، من القِبْلَةِ عِنْدَ المِنْبَرِ إِلَى عِنْدِ الأبوابِ الشَّرْقِيَّةِ صَبَّةً وَاحِدَةً،
في شهرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ١٣٨٨). انتهى. من خطِّ المذكورِ.

العِمَارَةُ الجَدِيدَةُ:

تَمَّتْ هَذِهِ العِمَارَةُ في سَنَةِ ١٤١٧ هـ على أنقاضِ المَبْنَى القديمِ، فَتَمَّتْ
إِزَالَةُ كُلِّ مَعَالِمِ المسجدِ القديمَةِ التي بناها وَسَعَى فيها الحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ عمرِ

ابن سُمَيْط في القرن الثالث عشر، فأُزيلَ المغمس والجوابي، وطُمِرَت البئرُ التي كانت تَسْقِي المسجد، وأُزيلت سِقَاية الماء المَسْبَلُ للشرب التي كانت إلى جوار الجامع من الجهة النجدية.

ولم يبقَ من المسجد الجامع القديم سوى جُدرانِه وأساساتِه، كما أُزيلت السواري القديمة وأُبدِلت بأخرى جديدة. حتى المِنبرُ غُيِّرَ، وأُبدِلَ بآخر جديد، وسنعرّضُ للمِنبر في السطور الآتية. . .

منبرُ جامع شِبام القديم :

بعدَ تمام تلك العِمارة الرُسُولية في القرن السادس الهجري، أهدى الملك المنصورُ عمرُ بنُ عليٍّ لجامع شِبام مِنبراً فاخراً مصنوعاً من خشبٍ قوي، وقيل : إنه جَدَّده فقط .

وهذا المِنبرُ لم يَزَلْ يُخَطَّبُ عليه في جامع شِبام عقوداً، بل قرونًا من الزمان، إلى أن جُدِّدَ في سنة ١٢٢٩ هـ كما رأيتهُ محفوراً بأعلاه .

وبقيَ في موضِعِه حتى أُزيلَ في العِمارة الأخيرة سنة ١٤١٧ هـ وأُبدِلَ بآخر جديد!! ووُضع القديمُ في رُكن المسجد الخلفي، تحتَ المنارة؛ بعدَ أن أَدَّى دَوْرَه ووظيفته ما يقربُ من تسعمئة سنة هجرية أو يزيد، وليت المسؤولين يحتفظون به كأثرٍ إسلامي .

هذه لمحةٌ تاريخيةٌ سريعةٌ عن المسجد الجامع، أرجو أن تكونَ وافيةً بالمقصود، وقد بذلتُ في تحصيلِ التواريخ التي ذَكَرْتُها جهداً كبيراً، نقلاً من عدَّةِ مصادرٍ نادرة، ومن عددٍ من الأوراقِ القديمة التي وقعت تحتَ يدي، أسألُ الله أن ينفعَ بها .



آل بن عُقْبَةَ الشَّابَامِيُون^(١)

أسرةٌ عريقةٌ من أسِرِّ العلم والفضلِ في شِباب، ظَهَرَ فيهم على امتدادِ التاريخِ أعلامٌ أجلاء، كان لهم ظهورٌ على الساحةِ العلمية، بداخلِ حضرموتٍ وخارجَها.

بل كان بعضُ أفرادِهم ممَّنِ اشتهَرَ اشتهاراً عظيماً، ونال سُمعةً ومكانةً عندَ أهلِ عصرِهِ فَمَنْ بعدهم، قَلَّ أن يحتلَّها من أمثاله إلا القليلُ النادر، وهو الإمامُ العارفُ بالله الشيخ أحمدُ بنُ عبدِ القادر بنِ عقبة الشَّاباميِّ الحضرميِّ الشاذليِّ النمكيِّ ثمَّ المصريِّ، المتوفى بمصرَ سنة ٨٩٩هـ، والمدفونُ بالقَرافَةِ الشهيرةِ بالقاهرة.

هذا الرجلُ هو أحدُ أعمدةِ السادةِ الشاذليةِ في سَنَدِ الطريق، وهو شيخُ محتسِبِ الصُّوفيةِ الإمامِ الكبيرِ الشيخ أحمدَ زَرْووقِ البُرُنْسِيِّ الفاسيِّ، العالمِ المالكيِّ، الشاذليِّ الذائعِ الصِّيت، المتوفى بفاس بالمغرب سنة ٨٩٥هـ.

(١) احترزت بقولي: (الشَّابَامِيُون) عن غيرهم، فهناك آل عقبة في الهَجْرَيْن وهم من خَوَلان، أما هؤلاء فالأرجح أنهم من كِنْدَة، ومن مشاهير أهلِ الهَجْرَيْن: الشاعرُ الكبير علي بن عقبة الخولاني، صاحب القصيدة الرائية الشهيرة:

أصبرت نفسَ السَّوءِ أم لم تصبري بيني ومن تهوينَ يومَ المحشرِ
إلى آخرها، ولي تعليق وشرح عليها في غير هذا الموضع.

ولن أُطِيلَ في ترجمة الشيخ أحمد بن عَقْبَة، فهذا له موضعٌ آخر، إنما أحببتُ أن أُشيدَ بفضلِ هذا البيتِ الشُّبَامِيِّ لا غير.



ترجمة المؤلف

الشيخ عوض بن محمد بن عُقْبَة (سُدَيْس)

نسبه ونشأته :

هو الشيخ العالم، الفاضل الصالح، القائم بشؤون المسجد الجامع في مدينة شبام بحضرموت، عوض بن الشيخ الصالح محمد بن الحاج أحمد بن محمد بن عُقْبَة.

وُلد بشبام أوائل القرن الثالث عشر، حوالي سنة ١٢١٠هـ أو قبلها، أخذاً من سنة التحاقه بإمامة الجامع سنة ١٢٤١هـ، فيكون قد بلغ سنّاً تؤهّله لذلك، وكانت وفاته سنة ١٢٩٩هـ، بعد أن بلغ من العمر عتياً، رحمه الله تعالى.

والده الشيخ محمد بن أحمد عُقْبَة :

ونشأ في حجر أبيه الشيخ الصالح، محب الصالحين والمتردد على حضراتهم، والعاكف في جنباتهم، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن عُقْبَة.

كان من الآخذين عن السيد الأجل الحبيب العلامة شهاب الدين أحمد ابن حسن بن الإمام قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، المتوفى بتريم سنة ١٢٠٤هـ.

وللشيخ محمد - والد المؤلف - وصية من شيخه الحبيب أحمد بن حسن، ضمن قصيدة حمينية أنشأها الحبيب المذكور لما طلب منه منحه وتلميذه الشيخ محمد الوصية، ولعل ذلك في أواخر القرن الحادي عشر، أي: في حدود ١١٩٠هـ أو بعدها بقليل؛ لأن الحبيب أحمد بن حسن إنما تصدر بعد وفاة والده الحسن سنة ١١٨٨هـ، فقال^(١):

يا محمد بن أحمد يا بن عقبة تعلم	للعلم التي إن رمت تصحبك إلى ثم
واعمل الخير تظفر في معادك وتغنم	واحتفظ بالفرائض في الجماعات والزم
واتبع سنة الهادي الرسول المعظم	واتق الله سبحانه تفوز وتكرم
بر والدك، وأمك برها برها جم	واحذر احذر عقوق الوالدين المحرم
فإن مرضاة ربك في رضاهم ملزم	والسخط في سخطهم فاحذر إن شئت تسلم
والله الله في أرحامك الكل ترحم	خالق الناس بالخلق الحسن تتق الذم
وانتصف منك لا لك منهم، فافهم افهم	صاحب أهل الديانة والمروءات والزم
جانب أهل النذالة والسفالة ومن نم	لا تعاد الزمن تسلم من الهم والغم
واللسان احتفظ به، فهو كالسبع الأدهم	واذكر الله به دائم فهو خير مغنم
والصلاة على الهادي الشفيع المكرم	خاتم المرسلين وآله وصحبه وسلّم

وقد أثنى الحبيب أحمد بن عمر بن سميطة على الشيخ محمد بن عقبة المذكور ثناءً عظيماً، ووصفه بأن القرآن الكريم معجون فيه، وأنه من الصالحين.

وكان من أقران الحبيب عمر بن زين بن سميطة، وذكر الحبيب أحمد بن

(١) «نزهة القلوب وفسحة المكروب» - وهو ديوان الحبيب أحمد بن حسن الحداد، جمعه ابنه العلامة علوي بن أحمد - ملحق بكتاب «المواهب والمنن» (٢: ٣٦٧) (مخطوط).

عمر أن المترجم كان يتدارس القرآن مع والده المذكور.

روى الشيخ دحمان بن عبد الله لعجم عن شيخه الحبيب أحمد بن عمر ابن سميطة، عن والده الحبيب عمر بن زين قال: (أخبرني عبود بن أحمد باذيب، والد سالم بن عبود باذيب، أنه رأى المعلم محمد بن عقبة سديس كأنه عند الفاضلة حق الجامع، فسأله: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه، وقال: اقرأ المفضل والمقمع. قال الحبيب عمر بن زين: أما المفضل فهو: من الحجرات إلى آخر القرآن، وأما المقمّع فلعله: مواضع القرآن). انتهى.

وكانت وفاة الشيخ محمد بن أحمد بن عقبة بشبام، ولم أقف على تاريخه، ولكن من فحوى القصة المتقدمة نستدل أنه توفي قبل سنة ١٢٠٧هـ، وهي سنة وفاة الحبيب عمر بن سميطة؛ لأنه قصّ الرؤيا بعد وفاته بالتأكيد.

جدّه الحاج أحمد بن عقبة:

وأما جدّه، فهو: الشيخ الفاضل الحاج أحمد بن محمد بن عقبة، كان من الصالحين، أخذ وتلمذ على الحبيب الإمام العلامة الجليل محمد بن زين ابن علوي بن سميطة، المتوفى بشبام سنة ١١٧٢هـ، وكان من أجل تلامذته.

قال في حقّه الحبيب أحمد بن عمر بن سميطة: (كان الحاج أحمد عقبة من الكبار، إذا دخل الشوق يسمع آلات المخازن تُسبّح، حجاب رقيق، وهو ممّن أخذ عن سيّدنا الحبيب محمد بن زين بن سميطة). انتهى.

وكان صاحب قلب منور، مُحبّاً للإمام الحداد ولطريقته، قال الحبيب أحمد في حقّه أيضاً: (رأى الحاج أحمد بن عقبة بعض السادة بعد موته، فقال له: بماذا نفَعَكَ الله؟ قال: بهذا المجلد! فلما أُنْتَبَهَ الحاج جاء إلى أولاد السيد المذكور، فقال لهم: أرونا كتبكم الجميع، فأروها، فنظر في المجلد المذكور، فإذا هو مجموع من كتب سيدنا عبد الله الحداد، و«سبيل الذاكر»

مِنْ جُمْلَةٍ ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذَا الَّذِي نَفَعَ اللَّهُ بِهِ وَالِدَكُمْ، أَوْ كَمَا قَالَ). انْتَهَى.
وَالْكِتَابُ الْمَذْكُورُ هُوَ: «سَبِيلُ الْإِدْكَارِ بِمَا يُمَرُّ لِلْإِنْسَانِ وَيَنْقُضِي لَهُ مِنْ
الْأَعْمَارِ»، تَأَلَّفَ الْإِمَامُ الْحَدَّادُ، وَهُوَ كِتَابٌ لَطِيفٌ، مَطْبُوعٌ.
عُودَةٌ لَتَرْجُمَةِ الْمُؤَلَّفِ:

بَعْدَ أَنْ عَلِمْنَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ شِمَائِلِ أَبِيهِ وَجَدَّهُ، وَهُمَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ
وَالْفَضْلِ، فَلَا غَرْوَ أَنْ يَنْشَأَ مَرْجُمُنَا نَشْأَةً صَالِحَةً مُسْتَقِيمَةً، عَلَى هَذِي الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ، وَتَحْتَ إِرْشَادِ أَبِيهِ وَجَدَّهُ وَشَيْوْخِهِ.
شَيْوْخُهُ:

وَكَانَ أَخَذَهُ وَتَخَرَّجَهُ عَلَى يَدِ شَيْخِ أَهْلِ عَصْرِهِ، إِمَامِ الدَّعْوَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ
فِي شِبَامٍ خَاصَّةً وَحَضْرَمَوْتَ عَامَةً، الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بْنِ سُمَيْطٍ، الْمَتُوفِي
سَنَةِ ١٢٥٧ هـ.

وَهُوَ الَّذِي سَعَى فِي إِدْخَالِ تَلْمِيزِهِ الْمُرْتَجِمِ فِي وَظِيفَةِ الْإِمَامَةِ وَالْأَذَانِ فِي
جَامِعِ شِبَامٍ مِنْذُ سَنَةِ ١٢٤١ هـ إِلَى وَفَاتِهِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ أَبْنَاؤُهُ وَأَحْفَادُهُ يَتَدَاوِلُونَ
ذَلِكَ الْمَنْصِبَ الرَّفِيعَ إِلَى وَقْتٍ قَرِيبٍ.

وَقَدْ تَفَقَّهَ وَطَلَّبَ الْعِلْمَ، وَقَرَأَ فِي الْكُتُبِ عِنْدَ عَدِيدٍ مِنَ الشُّيُوخِ لَمْ نَظْفَرْ
بِهِمْ، وَمَا هَذِهِ الرِّسَالَةُ الْجَمِيلَةُ ذَاتُ التَّرْتِيبِ الْحَسَنِ الْمُنَمَّقِ، إِلَّا شَاهِدٌ عَلَى
جُودَةِ تَصْنِيفِهِ، وَذِكَاثَةِ الشُّبَامِيِّ، وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ لِلْأُمُورِ.
وِظَائِفُهُ:

كَانَ كَمَا ذَكَرْنَا مَتَوَلِّياً لَوْظِيفَةِ الْأَذَانِ وَالْإِمَامَةِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، الَّذِي
قَلَّ أَنْ يَتَصَدَّرَ فِيهِ لِذَلِكَ الْمَقَامِ إِلَّا ذُو أَهْلِيَّةٍ كَامِلَةٍ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ،
وَكَذَلِكَ كَانَ الْمُؤَلَّفُ بِشَهَادَةِ شَيْخِهِ الْمَذْكُورِ.

كما كان يتولّى قسمة التركات، وعقود النكاح في شبام، وهي وظيفة مُستلزمة لوظيفة الإمامة في الغالب. وقد وقفتُ على بعض الفتاوى بخطّ يده رحمه الله.

ومن وصف الحبيب أحمد بن عمر لوالده بالمعلّم، قد نلحظ — من طرف خفي — أنّ والده كان قائماً بهذه الوظيفة قبله.

لقب (سُدّيس):

وأيضاً، من الشواهد على ذلك: تلقيبُ والده بلقب (سُدّيس)، وهو لقب غلب على ذريته إلى اليوم، وصاروا لا يُعرفون إلاّ به.

وسببُ هذا اللقب كما سمعتُ من عددٍ من والدي وغيره من أهل شبام: أنّ جدّ آل سُدّيس، وهو الشيخُ محمّد بن عقبة المذكور، كان يتولّى قسمة التركات في شبام، وكان إذا وجدَ في القسمة (سُدساً) يقول: وهذا السُدّيس نصيبُ فلانٍ أو فلانة، فصار يُعرف بذلك، وغلبَ اللقب على الكُنية؛ والله أعلم.

وفاته وذكرُ أعلام ذريته:

كانت وفاة الشيخ عوض بمدينة شبام — حرّسها الله — في سنة ١٢٩٩هـ، كما وجدته بخطّ ابنه الشيخ أحمد.

ولم يُعقب حسبَ علمي سوى ولداً واحداً، هو: العالمُ الفاضلُ الفقيه الشيخُ أحمد بن عوض، الذي توفيَ بشبام سنة ١٣٢٧هـ، وكان قائماً في وظيفة والده بجامع شبام؛ وهو أعقب ثلاثة من الولد، كلّهم أهلُ فضلٍ وعلم وحِشمة، وهم: الشيخُ محمّد بن أحمد، توفيَ سنة ١٣٤٥هـ، كان أنجبَ أبناءً أبيه، ومشاراً إليه بالعلم والصّلاح، وكان قائماً في وظيفة المسجد الجامع

كآبائه، أعقب ولدَيْن وبتاً، أمّا البنتُ — وهي الحرّة العفيفة (مريم) — فتزوَّجها خالُ جدِّي المرحومُ الشيخُ أحمدُ بنُ العلامةِ الشيخِ محمدِ بنِ أبي بكرٍ باذيب المتوفى سنة ١٣٦٤هـ، وهي أمُّ أولاده: محمدٍ ومحفوظٍ وأختيهما فاطمة رحمهم الله تعالى.

أمّا الولدانِ فهما: يَسَلَم، وكان يؤدِّن في المسجدِ الجامعِ ويؤمُّ المصلِّينَ في بعضِ الصلواتِ عندَ غيابِ الإمامِ الراتبِ.

والثاني: الشيخُ الصالحُ المعمرُ محفوظُ بنُ محمد، والمتوفى بمدينة الحُدَيْدَةِ سنة ١٤١٩هـ، عن عمرٍ ناهزِ المئةَ سنة، رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

إمامةُ الجامعِ وخطابتهُ :

أمّا إمامةُ المسجدِ الجامعِ وخطابتهُ فقد تولّاها من بعدِ الشيخِ محمدِ بنِ أحمدَ سُدَيْسٍ: الشيخُ العلامةُ الصالحُ الورعُ أحمدُ بنُ عمرَ لَعَجَمِ باذيب المتوفى سنة ١٣٦١هـ.

ثم خلفه عليها السيّدُ الورعُ الزاهدُ المشهودُ له بالصّلاحِ والاستقامة، الحبيبُ محمدُ بنُ حسنِ بنِ أحمدَ بنِ سُمَيْط، المتوفى بِشَبَامَ سنة ١٣٧٨هـ تقريباً.

ثم خلفه السيّدُ الأجلُّ الفاضلُ، الأديبُ المربّي، الحبيبُ عبدُ الله بنُ مصطفى بنِ سُمَيْط، حتّى وفاته سنة ١٣٩١هـ.

ومن بعده تسلّمه السيّدُ الفاضلُ هاشمُ باعبود، من أهلِ تريم، ومكثَ مدةً ثم عاد إلى تريم، فتسلّمها من بعده الشيخُ الفقيهُ الصالحُ مباركُ باحمالة، من أهلِ تريم أيضاً، إلى أن توفي سنة ١٤٠٣هـ تقريباً.

ولمّا ضعُفَ الشيخُ مباركُ باحمالة عن القيامِ بوظيفةِ الجامعِ، سلّمَ مفاتيحَ

المسجد ورجع إلى تريم، وبها توفي.

فقام بالخطابة بعده الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد بن محمد بن عمر بركات، إلى سنة ١٤١٠هـ، إذ سافر من البلاد، وتسلم المسجد بعده السيد علي بن سالم بن عمر الحداد، من سكان (حاوي الحوطة)، وظل خطيباً إلى سنة ١٤١٧هـ، حيث نزل عن شؤون المسجد ووظيفته للأخ صالح بن عبد الله باجرش الشبامي، الذي لم يطل جلوسه في شبام حيث استقال عن الوظيفة في مطلع العام ١٤١٩هـ، واستقر في سيون منذ ذلك التاريخ وإلى اليوم.

وفي شهر صفر من عام ١٤١٩هـ عُيِّن كاتب هذه السطور — بأمر من شيخه العلامة المفتي السيد علي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ، وبأمر من إدارة الأوقاف في سيون — خطيباً وإماماً للمسجد الجامع، ولما أني لم أكن مستقراً في البلاد، وأضطر للسفر، فقد سلمت مفاتيح المسجد للأوقاف بعد شهرين فقط من تسلمي الوظيفة، وشرحت لهم ظروف سفري، واعتذرت لهم عن الاستمرار.

ثم سافرت من البلاد، وعُيِّن في تلك الأثناء الأستاذ السيد سالم بن (عبد الله) بن سميح إماماً وخطيباً، وظل في تلك الوظيفة إلى مطلع العام ١٤٢٣هـ. حيث عيّن الأخ الفاضل الشيخ عمر بن سالم بن أحمد باعبيد، وهو قد تفرغ لطلب العلم في بلاد الشام أكثر من ست سنوات، وأخذ عن علمائها الأجلاء المحققين، نفع الله به المسلمين، وهو الآن الإمام والخطيب في المسجد الجامع، وفقه الله تعالى، وأخذ بيده لما فيه صلاح البلاد وأهلها.

وقد أوردت هذه التفاصيل باختصار وإيجاز شديدين، لكون الكثيرين يجهلونها، ولأنها مما ينبغي معرفته لأهل شبام بالأخص، إذ هم أولى الناس بمعرفة هذه الشؤون، ولا يخفى ما في تدوينها من الفائدة والنفع العام للكافة.

هذه الرسالة

رسالة لطيفة في محتواها، فريدة في مَبْنَاهَا، كَتَبَهَا الشَّيْخُ عَوْضُ سُدَيْسٍ بعد وفاة شيخه الحبيب أحمد بن عمر بن سُمَيْطٍ سنة ١٢٥٧ هـ، ولعله سُئِلَ عن أصل التراتيب التي يقوم بها في المسجد الجامع حينذاك.

وقد بيّن الشَّيْخُ عَوْضُ رحمه الله بالبيان الشافعي مستند كل ما أمره به شيخه ابن سُمَيْطٍ المذكور، واستشهد على ذلك بأقوال الأئمة العلماء الأقدمين من كبار فقهاء الشافعية، ورجع إلى كتبهم المعتمدة.

وأورد نصّ (التذكير) الذي كان ينادي به آخر الليل من على منارة جامع شبام حسبما أملاه عليه شيخه الإمام رحمه الله.

وكان يوجد في زمن الحبيب أحمد بن عمر بعض المعترضين على هذه التراتيب التي أحدثها، كما هي عادة الناس في كل زمان ومكان، يعترضون على كل جديد لم يعهده، لكن أولئك كان اعتراضهم عن علم ومعرفة ودراية بأحكام المذهب، وعن فقه في الدين، فلم يعتفهم رحمه الله، ولم يعتب على أحد منهم، بل كل ما فعله: أن أمر تلميذه مؤلف هذه الرسالة، أن يبعث بسؤال إلى علماء (تريم) وإلى مفتيها في ذلك الوقت، يسأله عن حكم هذه التراتيب التي عملها الحبيب أحمد وأمر بها، فرفع ذلك في سؤال محرر مرتب يدل على فقه ودراية كما سيرى القارئ، وجاء الرد محرراً شافياً كافياً، وكل ذلك

موجودٌ في هذه الرسالة .

والملاحظُ في دعوة الحبيب أحمد بن عمر رضي الله عنه : أنه كان يأخذُ أمورَ دعوته بالحكمة والمسايرة للناس ، وعدم الاستبداد بالرأي ، فكان إذا أراد أن يُرْسَخَ مادةٌ حسنة ، أو ينهى عن عادةٍ الأولى العدولُ عنها ، كان يأمرُ تلامذته أو أهلَ البلاد أن يرفعوا سؤالاً فيها إلى علماء تريم أو دوعن ، ليأتيهم الردُّ الشافي والجوابُ الكافي ، فيكون في ذلك تأييدٌ لكلامه وترسيخٌ لما أمرَ به .

ومن الشواهدِ على ذلك ما وردَ في «مجموع كلامه» عندما أراد أن يُلغِيَ القراءةَ في «تفسير البغوي» لعدم فهم العامة له ، وحرصه على تعليمهم أمورَ الدين الضرورية ، قال رضي الله عنه : لو وقعتِ القراءةُ في «مُهمّاتِ الدين» بدلاً من قراءة «تفسير البغوي» وغيره . تشاوروا في ذلك ، لا تأخذون بكلامي حتى ترفعوا سؤالاً إلى أهل العلم ، إما دوعن أو حدرى ، لأن غالبَ من يحضُرُ قراءة «تفسير البغوي» عوام ، يحتاجون للمهمات . وغايته : يحفظُ قصةً من قصص التفسير . ولا يصلحُ «البغوي» للكل ، بل قالوا : من با يطالعه يحتاج إلى سبعة علوم من علوم الآلة . انتهى كلامه . وفي هذا من الحكمة في الدعوة ما لا مزيدَ للتعليق عليه .

وبالجُملة ،

فالرسالةُ فيها توضيحٌ وبيانٌ شافٍ كافٍ لمن أراد معرفة تلك التراتيبِ التي وضعها وأقرّها الإمامُ أحمد بنُ عمر ، ومشى عليها الناسُ من زمنه إلى وقتٍ قريب ، إبان مُداهمة الحزبِ الشيوعيِّ البغيض للديارِ الحضرية ، وكان العملُ بها لا يزالُ إلى سنة ١٤٠٩ هـ تحديداً ، ثم تخلّى الأهالي عنه لعدم وجود المشيرِ والمؤازرِ على الخير ، ولهجرة الأهالي وطبقة التجار والعقلاء أهلِ الحلِّ والعند من البلاد .

عملي في هذه الرسالة

- ١ - قمتُ بنسخ الرسالة من الأصل المحفوظ بشبام، المكتوب بخطٍ نسخي جميل، وقابلتُ ما نسختُهُ على الأصل، وتم ذلك مساءً الأحد ٨ جمادى الأولى من عام ١٤١٧هـ، بمبنى كلية الشريعة بتريم.
- ٢ - خرَّجتُ الأحاديث النبوية الواردة.
- ٣ - ترجمتُ لمن ذكر في الرسالة من الأعلام.
- ٤ - عزَّوتُ أقوال الفقهاء إلى مواضعها من كتبهم، بالرجوع إلى أصول المؤلف.
- ٥ - وضعت ترجمة مختصرة مفيدة للمؤلف وأعلام أسرته.

وهنا أدعُ قلمي يستريح، وأترك المجال للقارئ الكريم أن يُكحِّلَ عينه ويمتّع ناظره بما خُطَّ ورُقِمَ في هذه الرسالة المفيدة النافعة.

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصَلَّى الله على سيِّدنا ونبينا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّم.



رسالة تبين
ترتيب وظائف الصلوات والأذكار في جامع شبام حضرموت
الذي رتبته الإمام أحمد بن عمر بن سميط رضي الله عنه

المعلم الفقيه الشيخ عوض بن محمد سديس عتبة الشبامي

المتوفى بشيْبَام سنة ١٢٩٩هـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

اعتنی برا

مَجْلَدُ الرَّبِّ عِزِّي



هَذَا الْفَتْحُ لِلْمَدِينَةِ وَالْمَدِينَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا تُحصى هباته بتبيان البيان، ولا تختصُّ بحدٍّ ولا أحدٍ
ولا زمانٍ ولا مكان، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَيْنِ الْأَعْيَانِ، وعلى آله
وصَحْبِهِ في كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ.
وبعد:

فيقولُ العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تَعَالَى؛ المَعْلَمُ^(١) عَوْضُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ
ابْنِ عُقْبَةَ سُنْدِيسَ، غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، آمِينَ:
فهذا ترتيبُ القيامِ بوظيفةِ مسجدِ الجامعِ^(٢) بِشَبَّامِ الْمَحْرُوسَةِ، المسمَّى:

تَقْرِيبَ الشَّاسِعِ

في ترتيبِ وظيفةِ مسجدِ الجامعِ

على إشارةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الإمامِ الجامعِ، والرحمةِ المُهْدَاةِ لأهلِ زَمَانِهِ،

(١) المَعْلَمُ: يطلق في العادة على معلم القرآن، ثم أطلق على من يشغل وظيفة الإمامة والأذان في المساجد، وذلك في عرف أهل حضرموت، وربما استعمله أهل الحجاز أيضاً.

(٢) كذا في الأصل؛ والصواب أن يقال: المسجد الجامع؛ لأن الجامع صفة للمسجد، ولا يصح كونها إضافة، ويُعْتَذَرُ هنا بأن المؤلف كتب ما هو دارج ومتعارف عليه.

والنعمۃ السَّابِغَةُ لِأَهْلِ وَقْتِهِ وَأَوَانِهِ، سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ عَمَرَ بْنِ سُمَيْطٍ^(١).

وذلك حالَ دُخُولِي لِلأَذَانِ وَالْإِمَامَةِ فِي الْمَسْجِدِ الْمَذْكُورِ، فِي سَنَةِ (١٢٤١) إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ وَأَلْفَ، فَقَامَ^(٢) بِذَلِكَ إِلَيَّ أَنْ تُوفِّيَ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ عَمَرَ الْمَذْكُورِ، فِي آخِرِ سَنَةِ (١٢٥٧) سَبْعَ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ وَأَلْفَ.

[تفصيلُ ترتيبِ الأَذَانِ والأَذْكَارِ والقراءة،

الذي أمرَ به الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ عَمَرَ بْنِ سُمَيْطٍ]

وَمَعَ دُخُولِ^(٣) الْمَعْلَمِ عَوْضِ الْمَذْكُورِ، أَمَرَهُ سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بِتَرْتِيبِ الأَذَانِ فِي الْمَنَارَةِ، كَمَا هُوَ سُنَّةٌ، وَهِيَ سَنَةٌ مَهْجُورَةٌ فِي جِهَةِ حَضَرَمَوْتَ^(٤).

أَوَّلُهُ: الْفَجْرُ؛ بَعْدَ وَضُوحِ الْفَجْرِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَيُنْدَبُ لِلصُّبْحِ أَذَانَانِ: أَذَانٌ بَعْدَ نَصْفِ اللَّيْلِ تَنْبِيْهَا لِلإِسْتِعْدَادِ لِلصَّلَاةِ، وَأَذَانٌ ثَانٍ بَعْدَ الْفَجْرِ إِعْلَامًا بِدُخُولِ الْوَقْتِ. وَالْأَذَانُ الثَّانِي أَفْضَلُ مِنَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُ لِلإِعْلَامِ بِدُخُولِ الْوَقْتِ.

وَيُنْدَبُ لِلصُّبْحِ مُؤَذِّنَانِ، لِيَتِمَّزَ الْأَوَّلُ عَنِ الثَّانِي.

وَكَانَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ يَأْمُرُ الْمَعْلَمَ عَوْضًا الْمَذْكُورَ بَعْدَ أَنْ يَرْكَعَ رَكَعَتَيْ

(١) الإمام الجليل، مولده بشبام سنة ١١٧٧هـ، وبها وفاته سنة ١٢٥٧هـ، عن ثمانين سنة. كان علماً بارزاً في حضرموت، وقام بنهضة تعليمية في شبام، آتت ثمارها وأكلها في حضرموت عامة، تُنظر ترجمتنا له في مقدمة «مجموع كلامه».

(٢) أي: المعلم عوض المذكور — يقصد نفسه —؛ وهو هنا استعمل ضمير الغائب، كما سيستعمله أيضاً فيما يأتي.

(٣) أي: إلى المسجد الجامع.

(٤) يؤخذ من هذا: أن الناس في ذلك الوقت تركوا الأذان على المنارة!

الفجر، وَيَأْتِيْ بِدَعَائِهَا المشهورِ الواردِ بعدها^(١) بقراءة سورة (يس)، وينادي بذلك على الحاضرين ليقرواوه سرّاً، بقَدَرِ اجتماعِ الناسِ للصلاة، على نيّة: صلاحِ الأمور، ودفعِ كلِّ مخدور، والحفظِ والسلامةِ من جميع الآفاتِ والشرور، وبعدَ تمامِها يأتي بدعائها المشهور^(٢)، ثمَّ يرتّبُ الفاتحة، ويأتي بالتذكرة الآتي ذكرها قريباً، وذلك كلّهُ قبلَ صلاةِ الصبح.

قال الإمامُ الغزالي رَحِمَهُ اللهُ تعالى في «الإحياء»^(٣): (والمؤذّن يؤخّرُ

(١) والدعاء الوارد بعد ركعتي الفجر هو ما رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٢٠٣)، عن أبي المليح - واسمه عامر بن أسامة - عن أبيه رضي الله عنه، أنه صلى الفجر، وأن رسول الله ﷺ صلى قريباً منه ركعتين خفيفتين، ثم سمعه يقول وهو جالس: «اللهم ربّ جبريل وإسرافيل وميكائيل ومحمد النبي ﷺ، أعوذ بك من النار» (ثلاث مرات). قال الحافظ ابن حجر: حديث حسن.

(٢) وهو انمروى عن الإمام الحداد، وهو: «اللهم إنا نستحفظك ونستودعك أدياننا وأنفسنا وأهلنا، وأبداننا وأموالنا، وكل شيء أعطينا. اللهم اجعلنا في كنفك وأمانك وعيذك من كل شيطان مريد، وجبار عنيد، وذئب عني، ومن شر كل ذي شر، إنك على كل شيء قدير. اللهم جملنا بالعافية وبالتقوى، وبالاستقامة حقّقنا، وعذنا من موجبات الندامة، إنك سميع الدعاء. اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وأولادنا ومشايخنا، وإخواننا في الدين وأصحابنا، ولمن أحبنا فيك، ولمن أحسن إلينا، والمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، يا ربّ العالمين، وصلّ اللهم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وارزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً، في عافية وسلامة، برحمتك يا أرحم الراحمين). انتهى، نقلاً من «غاية القصد والمراد» (٢: ٢٣٠). والمتداول على الألسنة: اللهم جملنا بالعافية والسلامة، وحقّقنا بالتقوى والاستقامة. إلخ.

(٣) «الإحياء» (١: ١٥٧ ط. عالم الكتب)، ونص عبارته: (والمؤذّن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة، ففي الخبر: «ليتمهل المؤذّن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الأكل من طعامه، والمعتصر من اعتصامه. إلخ. والحديث أخرجه الترمذي (١٩٥): عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال لبلال: =

الإقامة بعد الأذان بقدر ما يفرغ الآكل من أكله، والمعتصر من اعتصاره؛ إعانة لمن سمع الأذان وهو في بيته على حضور تكبيرة الإحرام مع الإمام.

قال في «فتح الميعين»^(١): (وإدراك تكبيرة الإحرام فضيلة مستقلة، لكونها صفوة الصلاة، ولأن ملازمه أربعين يوماً تكتب له براءة من النار، وبراءة من النفاق)^(٢).

وهذه «التذكيرة» التي أمر بها سيّدنا أحمد المعلّم عوضاً المذكور، قبل صلاة الصبح المارّ ذكرها، وهي:

قال تعالى: ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى»^(٣). وقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا قَالَ

= يا بلال؛ إذا أذنت فترسل في أذانك، وإذا أقمت فاحذر، واجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يخلو الآكل من أكله، والشارب من شربه، والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته، ولا تقوموا حتى تروني»، ومثله عند الحاكم (١: ٣٢٠) (٧٣٢) بدون زيادة: «ولا تقوموا».

(١) في باب صلاة الجماعة، (٢: ١٦)، ط. دار الفكر، ١٤١٤هـ.

(٢) لما ورد في «سنن الترمذي» (٢٤١)، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى؛ كتبت له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق».

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٤)، وابن ماجه (٣٩٧٤)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

خَيْرًا فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ عَنْ شَرِّ فَسَلِمَ»^(١). وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»^(٢).

تَمَمَّةٌ^(٣)

(يجبُ على النساءِ أَنْ يتَعَلَّمْنَ ما يَحْتَاجْنَ لَهُ مِنْ بَابِ (الْحَيْضِ) كغيره، فَإِنْ كَانَ زَوْجُهَا عَالِمًا لِمَهْ تَعْلِمُهَا، وَإِلَّا فَلَهَا الْخُرُوجُ لِتَعْلُمَ ما لَزِمَهَا تَعْلُمُهَا عَيْنًا، بَلْ يَجِبُ! وَيَحْرُمُ مِنْعُهَا إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ وَيُخْبِرَهَا وَهُوَ ثَقَّةٌ. وَلَيْسَ لَهَا الْخُرُوجُ إِلَى مَجْلِسِ ذَكَرٍ، وَتَعْلُمُ غَيْرِ وَاجِبٍ عَيْنِي إِلَّا بِرِضَاهُ^(٤).

وَيَحْرُمُ نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى الْمَرْأَةِ الْأَجْنِبِيَّةِ، وَنَظَرُهَا إِلَيْهِ، إِلَّا لِنَحْوِ الْحِجَامَةِ عِنْدَ فَقْدِ الْجَنَسِ^(٥) بِشَرْطِهِ^(٦).

فَيَتَعَيَّنُ الْإِهْتِمَامُ بِالتَّنْبِيهِ عَلَى ذَلِكَ، وَالتَّعْوِيلُ عَلَيْهِ، وَتَعْرِيفُ أَهْلِ السَّوَادِ

(١) رواه ابن المبارك مرسلاً، والديلمي، عن أنسٍ رفعه، والعسكري أيضاً عنه، بالفاظ مختلفة. «كشف الخفاء» (١ : ٥١٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٨)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، والإمام مالك في «الموطأ»، وأبو يعلى وأحمد في مسنديهما.

(٣) هذه التتمة مأخوذة من متن «فتح الرحمن» إلى قوله: (بعضهم)، ومن أراد الوقوف على شرحها فعليه بكتاب «تحفة الإخوان» للعلامة الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي، من ص ١٦٩ إلى ص ١٧٦، من طبعة دار الفتح للدراسات والنشر بعمّان الأردن، بتحقيق راقم هذه السطور.

(٤) ومثال لواجبات العينية: تعلم أحكام الصلاة والصيام والحج والحائض، ونحو ذلك؛ وما عداه فليس واجباً عينياً، والله أعلم.

(٥) أي: عند من يحجم للشخص من بني جنسه، المرأة تحجم لها امرأة مثله، والرجل يحجم له رجل مثله.

(٦) والشرط في ذلك: أن لا ينظر أحدهما من الآخر إلا بقدر الحاجة، ويحرم لهما نظر ما عدا ذلك.

والبَوادي^(١) وَمَنْ ضَاهَاهُمْ بِذَلِكَ، لَغَاوَةً بَعْضُهُمْ؛ فَتَعَلَّمُوا وَعَلَّمُوا تَسَلَّمُوا
وَتَغَنَّمُوا.

فَرَضُ عَلَى النَّاسِ إِمَامٌ يَنْصِبُوا وَمَا عَلَى الْإِلَهِ شَيْءٌ يَجِبُ
وَالْفَرَضُ: مَا فِي فَعْلِهِ الثَّوَابُ كَذَا عَلَى تَارِكِهِ الْعِقَابُ^(٢)

كَيْفَ السَّلَامُ^(٣) وَفَرَضُ^(٤) بَيْنَنَا مَثْرُوكٌ لَوْ أَقْبَلَ الْكُلُّ لَكَانَ لَا جَرَمَ مَذْرُوكٌ^(٥)
لَكِنْ لَمْ يَزَعْ حَقَّ الْمُؤْتَقِ الْمَفْكُوكِ^(٦) ظَنَّ النَّجَاةَ وَهُوَ فِي لُجَّةِ الْعِصْيَانِ^(٧)
أُمُّ الْمَنَاقِيرِ أَرْضٌ مَا لَهَا سُلْطَانٌ

(١) قال في «تحفة الإخوان» (ص ١٧٥ - ١٧٦ من طبعة الفتح للدراسات): (السواد):
من غير ياء بعد الدال، وهم: الساكنون بقرب المدينة، أو القرى، أو بجانب سورها،
أو بُعد قليلاً، ومنه سواد العراق الساكنون بقربها. فسواد بلدة شِبام مثلاً: هم
الساكنون في النخيل والنقر، وجوجة وجعيمة، ونحوها. وتعريف أهل السوادي؛
بالياء بعد الدال، وهم: أهل البادية. فينبغي تنبيه أهل السوادي، و(البوادي) على
حرمة المظاهرة، وتبيينها لهم، وتعليمهم أن نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية حرام،
وغير ذلك من مهمات الدين، لأنهم أبعد عن معرفة أمور الدين من أهل المدن والقرى.
(٢) البيتان من «الزبد» لابن رسلان الرملي الشافعي، وليس متواليين وإنما جمع المؤلف
بينهما لمناسبة.

(٣) كذا بالأصل؛ ويصح السلام، والسلامة. أي: من الفتن والمنكرات.

(٤) الفرض المقصود في هذا البيت: إقامة الوالي العادل.

(٥) أي: لو أقبل كل الناس على إقامته لكان الأمر مدروكاً.

(٦) أي: لكن المفكوك أي الرجل المطلق، لم يراع حق أخيه الرجل المقيد، والمقصود:
أن العالم لم ينه الجاهل والعاصي ويحذره من مغبة العصيان، بمعنى أن الناس لم
يأخذوا على يد الظالم ويمنعوه من ظلمه، لأن كل واحد منهم منشغل بنفسه وماله
عنهم.

(٧) أي: ذلك المفكوك (المطلق)، يظن النجاة وعدم المعصية وهو واقع فيها بعينها!

كُلُّ مَنْ يَنْتَقِي مَوْلَاهُ ظَاهِرٌ وَخَافِي
أَوْ خِرْقٌ طُبِّقَتْ مِنْ تَحْتِ سَرْمُوجٍ^(٢) ضَافِي
يَعْمَلُ أَخْفَافًا لِأَهْلِهِ وَالْخَوَادِمِ ضَوَافِي^(١)
حُكْمَ ذَا عَامٍ بَيْنَ أَهْلِ الطَّرَرِ وَالْكَوَا فِي
وَالْحِرْفِ وَالسَّوَادِ وَالْبَوَادِي الْجِلَافِ

ثُمَّ يُنِيمُ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ .

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَبْلَ الْإِقَامَةِ^(٣) : «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)^(٤) .

[اعترض بعض الناس على الترتيب المذكور]

وَوَقَعَ مِنْ بَعْضِ الْحَاضِرِينَ إنْكَارٌ صَرِيحٌ : كَيْفَ يَقَعُ هَذَا الْكَلَامُ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ الشَّرِيفِ وَالْمَكَانِ الشَّرِيفِ ، قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ ؟ وَأَيُّ

(١) الخفاف: جمع خف وهو معروف، والخوادم: جمع خادمة، والمعنى: أن الرجل المتقي لله يعمل أخفافاً لأهله تمنع الأجانب من رؤية أقدامهن إذا مشين في الشارع، وكذلك يعمل أخفافاً للخادومات، ويكون ثوبهن ضافياً على البدن، لأنه كان شائعاً أن الخادمة تلبس ثوباً يسمى (ذيل وقدمه) يكون مرفوعاً من الأمام وقد تُرى ساقها ومن خلفها ذيل طويل يسحب خلفها، فهذا من المنكرات، لأن الخادمة حرة وليست أمة، فعورتها كعورة الحرة تماماً.

(٢) السرموج: خف فوق خف، أو جورب غليظ.

(٣) أي: يأتي بما تقدم كله، ويزيد عليه الاستغفار.

(٤) الاستغفار الوارد في يوم الجمعة هو ما رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٨٣) عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «من قال يوم الجمعة قبل صلاة الغداة: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (ثلاث مرات)، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر».

فائدة في ذكر الحيض والحجامة وأخفاف الخوادم؟^(١).

فسمع ذلك سيدي فقال: (المقصود من ذلك: بيان الحكم والعمل به، والإرشاد إلى العمل به، قال بعض السلف: كل يوم لا أزداد فيه علماً لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم).

وأيضاً، بعض الحاضرين — بل أكثرهم — جاهلون بهذه الأحكام، وإذا عرفوها تابوا عن كل مذموم، وفعلوا كل محمود من هذه التنبيهات، واستقبلوا نهارهم بالتوبة عن المخالفات، فيحصل للقارئ والسماع والمستمع والأمر الثواب على ذلك عسى الله يصلح النيات والمقاصد، ويبارك في الأعمال الصالحات^(٢).

وكذلك أيضاً حصل من ذلك الشخص — ومن غيره — اعتراض في قراءة سورة (يس) قبل صلاة الصبح، بأن فيها تطويلاً على الحاضرين، وربما تأخر الصلاة عن وقت الفضيلة^(٣)! وكذلك في وقت العشاء^(٤) كان سيدي يأمر

(١) ولعل هذا المنكر المعترض غاب عنه أن المساجد كما أنها بنيت للعبادة، فهي أيضاً منارات علم، وهدى وتذكير، وفيها تتعلم الأحكام ويهتدي الضال، وما المانع من ذكر أخفاف الخوادم والحجامة وغيرها من الأحكام الشرعية والآداب المرعية؟ والصحابة رضوان الله عليهم إنما تعلموا أحكامها من رسول الله داخل المسجد ثم بلغوها، وهل الدين إلا معرفة الحلال والحرام والأحكام!

(٢) وهذا هو المقصود الأعظم من التذكير، وهو تعليم الجاهل وإرشاد الضال. ورحم الله الحبيب أحمد بن عمر ما أبعد نظره!

(٣) كنا قد قلنا: إن هذا المعترض متفقّه، لأنه يعرف مراتب أوقات الصلاة، ولم يكن اعتراضه اعتباطاً وإلا لما بالى به الإمام أحمد بن عمر، لأن مقصوده أعظم من أن يماري جاهلاً! لأن العالم يتوقف أمام النصوص وأقوال الفقهاء وأحكامهم، بخلاف الجاهل، فلهذا استفتي علماء تريم كما سيأتي.

(٤) أي: قد تخرج عن وقت الفضيلة كالصبح. وها هنا نذكر أوقات هاتين الصلاتين؛ أما =

المعلّم المذكور بالانتظار بعد الأذان، فشَقَّ على الحاضرين الانتظار، وربّما يخرجون من المسجد بعد الأذان بسبب الانتظار، ويصلّون في مسجد آخر، فيقعون في الكراهة^(١).

[رَفَعَ الْمُؤَلِّفُ سُؤَالَ لِمُفْتِي تَرْيَم]

فَأَمَرَنِي سَيِّدِي بِرَفْعِ سُؤَالٍ فِي ذَلِكَ إِلَى الْحَبِيبِ الْعَلَامَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ بَلْفَنِيهِ^(٢)، إِلَى تَرْيَمٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِمَا صُورَتُهُ:

[السؤال]:

ما قولكم — أَيَدُكُمُ اللَّهُ — فِي قَوْلِ «الْإِحْيَاءِ»: (وَالْمُؤَذِّنُ يُؤَخِّرُ الْإِقَامَةَ عَنِ الْأَذَانِ بِقَدْرِ اسْتِعْدَادِ النَّاسِ، فِيهِ الْخَبَرُ: «لِيُمَهِّلَ الْمُؤَذِّنُ») . . . إِلَى قَوْلِهِ: (حَتَّى يَفْرُغَ الْأَكْلُ مِنْ أَكْلِهِ، وَالْمُعْتَصِرُ مِنْ اعْتِصَارِهِ) إِلَى آخِرِهِ، هَلْ هُوَ مُوَافِقٌ لِمَا قَرَّرَهُ الْعُلَمَاءُ أَمْ لَا؟

وَإِذْ قُلْتُمْ: مُوَافِقٌ؛ هَلْ هُوَ مُطَّرَدٌ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؟ أَمْ تُسْتَشْنَى

= الصبح فوقتها من طلوع الفجر الصادق المنتشر ضوؤه معترضاً بالأفق إلى طلوع الشمس؛ وهو ينقسم إلى ستة أوقات: وقت فضيلة وهو أول الوقت، ووقت اختيار، ووقت جواز بلا كراهة إلى الاحمرار، ووقت كراهة، ووقت حرمة، ووقت ضرورة. وأما صلاة العشاء؛ فوقتها من مغيب الشفق الأحمر، إلى طلوع الفجر، والاختيار أن لا تؤخر عن ثلث الليل؛ وينقسم إلى سبعة أوقات: وقت فضيلة، ووقت اختيار، ووقت جواز، ووقت حرمة، ووقت ضرورة، ووقت عذر وهو وقت المغرب لمن يجمع، ووقت كراهة. وتفصيلها في كتب الفقه المطولة كشروح «المنهاج».

(١) وهي: الخروج من المسجد بعد الأذان.

(٢) هو الإمام العلامة الفقيه، مفتي تريم بل حضرموت في عصره. مولده بتريم، وبها وفاته سنة ١٢٦٥ هـ، له مؤلفات عديدة، طبع بعضها. وهو أحد العبادلة السبعة المشهورين في عصره.

المغرب كما في «التحفة»؟ وهل يُطلَب تأخيرُ العِشاءِ إلى مُضيِّ ذلك القَدَرِ، وإن تَصَرَّرَ المنتظِرُونَ للصَّلَاةِ لإحياءِ ما بينَ العِشاءِينِ وذَهَبُوا مِنَ المسجدِ بسَبَبِ الانتظارِ؟ أم يُرَاعُونَ المبادَرةَ بالصَّلَاةِ بعدَ الأذانِ؟

وإن قلْتُمْ: لا يُرَاعُونَ؛ فهل يُقَابَلُ بينَ الآتِينَ بالأذانِ، والذَّاهِبِينَ بسَبَبِ الانتظارِ^(١)؟ أم يُطلَقُ وإن قَلَّ الآتُونَ وكَثُرَ الذَّاهِبُونَ؟ وهل يَكُونُ في الخُروجِ مِنَ المسجدِ بعدَ الأذانِ - بسَبَبِ الانتظارِ - عُذْرٌ في نَفْيِ الكَرَاهَةِ؟

وهل يُطلَبُ تأخيرُ الجُمُعَةِ إلى هذا القَدَرِ^(٢) وإن كَثُرَ الانتظارُ بسَبَبِ كَثَرَةِ النَّاسِ - قِياساً على باقي الصَّلَوَاتِ - أم لا تُؤَخَّرُ الجُمُعَةُ قِياساً على عَدَمِ سَنِّ الإِبْرَادِ بِهَا^(٣)؟ أَفْتُونَا أَتَابَكُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ.

[جوابُ مُفتي تَريمَ على سُؤالِ المؤلِّفِ]

اللَّهُمَّ اجْمَعْ لَنَا بينَ الصَّوابِ والثَّوابِ.

نَعَمْ؛ هُوَ^(٤) مُوَافِقٌ لما قَرَّرَهُ الفقهاءُ، وَمَطْرِدٌ في جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ، ما عَدَا المغربَ لِصِيقِ وَقْتِهَا^(٥).

(١) أي: ينظر ويقابل بينهم، مراعاة للأكثرية.

(٢) أي: بقدر الانتظار حتى يكثر الناس.

(٣) الإبراد في الظهر: هو تأخيرها عن وقتها حال اشتداد الحر إلى أن يصير للجدران ظل يستظل به الماشي، بشرط كون ذلك في قطر حار لمن يأتي إلى المسجد من مسافة بعيدة، خرج به: القطر البارد، ومن بيته قريب من المسجد، فلا يسن الإبراد في حقه على المعتمد، والله أعلم.

(٤) أي: ما ورد في «الإحياء».

(٥) لأن وقتها على الجديد ينقضي بمضي قدر وضوء وستر عورة وأذان وإقامة وخمس ركعات، تشمل السنة والفرض، أما القديم - وهو المعتمد - فوقتها من الغروب =

ففي «التحفة»^(١) — من آخر (الأذان) —: (وَيُسَنُّ تَأْخِيرُهُ قَدْرَ مَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَّا فِي الْمَغْرِبِ). أي: لِلْخِلَافِ الْقَوِيِّ فِي ضَيْقِ وَقْتِهَا. وَمِنْ ثَمَّ، أَطْبَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى كَرَاهَةِ تَأْخِيرِهَا عَنْ أَوَّلِهِ كَمَا مَرَّ.

وفيها^(٢) — مَنْ (المواقيت) —: (وَيُنْدَبُ لِلْإِمَامِ الْحَرَصُ عَلَى [أَوَّلِ] الْوَقْتِ، لَكِنْ بَعْدَ مُضِيِّ قَدْرِ اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَفَعْلِهِمْ لَأَسْبَابِهَا عَادَةً، وَبَعْدَهُ يُصَلِّي بِمَنْ حَضَرَ، وَإِنْ قَلَّ أَتَيْهَا، لِأَنَّ الْأَصَحَّ: أَنَّ الْجَمَاعَةَ الْقَلِيلَةَ أَوَّلَهُ أَفْضَلُ مِنَ الْكَثِيرَةِ آخِرَهُ). وَنَحْوُهُ مَا فِي «الْعُبَابِ»^(٣) وَ«الْقَلَائِدِ»^(٤) وَغَيْرِهِمَا مِنْ كُتُبِ الْفُرُوعِ^(٥).

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا كَثِيرُ انْتِظَارٍ يُتَضَرَّرُ بِهِ، إِذْ غَايَةُ زَمَنِهِ: نَحْوُ مِنْ دَرَجَةٍ وَنُصْفٍ، وَذَلِكَ قَدْرُ تَلَاوَةِ نِصْفِ جُزْءٍ تَقْرِيبًا^(٦)، مَعَ أَنَّ فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ

= إِلَى غِيَابِ الشَّفَقِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ وَالْمَفْتَى بِهِ. وَمِرَاعَاةُ الْخِلَافِ أَوَّلَى مِنْ عَدَمِهِ. وَوَقْتُهَا عَلَى الْمَعْتَمَدِ يَتَجَزَأُ إِلَى سَبْعَةِ أَوقَاتٍ: وَقْتُ فَضِيلَةِ أَوَّلِهِ وَهُوَ وَقْتُ الْإِخْتِيَارِ، وَهُوَ وَقْتُ جَوَازِ بَلَا كَرَاهَةٍ، وَوَقْتُ كَرَاهَةٍ وَهُوَ تَأْخِيرُهَا عَنْ وَقْتِ الْجَدِيدِ، وَوَقْتُ حَرَمَةٍ، وَوَقْتُ عَذْرِ، وَوَقْتُ ضَرُورَةٍ.

(١) «تحفة لمحتاج»: (١: ٤٨٣).

(٢) أي: «تحفة المحتاج»: (١: ٤٣١).

(٣) يعني به: كتاب «العباب المحيط بمعظم نصوص الأصحاب» للإمام العلامة أحمد بن عمر الدزجد، وهو من أهل القرن العاشر، توفي سنة ٩٣٠هـ.

(٤) يعني به: «قلائد الخرائد وفرائد الفوائد» للعلامة عبد الله بن محمد بأقشير الحضرمي المتوفى سنة ٩٥٨هـ، والمسألة بعينها فيه: (١: ٧٣ — ٧٥).

(٥) وللعلامة عبد الحميد الشرواني — المتوفى أواخر القرن الثالث عشر — فتوى في عين المسألة في «حاشيته على التحفة» (١: ٤٨٣)، في آخر باب الأذان.

(٦) قدّره العلامة عبد الحميد الشرواني بمقدار ربع ساعة فلكية، وعبارته: (ويظهر أن المقدار الذي يسع عادة ما تقدم — في غير المغرب — لا ينقص ذلك عن ربع ساعة فلكية، فيندب للإمام أن ينتظر في غير صلاة المغرب ربع الساعة مطلقاً، ثم إن =

للتَّفَحَاتِ، والمَعَاوَنَةِ عَلَى الْقُرْبَاتِ، وَتَكْثِيرِ الْجَمَاعَاتِ، وَالْاِقْتِدَاءِ بِسَيِّدِ السَّادَاتِ، وَوُزَائِهِ وَأَتْبَاعِهِمْ فِي غَالِبِ الْأَمَاكِنِ وَالْأَوْقَاتِ، مَا لَا يَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْأَصْطِفَاءِ وَالْعِنَايَاتِ.

وَالْحَدِيثُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ^(١) هُوَ: مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ قَوْلِهِ ﷺ لِبَلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا أَدَّيْتُ فَتَرَسَّلْ، وَإِذَا أَقَمْتَ فَاحْذَرْ، وَاجْعَلْ بَيْنَ أَذَانِكَ وَإِقَامَتِكَ قَدْرَ مَا يَقْرُغُ الْآكِلُ مِنْ أَكْلِهِ، وَالشَّارِبُ مِنْ شُرْبِهِ، وَالْمُعْتَصِرُ مِنْ اعْتَصَارِهِ إِذَا دَخَلَ لَقَضَاءِ حَاجَتِهِ»، قَالَ: «وَلَا تَقُومُوا حَتَّى تَرَوْنِي»^(٢). انْتَهَى. وَقَوْلُهُ ﷺ هُوَ الْقَوْلُ الْفَضْلُ، وَالْمَسْلُكُ الْعَدْلُ. انْتَهَى الْمَقْصُودُ مِنَ الْجَوَابِ، فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْإِطْنَابِ.

ثُمَّ يَصَلِّي^(٣) الصُّبْحَ، وَإِذَا سَلَّمَ أَتَى بِالْأَذْكَارِ الْوَارِدَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ^(٤)، وَيَجْمَعُ الدُّعَاءَ^(٥)، وَبَعْدَ الدُّعَاءِ يَقْرَأُ فَضْلًا مِنْ «فَتْحِ الرَّحْمَنِ»^(٦)

= اقتضت سعة المحلة زيادة عليه فيزيد على ذلك قدر ما تقتضيه سعتها، بحيث يقع جميع الصلاة في وقت الفضيلة، والله أعلم. انتهى.

(١) أي: في قول الإمام الغزالي في «الإحياء» المذكور بعضه في السؤال.

(٢) قدمنا تخريجه فيما سبق.

(٣) أي: المعلم سديس (المؤلف) المذكور.

(٤) وهي معروفة، تؤخذ من نحو كتاب «الأذكار» للإمام النووي، ففيه ما يشفي.

(٥) أي: يدعو بصيغة الجمع، وليس بالافراد، فيقول: اللهم اغفر لنا وارحمنا.. وهكذا.

(٦) هو: كتاب «فتح الرحمن فيما يلزم معرفته من أركان الإسلام والإيمان»، متن موجز احتوى على المهم والضروري من الفروض العينية، احتفل الإمام أحمد بن عمر بن سميط به جداً، وأشاعه في شبام ونواحيها قراءة في المجامع الكبيرة وعقب الصلوات وخلف الجنائز حفظاً للناس من الاشتغال بالترهات والثروة والكلام الفارغ.

لابن زياد الوضاحي^(١).

ويذكر المعلم بما تيسر حسب مقدرته ومعرفته من حل ألفاظه بما هو في شروحه^(٢) لمحاضرين، ومذاكرة. يفتح ذلك بهذا الدعاء:

(اللهم فقهننا ونساءنا وجميع المسلمين والمسلمات في الدين، واسئلك بنا وبهم نسالك عبادك الصالحين، واجمع قلوبنا وقلوبهم على التقوى، ووفقنا وإياهم أجمعين لما تحبه وترضاه، واختم لنا ولهم بالحسنى في عافية يا رب العالمين، وصلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم).

وفي يوم الجمعة يأتي بدل الفصل المذكور بـ «عقيدة الإمام الغزالي»^(٣).



(١) المتوفى بزييد سنة ١١٣٥هـ.

(٢) ذكرت أن له نحو عشرة شروح، طبع منها: «مواهب الديان» للعلامة الشيخ الفقيه المحقق سعيد بن محمد باعشن المتوفى برباط باعشن بدوعن سنة ١٢٧٠هـ، و«تحفة الإخوان» للعلامة الفقيه المتفطن الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي الشبامي المتوفى بها سنة ١٣٣٦هـ، وقد طبع هذا الأخير طبعة أنيقة بتحقيق راقم هذه السطور.

لكن ما هنا ملاحظة، وهي: أن متن «فتح الرحمن» المتداول في شبام يحتوي على زيادات زادها الإمام أحمد بن عمر، والشيخ عبد الله باسودان، والشيخ عبد الله بن سمير. وشرح باعشن لم يشمل هذه الزيادات، وإنما الذي شرحها وتفرد شرحه بها هو الشيخ سالم باصهي، والله أعلم.

(٣) وهي ملحقة بكتاب «بداية الهداية» له، وعليها شرح للإمام الجليل الشيخ أحمد زروق تلميذ الشيخ أحمد بن عقبة، الذي تقدم ذكره في المقدمة.

السُّورُ المَرْتَّبَةُ فِي الصَّلَاةِ^(١)

* لَيْلَةُ السَّبْتِ :

المغرب: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ .
والعشاء: الضُّحَى، و﴿الْفَجْرِ﴾. والصُّبْح: الشمس^(٢)، والقارعة.

* لَيْلَةُ الْأَحَدِ :

المغرب: الفيل، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. والعشاء: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾،
و﴿الْهَنُكُمُ﴾. والصُّبْح: الضُّحَى، و﴿الْفَجْرِ﴾.

* لَيْلَةُ الْاِثْنَيْنِ :

المغرب: ﴿أَرَأَيْتَ﴾، و﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾. العشاء: التِّين،
و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾. الصُّبْح: ﴿وَالْفَجْرِ﴾^(٣)، والعاديات.

(١) إنما رُتِّبَتْ هذه السور من باب التخفيف على الناس، وضبط الإمام لثلاث يطول عليهم، كما أنها موافقة للسنة من حيث الإتيان بسور من المطول والمفصل في مواضعها كما جاء في السنة المطهرة، والباب في هذا واسع ولا نطيل بإيراد الأدلة، وليس هناك تحجير ولا إلزام بهذا، والحصيف يساير زمنه ووقته، والبعد عن الشقاق والخلاف أولى. والله أعلم. وهذا الترتيب موافق لما كان يمشي عليه الإمام الحداد نفع الله به، سوى اختلافات يسيرة سنذكرها.

(٢) عمل الإمام الحداد: العاديات والقارعة.

(٣) عمل الإمام الحداد: الشمس، والعاديات.

* ليلة الثَّلَاثِ :

المغرب: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ . والعشاء: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ، و﴿إِذَا جَاءَ﴾ . والصُّبْحُ: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ﴾ ، والتَّيْنِ .

* ليلة الرَّبُّوعِ :

المغرب: المعوذتين . والعشاء: ﴿وَيْلٌ﴾ ، و﴿أَلَمْ تَرَ﴾ . والصُّبْحُ: ﴿وَاللَّيْلَ﴾ ، والضُّحَى .

* ليلة الخَمِيسِ :

المغرب: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ ، و﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ . والعشاء: والتَّيْنِ ، و﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ . والصُّبْحُ: ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ ، و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾^(١) .

* ليلة الجُمُعَةِ :

المغرب: الكافرون ، والإخلاص . والعشاء والصُّبْحُ: ﴿سَبِّحْ﴾ ، و﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ . أو: ﴿الْمَ * تَنْزِيلُ﴾ ، والمنافقون^(٢) .

تَمَّتْ

والحمدُ لله ربَّ العالمين^(٣)

(١) عمل الإمام الحداد في صبح الخميس: البينة، والعاديات .

(٢) عمل الإمام الحداد في عشاء ليلة الجمعة: الجمعة، والمنافقون، وفي صبحها: السجدة، والإنسان .

(٣) وكان الفراغ من وضع التعليقات على هذه الرسالة النافعة وخدمتها، ضحى يوم الأحد ١٣ من شهر الله المحرم من عام ١٤٢٤ للهجرة، جعله الله مفتتحاً باليُمن والبركة والتوَنُّيق، والنصر للمسلمين آمين، والحمد لله رب العالمين .

ثَبَّتْ مَصَادِرَ وَمَرَاجِعَ التَّحْقِيقِ

كتب الحديث

- ١ - الإتحافات السننية بالأحاديث القدسية: للمناوي، مع شرح محمد منير الدمشقي، دار ابن كثير، ١٤٢٠.
- ٢ - الأدب المفرد: للإمام البخاري، مصوَّرة دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٠٩، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٣ - الأذكار: للإمام النووي، دار القبلية الإسلامية، تحقيق: سبيع حاكمي، ١٤١٢.
- ٤ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة: علي بن محمد بن عراق، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩.
- ٥ - حلية الأولياء: لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥.
- ٦ - الزهد: لابن المبارك، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧ - السنة: لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠.
- ٨ - سنن ابن ماجه: دار الفكر، بيروت، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٩ - سنن أبي داود: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ١٠ - سنن الترمذي: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد شاکر وغيره.
- ١١ - سنن سعيد بن منصور: دار الصمعي، الرياض، ١٤١٤.
- ١٢ - سنن النسائي: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤٠٩، ترقيم: أبو غدة.
- ١٣ - شعب الإيمان: للحافظ البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠.
- ١٤ - صحيح البخاري: دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧.
- ١٥ - صحيح مسلم: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.

- ١٦ — العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: للحافظ ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣.
- ١٧ — عمل اليوم والليلة: لابن السني.
- ١٨ — الكامل في الضعفاء: لابن عدي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩.
- ١٩ — كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: للمحدث إسماعيل العجلوني، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٢٠ — مسند الإمام أحمد: مؤسسة قرطبة، مصر.
- ٢١ — مسند أبي يعلى الموصلي: إدارة العلوم الدينية، فيصل آباد، الهند، ١٤٠٧.
- ٢٢ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين الهيثمي، دار الريان ودار التراث، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧.
- ٢٣ — المستدرک علی الصحیحین: للإمام الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١.
- ٢٤ — المعجم الأوسط: للحافظ الطبراني، دار الحرمين، ١٤١٥.
- ٢٥ — المعجم الكبير: للحافظ الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤.

كتب التراجم والتاريخ

- ٢٦ — إدام القوت: لابن عبيد الله السقاف، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٢.
- ٢٧ — البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للإمام محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٨ — بغية الأريب في تاريخ آل باذيب: محمد أبو بكر باذيب.
- ٢٩ — البنان المشير إلى تراجم آل أبي كثير: محمد بن محمد باكثير، ١٤٠٥.
- ٣٠ — تاريخ بغداد: للحافظ الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣١ — تاريخ الدولة الكثيرة: السيد محمد بن هاشم.
- ٣٢ — سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: محمد خليل المرادي، دار الكتاب الإسلامي، مصر، (تصوير).
- ٣٣ — سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد: للحافظ ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، تحقيق: نعيم زرزور، ١٤٠٤.
- ٣٤ — شرح العينية: الحبيب أحمد بن زين الحبشي، مطبعة كرجاي، سنغافورة، ١٤٠٧.
- ٣٥ — الضوء اللامع في أخبار القرن التاسع: للحافظ السخاوي، دار المعرفة.

- ٣٦ - العدة المفيدة: سالم بن حميد التريسي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١١.
- ٣٧ - قرة العين في مناقب الحبيب أحمد بن زين (الحبشي): للحبيب محمد بن زين بن سميط (مخطوط).
- ٣٨ - المجتمع الشبامي، سير وتراجم أعلام الأسر العلمية في مدينة شبام: محمد أبو بكر باذيب.
- ٣٩ - مجمع البحرين في مناقب الحبيب محمد بن زين (بن سميط)، (مخطوط): للشيخ معروف بن محمد باجمال.
- ٤٠ - المحاسن المجتمعة في مآثر الإخوة الأربعة: محمد أبو بكر باذيب، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان - الأردن، ط١، ١٤٢٦ - ٢٠٠٥.
- ٤١ - مناقب الإمام أحمد بن حنبل: للحافظ ابن الجوزي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٣.
- ٤٢ - المواهب والمنن في ترجمة قطب الزمن الحسن: للعلامة علوي بن أحمد الحداد، ترجمة جده حسن بن عبد الله الحداد، (مخطوط).
- ٤٣ - نشر محاسن الأوصاف في مناقب الحبيب سقاف: لابنه حسن بن سقاف، دار الحاوي، ١٤٢٢.
- ٤٤ - النور السافر في أخبار القرن العاشر: عبد القادر بن شيخ العيدروس، دار صادر، ٢٠٠١.

كتب الرقائق

- ٤ - التذكير المصطفى: أبو بكر العطاس بن علوي الحبشي، دار الحاوي، ١٤١٧.
- ٤٦ - الحديقة الأنيقة شرح العروة الوثيقة: محمد بن عمر بحرق، دار الحاوي، ١٤٢٣.

المنوعات

- ٤٧ - تقريب الشاسع في ترتيب وظيفه الجامع: للشيخ عوض بن محمد عقبه سديس، تحقيق: محمد أبو بكر باذيب، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان - الأردن، ط١، ١٤٢٦ - ٢٠٠٥.
- ٤٨ - حدائق الأنوار في سيرة النبي المختار ﷺ: محمد بن عمر بحرق، دار المنهاج، جدة.

- ٤٩ — ديوان الإمام عبد الله بن علوي الحداد (الدر المنظوم): نشرة السيد عبد القادر الخرد، الطبعة الثانية من نوعها، ١٤٢٢ .
- ٥٠ — ديوان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط: المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٦ .
- ٥١ — غاية البيان شرح زُبد ابن رسلان: للعلامة محمد بن أحمد الرملي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر .



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
بين يدي «المجموع»	٥
الأسرة السميطة في شبام وإشارة إلى تاريخها العلمي والدعوي المجيد	٨
السيد زين بن سميطة وأولاده	١٠
الإمام الحبشي	١١
ولماذا شبام؟	١٢
الهجرة السميطة إلى شبام	١٤
صاحب «المجموع»: الحبيب أحمد بن عمر بن سميطة	١٦
نسبه الشريف	١٦
نشأته	١٧
حليته	١٨
شيوخه	١٩
إجازة مفتي زبيد له	٢٢
فائده	٢٤
ذريته	٢٥
تلامذته	٢٦
آثاره	٢٨
بعض ما قيل فيه من مدائح وقصائد شعر	٣٠
وفاته، والمراثي التي قيلت فيه	٣١

الموضوع	الصفحة
دعوته	٣٥
مقتطفات من قصائده الدعوية	٣٩
تشجيعه على التأليف	٤٠
هذا «المجموع»	٤٤
تقريظ الشيخ أحمد بن عمر باذيب على هذا «المجموع»	٤٩
ترجمة كاتب «المجموع» الشيخ دحمان بن عبد الله لعجم باذيب	٥١
مولده	٥١
نشأته	٥١
دعوته وشعره	٥٢
قصيدته الوعظية	٥٤
تلامذته	٥٦
وفاته	٥٦
عملي في هذا «المجموع»	٥٧
صور من الأصول الخطية المعتمدة في التحقيق ٥٩ — ٦٤	٦٤ — ٥٩

النصّ المحقق لـ «المجموع»	٦٧ — ٥٣٩

ملحق: تقريب الشاسع في ترتيب وظيفة الجامع، للمعلم عوض بن عقبة	
سدیس	٥٤٣
تصدير المحقق	٥٤٥
جامع شبام	٥٤٩
جامع هارون الرشيد	٥٥٠
عمارات المسجد	٥٥١
في أواسط القرن الثالث عشر	٥٥١
عمارة الساس عام ١٣٤١هـ	٥٥٢
ومن عماراته الأخيرة: عمارة سنة ١٣٦٠هـ	٥٥٢

الصفحة	الموضوع
٥٥٣	العمارة الجديدة
٥٥٤	منبر جامع شبام القديم
٥٥٥	آل بن عقبة الشباميون
٥٥٧	ترجمة المؤلف الشيخ عوض بن عقبة سديس
٥٥٧	نسبه ونشأته
٥٥٧	والده الشيخ محمد بن أحمد عقبة
٥٥٩	جده الحاج أحمد بن عقبة
٥٦٠	عودة لترجمة المؤلف
٥٦٠	شيوخه
٥٦٠	وظائفه
٥٦١	لقب (سديس)
٥٦١	وفاته وذكر أعلام ذريته
٥٦٢	إمامة الجامع وخطابته
٥٦٤	هذه الرسالة
٥٦٦	عملي في هذه الرسالة
٥٦٧	النص المحقق للرسالة
٥٦٩	مقدمة
	تفصيل ترتيب الأذان والأذكار والقراءة الذي أمر به الحبيب أحمد بن
٥٧٠	عمر بن سميط
٥٧٣	تتمة
٥٧٥	اعتراض بعض الناس على الترتيب المذكور
٥٧٧	رفع المؤلف سؤالاً لمفتي تريم
٥٧٨	جواب مفتي تريم على سؤال المؤلف
٥٨٢	السور المرتبة في الصلاة
٥٨٥	فهرس المراجع والمصادر
٥٨٩	فهرس المحنويات